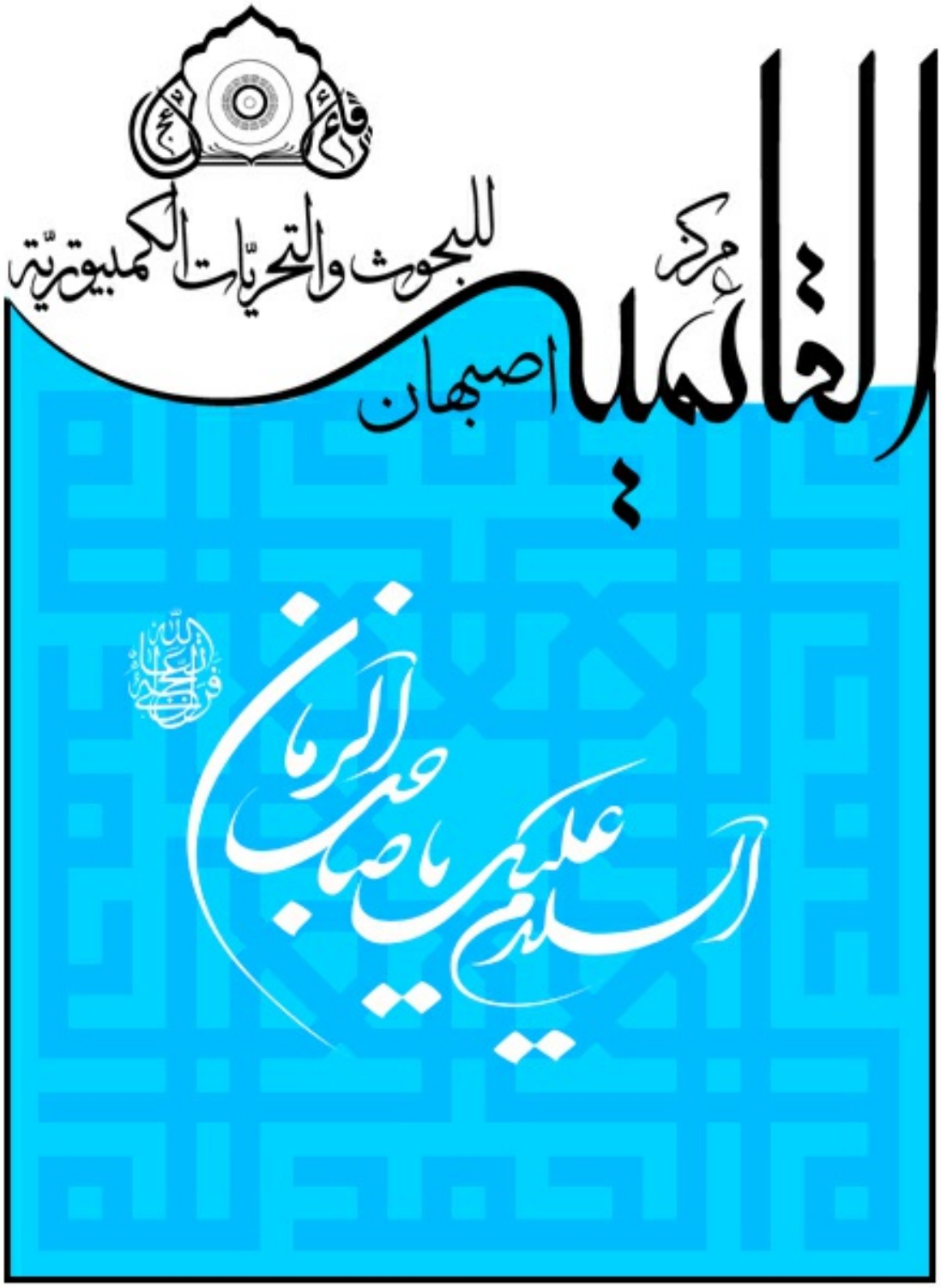

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

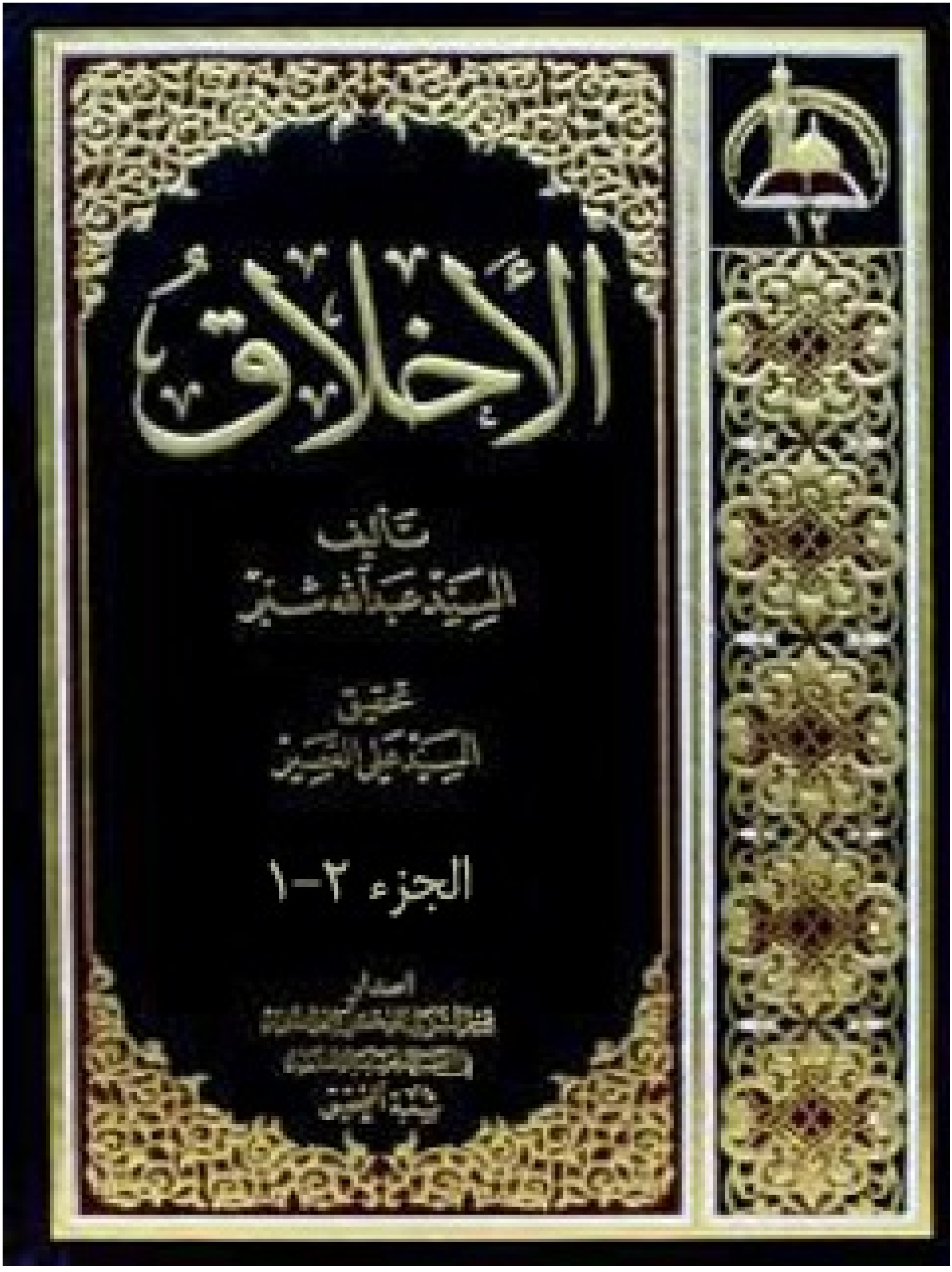
الأخلاق
تأليف
السيد عبد الله شبر
تحقيق
السيد جليل الحسيني
الجزء ٢-١

بسم الله الرحمن الرحیم

الاخلاق

كاتب:

عبدالله بن محمدرضا شبر حسينى كاظمينى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الاخلاق 15

اشارة 15

الجزء الأول 15

اشارة 15

مقدمة القسم 19

كلمة لابد منها 21

مقدمة التحقيق 23

اشارة 23

الأول: تعريف التحقيق 23

الثانى: لماذا هذا الكتاب 24

الثالث: كتابنا وعلم الأخلاق 24

المذاهب الأخلاقية 26

اشارة 26

الإتجاه العقلى 27

الإتجاه المادى 27

الإتجاه الصوفى 28

سيرة التآليف الأخلاقية 29

اشارة 29

المجموعة الأولى: الكتب الأخلاقية الفلسفية 29

المجموعة الثانية: الكتب الأخلاقية العرفانية 30

المجموعة الثالثة: الكتب الأخلاقية الروائية 31

المجموعة الرابعة: الكتب التلفيقية 31

كتابنا و علم الأخلاق 32

ترجمة المؤلف السيد عبد الله شبر 35

إسمه وشهرته 35

أسرته ونسبه 35

ولادت_ه 39

نبذة من سيرته 40

تربيته 40

أخلاقه 40

من معاصريه 41

أوصافه 41

ذكائه 41

منزلته العلمية 42

عمله 43

طريقته فى التأليف 43

أولاده 44

قالوا فيه 44

مشايخه 45

تلامذته 46

تصانيفه ومؤلفاته 47

وفاته 56

المقدمة 65

الفصل الأول: فى مدح حسن الخلق وذم سيئه 65

الفصل الثانى: فى معنى الخلق وكيفية تهذيبه 72

الفصل الثالث 77

الركن الأول: فى أسرار العبادات وفيه أبواب 81

اشارة ----- 81

الباب الأول: الطهارة ----- 83

اشارة ----- 83

الفصل الأول: فی النیة ----- 85

الفصل الثانی: فی الإخلاص ----- 89

الفصل الثالث: فی مجمل القول فی الطهارة والنظافة ----- 99

الفصل الرابع: فی أسرار إزالة النجاسة والتخلی لقضاء الحاجة ----- 100

الفصل الخامس: فی السواک ----- 102

الفصل السادس: فی الوضوء ----- 104

الفصل السابع: فی أسرار الغسل والتیمم ----- 107

الفصل الثامن: فی الاستحمام ----- 109

الفصل التاسع: فی سماع الأذان ----- 110

الفصل العاشر: فی الوقت ----- 112

الفصل الحادی عشر: فی لباس المصلی ----- 113

الفصل الثانی عشر: فی مکان المصلی ----- 115

الفصل الثالث عشر: فی الاستقبال ----- 117

الفصل الرابع عشر: فی القیام ----- 119

الفصل الخامس عشر: فی التوجه ----- 120

الفصل السادس عشر: فی النیة ----- 122

الفصل السابع عشر: فی التکبیر ----- 122

الفصل الثامن عشر: فی دعاء التوجه ----- 124

الفصل التاسع عشر: فی الاستعاذة ----- 126

الفصل العشرون: فی بیان الخضوع والخشوع وحضور القلب ----- 127

الفصل الحادی والعشرون: فی القراءة ----- 137

الفصل الثانی والعشرون: فی دوام القیام ----- 140

الفصل الثالث والعشرون: فی الرکوع 141
الفصل الرابع والعشرون: فی السجود 142
الفصل الخامس والعشرون: فی التشهد 145
الفصل السادس والعشرون: فی التسلیم 146
الباب الثانی: صلاة الجمعة 148
الباب الثالث: صلاة العیدین 154
الباب الرابع: صلاة الآیات 158
الباب الخامس: قراءة القرآن 162
الباب السادس: آداب الدعاء 172
الباب السابع: أسرار الزکاة والمعروف 178
الباب الثامن: أسرار الصوم 190
الباب التاسع: أسرار الحج وزیارة النبی صلی الله علیه وآله وسلم والمشاهد المشرفة 198
اشارة 198
فصل: فی العزم علی الحج 202
فصل: فی الزاد 202
فصل: فی الراحلة 202
فصل: فی شراء ثوب الإحرام 203
فصل: فی الخروج من البلد 203
فصل: فی دخول البادیة ومشاهدة العقبات 203
فصل: فی الإحرام والتلبیة بالمیقات 203
فصل: فی وقوع البصر علی البیت 204
فصل: فی الطواف بالبیت 204
فصل: فی استلام الحجر 205
فصل: فی التعلق بأستار الکعبة والالتصاق بالملتزم 205
فصل: فی السعی بین الصفا والمروة فی فناء البیت 205

فصل: فی الوقوف بعرفة ـــــ 206
فصل: فی الوقوف بالمشعر ـــــ 206
فصل: فی رمی الجمار ـــــ 206
فصل: فی ذبح الهدی ـــــ 207
فصل: فی رؤیة المدینة ـــــ 207
فصل: فی زیارة النبی والأئمة علیهم السلام ـــــ 208
الرکن الثانی: ف_ی ال_ع_ب_ادات، وفیه أبواب ـــــ 210
اشارة ـــــ 210
الباب الأول: جملة الحقوق التی تلزم الإنسان ـــــ 212
الباب الثانی: آداب المعیشة والمجالسة ـــــ 222
الباب الثالث: الإخاء والإلفة ـــــ 228
الباب الرابع: تقسیم الإخوان والأصدقاء ـــــ 236
الباب الخامس: حقوق الأخوة والصحبة ـــــ 242
الباب السادس: حقوق المسلم والمؤمن ـــــ 250
الباب السابع: بیان بعض الحقوق إجمالا ـــــ 286
الباب الثامن: حقوق الجوار ـــــ 292
الباب التاسع: حقوق الأقارب والرحم ـــــ 298
الباب العاشر: حقوق الوالدین والولد ـــــ 302
الباب الحادی عشر: حقوق المملوک ـــــ 310
الباب الثانی عشر: حقوق الزوجین ـــــ 316
الباب الثالث عشر: العزلة والمخالطة ـــــ 320
المحتویات ـــــ 330
الجزء الثانی ـــــ 337
اشارة ـــــ 337
الرکن الثالث: فی المهلکات من الأخلاق الردیة التی هی السموم القاتلة المهلکة للدین، وفیه أبواب ـــــ 341

اشارة 341
الباب الأول: شهوة البطن 343
الباب الثانى: شهوة الفرج 353
الباب الثالث: اللسان 359
اشارة 359
الفصل الأول: فى خطر إطلاقه وفضيلة صمته 362
الفصل الثانى: فى آفات اللسان، وهى أمور 365
الباب الرابع: الغضب 391
الباب الخامس: الحقد 403
الباب السادس: الحسد 409
الباب السابع: الرياء 421
اشارة 421
الفصل الأول: فى ذمه وحرمته 423
الفصل الثانى: فى حقيقة الرياء والفرق بينه وبين السمعة وأقسام الرياء 427
الفصل الثالث: فى درجات الرياء 429
الفصل الرابع: فى سبب الرياء وعلاجه 435
الباب الثامن: العجب 439
اشارة 439
الفصل الأول: فى حقيقته وأقسامه والفرق بينه وبين الإدلال 441
الفصل الثانى: فى ما ورد فى ذمه 443
الفصل الثالث: فى علاج العجب إجمالا 446
الفصل الرابع: فى أقسام العجب وتفصيل علاجه 447
الباب التاسع: التكبر 451
اشارة 451
الفصل الأول: فى ما ورد فى ذمه 453

الفصل الثانی: فی أقسام التکبر ----- 457
الفصل الثالث: فی المیزان والمعیار الذی یعرف به الإنسان نفسه هل هو متواضع أو متکبر ----- 464
الباب العاشر: الدنیا والآخرة ----- 467
اشارة ----- 467
الفصل الأول: فی معرفة الدنیا والآخرة ----- 469
الفصل الثانی: فی ما ورد فی ذم الدنیا ----- 475
الفصل الثالث: فی ما ورد عن الأنبیاء والأوصیاء والحکماء فی أمثلة الدنیا ----- 478
الباب الحادی عشر: المال ----- 483
الباب الثانی عشر: الفقر ----- 491
الباب الثالث عشر: الجاه ----- 497
اشارة ----- 497
الفصل الأول: فی سبب حب الجاه ----- 501
الفصل الثانی: فی علاج حب الجاه ----- 502
الفصل الثالث: فی حب المدح والثناء ----- 504
الباب الرابع عشر: الغرور ----- 507
اشارة ----- 507
الفصل الأول: فی حقیقته وذمه ----- 509
الفصل الثانی: فی بیان فرق المغترین وجهات غرورهم ----- 513
اشارة ----- 513
فصل: فی غرور أهل العلم ----- 515
فصل: فی غرور أرباب العبادة والعمل ----- 522
فصل: فی غرور أرباب الأموال ----- 525
الرکن الرابع: فی المنجیات وفیه أبواب ----- 529
اشارة ----- 529
الباب الأول: التوبة ----- 531

اشارة 531
الفصل الأول: فى حقيقة التوبة 533
الفصل الثانى: فى وجوبها وفضلها 534
الفصل الثالث: فى فوريتها 536
الفصل الرابع: فى عمومها 537
الفصل الخامس: فى قبول التوبة 541
الفصل السادس: فى تقسيم الذنوب التى يثاب منها 545
الفصل السابع: فى بيان ما تعظم به الصغائر 551
الفصل الثامن: فى تجزئة التوبة 556
الفصل التاسع: فى أقسام العباد فى التوبة 557
الفصل العاشر: فى العلاج للإقبال على التوبة 559
الباب الثانى: الصبر 565
اشارة 565
الفصل الأول: فى فضله 567
الفصل الثانى: فى حقيقته وأساميه وأقسامه 570
الفصل الثالث: فى دواء الصبر وعلاجه 578
الباب الثالث: الرضا بالقضاء 581
الباب الرابع: الشكر 589
اشارة 589
الفصل الأول: فى فضله 591
الفصل الثانى: فى حده وحقيقته 596
الفصل الثالث: فى بيان معنى الشكر فى حقه تعالى 598
الفصل الرابع: فى طريق تحصيل الشكر 600
الباب الخامس: الرجاء والخوف 603
اشارة 603

الفصل الأول 605
الفصل الثانی: فی فضل الرجاء وترجیحه علی الخوف 609
الفصل الثالث: فی دواء الرجاء وسبب حصوله 612
الفصل الرابع: فی الخوف 613
الفصل الخامس: فی فضیلة الخوف وسببه والترغیب فیه 616
الفصل السادس 625
الفصل السابع 628
الباب السادس: الزهد 631
اشارة 631
الفصل الأول 633
الفصل الثانی: فی حقیقته 635
الفصل الثالث: فی أقسام الزهد ومراتبه 637
الفصل الرابع 639
الباب السابع: محبة الله تعالی والأنس به 641
اشارة 641
الفصل الأول: فی حقیقتها 643
الفصل الثانی: فی الشواهد علی محبة الله تعالی وفضلها 646
الفصل الثالث: فی معنی محبة الله سبحانه لعبده 652
الباب الثامن: الیقین 655
اشارة 655
الفصل الأول: فی فضله 657
الفصل الثانی: فی حقیقة الیقین 662
الباب التاسع: التوکل 665
اشارة 665
الفصل الأول: فی فضله 667

الفصل الثانی: فی حقیقة التوکل 670
الفصل الثالث: فی سببه ودوائه ودرجاته 675
الباب العاشر: الصدق وأداء الأمانة 679
الباب الحادی عشر: المحاسبة والمراقبة 687
اشارة 687
الفصل الأول: فی المحاسبة 689
الفصل الثانی: فی المراقبة 693
الباب الثانی عشر: التفکر والتدبر 697
الباب الثالث عشر: ذکر الموت وقصر الأمل 703
الباب الرابع عشر: طول الأمل 711
المصادر 717
المحتویات 734
تعریف مرکز 741

الاخلاق

اشارة

شبر، عبدالله، 1774- 1826م.

الأخلاق/ تألیف عبـدالله شبر؛ تحقیق علی القصـیر. - کربلاء: قسم الشؤون الفکریـة والثقافیـة فی العتبـة الحسـینیة المقدسة، 1429ق. = 2008م.

2ج. - (قسم الشؤون الفکریة والثقافیة فی العتبة الحسینیة المقدسة؛ 12)

المصادر : ص. 381 - 396؛ وکذلک فی الحاشیة.

1. الأخلاق الإسلامیة 2. الأخلاق - من الناحیة القرآنیة. 3. أحادیث أخلاقیة. ألف. القصیر، علی، 1967- م، محقق. ب. عنوان.

3 الف 2 ش / 7 / BP 247

مکتبة العتبة الحسینیة المقدسة

ص: 1

الجزء الأول

اشارة

بسم الله الرحمن الرحیم

ص: 3

الأخلاق

تأليف

السيد عبدالله شبر

تحقيق

السيد على القصير

الجزء الأول

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

شعبة التحقيق

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1429هـ - 2008م

العراق: كربلاء المقدسة-العتبة الحسينية المقدسة-هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة القسم

الحمد لله الذى منّ علينا بنعمة العلم وجعلنا من وسائل نشره وتوصيله إلى عباده, والصلاة والسلام على سيد الأنام المعلم الأول والنبع الصافى سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الميامين الطاهرين.

لكى نطلع القارئ الكريم على عملنا لابد لنا من ذكر موجز لمفهوم التحقيق، فالتحقيق فى اللغة: يقال: حقق الشىء: أى جعله حقاً: أو صدقة وأثبته، فهو يدل على إحكام الشىء، فالتحقيق: هو التصحيح والتصويب والإحكام والعلم بالشىء، وإخضاع النص لهذه العمليات يعنى الوصول بها إلى حقيقة ما كانت عليه فى اللفظ والمضمون.

والتحقيق علم من العلوم العربية الإسلامية حيث وضح أصوله فى رجالات البحث والتأليف والرواية والتلقى فى ميادين الحديث النبوى والقرآن الكريم.

ولا نريد الخوض فى بيان هذا العلم وأصوله وتاريخه ولكن لابد من المرور على ذلك بما ينتفع منه القارئ الكريم، فإن للتحقيق أصولاً ذكرها أهل الفن نذكر منها:

اختيار الموضوع ونصه - جمع النسخ - ترتيب النسخ - توثيق النص - نقل النص - مقابلة النص - تخريجات الاقتباسات - تفسير الغريب والمشكل وغير ذلك من الأصول فى هذا العلم، وقد قسم أهل الفن أصول التحقيق إلى أصول التحقيق النظرى وأصول التحقيق العملى وإلى متممات التحقيق وهذه المتممات تتفرع إلى عدة فروع أحدها هو التخريج والتوثيق، وثانيها البيان والتفسير وثالثها التعليق وغير ذلك مما لا يسع المقام لبيانه.

التخريـج: هو تعيين موطن النص المقتبس، وتحقيق مرجعيته التاريخية، وتعيين نسـبة ما اغفل من ذلک، أى بمعنى عزو النص إلى مصادره الأمهات من كتب الحديث والرجال وغيرها.

التوثيق: هو تثبيت نسبة النص إلى صاحبه بالأدلة المرجحة أو القاطعة.

البيان: شرح ما فى النص من ألفاظ غريبة أو تركيب عسير البيان.

التفسير: هو بيان الدلالة الحقيقية المقصودة فى النص نفسه فقط.

التعليق: هو كل ما يسجل فى هوامش المتن من بيان وتفسير وشرح للغريب وتعريف بالأعلام وتكميل ما قصرت دلالته وتصحيح ما اختل مضمونه أو تركيبه وغير ذلک.

وبعـد هـذه المقدمـة العلميـة الموجزة فى بيان بعض مصـطلحات التحقيق التى طبقت عملياً فى هذا الكتاب الكريم، نسـتطيع أن نبين إن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة قد أولت رعاية خاصة لتحقيق الآثار الكبيرة للعلماء الأعلام والمؤلفين الكبار كسماحة السيد عبدالله شبر (قـدس سـره) فأوعزت إلى قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسـينية المقدسة لتبنى هذا المشـروع الثقافى الرائع ونحن بدورنا أوعزنا إلى شـعبة التحقيق المتمثلـة بالسـيد على القصـير محققاً والأخ أحمد جاسم معاوناً فهبا مسـرورين بهذا التكليف الذى لا يقل أجراً وثواباً عن غيره من التكاليف الشـرعية ألا وهو نشـر آثار فحول العلماء وكبارهم، وبعد التشاور مع مسؤول قسم الشؤون الثقافية والفكرية وقع الاختيار على كتاب الأخلاق للسيد عبدالله شبر (قدس سره) وبتعاون مع شعبة المكتبة الالكترونية فى القسم تم انجاز هذا الكتاب الكريم مع تنضـيده وتـدقيقه وإخراجه بصورته الجديدة التى تزهو بهوامشـها الجميلة. فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والاسـتمرار لجميع الإخوة الذين ساهموا فى إكمال هذا الكتاب الميمون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ على الفتلاوى

مسؤول قسم الشؤون الفكرية والثقافية

كلمة لابد منها

الوجود حكمة من إبداع القادر، يتنزل فيه الفيض، ليسمو الجرم المخترع من الإبداع الأول بكمالات الجلال من خزانات السرادق الملكوتية.

وانتشر النور ليحيط ظلام النفوس بهياكل العظمة، وليزين الروح مظهر الجسد الفانى بلئالىء تباينت فى نوالها قدرات الذر الأول، وتسابقت فى النهوض بها بالذر الثانى.

فما النفس إلا سفينة، ربانها العقل، تبحر فى الفناء، لترسو فى الخلود.

وقد أرسل الله صور النعيم مع سفرائه، كما أرسل صور الجحيم، ومع كل رسول كلمة طيبة، فيها دفء الرب ورحمة الرسول، لتشرق الحقيقة فى الباطن فيذعن لها الظاهر، حيث النهاية نعيم أبدى.

وكانت الرسالات نسيم كرامة يصدح فى أفق الأكوان، أغصان هى أوراقها دموع عشق، وسطورها المعرفة، وحروفها لقاء، مع الذات، مع النور، مع الله.

لذا اجتهد الرسل ليترجموا تعاليم السماء، فغرق فى حلاوة العبودية بعد المعرفة من غرق، وضاع فى فلسفة الجهل من ضل.

وكأن ما بين الأرض والسماء معارج، رسول تلو رسول، ولم يأبه الخالق إلا أن يمضى قدما فى كرمه، حتى أرسل الله من يختم به قافلة الرسل، حبيب، لأجله الكون ومن فيه ابتدأه، بعد أن اصطفاه.

رغم علمه بـدنو النفوس، وعـدم جلائها بعـد أن أصابتها جنود الجهل، ولكن للثلة التى مدحها فى فردوس كلماته، قال القدوس جل جلاله ((وَما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعالَمِينَ)) سورة الأنبياء/107. فأطلق عنان الرسالة محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم، فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(1).

وكانت الخاتمة لكل رسالة.

لذا أبدع رجال فى العناية منذ اليوم الأول فى علم الأخلاق، وإذا ما أبحرنا فى حضارات الأمم السالفة لوجدنا ألمع علمائهم قد اجتهدوا فى ترسيخ قوائم هذا العلم فى الحكم والسياسة والرعية، لاسيما من أراد الوصول إلى الحياض اللاهوتية.

ووضعوا له قوانين، وقرنوه بكل فضيلة، وعرفوه بالضرورة، وكتبوا فيه ألوانا من الفكر، فأنتجت العقول محاصيل المعرفة فى علم الأخلاق.

كتبا فلسـفية وعرفانيـة وروائيـة، وأخرى جمعت بين البعض منها، ومن جملتها كتابنا هـذا للسـيد عبـد الله شبر قـدس سـره الذى جمع فيه الأسـلوب الفلسـفى والعرفانى والروائى على غرار من سـبقه بهـذا اللون من الإبداع، مثل: أبو حامد الغزالى فى إحياء علوم الدين، والشـهيد الثـانى فى أسـرار الصـلاة، والفيض الكاشـانى فى المحجـة البيضـاء، والحقـايق فى محاسن الأخلاق، وأسـرار العبادات، ومقامات القلب، وأحوال السالكين، والنراقى فى جامع السعادات.

وقـد تم اختيـار هـذا الكتاب لتحقيقه، لما فيه من تهـذيب للنفس، ولما تتطلبه المرحلـة من جمع رفات العقول، وبناء مجتمع إنسانى قوامه الفضـيلة، ليرتقى الإنسان بنوعه، وذلک بتنظيم قواه، وترتيب جواهره، حيث لا جبر ولا تفويض، فيكتمل هيكل المعرفـة، وترسوا النفس فى ميناء النور، حيث الخلاص والنعيم.

المحقق

السيد على القصير

1- مكارم الأخلاق، الطبرسى: 8.

مقدمة التحقيق

اشارة

لابد للقارئ أن يجد دليلا يرشده فى كل كتاب، حول ماهية الكتاب، وأسلوبه، ومنهج من عمل عليه، لذا وضعنا هذه المقدمة، وهى تشتمل على أربعة فروع:

1 - تعريف التحقيق.

2 - لماذا هذا الكتاب.

3 - كتابنا وعلم الأخلاق.

4 - منهج التحقيق فى هذا الكتاب.

الأول: تعريف التحقيق

التحقيق، هو: التثبت والتوثيق.

حيث يتم التأكد من النصوص القرآنية، والروائية، وغيرها، وإرجاعها إلى مصادرها، وتعريف الاصطلاحات، و ترجمة الكلمات التى فيها غرابة يصعب على القارئ فهمها، مع تعريف بالأعلام وهويتهم، والبلدان، والإيضاح لمنهج المؤلف وتأثره بمن سبقه، ومن وافق فكرته، وعمن أخذ، مع بيان حال المؤلف وسيرته.

ويختلف التحقيق حسب ذوق المحقق العلمى وأسلوبه، لاسيما فى مقابلة المخطوط، خاصة فى الإشارة إلى عنوان النص فى المخطوط، أو المطبوع، بشكل يغنى الباحث بالدلالة حين الرجوع إليه مع اختلاف الطبعات.

وذلک يرتبط وثقافة المحقق، فليس المحقق إلا موسوعة كلما زادت موضوعاتها حسن التعليق، وأهم ما يناط بالمحقق هو: الصبر، والأمانة فى النقل، وتثبيت النص، وعدم الميل للهوى، والتجرد، ليعطى الكتاب والكاتب حقهما، حين التحقيق فيهما.

وهـذا التخصـيص كله يرتبـط بـالمطبوع، وليس المخطوط من الكتب، وسـيضاف الكثير من الكلام إذا كان العمل على مخطوط، فيختلف آنـذاك المنهج، وسوف يكون على ما تقدم الكثير من النقد، والتدقيق، والفحص، والتمييز، والمقارنة، والكشف عن الملخص، والمختصـر، والمحذوف، والمدسوس، والعلم بالرموز، والإشارات، والإختصارات، والأسماء، والفرق بينها فى العصور التاريخية، وهذا العبء لا ينهض به المحقق المبتـدئ، والحـديث العهـد بـالتحقيق، إذ يحتاج إلى الكثير من الخبرة والإطلاع على أعمال المحققين، والأساليب العلميـة فى عملية التحقيق.

وفى الحالتين يحتم عليه العلم بالأصول التى يرجع إليها فى التوثيق من لغة، ومعاجم، وحديث، وملل حسـبما يقتضيه موضوع الكتاب، من مصـادر وعلوم مساعـدة حـتى يسـتطيع فى نهايـة التحقيق أن يخرج الكتـاب بحلـة بـاهرة، وأن يكتب الخلاصـة، والإسـتنتاج للكتـاب، أو المخطوط، إذ أنها بمثابة تقييم علمى من المحقق يعتمد عليه من يصل إليه الكتاب.

الثانى: لماذا هذا الكتاب

إن علم الأخلاق له الشرف بين العلوم، لذا عقدت اللجنة المشرفة على التحقيق والنشر فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة رأيها فى انتخاب كتاب أخلاقى، لما فيه للنفس من أثر.

ولما كان السـيد عبـد الله شبر إسم لامع فى العلم والفضـيلة، وكتبه كرامـة تجد أسـبابها فى ترجمة حياته بعد هذه المقدمة تم اختيار كتابه الأخلاـق، الـذى ترتمس فيه النفوس حين الخلوة، وهو أنس العلمـاء، وجنينـة الطالب، ليخرج بحلته الجديـدة مع أول طبعـة محققـة تغنى الباحث والطالب، ولما فى هذا الكتاب من تهذيب للنفس وإحياء للفضيلة، وأحاديث الروح، وقع الاختيار عليه.

الثالث: كتابنا وعلم الأخلاق

قال الأزنـى ـق_____ى: هو علم يعرف منه أنواع الفضائل. وموضوع هذا العلم: الملكات النفسانية.

قال ابن صدر الدين: هو علم بالفضائل، وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها. فموضوعه: الأخلاق، والملكات، والنفس الناطقة(1).

قال صدر الـمتألهين: علم الأخلاق، المعروف بعلم الطريقة(2).

قال السبزواري: علم الأخلاق يبحث عن كيفية المحافظة على الحد الوسط التى هى: الفضيلة، والاجتناب عن طرفى الإفراط والتفريط اللذين هما: الرذائل، لتصدر منه أفعال يصل بها إلى السعادة المرجوة(3).

قال الطباطبائى: علم الأخلاق، وهو: الفن الباحث عن الملكات الإنسانية المتعلقة بقواه النباتية والحيوانية والإنسانية وتمييز الفضائل منها من الرذائل(4).

1- أبجد العلوم، السيد صديق بن حسن خان البخارى: 2/ 28، علم الأخلاق.

2- تفسير صدرا، الملا صدرا: 3/501.

3- تفسير مواهب الرحمن، السبزوارى: 2/310 .

4- تفسير الميزان، الطباطبائى: 1/371 .

المذاهب الأخلاقية

اشارة

قـــــــال الـــــس ـــــب ـــــــــــــــزواری: یختلـف العلمـاء والبـاحثون فی علـم الأخلاـق النظری فی تقســیم المــذاهب الأخلاقیـة المتعـددة بین مفصـل لهـا بتعـداد سـائر الاتجاهات، وبین مجمل لها بـذکر أصولها، والسـبب فی ذلک أن طائفـة منهم ربطت المذاهب الأخلاقیة بالمذاهب الفلسـفیة فی المعرفة الإنسانیة من الواقعیة والمثالیة، والعقلیة، والحدسـیة، والتجریبیة، والمادیة، والتشکیکیة وغیر ذلک.

وهذا المسلک وإن أمکن تطبیقه علی بعض المذاهب الأخلاقیة، فإنه یکون امتدادا لتلک المسألة إلا أنه لا یمکن تطبیقه علی البعض الآخر مثل الأخلاق المسیحیة فإن لها خصائص ما یخالف تلک الاتجاهات.

وطائفـة أخری أرجعت الاختلاف بعینه إلی الاختلاف فی الغایـة، و إنها هی المنفعـة، سواء کانت فردیة أو اجتماعیة وابتغاء اللذة والسـرور ودفع الآلام والشرور.

وهذا المنهج کسابقه فان کثیرا من المذاهب یخرج عن هذا التقسیم.

وطائفة ثالثة ذهبت إلی أنّ المناط هو الوجدان والزهد والتقشف کما یراه الاتجاه الصوفی.

والحق أنّ شیئا مما ذکر لا یصلح لأن یکون المناط فی تقسیم المذاهب الأخلاقیة، بل إنّ جمیعها تتفق علی أنّ الکمال والسعادة هما الغایة القصوی والمقصـد الأسـنی للإنسـان، وإنّمـا الاختلاف فی ما یصـدق علیه الکمال والسـعادة فالاختلاف فی المصـداق فقط، وعلی هـذا الأساس یمکن تقسیم المذاهب الأخلاقیة إلی ثلاثة:

الإتجاه العقلی

الاتجاه الـذی یعتبر العقل هو الـذی یحـدد الغایة فی حیاتنا، وأنه الباعث الذی یحفزنا إلی ابتغاء الحیاة السـعیدة و العزوف عن اللذات وأنّه الداعی إلی الطاعة لأوامر الشـرع أو العقل، وأصحاب هذا الاتجاه یعترفون بأصول مسلّمة لا یمکن العدول عنها کحسن العدل، وقبح الظلم وأمثال ذلک، فلابـد للإنسان – الذی یتمیز عن سائر الکائنات بطبیعته العاقلة – أن یتصـرف وفق القوانین المجعولة من قبل العقل أو الشـرع، وفی ذلک ابتغاء السعادة.

ویشـمل هـذا الاتجاه من المـذاهب الأخلاقیـة المذهب الحدسـی، والواقعی، والمثالی، وبعض المذاهب الیونانیة القدیمة أمثال الرواقیین والأفلاطونیین وغیرهم.

الإتجاه المادی

وهذا الاتجاه یرفض کل القیم الإنسانیة المسبقة التی تحدد للإنسان سلوکه والتی لها التأثیر فی تشکیل حیاته، بل یعتبر عامل المادة له الأثر الکبیر فی سـلوک الإنسان، وزاد بعضـهم أن الأفکار والمشاعر والرغبات والقیم الخلقیة والجمالیة هی ولیدة النظام الاقتصادی وما یستلزمه من العلاقات بین الأفراد بعضـهم مع بعض، وإن المنفعة سواء فی شـکلها الحسـی أو العقلی هی وحدها الخیر الأقصـی والمرغوب لذاته، وإنها السـعادة، والضـرر والألم وحـده هو الشـر الأقصـی، فالأفعال الإنسانیة لا تکون خیرا إلا إذا حققت النفع مطلقا وإذا جلبت ضـررا أو عاقت عن وصول النفع کانت شرا.

وبالجملـة: إنّ فی هـذا الاتجاه علی اختلاف مـذاهبه یتوجه النظر علی نتائـج الأفعال وآثارها، بلا فرق بین أن تکون المنفعـة فردیـة حسـیة عاجلـة، کما فی مـذهب القورنائیین أو حسـیة وعقلیـة وروحیة کما فی مذهب الابیقوریین، وجمیعهم أصـحاب اللذة الفردیة الأنانیة. نعم، تحـول بعض المـذاهب إلی منفعـة المجمـوع والقـول بالصالـح العـام ولکنـه لاـ تخرجهـا عن ابتغـاء اللـذة والمنفعـة، ولـذا دعـوا جمیعا بـ_(الأنانیین) حتّی فی تصورهم للصالح العام، وتشترک جمیع هذه المذاهب فی تقیید حرمة الفرد، والقول بالجبر الأخلاقی والفوضی فی الأخلاق. ومن ذلک یعرف أنّه لا علاقة بین الفکر الفلسفی والمذهب الخلقی فی هذا الاتجاه.

الإتجاه الصوفی

وفی هذا الاتجاه یتنکر الإنسان للمادة فی جمیع مظاهرها، وأنّ العزوف عن ملاذ الدنیا هو المناط فی الأخلاق الفاضلة، ویری أصحابه أنّ السعادة هی الابتعاد عما یشغل بال الإنسان عن التفکر، والکمال هو الوصول إلی مرحلة یصل بها إلی درک الحقائق، وفی هذا الاتجاه تعتبر المحبة أصلا لکل خیر.

هذه هی الاتجاهات الأساسیة للمذاهب الأخلاقیة المختلفة المتعددة وهی جمیعها قد أخفقت فی حلّ المشکلات الخلقیة للإنسان سواء الفردیة أو الاجتماعیة، ولم یصل الفرد بها إلی ما یصبو من السعادة والکمال بل لم تجلب للإنسان إلا الشقاوة، والوقوع فی صراعات فکریة لا یجتنی منها فائدة تذکر(1).

1- مواهب الرحمن فی تفسیر القران، السید السبزواری: 2/304 - 306 .

سيرة التآليف الأخلاقية

اشارة

جاء فی کتاب دراسات فی الأخلاق وشؤون الحکمة العملیة ذکر مجامیع کتب الأخلاق موضوعیا مع الإشارة لخصائصها نذکرها ههنا کما وردت.

نقسم مصادر علم الأخلاق إلی أربعة مجامیع متمیزة:

المجموعة الأولی: الکتب الأخلاقیة الفلسفیة

من أمثلة هذه المجموعة «السعادة والإسعاد» و«تهذیب الأخلاق» وغیرها.

والملاحظ علی هذه المجموعة ما یلی:

1 - التأثر بالآثار الیونانیة، مما أدی إلی اضمحلال الاستفادة من المسائل المعنویة والأخرویة، ذات الأثر القیم فی تربیة النفس وتزکیتها، وقد أصبح الأساس الذی ترتکز علیه هذه الکتابات هو المنافع المادیة والمعاییر العقلیة والقیم الاجتماعیة وحسب.

2 - أن الإطار الفکری للفیلسوف والحکیم یتناول الإنسان کمتفکر وعالم، ولهذا فإن تعامل الفیلسوف والحکیم مع الإنسان ینحصر بالکمال الفکری له فقط، وهذه الطریقة لیست إلا نظرة ناقصة للإنسان. صحیح إن للکمال العقلی أصالة متمیزة، ولکن یجب أن لا تکون علی حساب سائر الکمالات الإنسانیة الأخری، بحیث تهمل ولا یعتنی بها، ویبحث عن کمالات الإنسان من خلال زاویة ضیقة هی الکمال العقلی فقط. فهذا النوع من أسلوب اللامبالاة والتقصیر فی مراعاة سائر الجوانب الکمالیة للإنسان هو بلا شک أسلوب ناقص فی الدراسات الأخلاقیة.

3 - یعتبر تهذیب النفس وبناؤها من التمارین الشاقة التی تتطلب همة عالیة وجهدا منقطع النظیر وتربیة طویلة الأمد، وأقل ما ینتظر من مصنفات الأخلاق فی هذا السبیل هو أن تکون دلیلا وبرنامجا یعین

الإنسان على تخطى صعاب ومشاق العملية التربوية، ومما يؤسف له أن الكتب الأخلاقية الفلسفية تنقصها هذه الخصوصية، فهى غير كفوؤة فى هذا الجانب، وغير قادرة على احتواء قلب وفكر الإنسان، وبالنتيجة لم تترك أى أثر إيجابى فى بناء الإنسان وتقويم خلقه.

4 - إن هذه المجموعة من التصانيف الأخلاقية تزخر باصطلاحات ومطالب علمية وفنية كثيرة، وقد صنفت بطراز خاص يصعب معه إدراك مضامينها بسهولة، بل لم يكن ذلك متيسرا لكل الفئات والطبقات الاجتماعية ذات الثقافات المتباينة، ولهذا لم تجد لها طريقا بين عامة الناس، بل انحصرت بفئة اجتماعية خاصة وانحرمت منها كثير من الفئات.

المجموعة الثانية: الكتب الأخلاقية العرفانية

من أمثلة هذه المجموعة (أوصاف الأشراف) و(رسالة السير والسلوك) و(مثنوى معنوى) و(تذكرة المتقين) وغيرها.

وهذه المجموعة من الآثار الأخلاقية تحتوى على جوانب عملية وعرفانية تكشف عن صورة الإنسان مع نفسه ومع العالم المحيط به ومع خالقه، وتعتمد على أفكار وأقوال السالكين، وتبين طبيعة وأخلاق وقواعد العظماء من العلماء المتعبدين الذين عرفوا بين الناس أهل سير وسلوك عرفانى خاص.

ولكن من الملاحظ على هذه المجموعة ما يلى:

1 - هذه الكتب تشتمل على طرق العرفاء العملية والأخلاقية لأجل السير والسلوك، وتخلو من المباحث العلمية والنظرية فى مورد الأخلاق والفضائل والرذائل وطريقة كسب الفضائل وطرق معالجة الرذائل.

2 - يستفاد من هذه الكتب والرسائل لأولئک الذين طوو بعض المراحل من منازل تزكية النفس والسير، وقطعوا شوطا فيهما، لأنها تشتمل على مباحث أخلاقية صعبة ورياضات طويلة شاقة لتهذيب النفس وتزكيتها، ولهذا فان هذه المجموعة من الكتب والرسائل أيضا لم تكن صالحة لاستفادة كل الطبقات سيما عامة الناس الذين هم أحوج أفراد المجتمع إلى دروس الأخلاق، لأنهم لم يكونوا قد أمضوا شيئا من مراحل ومنازل تزكية النفس والسير أو مقدماتهما.

المجموعة الثالثة: الكتب الأخلاقية الروائية

من أمثلة هذه المجموعة (أصول الكافى ج2، كتاب الإيمان والكفر) و(مكارم الأخلاق) و(المواعظ) و(الخصال) و(بحار الأنوار، ج 66 - 70 ، كتاب الإيمان والكفر) و(تحف العقول) و(المحاسن) وغيرها.

والملاحظ على هذه المجموعة ما يلى:

1 - أنها تخلوا من البحث العلمى والنظرى فى باب الأخلاق والفضائل والرذائل، وجل ما تحويه هو إيراد الرواية وبعض بيانات أو توضيحات المؤلفين.

2 - إنها بحاجة إلى تحليل وشرح وتوجيه، وذلک لأن بعض الروايات مثار للجدل والنقاش وبعضها الآخر متشابه، أو متناقض.

المجموعة الرابعة: الكتب التلفيقية

والمراد منها الكتب التى جمعت الأساليب المختلفة، الفلسفية والعرفانية والروائية، ولفقت بينها، وامتازت بخصوصيات معينة.

ومن أمثلة هذه المجموعة (رسائل إخوان الصفا) و(إحياء علوم الدين) و(المحجة البيضاء) و(جامع السعادات) و(كيمياى سعادت) و(معراج السعادة).

وأسلوب التلفيق فى هذه المصنفات إما أن يكون بطريق روائى فلسفى، أو روائى عرفانى، أو روائى فلسفى عرفانى.

وقد شاعت أمثال هذه المصنفات فى القرن الخامس الهجرى وما بعده حيث أن التطور والتكامل الذى حصل فى العلوم الإسلامية المختلفة امتد ليشمل علم الأخلاق أيضا، وكانت هذه الطريقة، أى: التلفيق من مبتكرات تلک المرحلة، وأما فترة ما قبل القرن الخامس الهجرى فقد كانت تزخر بالأساليب الروائية الفلسفية، أو العرفانية.

ورغم أن كل مجموعة من مجاميع المصادر الأخلاقية يتمتع بامتيازات خاصة وله نهجه الخاص إلا أن المجموعة الرابعة من المصادر (الكتب التلفيقية) تعتبر الأنسب من بين مناهج مصنفى المجاميع الروائية والفلسفية والعرفانية وذلک بسبب التنوع والتفاوت فى أسلوبها(1).

1- دراسات فى الأخلاق، الشيخ المظاهرى: 13 - 17.

كتابنا و علم الأخلاق

إن كتابنا (الأخلاق) للسـيد عبد الله شبر رحمه الله لا شک بعد بيان التآليف وسيرتها، يصنف ضمن المجموعة الرابعة، وهی التی جمعت الأساليب المختلفـة، الفلسـفية والعرفانية والروائية، ولما كانت هذه المجموعة يتصدرها الغزالی والشـهيد الثانی والفيض الكاشانی والنراقی ذهب السيد شبر إلی جمع دررهم، ومزج أفكارهم، سالكا نفس التبويب والتفصيل.

الرابع : منهج التحقيق فی هذا الكتاب

1 - تخريـج الآيـات، والأحـاديث، والنصوص، والاقتباسات، وغريب اللغـة، والشـعر، والأمثال، وما شاكلها، وإرجاعها إلی مصادرها، مع الإشارة إلی المختلف منها.

2 - الاعتماد علی مراجع معتمدة فی علوم القرآن والحديث والرجال واللغة، والغريب، وقد ذكرناها مفصلا نهاية الكتاب.

3 - مراعاة التسلسل الزمنی عند ذكر المصادر للنصوص، حيث يتم ذكر الأقدم ثم من يليه.

4 - الاعتماد علی كتب المدرستين الخاصة والعامة.

5 - إيراد مصادر العامة بعد مصادر الخاصة يستثنی من هذه القاعدة النصوص التی اعتمد عليها أصلا من كتب العامة، مثل الإحياء.

6 - إذا تكرر مصـدر لروايات متتاليـة، نعمل علی تغييره فی حال عدم تطابق النص، ويبقی ذاته فی حال تفرده به، أو إذا كان معتمد كالكافی فيبقی دون ذكر من أخذ عنه.

7 – مقابلة النص والبحث والتحليل الذى ورد فى كتاب الأخلاق للسيد المؤلف رحمه الله مع من سبق السيد شبر فى موضوعه، وسلک طريقتهم بدوره، مثل: الغزالى فى إحياء علوم الدين، والشهيد الثانى فى رسائله، والفيض الكاشانى فى المحجة البيضاء وأسرار العبادات والحقايق فى محاسن الأخلاق، والنراقى فى جامع السعادات، وقد أشرنا نهاية كل باب من أبواب الكتاب وأحيانا نهاية كل فصل إذا كان الباب مطولا موارد التطابق الكلى أو الضمنى مع ما تقدم ذكرها من المصادر الأخلاقية.

8 – فى حال ذكر المؤلف (قال: أبو حامد) أو (قال: الشهيد الثانى) وجب الرجوع إلى من نسب إليه النص فى التخريج، وكذلک هى الحال عند ذكر نص عن مصدر، مثل قول المؤلف (وفى مصباح الشريعة) فيتم تخريج النص من الكتاب المذكور لاعتماد السيد المؤلف عليه.

9 – يتكرر أحيانا ترجمة الغريب من اللغة ببيان مختلف، وهذا نادرا، حسب سياق الجملة وما تقتضيه.

10 – إذا ورد الحديث ومضمونه فى الكافى كمصدر أساسى يعتمد عليه، والنص مطابق فى مصدر آخر من مؤلفات المتأخرين نأخذه ممن تطابق معه.

11 – إذا ورد النص عن أحد المعصومين عليهم السلام، وفى المصدر ليس عنه بل عن معصوم آخر تتم الإشارة إلى ذلک بالحاشية.

12 – بيان التفصيل فى الحاشية للعنوان، بذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة والباب والفصل ورقم الحديث، وجميع الدلالات التى تيسر للباحث سرعة الوصول إلى المطلب ضمن أية طبعة للكتاب الذى اعتمدناها فى الأخذ منه.

13 – إذا ورد فى النص: وقال عليه السلام. نشير بالحاشية إلى المعصوم عليه السلام الذى صدر عنه النص.

14 – إذا ورد حديث ونصه يتطابق مع أحد مصادر العامة وفى مصادر الخاصة مضمونه نورده من العامة.

15 – بيان بعض التنبيهات فى موارد محدودة خاصة حينما ينقل الحديث من مصادر العامة، كى لا يتم الخلط بين عقائد المدرستين.

16 – فی حال ورد النص فی متن الکتاب عن أبی حامد مثلاً وأورده غیره ممن تأخر عنه نذکر من اعتمد علیه المؤلف أولا فی طلیعة المصادر ثم نتلوه بالبقیة التی أوردته مع مراعاة القدم بالنقل.

17 – لا یتم تعدیل ضمن متن الکتاب لأمانة النقل حتی وإن ورد الخطأ فی نص قرآنی، وتتم الإشارة والتعلیق بالحاشیة.

18 – عدم تکرار ترجمة العلم، أو الغریب من اللغة فی حال تکرر وروده.

19 – نذکر فی بعض الموارد بعد ذکر المصدر نص الحدیث، وهذه محدودة حسب أهمیة البحث واعتماد المؤلف علی النص للتحلیل منه، وأحیانا لأهمیة الحدیث خلال البحث.

20 – إذا کان فی بدایة الصفحة (قال علیه السلام) نقول (الإمام الصادق علیه السلام) مثلا، وإذا کان وسط الصفحة ولیس فی بدایتها، وقد ذکر فی بدایتها قبله معصوم واسترسل المؤلف بالکلام قائلا: (وقال علیه السلام) عاطفا بقوله للمعصوم علیه السلام نکتب: (أی: الإمام الصادق علیه السلام) مثلاً.

21 – إذا ورد فی حدیث اختلاف فی النص مع المصدر، وکانت موارد الاختلاف من واحد إلی ثلاثة نبینها مع التهمیش فی مواضع الاختلاف، وإذا زادت عن ثلاثة نذکر المصدر مسبوقا بکلمة (أنظر) وهذه بمثابة المعنی مع اختلاف یسیر، وإن کان الاختلاف أقل من ثلاث موارد فی النص نضع (أنظر) أیضا، إذا کان الأفضل بدل ذکر التفاصیل لکیلا یتیه القارئ، ولعل کلمة (أنظر) تدل علی اختلاف یسیر جدا مثل تکرار قول: (عز وجل) بدل (تعالی) أکثر من مرة، یستثنی منها موارد نادرة یکون فیها النص مضمونا قد ذکر فی المصدر المسبوق بـ (أنظر).

22 – اعتمدنا فی تحقیق هذا الکتاب (الأخلاق) للسید عبد الله شبر علی النسخة المطبوعة، وهی: (الطبعة الثانیة لسنة 1412 هـ – 1991م) طبعة بیروت، منشورات الأعلمی للمطبوعات، تحت الرقم (19/2/17) من کتب مکتبة العتبة الحسینیة المقدسة فی کربلاء المقدسة.

ترجمة المؤلف السيد عبد الله شبر

إسمه وشهرته

السيد الجليل عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن نجم الدين بن الحسن الشبر الأفطسى، الحسينى، الكاظمى(1).

المشتهر فى عصره بالمجلسى الثانى(2).(3)

أسرته ونسبه

آل شبر أسـرة علوية يتصل نسـبها بالإمام زين العابدين على بن الحسـين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، وهى من أسر العراق العلمية المشهورة، ذكرها الداودى -

---

1- مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال، آقا بزرک الطهرانى: 238.

2- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: 2/ 352. هدية الأحباب، القمى: 222.

3- ذكره باسم: السـيد عبـد الله بن السـيد محمـد رضا الشبر الحسـينى الكاظمى كل من المراجع التاليـة: الكنى والألقاب، الشـيخ عباس القمى: 2 / 352. هدية الأحباب، القمى: 222. سـفينة البحار، الشيخ القمى: 6/ 78. معارف الرجال، حرز الـدين: 1/ 9. أعيان الشيعة، محسن الأمين: 12/103. معجم مؤرخى الشيعة، صائب عبد الحميد: 1/ 528. معجم المفسرين، عادل نويهض: 1/ 325.

النسابة الشهير المتوفى سنة 828 هـ – فى كتابه: «عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب»، وذكرها تفصيلا البحاثة المعاصر العلامة الشيخ جعفر آل محبوبة فى كتابه: «الأسر العلوية»، فقال:

«آل شبر أسـرة عراقية قديمة، وهى من أقدم الطوائف العلوية القديمة فى العراق، وأعرقها فى العروبة، وأقدمها فى الهجرة، كان مقرها الأصلى الحلة الفيحاء، ولم تزل بقيتهم بها حتى اليوم، وبها عرفت.

ومنها تفرعت كما ذكرهم فى العمدة وبحر الأنساب، وهم ولد الحسن المعروف بـ (شبر) بن محمد بن حمزة بن أحمد بن على برطلة.

كانوا قديما يعرفون ببنى برطلة نسـبة إلى على المعروف ببرطلة ابن الحسـين، ويعرف بـ (القمى) ابن على بن عمر – الذى شهد فخا – ابن الحسن الأفطس.

وكل شبرى حسينى، يرجع إلى الحسن هذا ويعود إليه».

وأشـهر الأسـر الحسـينية الشبرية، هى أسرة السيد المترجم السيد عبد الله شبر المؤلف، وهى من الأسر العلمية الأدبية شريفة الجد، كريمة الحسب، كثيرة الانتشار فى النجف والحلة والكاظمية والبصرة، وبعض المدن العراقية الأخرى.

وتوجد عند العلامة المفضال السـيد عباس شبر – نزيل البصـرة اليوم وقاضـيها الشـرعى، مشـجرة كاملة لهذه الأسـرة خططها الأسـتاذ عبد الرزاق العائش الأديب البصـرى، وقد ذكر العلامة البحاثة الشيخ محمد السماوى المتوفى أول سنة 1370 هـ رحمه الله هذه الأسرة عندما عدد الأسر العلمية فى منظومته «وشى النجف»، المطبوع فى مطبعة دار النشر والتأليف سنة 1360 هـ، فقال:

وأسـرة لشـبر الشرى ـف

وجامع الشـ ـتات بالتصـ ـنيف

من كل فرد فاضل قد جمعا

إلى علـوم ـه التـ ـقى والـورعا(1)

1- تمام النص هو ترجمة المؤلف بقلم السيد جواد شبر فى مقدمة كتاب حق اليقين فى معرفة أصول الدين.

قال العامری:

آل شبر أسـرة علویـة عریقـة، مساکنهـا موزعـة بین بغـداد وبابـل والنجف الأشـرف والقادسـیة وذی قار ولهم وجود فی بعض المحافظات، وبحسب وثائقهم النسبیة التی اطلعت علیها والمشـجرات المصدقة والمحققة انهم من السادة الموسویة الحسینیة الأجلاء، واللقب جاء من اسم جدهم (السید شبر بن محمد بن صالح بن أحمد بن شریف بن محمد بن الحسین بن سلیمان بن مبارک بن محمد بن ناصر بن محمد أبو العرب بن یحیی بن أبی الحرث محمد بن أبی عبد الله شـمس الدین بن أبی الحارث محمد بن أبی الحسن علی بن أبی طاهر عبد الله بن أبی الحسن محمد بن أبی الطیب الطاهر بن الحسـین القطعی بن موسی أبو سبحة بن إبراهیم المرتض(1) الأصغر بن الإمام موسی الکاظم علیه السـلام)، وعمیدهم الیوم هو: (السـید ایاد بن السـید جواد بن السـید کاظم بن السید حسن بن السید حسون بن السید رضا بن السید علی أبو هوسة بن السید عمران بن السید موسی بن السید شبر).

وفروعهم:

أولا: السادة آل السـید رضا الموسوی، وعمیدهم: (السـید محمد رضا بن السـید عبید بن السـید أحمد بن السـید رضا بن السـید موسی بن السـید محمد بن السـید أحمد بن السید محمد بن السید حسن بن السید زین بن السید علی بن السید حسن والذی ینتهی نسبه إلی الحسین القطعی بن موسی أبو سبحة بن إبراهیم المرتضی بن الإمام موسی الکاظم علیه السلام).

ثانیا: السادة آل حبیب وعمیدهم (السید هادی بن السید خضر بن السید عباس بن السید شبر الجد الجامع للسادة آل شبر)(2).

1- هو: إبراهیم المرتضی، ولعل الخطأ من الناسخ إذ یکرر ذکره نهایة الکلام باسم: إبراهیم المرتضی.

2- موسوعة أنساب العشائر العراقیة السادة العلویون، ثامر عبد الحسن العامری: 1/ 184.

قيل فى جدهم الأكبر إبراهيم المرتضى:

كان الأمير إبراهيم المرتضى سيدا جليلا، وأميرا نبيلا، وعالما فاضلا، روى الحديث عن آبائه عليهم السلام، ذهب إلى اليمن واستولى عليها فى أيام أبى السرايا ، وقيل : إنه كان يدعو لإمامة أخيه الرضا عليه السلام، فبلغ هذا المأمون فشفع له عنده فقبل المأمون شفاعته له ، وأعطاه الأمان ، ولم يتعرض به ، توفى فى بغداد ودفن فى مقابر قريش مع أبيه عليه السلام فى قبر منفصل معروف(1).

ولد إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام ، وهو لأم ولد، ويلقب بـ «المرتضى» وهو الأصغر، ظهر باليمن أيام أبى السرايا، وكانت أمه نوبية اسمها تحية (فى بعض النسخ نجية)، عدة كثيرة ذكرانا وبناتا، فمن جملة ولده : أحمد وقع إلى مرند، وله بها بقية.

ومنهم : أبو العباس المعقد ابن أبى الحسن موسى يلقب أبا سبحة ابن إبراهيم ابن موسى الكاظم عليه السلام(2).

قال الشيخ تاج الدين النقيب:

أعقب الكاظم من ثلاثة عشر ولدا رجلا، منهم أربعة مكثرون، وهم : على الرضا عليه السلام، وابراهيم المرتضى، ومحمد العابد، وجعفر.

وأربعة متوسطون، وهم: زيد النار، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة.

وخمسة مقلون، وهم: العباس، وهارون، وإسحاق، والحسن، والحسين(3).

فى بيان نسل الإمام الهمام حجة الله على الأنام موسى الكاظم عليه السلام، ولد عليه السلام ستين ولدا، سبعة وثلاثين أنثى، وثلاثا وعشرين ذكرا.

درج من الذكور خمسة لم يعقبوا اتفاقا، وهم : عبد الرحمن، وعقيل، والقاسم، ويحيى، وداود.

1- منتهى الآمال فى تواريخ النبى والآل، الشيخ عباس القمى: 2 / 292.

2- المجدى فى أنساب الطالبيين، العمرى: 316.

3- عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب، ابن عنبة: 240 - 241.

ولثلاثة منهم إناث، وهم: سليمان، والفضل، وأحمد. فليس لأحد من هؤلاء الثلاثة ولد ذكر من غير خلاف فى ذلک.

واختلف فى أعقاب خمسة منهم، وهم: الحسين، وإبراهيم الأكبر، وهارون، وزيد، والحسن. ومنهم عشرة أعقبوا بغير خلاف، وهم: على الرضا، وإبراهيم الإمام المرتضى إمام الزيدية، ويعرف بإبراهيم الأصغر، والعباس، وإسماعيل، ومحمد، وإسحاق، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة، وجعفر، وهذا هو القول الذى ارتضاه الشيخ أبو نصر البخارى، وجزم به وعمد عليه كتابه(1).

ولمزيد الإطلاع حول جد السادة آل شبر الأكبر، أنظرالمراجع التالية:

الإرشاد(2)، المناقب(3)، إعلام الورى(4)، عوالم العلوم(5)، الدمعة الساكبة(6)، منتهى الآمال(7).

ولادت_ه

ولد فى النجف حدود سنة 1188ه_ (8).

وقيل : ولد فى النجف أيام إقامة والده فيها سنة 1192 ه_(9).

1- مناهل الضرب فى أنساب العرب، الحسينى: 392 - 393.

2- الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد: 2/ 244.

3- مناقب آل أبى طالب، إبن شهر آشوب: 4/ 349 - 350.

4- إعلام الورى بأعلام الهدى، أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى: 1/ 312، الفصل 6.

5- عوالم العلوم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، الشيخ عبد الله البحرانى: 21/ 318 - 320.

6- الدمعة الساكبة فى أحوال النبى و العترة الطاهرة، محمد باقر بن عبد الكريم البهبهانى: 7/ 145 - 147.

7- منتهى الآمال فى تواريخ النبى والآل عليهم السلام، الشيخ عباس القمى: 2/ 291 - 293.

8- معارف الرجال، حرز الدين: 1/9. معجم مؤرخى الشيعة، صائب عبد الحميد: 1/ 528. معجم المفسرين، عادل نويهض: 1/325. معجم رجال الفكر، الأمينى: 2/710.

9- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: 12/ 103.

نبذة من سيرته

تربيته

قال السيد جواد شبر: تربى على يد أبيه العلامة الكبير السيد محمد رضا، فنشأ على التقوى والصلاح، وحب العلم والفضيلة منذ صغره، فقد عرف عنه أنه دعاه والده وهو بعد فى ريعان شبابه، وقال له: لا أحل لک أن تتناول مما أنفقه عليک ما لم تجتهد فى الدرس والتدريس، وتنفق أوقاتک فى سبيل ذلک حتى اليوم الواحد، فكانت هذه الكلمة لا تفارق سيدنا المترجم له حتى أنه شوهد وهو بين أترابه فى مدرسته يبيع محبرته، ولما سئل عن ذلک، قال: إنى شغلت هذا اليوم بعارض صحى لم يمكننى معه من مواصلة دروسى فلم أجد ما يسوغ لى أن أتناول من بيت أبى شيئا، وهذه الحادثة إن دلت على شىء فإنها تدل على التربية الدينية العالية التى نشأ عليها من ناحية الأخلاق الإسلامية، وتغذيته بحب العلم، وهذا لاشک مما هيأه إلى أن يكون من عظماء علماء المسلمين ، وطبعه بطابع التقوى والصلاح، وجعله فى الرتبة العالية ممن يشار إليه بالبنان فى كل ذلک(1).

أخلاقه

قال السيد محمد معصوم: كان آية فى الأخلاق، كان باسما طلق المحيا، يحنو على الصغير، ويعطف على الكبير، وكان ركنا حصينا للضعفاء، وصولا لهم، بارا بهم، ما استطاع إلى ذلک سبيلا ، وكان يعود المرضى، ويصلى على جنائز المؤمنين، إلى غير ذلک من خلاله الفاضلة، وصفاته الحميدة، التى رفعت منزلته، وأحلته مكانا عليا بين محبيه ومناوئيه(2).

1- مقدمة كتاب حق اليقين للسيد عبد الله شبر، بقلم العلامة السيد جواد شبر: 6.

2- ترجمة المؤلف بقلم أحد تلامذته السيد محمد معصوم، فى مقدمة كتاب: طب الأئمة، من مؤلفات المترجم له السيد عبد الله شبر: 11.

من معاصريه

جاء فى ترجمة الشيخ جواد العاملى الكاظمى: عالم فاضل جليل، كان من المعاصرين للسيد العلامة السيد عبد الله شبر، صاحب جامع الأحكام، وهو أبو أسرة فى بلد الكاظمين(1).

وفى ترجمة الشيخ سليمان بن معتوق العاملى: كان وصيه رحمه الله السيد العلامة السيد عبد الله شبر صاحب جامع الأحكام(2).

أوصافه

كان ربعة من الرجال فى القامة، وكان بدينا سمينا، ووجهه كأنه فلقة قمر، بهى المنظر، وشعر كريمته (لحيته) كأنه سواد السبج(3)، إذا نظر الناظر إلى وجهه، وسمع عذوبة لفظه، لم تسمح نفسه بمفارقته، وتسلى عن كل شىء بمخاطبته(4).

ذكائه

قال السيد جواد شبر: إن الفكرة التى يأخذها الباحثون عنه هى الحديث فقط، وكأنها أبرز صفاته التى اشتهر بها، ويروى لنا تلميذه السيد الجليل العلامة السيد محمد معصوم فى رسالة كتبها عن حياته: إن جلساؤه كثيرا ما كانوا يمتحنونه بقراءة متن الرواية، ويقطعون السند، وهو تغمده الله برحمته يسترسل بسلسلة السند حتى يوصله بالإمام من أهل البيت صلوات الله عليهم.

وقد تكرر ذلك منه ومنهم حتى تجاوز حد الإحصاء. وهذه الأحدوثة تفهمنا أنه كان ذا عارضة قوية وحافظة شديدة واطلاعا واسعا(5).

1- تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: 123/ الرقم 71.

2- تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: 228/ الرقم 195.

3- السبجة بالضم: كساء أسود. يقال تسبج الرجل، إذا لبسه. والسبج هو الخرز الأسود، فارسى معرب. الصحاح، الجوهرى: 1/ 321، مادة «سبج».

4- طب الأئمة، السيد شبر: 11، المقدمة بقلم السيد محمد معصوم.

5- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: 12، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

منزلته العلمية

وقال(1): أما السيد المترجم له أعلى الله مقامه من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع فى الفنون الإسلامية كلها، فهو إلى جنب فقاهته التى هى الأصل فى ثقافته معروف بتبحره فى التفسير والحديث والكلام وغيرها، وله فى كل ذلک مؤلفات شائعة هى فى الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء، وكفى أنه يعد فى الحديث من أشهر مشايخ الإجازة فى عصره، وأكثر سلسلة الإجازات عند المتأخرين ترجع إليه، فكان فى وقته مرجعا كبيرا للطائفة الإمامية من ناحية التقليد، والتدريس، والإستفادة العلمية، وإجازة الحديث.

ولا ـ تقف على نتاجه العلمى وتقرأ عدد مؤلفاته التى تنيف على السبعين، وهو لم يتجاوز من عمره 54 سنة حتى يتمثل لک فى سعة التأليف، وبراعته، العلامة الحلى رحمه الله، أو العلامة المجلسى، ولا تجد نظيرا لهما غير سيدنا المترجم له.

وأمثال هؤلاء الأعلام لا يسمح بهم الزمن إلا فى فترات متباعدة، وسنين متطاولة، فيجمع منهم قوة الحافظة الخارقة إلى البراعة فى سرعة التأليف النادرة إلى الحرص العظيم على وفرة الإنتاج العلمى، إلى الصبر والجلد على البحث والتدوين، إلى الذكاء المفرط، إلى دقة الملاحظة السريعة، إلى النشاط العقلى العجيب، إلى كل ما من شأنه من الصفات أن يخلق من صاحبها نابغة من نوابغ العلم وبطلا من أبطاله.

ويتمثل لک هذا النبوغ العلمى العجيب كاملا عندما تطلع على موسوعته الكبيرة فى الحديث، كتابه: (جامع المعارف والأحكام) الذى لا يزال مخطوطا، فإنه حوى جميع أخبار أهل البيت عليهم السلام بما يغنى عن جميع كتب الأخبار

1- السيد جواد شبر.

على غرار موسوعة العلامة المجلسى ودائرة معارفه الموسومة ب_(بحار الأنوار) فإن السيد كان يحذو حذوه حتى لقبه أهل عصره ب_(المجلسى الثانى) غير أن المشهور عن المجلسى قدس سره أن له لجانا خاصة تسير حسبما يوجهها، وتساعده على الإستكتاب والتنقيب، والسيد كان أمة بنفسه(1).(2)

عمله

عرفت انهماك السيد فى التأليف والتصنيف، وعرفت أنه قد كرس جميع أوقاته فى النهار لهذه المهمة، وأنه كان قد وقف نفسه للقيام بحاجات الناس وشؤونهم، أما الليل فقد فرغ منه قسما كبيرا للعبادات والمناجاة، وغير ذلک مما يقوم به العبد الصالح اتجاه بارئه ومصوره وبالجملة فقد جبل السيد من عمل، فهو لا يرى إلا حالاّ مسألة، أو مشغولا بدفع مشغلة، أو سائرا فى قضاء حاجة، فسبحان الذى صنعه فأتقن صنعه، وصوره فأحسن تصويره، فقد جعله مثالا للمكارم، وجامعا لشتى الفضائل(3).

طريقته فى التأليف

كان يجلس فى مجلسه العام بيمناه القلم، وبيسراه القرطاس، يؤلف تارة، ويتحدث إلى زائريه أخرى، ثم تأتى خلال ذلک الدعاوى فيحلها أحسن حل، فلا كثرة الزائرين، ولا ضجيج المشتكين بشاغلين له عن التأليف والتصنيف، وهكذا النفوس الكبيرة إذا كانت قد تذوقت حلاوة العلم، فإنها لا محالة تذلل فى سبيله كل صعب، وهى لا محالة تجتاح من طريقه كل عقبة كؤود(4).

1- يقول السيد جواد شبر: توجد من هذه الموسوعة فى مكتبة سيدى الوالد تسعة مجلدات بالقطع الكبير بخط المؤلف.

2- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: 12، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

3- طب الأئمة، السيد عبد الله شبر: 11، المقدمة بقلم السيد محمد معصوم.

4- نفس المصدر: 6.

أولاده

السيد حسين.

السيد حسن.

السيد محمد.

السيد جعفر.

السيد موسى.

السيد جواد(1).

قالوا فيه

1 – العلامة المحقق عبد النبى الكاظمى، قال:

عبد الله بن محمد رضا الحسينى الشبرى. قرأت عليهما، واستفدت منهما، وهما ثقتان عينان، مجتهدان، فاضلان، فقيهان، ورعان، حازا الخصال الحميدة، والسيد عبد الله – سلمه الله – حاز جميع العلوم الشرعية، وصنف فى أكثر العلوم الشرعية، من التفسير، والفقه، والحديث، واللغة، والأخلاق، والأصولين، وغيرها، فأكثر وأجاد، وأوضح طريق السداد، وألهم صوب الصواب، جزاه الله خير الثواب، وسلك مسلك أولى الرشاد وأفاد، وانتشرت أكثر كتبه فى الأقطار، وملأت الأمصار، ولم يوجد قط أحد مثله فى سرعة التصنيف، وجودة التأليف(2).

2 – السيد محمد معصوم أحد تلامذة السيد شبر، قال:

الإمام شبر من الشخصيات الخصبة التى سيخلدها التاريخ، وشخصية الإمام شبر من الشخصيات الفذة التى سيمجدها الخلف، كما كان يمجدها السلف، ولقد ضم إلى ثروته العلمية حافظة نادرة، واطلاعا واسعا، وضبطا شديدا(3).

1- معجم رجال الفكر و الأدب، الأمينى: 2/ 710.

2- تكملة الرجال، عبد النبى الكاظمى: 2/ 92، حرف العين.

3- أذكياء الفقهاء والمحدثين، الحكيمى: 222.

3 – المحقق الكبير الشيخ عباس القمی، قال:

السـيد عبد الله بن السيد محمد رضا الشبر الحسينی الكاظمی الفاضل النبيل، والمحدث الجليل، والفقيه المتبحر، الخبير العـالم، الربانی المشتهـر فی عصره بالمجلسی الثانی، صاحب شـرح المفاتيـح(1).

4 – السيد جواد شبر، قال:

وحسـبک أن تقرأ الكتاب الذی بين يديک فترى أنک أمام فيلسوف من فلاسـفة الإسـلام، يقف بک على أسـرار التشريع الإسلامی، وحكم الشريعة المحمدية، فيجلو الأحاديث المشكلة، ويزفها ناصعة معجبة، تستلذها العقول، وتترشفها الأرواح(2).

وأطنب بذكره وفرة من العلماء، منهم السـيد الخوانساری فی روضات الجنات، والشيخ على كاشف الغطاء فی الحصون المنيعة، والمرحوم السيد حسن الصدر فی كتابه تكملة أمل الآمل، ولسيدنا الكبير ذكر فی كتب أخرى كثيرة(3).

مشايخه

1 – قرأ على والده (السيد محمد رضا شبر)، المتوفى سنة 1208 هـ أول أمره.

2 – السيد محسن الأعرجی صاحب المحصول، المتوفى سنة 1227 هـ.

3 – الشيخ أحمد زين الدين الأحسائی، المتوفى سنة 1241 هـ.

4 – الشيخ أسد الله الكاظمی، المتوفى 1234 هـ.

5 – السيد على صاحب الرياض، المتوفى سنة 1231 هـ.

6 – الميرزا أبو القاسم القمی صاحب القوانين، المتوفى سنة 1231 هـ.

7 – الميرزا محمد مهدی الشهرستانی، المتوفى سنة 1216 هـ.

8 – أجازه أن يروی عنه الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة 1227 هـ (4).

1– الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمی: 2/ 352.

2– مصابيح الأنوار فی حل مشكلات الأخبار، السيد شبر، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

3– نفس المصدر السابق.

4– معارف الرجال، حرز الدين: 2/10.

تلامذته

تتلمذ عليه جمع كبير من العلماء والأفاضل، منهم:

1 – السيد على العاملى، وله تقريض لكتاب جامع الأحكام لأستاذه السيد شبر(1).

2 – الشيخ عبد النبى الكاظمى، وأجازه.

3 – الشيخ إسماعيل إبن أستاذه الشيخ أسدالله.

4 – الشيخ محمد جعفر الدجيلى.

5 – الشيخ أحمد البلاغى.

6 – الشيخ محمد رضا بن الشيخ زين العابدين (زين الدين – بقلم السيد جواد شبر). وفى التكملة: الشيخ رضا بن الشيخ زين العابدين بن الشيخ بهاء الدين الشهيدى العاملى، ينتهى نسبه إلى الشهيد الأول قدس سره(2).

7 – الشيخ مهدى بن الشيخ أسد الله.

8 – الشيخ إسماعيل الخالصى(3).

9 – السيد محمد على بن السيد كاظم بن صاحب المحصول الأعرجى الكاظمى.

10 – الشيخ حسين محفوظ العاملى(4).

11 – الملا محمد الخوئى(5).

12 – السيد هاشم بن السيد راضى.

13 – الملا محمد على التبريزى، وأجازه أيضا.

1– تراجم الرجال، السيد أحمد الحسينى: 1/ 365.

2– تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: 207/ الرقم 178.

3– فى الأعيان: الشيخ محمد إسماعيل الخالصى.

4– فى الأعيان: الشيخ حسن بن محفوظ العاملى.

5– فى الأعيان: المولى محمود الخوئى.

14 - الشيخ حسن التبريزى(1).

15 - ولده السيد حسن صاحب تتمة شرح النهج(2).(3)

16 - السيد على إبن السيد محمد الأمين(4).

17 - البحاثة الفاضل السيد محمد معصوم(5).

تصانيفه ومؤلفاته

حكى عنه أنه قال : إن كثرة مؤلفاتى من توجه الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام ، فإنى رأيته فى المنام فأعطانى قلما، وقال : أكتب ، فمن ذلک الوقت وفقت لذلک ، فكل ما برز منى فمن بركة هذا القلم(6).

ولقد اجتمع مع بعض العلماء، وكان السيد قد فرغ من قراءة الفاتحة للشيخ المفيد، وشيخه ابن قولويه، فقال له ذلک العالم : يا سيدنا إنى أريد أن أسالک عن مسألتين: عن أمر المعيشة ، وسرعة التصنيف؟ فأجابه السيد: بأن أمر المعيشة موكول إلى الله عز وجل، وأما سرعة التصنيف، فإنى قد رأيت الإمام سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام فى عالم الرؤيا، فقال لى: أكتب، وصنف فإنه لا يجف قلمک حتى تموت(7).

1- فى رسالة ترجمة المؤلف للسيد محمد معصوم: الملا حسين التبريزى.

2- فى الأعيان: ومنهم: السيد حسين ولد المترجم.

3- معارف الرجال، حرز الدين: 2/ 11. طب الأئمة، السيد شبر: 12 - 13، ترجمة المؤلف بقلم تلميذه السيد محمد معصوم فى مقدمة الكتاب.

4- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: 12/ 103.

5- مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال، آقا بزرک الطهرانى: 238. حق اليقين، السيد شبر: 14 - 15، مقدمة الكتاب بقلم السيد جواد شبر، تلامذته والرواة عنه.

6- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: 2/ 352. هدية الأحباب، القمى: 222. سفينة البحار، الشيخ عباس القمى: 6/ 79.

7- أذكياء الفقهاء والمحدثين، الحكيمى: 221.

وقد كتب فی آخر بعض مصنفاته : شرعت فیها عند العشاء، وتمت عند نصف اللیل(1).

وکان (قدس سره) من عادته فی جملة من مؤلفاته، یکرر الکتاب الواحد، بتلخیصه واختصاره(2).

وفیما یلی أسماء مصنفاته التی عثرنا علیها ممن ترجموا له :

1 - نهج العارفین (کتاب فارسی فی الأخلاق) یحتوی علی 1500 بیتا(3).

2 - رسالة فارسیة فی عمل الیوم واللیلة، ألف بیت.

3 - الدر المنثور فی المواعظ المأثورة عن الله تعالی والنبی والأئمة الطاهـرین (علیهم السلام) والحکماء، 20 ألفا.

4 - رسالة فی حجیة الخبر الواحد من الأخبار.

5 - أعمال السنة: کتاب علی نمط زاد المعاد، للعلامة المجلسی، فی سبعة آلاف بیت.

6 - ذریعة النجاة فی تعقیب الصلاة، فی 7500 بیتا.

7 - رسالة فی حجیة العقل وفی الحسن والقبح العقلیین، فی أربعة آلاف.

8 - رسالة فی تکلیف الکفار بالفروع.

9 - شرح الحقائق فی الأحکام (لم یکمل).

10 - الدر المنظوم فی مشکلات العلوم، (لم یکمل).

11 - علم الیقین فی طریقة القدماء والمحدثین، فی ثلاثین ألفا.

12 - الجوهرة المضیئة فی الواجبات الأصلیة والفرعیة.

13 - زینة المؤمنین وأخلاق المتقین، فی مکارم الأخلاق.

1- أعیان الشیعة، السید محسن الأمین: 12/ 103.

2- معارف الرجال، حرز الدین: 1/ 11.

3- یصطلح القدماء علی البیت ما اشتمل علی خمسین حرفا، وهو ما یساوی سطرا.

14 – الرسائل الخمس الاستدلالية فى العبادات.

15 – سفينة النجاة فى 1100 بيت .

16 – الشهب الثاقبة.

17 – مصباح الظلام فى شرح مفاتيح شرائع الإسلام، كتاب ضخم ، يحتوى على عدة مجلدات:

(الأول) مجلد فى شرح ديباجته ، فى 22 ألفاً.

(الثانى) فى الطهارة، والصلاة ، فى 60 ألفاً.

(الثالث) فى الزكاة، والخمس، والصوم، فى 20 ألفاً.

(الرابع) فى الحج، 10 آلاف.

(الخامس) فى النذر، أو أخويه، والحدود، والجنائز، فى 30 ألفاً.

(السادس) فى النكاح، فى 35 ألفاً.

(السابع) فى المعاملات، فى 37 ألفاً.

(الثامن) فى القضاء، والشهادات إلى الآخر، فى 15 ألفاً.

قال الشيخ عبد النبى الكاظمى: مصابيح الظلام فى شرح مفاتيح شرائع الإسلام.

وذكر التفصيل أعلاه. وذكره باسم: مصابيح الظلام، حرز الدين فى معارف الرجال.

18 – المصباح الساطع فى شرح المفاتيح، ولكنه أكثر اختصاراً من الشرح السابق، يحتوى على ستة مجلدات، فى 100 ألف بيت.

19 – كتاب جامع الأحكام فى الأخبار، (قال الشيخ عبد النبى الكاظمى: جامع المعارف والأحكام فى الأخبار)، جمع فيه أحاديث الأصوليين، والفقه من الكتب الأربعة، وهو يشتمل على عشرين مجلداً:

ص: 36

(الأول) فى التوحيد، فى 25 ألفاً.

(الثانى) فى المبدأ والمعاد، فى 30 ألفاً.

(الثالث) الأصول الأصلية، فى 12 ألفاً. وفى التكملة للكاظمى: الأصول الأصيلة.

(الرابع) قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فى 30 ألفاً.

(الخامس) أحوال خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فى 40 ألفاً.

(السادس) القرآن والدعاء، فى 40 ألفاً.

(السابع) الطب المروى.

(الثامن) المواعظ والرسائل والخطب.

(التاسع) فيما يتعلق بالنجوم.

(العاشر) الطهارة، فى 24 ألفاً.

(الحادى عشر) فى الصلاة، فى 70 ألفاً.

(الثانى عشر) الزكاة والخمس والصوم، فى عشرين ألفاً.

(الثالث عشر) الحج، فى خمسين ألفاً.

(الرابع عشر) المزار، فى 20 ألفاً.

(الخام_س عشر) الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

(السادس عشر) المطاعم والمشارب، إلى الغصب، فى 15 ألفا.

(السابع عشر) الغصب والمواريث، إلى الديات، فى 27 ألفا.

(الثامن عشر) النكاح، فى 30 ألفاً.

(التاسع عشر) المعاملات، فى 24 ألفاً.

(العشرون) الخاتمة الرجالية، فى عشرة آلاف.

قال الشيخ عبد النبى الكاظمى: يشتمل على أربعة عشر مجلدا، وعدها مع اختلاف فى عدد أبيات بعض المجلدات، وأسماء البعض الآخر.

20 – ملخص جامع الأحكام، وهو تلخيص الكتاب السابق، يبلغ 60 ألفاً.

21 – ثم اختصره اختصارا آخر، يبلغ 40 ألفاً.

22 – جلاء العيون، معرب عن كتاب فارسى للمجلسى، فى مجلدين، يبلغ 22 ألفاً.

23 – منتخب الجلاء، مختصر الكتاب السابق، فى 12 ألفا.

24 – مثير الأحزان فى تعزية سادات الزمان، فى خمسة آلاف.

25 – تحفة الزائرين، فى 12 ألفاً.

26 – تحية الزائر.

27 – نخبة الزائر، فى 4 آلاف.

28 – زاد الزائرين، كتاب فارسى. ويتحد العنوان مع الرقم 6 بفارق عدد الأبيات حيث الأول 5500 بيتا.

29 – ذريعة النجاة، تبلغ 7500 بيتا.

30 – أنيس الذاكرين، فى أربعة آلاف.

31 – روضة العابدين، فى مجلدين.

(الأول) فيما يتعلق بعمل اليوم والليلة وأدعية الأسبوع وسائر ما يحتاج إليه.

(الثانى) فى أعمال السنة، يبلغ 14 ألفاً.

32 – قصص الأنبياء ، يقرب من ستة آلاف.

33 – كتاب المزار، يجمع بين شرحى العربى والفارسى، يقرب من سبعة آلاف. أنظر: الرقم 5 كتاب أعمال السنة.

34 – تسلية الفؤاد فى الموت والمعاد، فى سبعة آلاف.

35 – تسلية الحزين فى فقد الأقارب والبنين ، فى أربعة آلاف.

36 – تسلية الفؤاد فى فقد الأولاد، فى ألفين. قال السيد جواد شبر: تسلية الفؤاد فى فقد الأحبة والأولاد.

37 – منهج السالكين فی علم الأخلاق، فی ألف بیت.

38 – صفاء القلوب، فی الأخلاق، أیضا فی 2500 بیت.

39 – کشف الحجة فی شرح خطبة الزهراء علیها السلام، 1500. قال الشیخ عبد النبی، والسید جواد شبر: کشف المحجة فی شرح خطبة الزهراء.

40 – کشف الحجاب، للدعاء المستجاب فی شرح دعاء السمات، 2000.

41 – اللامعة فی شرح الجامعة، فی أربعة آلاف. قال السید جواد شبر: الأنوار اللامعة فی شرح الجامعة.

42 – الأخلاق.

43 – رسالة أخلاقیة ، طبعت فی مطابع بمبی.

44 – المواعظ المنثورة ، تبلغ 11 ألفاً.

45 – عجائب الأخبار ونوادر الآثار ، فی 12 ألفاً.

46 – أنوار الساعة فی العلوم الأربعة: معارف، وأخلاق، وعجائب المخلوقات، وفقه، فی ثمانیة آلاف.

47 – تحفة المقلد، رسالة فتوی من أول الفقه إلی آخره ، تبلغ 35 ألفاً.

48 – زبدة الفقه، رسالة إستدلالیة فی الفقه، فی أربعة آلاف. قال السید جواد شبر: زبدة الدلیل: رسالة إستدلالیة فی الفقه.

49 – خلاصة التکلیف فی الأصول والعبادات، فی 5000.

50 – مطلع النیرین فی لغة القرآن وحدیث أحد الثقلین، 30 ألفاً.

51 – منیة المحصلین فی حقیة طریقة المجتهدین، فی 12 ألفا. قال السید جواد شبر: منیة المحصلین وأحقیة طریقة المجتهدین.

52 – طب الأئمة علیهم السلام، فی أحد عشر ألفا.

53 – إرشاد المستبصر، رسالة فی الإستخارة، فی ألف بیت.

54 – البرهان المبین فی فتح أبواب علوم الأئمة المعصومین، فی 30 ألفاً.

55 – الحق اليقين فى أصول الدين، فى مجلدين، يبلغ 15 ألفاً.

56 – البلاغ المبين فى أصول الدين، فى ثلاثة آلاف.

57 – بغية الطالبين فى صحة طريقة المجتهدين، ستة آلاف.

58 – رسالة أخرى على نمط بغـية الطالبين، قال السيد محمد معصوم: وأظن أن اسمها: المنهـــج القويم فى طريقة القدماء والمحدثين.

59 – الجوهرة المضيئة فى الطهارة والصلاة.

60 – رسالة فى الحج، 2500 بيت.

61 – مصابيح الأنوار فى حل مشكلات الأخبار، مجلدان فى 22 ألفاً.

62 – صفوة التفاسير: كتاب جليل فى تفسير القرآن، فى 60 ألفاً.

63 – الجوهر الثمين فى تفسير القرآن المبين. فى مجلدين، فى 30 ألفاً.

64 – التفسير الوجيز: مجلد واحد، فى 18 ألفاً.

65 – المهذب فى الأخلاق، فى 12 ألفاً.

66 – طريق النجاة ، 1300.

67 – كتاب فى شرح نهج البلاغة، فى 40 ألفاً.

68 – رسالة فارسية، فى الفقه.

69 – رسالة أخرى فارسية ، فى الطهارة والصلاة.

70 – أحسن التقويم (قال الأمينى: أحسن التقاويم). رسالة تتعلق بالنجوم على حسب ماورد فى الشرع الأقدس.

71 – رسالة فيما يجب على الإنسان.

72 – رسالة فى فتح باب العلم والرد على من يزعم إنسداده.

73 – رسالة فى عمل اليوم والليلة، تشتمل على أربعين حديثا، على ترتيب الحروف.

74 – أحوال خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

75 – جامع المقال فى معرفة الرواة والرجال ، كتاب كبير يقع فى عدة مجلدات.

76 – ملخص المقال : ملخص لكتابه السابق ، وهو : كتاب كبير أيضا.

77 – الكليات الرجالية ، وله : الفوائد الرجالية ، يظن أنه هو هذا بعينه.

78 – فقه الإمامية ، وهى : رسالة عملية.

79 – تحفة الزائر. ربما يتحد مع الرقم 25، أو 27، فى موضوعه.

80 – الدرر المنثورة والمواعظ المأثورة عن الله تعالى والنبى والأئمة الطاهرين عليهم السلام والحكماء.

81 – الأنوار الساطعة فى العلوم الأربعة. ولعله متحد مع العنوان رقم 46 أنوار الساعة فى العلوم الأربعة.

82 – زاد العارفين فى الأخلاق، فارسى. فى الغالب إتحاده مع الرقم واحد: نهج العارفين فى الأخلاق.

وهناک حواش وأجوبة مسائل كثيرة يطول المقام بذكرها(1).

وفاته

توفى سنة 1242 هـ، وله أربع وخمسون سنة، ودفن بقرب والده فى البقعة الكاظمية، على مشرفيها آلاف التحف السبحانية(2).

1- اعتمدنا فى جمع مصنفات السيد المترجم له، السيد عبد الله شبر، على المراجع التالية: تكملة الرجال، الشيخ عبد النبى الكاظمى: 2 / 92 – 97. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: 2 / 352. هدية الأحباب، القمى: 222. مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال، آقا بزرک الطهرانى: 238 – 239. معجم رجال الفكر والأدب فى النجف، د.الأمينى: 2 / 710. معجم مؤرخى الشيعة، صائب عبد الحميد: 1 / 528 – 529. معجم المفسرين، عادل نويهض: 1 / 326. ترجمة السيد عبد الله شبر بقلم تلميذه السيد محمد معصوم، والتى طبعت فى مقدمة كتاب طب الأئمة: 7 – 11. ترجمة السيد عبد الله شبر بقلم السيد جواد شبر، والتى طبعت فى مقدمة كتاب حق اليقين فى معرفة أصول الدين: 9 – 12.

2- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: 2 / 352. هدية الأحباب، القمى: 222. سفينة البحار، الشيخ القمى: 6 / 79.

قال حرز الدين: توفى فى الكرخ، فى رجب سنة 1242ه_ ودفن مع والده فى رواق الإمامين الجوادين عليهما السلام(1).

قال الموسوى فى ترجمة والد المؤلف السيد محمد رضا بن محمد آل شبرالحسينى: توفى بالكاظمية حدود سنة 1208 ه_ ، ودفن فى رواق الإمامين الجوادين عليهما السلام، كان من فضلاء عصره ، ودفن معه ولده العالم الجامع السيد عبد الله شبر المولود بالنجف حدود سنة 1188ه_، و المتوفى سنة 1242 ه_ ، الذى ذاع صيته حتى عرفت أسرته واشتهرت به(2).

1- معارف الرجال، حرز الدين: 1 / 11.

2- تاريخ المشاهد المشرفة، السيد حسين الموسوى: 345، محمدرضا بن محمد آل شبر الحسينى/ الرقم 355.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الـذى أحسن خلق الإنسان(1) وفطره على صـبغة الإيمان(2) وعلّمه المعـارف والبيان(3) وأنعم عليه بالتفضـل والإحسان(4) وأرشده إلى اقتناء الفضائل والفواضل وحذره وأنذره عن ارتكاب الرذائل(5) وفرض تحسين الأخلاق إلى

1- إشارة إلى قوله تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنا الإِنسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)) سورة التين/ 4.

2- إشارة إلى قوله تعالى: ((فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)) سورة الروم/ 30. وقال تعالى: ((صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً)) سورة البقرة/ 138.

3- إشارة إلى قوله تعالى: ((خَلَقَ الإِنسانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيانَ)) سورة الرحمن/ 3 ـــ 4.

4- إشارة إلى قوله تعالى: ((حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُوْلئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ (7) فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) سورة الحجرات/7 ـــ 8.

5- إشارة إلى قوله تعالى: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَما عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبادِ)) سورة آل عمران/30.

اجتهاد العبد فيها(1) وتشهيره واستحثه(2) على تهذيبها(3) من الرذائل(4) بتخويفه وتحذيره وسـهَّل عليه تحسينها بتوفيقه وتيسير ما إمتن عليه بتسـهيل الصـعب منها وعسـيرها والصلاة على النبى الكريم المنعوت فى الفرقان الحكيم بأنک ((لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ))(5) وآله القربى الذين حث الله على حبِّهم(6) وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم(7) وأولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم(8).

1- عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:إِنَّ اللَّهَ عزّوجل خَصَّ رُسُلَهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِکَ مِنْ خَيْرٍ، وَإِنْ لا تَكُنْ فِيكُمْ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِيهَا، قَالَ فَذَكَرَهَا عَشَرَةً: الْيَقِينَ وَالْقَنَاعَةَ وَالصَّبْرَ وَالشُّكْرَ وَالْحِلْمَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءَ وَالْغَيْرَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمُرُوءَةَ. قَالَ: وَرَوَى بَعْضُهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ الْعَشَرَةِ، وَزَادَ فِيهَا: الصِّدْقَ وَأَدَاءَ الأَمَانَةِ. الكافى، الكلينى: 2/ 57، كتاب الإيمان والكفر، باب المكارم/ ح2.

2- أعجله وعجله تعجيلا: إذا استحثه. الصحاح، الجوهرى: 5/1760، مادة "عجل".

3- المهذب: المخلص من العيوب. كتاب العين، الفراهيدى: 4/40، مادة "هذب".

4- رذال كل شىء: رديئه. الصحاح، الجوهرى: 4/ 1708، مادة "رذل".

5- سورة القلم/ 4.

6- إشارة إلى قوله تعالى: ((قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى)) سورة الشورى/23.

7- إشارة إلى قوله تعالى: ((فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ)) سورة النحل/ 43.

8- إشارة إلى قوله تعالى: ((يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ)) سورة النساء/ 59.

أما بعد فيقول العبد المذنب العاصى الغريق فى بحار الآثام والمعاصى أفقر الخلق إلى ربه الغنى عبد الله بن محمد رضا الحسينى(1) رزقهما الله خير الدارين وأذاقهما حلاوة النشأتين وحباهما بما تقر به العين بمحمد وآله المصطفين لا يخفى على أولى البصائر النقَّادة وذوى الأفهام الوقادة فضيلة علم الأخلاق(2) وشرافته وجلالة قدره ورفعة شأنه ونباهته وأنه قوام الدين ونظام العالمين وطلبه فرض على جميع المسلمين وبه يحصل التأسى(3) بسيد المرسلين وعترته الطاهرين فإن الأخلاق الحسنة هى المنجيات والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة المهلكات المبعدة من جوار رب العالمين والمنخرطة بصاحبها فى سلك الشيطان اللعين(4) وأمراض القلوب

1- أنظر: مقدمة التحقيق، ترجمة المؤلف.

2- علم الأخلاق: "مجموعة من المبادئ المعيارية التى ينبغى أن يجرى السلوك البشرى على مقتضاها، والياء فى المعيارية نسبة إلى المعيار الذى يقاس به غيره، أى: أن مبادئ الأخلاق ترسم طريق السلوك الحميد وتحدد أهدافه وبواعثه. وموضوع الأخلاق: سلوك الإنسان وأفعاله الصادرة عنه بإرادة مباشرة أو بالواسطة، ومرادنا بالواسطة هنا، أن علم الأخلاق يدين المخطئ إذا قصر وأهمل الاحتياط والتحفظ. طبعا مع قدرته عليه حيث لا تقصير مع العجز. فلسفة الأخلاق فى الإسلام، محمد جواد مغنية:12.

3- أسوة وإسوة، أى: قدوة. لسان العرب، ابن منظور: 14/35، مادة "أسا". وقال تعالى: ((لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) سورة الأحزاب/ 21.

4- قال على بن موسى الرضا عليه السلام، بإسناده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق فى الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سيئ الخلق فى النار لا محالة. وقالعليه السلام:حسن الخلق زمام من رحمة الله فى أنف صاحبه، والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، و سوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار. جامع الأخبار، الشعيرى: 107، الفصل 64 فى الأخلاق.

والنفوس المضرة بالأديان أعظم ضرراً من أمراض الأجساد والأبدان إذ تلك مغوية لحياة الجسد وهذه تفوِّت حياة الأبد ووجوب ذلک الطب كفائی(1) وتعلم هذا الطب واجب عينی(2)(3)، وهذه أوراق قليلة حائزة لفوائد جليلة قد اشتملت على زبدة هذا العلم الشريف وجمعت خلاصة هذا الطب المنيف(4) من خصوص

1- الواجب الكفائی: الواجب الذی لو قام به البعض بحد الكفاية (أی: بالعدد الكافی) سقط عن الآخرين، كغسل الميت. معجم ألفاظ الفقه الجعفری، د.أحمد فتح الله: 439.

2- الواجب العينی: ما يكلف به أعيان المكلفين، ولا يسقط بفعل بعضهم له عن الباقين، أی: هو الواجب على كل فرد مكلف، كالصلاة. معجم ألفاظ الفقه الجعفری، د. أحمد فتح الله: 438.

3- قال الغزالی: أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة هی السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازی الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها فی سلک الشياطين، وهی الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التی تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هی الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد، وأين منه المرض الذی لا يفوت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس فی مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفی مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذی لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق فی معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير فی علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد. إحياء علوم الدين، الغزالی: 3/45، كتاب رياضة النفس.

4- أناف الشیء على غيره: ارتفع وأشرف. ويقال لكل مشرف على غيره: إنه لمنيف. لسان العرب، ابن منظور: 9/342، مادة "نوف".

أمراض القلوب وتفصيل العلاجات وبيان الخصال المنجيات والرذائل المهلكات وقد رصعت(1) بجواهر الآيات القرآنية ودرر الأحاديث المعصومية والبراهين اليقينية والدلائل العقلية والشواهد النقلية وهى وإن صدرت ممن هو من الذين ((يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ))(2) ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم(3) ولا يأتمرون وينهون عن المعاصى والآثام ولا ينتهون والمواعظ والنصائح إن صدرت عن مجرد اللسان لم تتجاوز الأسماع وزلت كما يزل الماء عن الصفا(4) وإن صدرت عمَّن اتصف بها

1- الترصيع: التركيب. يقال: تاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع، أى: محلى بالرصائع. الصحاح، الجوهرى: 3/1219، مادة "رصع".

2- سورة الشعراء/ 226.

3- إشارة إلى قوله تعالى: ((أَتَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)) سورة البقرة/44.

4- عن أبى عبد الله عليه السلام: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا. الكافى، الكلينى: 1/44، كتاب فضل العلم، باب استعمال العلم/ ح3. وعن محمد بن أبى عائشة قال: إذا أراد المتكلم بكلامه غير الله نزل عن قلوب جلسائه كما نزل الماء عن الصفا. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: 53/299، حرف العين، فى أسماء آباء المحمدين، محمد بن أبى عائشة. عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ أُهْبِطَ عَلَى الصَّفَا، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصَّفَا، لأَنَّ الْمُصْطَفَى هَبَطَ عَلَيْهِ فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِن اسْمِ آدَمَ، يَقُولُ اللَّهُ عزّوجل: ((إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ))سورة آل عمران/ 33. وَأُهْبِطَتْ حَوَّاءُ عَلَى الْمَرْوَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْمَرْوَةُ مَرْوَةً لأَنَّ الْمَرْأَةَ هَبَطَتْ عَلَيْهَا فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِن اسْمِ الْمَرْأَةِ، وَهُمَا جَبَلانِ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ. الكافى، الكلينى: 4/191 ـــ 192، كتاب الحج، باب فى حج آدم عليه السلام/ ح2.

أثرت فی القلوب کالنقش فی الحجر إلا أن العذر فی الأول زیادة البصیرة فی التقصیر والقصور والمقت للنفس والذل والانکسار والاطلاع علی بواطن العیوب وقبائح الأمور والعذر فی الثانی أنها لم تصدر علی لسان المذنب الجانی بل کان مصدرها من معادن(1) الوحی والتنزیل وأرباب العلوم والحقائق والتأویل الذی هبط فی بیوتهم جبرئیل وعلماء الدین المبین وقوام شریعة سید المرسلین ونواب الأئمة الطاهرین وقد رتبتها علی مقدمة وأبواب وفصول والتوفیق من الله مسؤول والتأیید منه مطلوب ومأمول و«العذر عند کرام الناس مقبول»(2) وهو حسبی ونعم الوکیل.

1- المعدن: مکان کل شیء یکون فیه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشیاء. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 279، مادة "عدن".

2- روح المعانی، الآلوسی: 13/82، تفسیر سورة یوسف.

المقدمة

الفصل الأول: فی مدح حسن الخلق وذم سیئه

فی الکافی عن الباقر علیه السلام قال: «إن أکمل المؤمنین إیماناً أحسنهم خلقاً»(1).

وعن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: «ما یوضع فی میزان امرئ یوم القیامة أفضل من حسن الخلق»(2).

وعن الصادق علیه السلام قال: «ما یتقدم(3) المؤمن علی الله عزّوجل بعمل بعد الفرائض أحب إلی الله تعالی من أن یصنع(4) الناس بخلقه»(5).

1- الکافی، الکلینی: 2/99، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح1.

2- الکافی، الکلینی: 2/99، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح2.

3- فی المصدر: "ما یقدم".

4- فی المصدر:"یسع".

5- الکافی، الکلینی: 2/100، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح4.

وعنه علیه السلام(1) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»(2).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: «أکثر ما تلج به أمتی الجنة تقوی الله وحسن الخلق(3)، یعمران الدیار ویزیدان فی الأعمار»(4).

وقال علیه السلام(5): «إن الخلق الحسن لیمیث(6) الخطیئة کما تمیث الشمس الجلید»(7).

وقال علیه السلام(8): «إن الله تبارک وتعالی لیعطی العبد من الثواب علی حسن الخلق کما یعطی المجاهد فی سبیل الله یغدو علیه ویروح»(9).

وقال علیه السلام(10): «إن حسن الخلق یبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم»(11).

1- الإمام الصادق علیه السلام.

2- الکافی، الکلینی: 2/100، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح5.

3- الکافی، الکلینی: 2/100، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح6.

4- أعلام الدین، الدیلمی: 120، باب صفة المؤمن. وفیه عن الصادق علیه السلام: «البر وحسن الخلق یعمران الدیار ویزیدان فی الأعمار».

5- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

6- فی المصدر:"یمیث".

7- الکافی، الکلینی: 2/100، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح7.

8- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

9- الکافی، الکلینی: 2/101، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح12.

10- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

11- الکافی، الکلینی: 2 / 103، کتاب الإیمان والکفر، باب حسن الخلق/ ح18. وسائل الشیعة، الحر العاملی: 12/149، کتاب الحج، أبواب أحکام العشرة، باب 104 استحباب حسن الخلق مع الناس/ ح4.

وسأل رجل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ))(1)، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وهو أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(3).

وجاء رجل إليه صـلى الله عليه وآله وسـلم من بين يـديه فقال: يا رسول الله ما الـدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الـدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل شـماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه فقال: «أما تفقه! هو أن لاتغضب».

وقيل: يا رسول الله ما الشوم؟ فقال: «سوء الخلق».

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم: أى الأعمال أفضل فقال: «حسن الخلق».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبى الله عزّوجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة». قيل: وكيف ذلك(5) يا رسول الله؟، قال: «إذا(6) تاب من ذنب وقع فى ذنب أعظم منه»(7).

1- سورة الأعراف/ 199.

2- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/89، باب العتاب.

3- تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 10/85 ، تفسير سورة القلم.

4- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/89 ___ 90، باب العتاب.

5- فى الكافى: "ذاک".

6- فى الكافى:"لأنه إذا".

7- الكافى، الكلينى: 2/321، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح2.

وقال الصادق عليه السلام: «إن سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»(1).

وقال عليه السلام(2): «من ساء خلقه عذّب نفسه»(3).

وقال بعض العارفين(4): سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات(5).

وقال الله تعالى: ((ولَكُمْ(6) فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ))(7).

قال بعض العلماء(8): كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس قط يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة

1- الكافي، الكليني: 2/321، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح3.

2- : أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

3- الكافي، الكليني: 2/321، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح4.

4- هو: يحيى بن معاذ الواعظ،أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ:أحد رجال الطريقة، ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة"، وعده من جملة المشايخ، وقال في حقه: "نسيج وحده في وقته". له لسان في الرجاء خصوصا، وكلاما في المعرفة، خرج إلى بلخ، وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور ومات بها"، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور. وفيات الأعيان، ابن خلكان: 3/ 285 ـــ 286/ الرقم 794.

5- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: 3/511، "حرف الحاء". وذكر صدر الحديث إلى "كثرة الحسنات" ورام بن أبي فراس في كتابه مجموعة ورام: 1/ 90 ، باب العتاب.

6- في القرآن الكريم نص الآية: ((لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيرًا)).

7- سورة الأحزاب/ 21.

8- من هنا إلى بداية الفصل الثاني مجموعة من أوصاف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تتخللها أحاديث رويت عن أهل البيت عليهم السلام، وأقوال لعلماء، ووصف حكماء لذات النبي المقدسة صلى الله عليه وآله وسلم، انتخبنا لها مجموعة من المصادر التي وردت فيها هذه النصوص مع اختلاف يسير في نهاية الفصل الأول دون الإشارة ضمن الفصل إلى مراجع الجمل بسبب تكرار نفس المصدر مرات كثيرة لذا ذكرناها مجموعة في آخر الفصل.

نكاحها أو لا تكون ذات رحم محرم منه، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه فجاءه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مصالح أهله ويقطع اللحم معهن.

وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره فى وجه أحد، يجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو كانت جرعة لبن ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة، ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشى بين أعدائه وحده بلا حارس. أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم فى غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شىء من أمور الدنيا ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، ولا يتورع من مطعم حلال، ويلبس ما وجد، ويركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشى راجلاً، يعود المرضى فى أقصى المدينة، يحب الطيب ويكره الروائح الرديئة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، ولا يجفو أحداً، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويضحك من غير قهقهة، وترفع الأصوات عليه فيصبر، وما لعن امرأة ولا خادماً، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، ولا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله.

وكـان أكثر جلوسه أن ينصب سـاقيه جميعـاً ويمسک بيـديه عليهما شـبه الحبوة، ولـم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصـحابه لأنه حيث ما انتهى به المجلس جلس فيه، وأكثر ما يجلس مستقبل القبلة.

وكـان يكرم من يـدخل عليه حتى ربمـا بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابـة، وكان يؤثر الـداخل عليه بالوسادة التى تكون تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وكان أبعـد الناس غضـباً وأسـرعهم رضاءً، وكان أرأف الناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، أفصـح الناس منطقاً وأحلاهم، وأوجز النـاس كلاماً، يجمع كل ما أراد مع الإيجاز، يتكلم بجوامع الكلم، طويل السـكوت لا يتكلم فى غير حاجـة، ولا يقول المنكر ولا يقول فى الغضب والرضا إلا الحق.

وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدى، ولا يأكل الحار، ويأكل مما يليه، ويأكل بأصابعه الثلاث وربما اسـتعان بالرابعة، ويأكل خبز الشـعير غير منخول، وكـان لاـ يأكـل الثوم ولاـ البصـل ولا الكراث، وما ذم طعاماً قط ولكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وكان يلعق(1) الصحفة فيقول: آخر الطعام أكثر بركة. ويلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر، وكانت ثيابه كلها مشمراً فوق الكعبين.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه.

1- لعقت الشيء بالكسر، ألعقه لعقا، أى: لحسته. الصحاح، الجوهرى: 4/ 1550، مادة "لعق".

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس وأسخاهم كفاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة(1)، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه وما سئل عن شيء على الإسلام قط إلا أعطاه.

وقال على عليه السلام: «لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً».

وقال أيضاً(2) عليه السلام: «كنا إذا حمى البأس ولقى العدو القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أشد الناس تواضعاً فى علو منصبه، يستردف(3)، ويعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويخصف(4) النعل ويرقع الثوب، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم.

وأتى صلى الله عليه وآله وسلم برجل فأرعد من هيبته، فقال: «هوِّن عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»(5).

1- العريكة: الطبيعة، يقال: فلان لين العريكة: إذا كان سلسا مطواعا منقادا قليل الخلاف والنفور. مجمع البحرين، الشيخ الطريحى: 3/ 168، مادة "عرك".

2- أى: «الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام».

3- الترادف: التتابع. وأردفه أمر: لغة فى ردف، مثل تبعه وأتبعه. الصحاح، الجوهرى: 4/ 1363، مادة "ردف".

4- الخصفة: القطعة مما يخصف به النعل، والمخصف: مثقبه. كتاب العين، الفراهيدى: 4/ 188، مادة "خصف". خصف النعل: خرزها. مختار الصحاح، الرازى: 100، مادة "خصف".

5- القديد: اللحم المملوح المجفف فى الشمس. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 4/22.

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم، فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً، فبنوا له دكاناً من طين، فكان يجلس عليه.

وكان لا يدعوه أحد إلا قال: «لبيک». وكان إذا جلس مع الناس إن تحدثوا فى معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم(1). صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

الفصل الثانى: فى معنى الخلق وكيفية تهذيبه

الخُلق - بالضم - عبارة عن الصورة الباطنة، كما أن الخَلق - بالفتح - عبارة عن الصورة الظاهرة(2). يقال: «فلان حسن الخلق والخلق»، أى: الظاهر والباطن، ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة:

1- أنظر: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب: 1/ 145 ـــ 147، باب ذكر سيدنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فصل فى آدابه ومزاحه. مكارم الأخلاق، الطبرسى: 15 ـــ 17، الفصل الثانى فى نبذ من أحواله وأخلاقه من كتاب شرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغيره، فى تواضعه وحيائه صلى الله عليه وآله وسلم. بحار الأنوار، المجلسى: 16/ 226 ـــ 229، كتاب تاريخ النبى صلى الله عليه وآله وسلم، باب 9 مكارم أخلاقه وسيره وسننه صلى الله عليه وآله وسلم/ ح34. إحياء علوم الدين، الغزالى: 2/320 ـــ 343، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار.

2- كشاف القناع، البهوتى: 1/ 77، كتاب الطهارة، باب السواک. وفيه: الخلق، الأول بفتح الخاء: الصورة الظاهرة، والثانى بضمها: الصورة الباطنة.

فالخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالاً جميلة محمودة عقلاً وممدوحة شرعاً سميت تلك الهيئة «خلقاً حسناً»، وإن كان الصادر منها أفعالاً قبيحة سميت «خلقاً سيئاً».

وإنما اشترط فيها الرسوخ(1) لأن من يصدر عنه بذل المال مثلاً على الندرة لحاجة عارضة لا يقال «خلقه السخاء» ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ.

وإنما شرطنا السهولة لأن من يكلف بذل المال لا يقال «خلقه السخاء».

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع آخر، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء، ولا عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الضدين واحدة، ولا عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك لا بد فى الباطن من أربعة لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت

1- رسخ: رسخ الشيء يرسخ رسوخا: ثبت فى موضعه، وأرسخه هو. والراسخ فى العلم: الذى دخل فيه دخولا ثابتا. وكل ثابت راسخ، ومنه: ((الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)) سورة آل عمران/ 7. وأرسخته إرساخا كالحبر رسخ فى الصحيفة. والعلم يرسخ فى قلب الإنسان. والراسخون فى العلم فى كتاب الله: المدارسون، ابن الأعرابى: هم الحفاظ المذاكرون، قال مسروق: قدمت المدينة فإذا زيد بن ثابت من الراسخين فى العلم. خالد بن جنبة: الراسخ فى العلم البعيد العلم. لسان العرب، ابن منظور: 3/ 18، مادة "رسخ".

الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهى: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث:

أمـا قوة العلم: فحسـنها وصـلاحها من أن تصـير بحيث يسـهل لهـا درک الفرق بين الصـدق والكـذب فى الأقوال، وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الأفعال فإذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة التى هى رأس الأخلاق الحسنة ((وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا))(1).

وأما قوة الغضب والشهوة: فحسنهما فى أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين.

وأما قوة العدل : فهى ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع، فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضى لإشارته، والغضب والشهوة تنفذ فيهما الإشارة.

ومثال الغضب مثال كلب الصـيد، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصـيد، فإنها تارة تكون مروضاً مؤدباً وتارة تكون جموحاً، فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً، ومن اعتدل فيه بعضـها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلک المعنى خاصة، كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض.

وحسن القوة الغضبيـة واعتـدالها يعبر عنه بالشـجاعة، وحسن قوة الشـهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة

1- سورة البقرة/ 269.

سمی ذلک تهوراً، وإن مالت إلی الضـعف والنقصان سمی ذلک جبناً وخوراً(1)، وإن مالت قوة الشهوة إلی طرف الزیادة سمی شرهاً(2)، وإن مالت الی النقصان سمی خموداً(3).

والمحمود هو الوسط، وهو العـدل والفضـیلة، والطرفان رذیلتان مذمومتان، والعدل إذا فات فلیس له طرفان بزیادة ونقصان، بل له ضد واحد وهو الجور.

وأما الحکمـة فیسـمی إفراطها عند الاسـتعمال فی الأغراض الفاسدة خباً وجربزة(4)، ویسمی تفریطها بلهاً(5)، والوسط هو الـذی یختص باسم الحکمة(6).

فإذاً أمهات الأخلاق الحسنة والجمیلة وأصولها أربعة: الحکمة، والشجاعة، والعفة، والعدل.

1- خار الحر والرجل یخور خؤورة: ضعف وانکسر. الصحاح، الجوهری: 2/651، مادة "خور".

2- الشره: غلبة الحرص. مختار الصحاح، الرازی: 204، مادة "شره".

3- خمـد القـوم إذا لم تسـمع لهم حسـا، وقوم خمود. وخمـدت النـار خمودا: سـکن لهبهـا، وإذا طفئت، قیـل: همـدت. کتـاب العین، الفراهیدی: 4/ 235، مادة "خمد".

4- جربز الرجل: ذهب، أو: انقبض. والجربز: الخب من الرجال، وهو: دخیل. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 318، مادة "جربز".

5- البله: الغفلة عن الشر. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 55، مادة "بله".

6- أنظر: شرح الأسماء الحسنی، السبزواری: 1/ 68.

ولـم يبلـغ كمـال الاعتـدال فى هـذه الأربعـة إلاـ رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، ولهـذا أثنى الله عليه قائلاـً: ((وَإِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ))(1).

والناس بعده يتفاوتون فى القرب والبعد، فينبغى أن يقتدى به، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(2).

وقـد أشـار الله تعالى إلى هـذه الأخلاق فى أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ((إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ))(3).

فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السـخاء الذى يرجع إلى ضبط قوة الشـهوة، والمجاهدة بالنفس هى الشـجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال، وقد وصف الله تعالى به قوماً فقال:((أَشِدّاء عَلَى الْكُفّارِ رُحَماء بَيْنَهُمْ))(4)، إشارة إلى أن للشدة موضـعاً وللرحمة موضعاً، وليس الكمال بالشدة فى كل حال ولا فى الرحمة بكل حال(5).

1- سورة القلم/ 4.

2- تفسـير مجمع البيان، الطبرسى:10/86، تفسـير سورة القلم. تفسـير القرطبى، أبى عبـد الله القرطبى: 7/345. وفيهمـا: "إنما بعثت ... الحديث. سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى: 1/ 505، الباب الثالث فى ذكر ما وقفت عليه من أسمائهصلى الله عليه وآله وسلم.

3- سورة الحجرات/15.

4- سورة الفتح/ 29.

5- أنظر: المحجـة البيضـاء فى تهـذيب الإحياء، الكاشانى: 5/ 94 ـــ 98، بيـان حقيقـة حسن الخلق وسوء الخلق. إحياء علوم الـدين، الغزالى: 3/ 49 ـــ 50، بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق.

الفصل الثالث

قد زعم قوم من القاصرين البطالين أنه لا يمكن تغيير الأخلاق وتهذيبها لأمرين:

أحدهما: إن الخلق صورة الباطن كما أن الخلق صورة الظاهر، وكما لا يمكن تغيير صورة الظاهر فكذا لا يمكن تغيير صورة الباطن.

وثانيهما: إن حسن الخلق إنما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها، وهذا أمر ممتنع والاشتغال به تضييع عمر بلا فائدة، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة، وهو محال.

ويقال لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون حديثاً: لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات الشرعية، ولما حث الشارع على تحسين الأخلاق وإنكار حصول هذا المعنى فى حق الإنسان مع الاعتراف بوقوعه فى البهائم ومشاهدة ذلک بالوجدان أمر غريب، فإنا نجد انتقال الصيد من التوحش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل من الصيد إلى التأدب، والفرس من الجماح إلى السلامة والانقياد. وكل ذلک تغيير للأخلاق.

وتحقيق الجواب: إن الموجودات منها ما لا مدخل للإنسان فى تغييره وتبديله كما لا مدخل له فى أصله، كالسماء والكواكب وأعضاء البدن ونحوهما مما وقع الفراغ من وجوده وكماله، ومنها ما وجد وجوداً ناقصاً ونيط به قوة قبول الكمال باختيار الإنسان وسعيه، كالنواة تكون نخلاً وتفاحاً، والأخلاق من قبيل القسم الثانى.

والجواب عن الثانی أن الإنسان غیر مکلف بقلع قوة الغضب والشهوة بالکلیة، کیف ولو قمعت(1) شهوة الأکل والوقاع لهلک الإنسان وانقطع النسل ولو قمع الغضب لم یدفع الإنسان عن نفسه ما یهلکه ویهلک، بل المطلوب ردهما إلی الاعتدال والانقیاد إلی العقل والشرع(2)، کما تقدمت الإشارة إلیه ویأتی تفصیله.

والأنبیاء الذین هم سادات المجاهدین لم یخلوا من الغضب والشهوة، وقد مدح الله قوماً بقوله:((وَالْکاظِمِینَ الْغَیْظَ))(3) ولم یقل والفاقدین الغیظ، وذلک أمر ممکن، وکفی بالوجدان غنیً عن البیان.

والطریق إلی تحصیل الأخلاق الحسنة حمل النفس علی الأعمال التی یقتضیها الخلق المطلوب، کأن یتعاطی البخیل البذل والمتکبر التواضع حتی یصیر ذلک خلقاً وطبعاً، حتی ینتهی إلی التلذذ بذلک الفعل، کما قال صلی الله علیه وآله وسلم: «جعلت قرة عینی فی الصلاة»(4).

وکلما طال العمر وکثرت تلک الأعمال والعبادات حصل الرسوخ(5) والکمال فی النفس، وهذا هو السر فی طلب الأنبیاء طول العمر.

1- قمع: القمع مصدر قمع الرجل یقمعه قمعا، وأقمعه فانقمع: قهره وذلله فذل. والقمع:الذل. لسان العرب، ابن منظور: 8/ 294، مادة "قمع".

2- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 99، بیان قبول الأخلاق للتغییر بطریق الریاضة. إحیاء علوم الدین،الغزالی:3/51،بیان قبول الأخلاق للتغییر بطریق الریاضة.

3- سورة آل عمران/ 134.

4- رسائل الکرکی، المحقق الکرکی:3/ 225. سنن النسائی، أحمد بن شعیب النسائی: 7/61، کتاب عشرة النساء، باب حب النساء، وفیه: "وجعل قرة عینی فی الصلاة".

5- رسخ الشیء رسوخا، إذا ثبت فی موضعه. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 196، مادة "رسخ".

وربما كان حسن الخلق بجود إلهی وکمال فطری، بأن یولد کامل العقل حسن الخلق، قد کفی سلطان الشهوة والغضب(1). قال الصادق علیه السلام: «إن الخلق منحة یمنحها الله خلقه، فمنه سجیة ومنه نیة». فقلت: فأیهما أفضل؟ فقال: «إن صاحب السجیة هو مجبول لا یستطیع غیره وصاحب النیة یصبر علی الطاعة تصبراً، فهو أفضلهما»(2).

1- أنظر: المحجة البیضاء فی تهذیب الإحیاء، الفیض الکاشانی: 5/ 95 _ 103، بیان قبول الأخلاق للتغییر بطریق الریاضة. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 49 __ 54، بیان قبول الأخلاق للتغییر بطریق الریاضة.

2- أنظر: وسائل الشیعة، الحر العاملی: 12/151، کتاب الحج، باب 104 استحباب حسن الخلق مع الناس/ ح14.

الركن الأول: فی أسرار العبادات وفيه أبواب

اشارة

الباب الأول: الطهارة

اشارة

فی الطهارة وفیه فصول

الفصل الأول: فی النیة

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنیات»(1). وقال الصادق علیه السلام: «نیة المؤمن خیر من عمله»(2).

إعلم أن النیة أصل العبادة، وبها تمتاز عن العادة، وتطلق النیة علی معان أربعة:

الأول: ما علیه أکثر العامة العمیاء من أنها اللفظ الذی یتلفظ به حین الشروع فی الفعل، کأن یقول من أراد الوضوء: «أتوضأ لرفع الحدث قربة إلی الله تعالی» ونحوه وإن لم یکن فی قلبه معنی هذه الألفاظ، وهذا لغو باطل بإجماع العلماء.

1- تهذیب الأحکام، الطوسی: 1/83، کتاب الطهارة، باب 4 صفة الوضوء والفرض منه والسنة والفضیلة/ ح67.

2- الإستبصار، الطوسی: 2/ 62، کتاب الزکاة، باب 32 ما أباحوه لشیعتهم من الخمس فی حال الغیبة/ح12.

الثانی: إنها الإخطار بالبال، بأن تخطر هذه المعانی بباله ویتعقل معانیها، وهذا قریب من سابقه أیضاً لأن ثمرة النیة هی الإخلاص والخلاص من الریاء، ولعل الداعی للإنسان علی العمل هو الریاء ونحوه ولا ینفعه تصور هذه المعانی وإخطارها بباله وإجراؤها علی قلبه.

الثالث: القصد المقارن للفعل، بأن یکون قاصداً لإیقاع الفعل حین الشروع فیه ولا یقع عن سهو وغفلة، وهذا المعنی لا یتصور خلو الفاعل العاقل غیر الذاهل عنه، ولهذا قال بعض المحققین: لو کلفنا الله بإیقاع الأفعال بلا نیّة لکان تکلیفاً بما لا یطاق(1).

والرابع: الداعی والباعث علی الفعل، وهذا هو الحق والمأمور به، فإن کان الداعی للإنسان علی عبادته وأفعاله صحیحاً مأموراً به کانت نیته صحیحة وعمله مقبولاً ـ وإن لم یخطر تلک الألفاظ والمعانی بخاطره، وإن کان الداعی والباعث له أمراً فاسداً ـــ من ریاء ونحوه ـــ کان عمله باطلاً وإن أخطر القربة بخاطره وتصور معانی تلک الألفاظ بقلبه.

وهذه النیة غیر داخلة تحت الاختیار، لما عرفت من أنها انبعاث النفس وتوجهها إلی ملائم ظهر لها أن فیه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً، وما لم یعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا یتوجه نحوه قصده، وذلک مما لا یتمکن من اعتقاده فی کل حین بل لا بد له من ریاضة واجتهاد، وإذا اعتقد فإنما یتوجه القلب إذا کان فارغاً غیر مصروف عنه بغرض شاغل أقوی منه، وذلک لا یمکن فی کل وقت.

1- أنظر: الحبل المتین، البهائی: 220. الحدائق الناضرة، البحرانی: 11/ 469.

والدواعی والصوارف لها أسباب کثیرة بها تجتمع، ویختلف ذلک بالأشخاص والأحوال والأعمال، فإذا غلبت شهوة النکاح ولم یعتقد غرضاً صحیحاً فی الولد لم یمکنه أن یتزوج علی نیة الولد، بل لا یمکن إلا علی نیة قضاء الشهوة إذ النیة هی إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فکیف ینوی الولد.

نعم طریق اکتساب هذه النیة مثلاً أن یقوی أولاً إیمانه بالشرع، ویقوی إیمانه بعظم ثواب من سعی فی تکثیر أمة محمد صلی الله علیه وآله وسلم ویدفع عن نفسه جمیع المنفرات(1) عن الولد من ثقل المؤونة وطول التعب وغیره، وإذا فعل ذلک فربما انبعث من قلبه رغبة الی تحصیل الولد للثواب، فتحرکه تلک الرغبة وتحرک أعضاءه لمباشرة العقد، وإذا انتهضت القدرة المحرکة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب علی القلب کان ناویاً، وإذا لم یکن کذلک فما یقدره فی نفسه ویردده فی قلبه من قصد الولد وسواس وهذیان(2).

ولهذا امتنع جمع من العارفین من الطاعات، حیث لم تحضرهم النیة، وکانوا یعتذرون بعدم حضور النیة، فإن النیة روح الأعمال، والعمل بغیر نیة صادقة ریاء أو تکلف، وهو سبب المقت لا القرب(3).

1- نفر ینفر نفورا ونفارا: إذا فر وذهب. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 224، مادة "نفر".

2- الهذیان: کلام غیر معقول. مثل کلام المبرسم والمعتوه. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 81، مادة "هذی".

3- قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «ستة أشیاء لم یتبینها أحد قبلی، ولم یبینها أحد بعدی، الإسلام هو التسلیم، والتسلیم هو الیقین، والیقین هو التصدیق، والتصدیق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو النیة». معدن الجواهر، الکراجکی: 54، باب ذکر ما جاء فی ستة. عن أبی عبد الله علیه السلام فی حدیث: «والنیة أفضل من العمل ألا وأن النیة هی العمل، ثم تلا قوله تعالی: ((قُلْ کُلٌّ یَعْمَلُ عَلَی شَاکِلَتِهِ)) سورة الإسراء /84، یعنی: علی نیته». وسائل الشیعة، الحر العاملی: 1/ 51، أبواب مقدمة العبادات، باب استحباب نیة الخیر والعزم علیه/ ح97. عن علی بن الحسین علیه السلام قال: «لا عمل إلا بنیة». وقال العلامة محمد باقر المجلسی فی بیان هذا الحدیث:"تبیین لا عمل إلا بنیة، أی: لا عمل صحیحة کما فهمه الأکثر إلا بنیة، وخص بالعبادات، لأنه لو کان المراد مطلق تصور الفعل وتصور فائدته والتصدیق بترتب الغایة علیه وانبعاث العزم من النفس إلیه فهذا لازم لکل فعل اختیاری، ومعلوم أنه لیس غرض الشارع بیان هذا المعنی بل لابد أن یکون المراد بها نیة خاصة خالصة بها یصیر العمل کاملا أو صحیحا، والصحة أقرب إلی نفی الحقیقة الذی هو الحقیقة فی هذا الترکیب، فلا بد من تخصیصها بالعبادات لعدم القول باشتراط نیة القربة وأمثالها فی غیرها، ولذا استدلوا به وبأمثاله علی وجوب النیة وتفصیله فی کتب الفروع. وقال المحقق الطوسی قدس سرّه فی بعض رسائله:النیة،هی:القصد إلی الفعل وهی واسطة بین العلم والعمل إذ ما لم یعلم الشئ لم یمکن قصده وما لم یقصده لم یصدر عنه،ثم لما کان غرض السالک العامل الوصول إلی مقصد معین کامل علی الإطلاق وهو الله تعالی لابد من اشتماله علی قصد التقرب به. وقال بعض المحققین: یعنی لا عمل یحسب من عبادة الله تعالی ویعد من طاعته بحیث یصح أن یترتب علیه الأجر فی الآخرة إلا ما یراد به التقرب إلی الله تعالی والدار الآخرة، أعنی: یقصد به وجه الله سبحانه أو التوصل إلی ثوابه أو الخلاص من عقابه. وبالجملة امتثال أمر الله تعالی فیما ندب عباده إلیه ووعدهم الأجر علیه، وإنما یأجرهم علی حسب أقدارهم ومنازلهم ونیاتهم، فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله فأحبه واشتاق إلیه وأخلص عبادته له لکونه أهلا للعبادة ولمحبته له أحبه الله وأخلصه واجتباه وقربه إلی نفسه وأدناه قربا معنویا ودنوا روحانیا کما قال فی حق بعض من هذه صفته: ((وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَی وَحُسْنَ مَآبٍ)) سورة ص/ 25. بحار الأنوار، المجلسی: 67/ 185 ـــ 186، کتاب الإیمان والکفر، أبواب مکارم الأخلاق، باب 53 النیة وشرائطها ومراتبها/ ح1.

وعن الصادق عليه السلام: «أنه أتاه مولىً له فسلم عليه وجلس، فلما انصرف انصرف معه الرجل، فلما انتهى إلى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه إسماعيل: يا أبه ألا كنت قد عرضت عليه الدخول؟ فقال: لم يكن من شأنى إدخاله. قال: فهو لم يكن يدخل؟ قال: يا بنى إنى أكره أن يكتبنى الله عراضاً»(1).

الفصل الثانى: فى الإخلاص

وهو تجريد النية من الشوائب والمفاسد. قال الله تعالى: ((وَما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))(2) وقال تعالى: ((أَلا لِلّهِ الدِّينُ الْخالِصُ))(3) وقال: ((إِلاّ الَّذِينَ تابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ))(4).

وفى الكافى عن الرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحرك(5) صدره بما أُعطى غيره»(6).

وعن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً))(7) قال: «ليس يعنى أكثرهم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والخشية». ثم قال:

1- المحاسن، البرقى: 2/ 417، كتاب المآكل من المحاسن، باب 22 العرض على أخيك/ ح180. وفيه: "أتاه مولى له فسلم عليه ومعه ابنه إسماعيل فسلم عليه وجلس فلما انصرف أبو عبداللهعليه السلام انصرف معه الرجل فلما انتهى أبو عبد الله عليه السلام إلى باب داره ... الحديث".

2- سورة البينة/ 5.

3- سورة الزمر/ 3.

4- سورة النساء/ 146.

5- فى الكافى: "يحزن".

6- الكافى، الكلينى: 2/16، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص/ ح3.

7- سورة هود/ 7.

«الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدک عليه أحد إلا الله عزّوجل، والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هى العمل»، ثم تلا قوله تعالى: ((قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ))(1) يعنى على نيته(2).

وعن المهدى(3) عن الباقر عليهما السلام قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً» ـــ أو قال: «ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً ـــ إلا زهده الله فى الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة فى قلبه، وأنطق بها لسانه»(4).

واعلم أن الإخلاص له مراتب متفاوتة:

أولها: مرتبة الشاكرين، وهم الذين يعبدون الله تعالى شكراً على نعمائه غير المتناهية، كما قال تعالى: ((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوهَا))(5). وقال أمير المؤمنين عليه السلام فى النهج:«إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلک عبادة التجار، وإن

1- سورة الإسراء/ 84.

2- الكافى، الكلينى: 2/16، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص/ ح4. وفيه النص: «عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِى قَوْلِ اللَّهِ عزّوجل: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)) سورة هود/ 7. قَالَ: لَيْسَ يَعْنِى أَكْثَرَ عَمَلاً وَلَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلاً، وَإِنَّمَا الإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ وَالْحَسَنَةُ، ثُمَّ قَالَ: الإِبْقَاءُ عَلى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ الْخالِصُ الَّذِى لا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَکَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ عزّوجل، وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ، أَلا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِىَ الْعَمَلُ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ عزّوجل: ((قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ)) سورة الإسراء/ 84 . يَعْنِى عَلى نِيَّتِهِ».

3- فى المستدرک: "عن السدى".

4- مستدرک الوسائل، المحدث النورى: 5/295، كتاب الصلاة، أبواب الذكر، باب 5 استحباب كثرة الذكر بالليل والنهار/ ح17.

5- سورة النحل/ 18.

قوماً عبدوا الله رهبة فتلک عبادة العبید، و إن قوماً عبدوا الله شکراً فتلک عبادة الأحرار»(1).

ثانیها: عبادة المقربین، وهم الـذین یعبدون الله تقرباً إلیه، والمراد بالقرب إما بحسب المنزلة والرتبة والکمال، حیث إن واجب الوجود کامل من جمیع الجهـات والممکن ناقص من جمیع الجهات(2)، فإذا سـعی العبـد فی إزالة النقائص والرذائل عنه قرب قرباً معنویاً، کما ورد فی الحدیث: «تخلقوا بأخلاق الله»(3). وأما القرب من حیث المحبة والمصاحبة کما إذا کان شـخص بالمشرق وآخر بالمغرب وبینهما کمال المحبة والارتباط ولا یغفل أحدهما عن ذکر صاحبه ونشر مدائحه وکمالاته یقال: بینهما کمال القرب. وإذا کانا متقاربین فی المکان وبینهما ضد ذلک یقال: بینهما کمال البعد. ویراد بالقرب والبعد المعنویان.

ثالثهـا: عبادة المسـتحین، وهم قوم یبعثهم علی الأعمال والطاعات الحیاء من الله تعالی، حیث علموا بأنه مطلع علی ضـمائرهم وعالم بما فی خواطرهم ومحیط بدقائق أمورهم، فاستحوا من أن یبارزوه بالمعاصی وبادروا إلی الطاعات والعبادات، کما ورد «أعبد الله کأنک تراه فإن لم تکن تراه فإنه یراک»(4). وفی وصیة لقمان لولده: یا بنی إذا أردت أن تعصی ربک فاعمد إلی مکان لا یراک الله فیه(5).

1- نهج البلاغة، الشریف الرضی: 510، حکم أمیر المؤمنین علیه السلام/ ح237.

2- الله تعالی واجب الوجود لـذاته،بمعنی:انه لا یفتقر فی وجوده إلی غیره ولا یجوز علیه العـدم،بدلیل أنه لو کان ممکن الوجود لافتقر إلی صانع کافتقار هذا العالم،وذلک محال علی المنعم المعبود. الرسائل العشر، الشیخ الطوسی: 93، مسائل کلامیة، مسائل التوحید.

3- جامع السعادات ، النراقی : 3 / 116 . شرح الأسماء الحسنی ، السبزواری : 2/41.

4- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 8 ، الباب الثانی.

5- جامع الأخبار، الشـعیری: 130 ـــ 131، الفصل 89 فی الموعظـة، وفیه النص: «عن علی بن الحسـین علیه السـلام: أنه جاء رجل، وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصـیة فعظنی بموعظة، قال علیه السلام: افعل خمسة أشیاء وأذنب ما شئت: فأول ذلک لا تأکل رزق الله وأذنب ما شـئت، والثانی أخرج من ولایة الله وأذنب ما شئت، والثالث اطلب موضعا لا یراک الله وأذنب ما شئت، والرابع إذا جاء ملک الموت لیقبض روحک فادفعه عن نفسک وأذنب ما شئت، والخامس إذا أدخلک ملک فی النار فلا تدخل فی النار وأذنب ما شئت».

رابعها: عبادة المتلذذين، وهم الذين يلتذون بعبادة ربهم بأعظم مما يلتذ به أهل الدنيا من نعيم الدنيا. ففى الكافى عن الصادق عليه السلام قال: قال الله تبارک وتعالى: «يا عبادى الصديقين تنعموا بعبادتى فى الدنيا فإنكم تتنعمون بها فى الآخرة»(1). وعنه عليه السلام قال(2): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالى على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»(3). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «جعلت قرة عينى فى الصلاة»(4).

وخامسها: عبادة المحبين، وهم الذين وصلوا بطاعتهم وعبادتهم إلى أعلى درجات الكمال من حب الله تعالى، كما قال تعالى: ((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ))(5). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فهبنى يا إلهى صبرت على عذابک فكيف أصبر على فراقک»(6). وقال سيد الشهداء فى دعاء عرفة: «أنت الذى أزلت الأغيار(7) عن

1- الكافى، الكلينى: 2/83، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة/ ح2.

2- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

3- الكافى، الكلينى: 2/83، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة/ ح3.

4- روضة الواعظين،الفتال النيسابورى:2/373، مجلس فى ذكر الحث على النكاح وفضله.

5- سورة المائدة/ 54.

6- مصباح المتهجد، الطوسى: 847، دعاء الخضر عليه السلام.

7- غير، بمعنى: سوى. والجمع: أغيار. الصحاح، الجوهرى: 2/ 776، مادة "غير".

قلوب أحبائک حتی لم یحبوا سواک ولم یلجأوا إلی غیرک»(1). وقال(2) علیه السلام: «یا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بین یدیه متملقین»(3). وقال ولده السجاد علیه السلام فی المناجاة الإنجیلیة: «وعزتک لقد أحببتک محبة استقرت فی قلبی حلاوتها وأنست نفسی ببشارتها»(4). وقال(5) فی المناجاة الأخری: «إلهی فاجعلنا من الذین ترسخت أشجار الشوق إلیک فی حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتک بمجامع قلوبهم»(6). وفی الحدیث القدسی: «یا بن عمران کذب من زعم أنه یحبنی فإذ جنه اللیل نام عنی، ألیس کل محب یحب خلوة حبیبه»(7).

وسادسها: عبادة العارفین، وهم الذین بعثهم علی العبادة کمال معبودهم وأنه أهل للعبادة فعبدوه، کما قال سید العارفین وأمیر المؤمنین علیه السلام: «إلهی ما عبدتک خوفاً من نارک ولا طمعاً فی جنتک ولکن وجدتک أهلاً للعبادة فعبدتک»(8).

وسابعها: عبادة الله لنیل ثوابه أو الخلاص من عقابه، وهذه العبادة قد اختلف فیها: فذهب جماعة من أصحابنا إلی بطلانها، وهو المحکی عن السید ابن

1- إقبال الأعمال، ابن طاووس: 349، فصل فیما نذکره من أدعیة یوم عرفة.

2- أی: "الإمام الحسین علیه السلام".

3- إقبال الأعمال، ابن طاووس: 349، فصل فیما نذکره من أدعیة یوم عرفة.

4- الصحیفة السجادیة، الإمام السجاد علیه السلام: 461، فی المناجاة المعروفة بالإنجیلیة الطویلة.

5- أی: "الإمام زین العابدین علی بن الحسین علیهما السلام".

6- الصحیفة السجادیة، الإمام السجاد علیه السلام: 417، فی مناجاة العارفین لیوم الثلاثاء/ الدعاء رقم193.

7- الأمالی، الصدوق: 356، المجلس 57/ ح1.

8- تفسیر الصافی، الفیض الکاشانی: 3/353، تفسیر سورة الأنبیاء.

طاووس(1) والفاضل المقداد(2) وابن جمهور الإحسائی(3) والشهید الأول(4) فی

1- السید ابن طاووس: علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن أحمد الحسنی، السید رضی الدین أبو القاسم الحلی، أحد أجلاء علماء الإمامیة، ومن مشاهیر أعلام أسرته (آل طاووس)، بل أشهرهم. ولد فی مدینة الحلة سنة تسع وثمانین وخمسمائة. وعنی به جده لأمه الفقیه ورام بن أبی فراس (المتوفی 605هـ)، ووالده السید موسی، تولی نقابة الطالبیین سنة 661 هـ، فاستمر إلی أن توفی سنة أربع وستین وستمائة. ألف کتبا کثیرة فی فنون مختلفة منها: الطرائف فی معرفة مذاهب الطوائف، مقدمة فی علم الکلام سماها شفاء العقول من داء الفضول، اللهوف علی قتلی الطفوف، وغیر ذلک. معجم طبقات المتکلمین، اللجنة العلمیة فی مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام: 2/ 397 _ 399/ الرقم272.

2- الفاضل المقداد: الفاضل السیوری: ویقال له أیضا: الفاضل المقداد: هو الشیخ الأجل أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسین بن محمد السیوری الحلی الأسدی الغروی، کان عالما فاضلا فقیها محققا مدققا. له کتب منها: شرح نهج المسترشدین فی أصول الدین، نضد القواعد رتب فیه قواعد الشهید رحمه الله وشرح فصول الخواجه نصیر الدین، واللوامع فی الکلام إلی غیر ذلک. والسیوری:بضم السین مع الیاء المخففة التحتانیة نسبة إلی سیور،وهی قریة من قری الحلة. یروی عن الشیخ الشهید محمد بن مکی العاملی قدس سره، ویروی عنه محمد بن شجاع القطان الحلی، توفی سنة 726 هـ. الکنی والألقاب، القمی: 3/10، الفاضل السیوری.

3- ابن أبی جمهور الأحسائی: محمد بن علی بن إبراهیم بن حسن بن إبراهیم بن أبی جمهور الأحسائی، الشیعی، الإمامی، متکلم توفی بعد سنة 878 هـ. من آثاره: المجلی فی المنازل العرفانیة، معین المعین، کتاب الأقطاب، کشف البراهین فی شرح زاد المسافرین فی أصول الدین، ونثر اللآلی. معجم المؤلفین، کحالة: 10/ 299.

4- الشهید الأول:ولد الشهید محمد بن مکی سنة 734هـ،وهاجر إلی العراق للدراسة سنة 750 هـ. من مؤلفاته: القواعد والفوائد، الدروس الشرعیة فی فقه الإمامیة، غایة المراد فی شرح الإرشاد، وغیر ذلک. توفی فی سنة 786هـ. أنظر:الشهید الأول محمد بن مکی، حسن الأمین: 81 و104.

ظاهر الدروس والقواعد، لأن هذا القصد منافٍ للإخلاص الذى هو إرادة وجه الله سبحانه وحده، وأن من قصد ذلک فإنما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه، والأصلح الصحة للآيات القرآنية والأحاديث المعصومية كقوله تعالى: ((لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلْ الْعامِلُونَ))(1) وقوله تعالى: ((وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا))(2) وقوله: ((وَيَدْعُونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا))(3) وقوله: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا(4) وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))(5) أى راجين الفلاح وهو الفوز بالثواب(6)، وقوله تعالى: ((رِجالٌ لاّ تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاء الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا))(7).

1- سورة الصافات/ 61.

2- سورة الأعراف/ 56.

3- سورة الأنبياء/ 90.

4- فى النص القرآنى: ((وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ)).

5- سورة الحج/ 77. ونصها: ((يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).

6- قال الطوسى فى التبيان: أى: افعلوا الخير لكى تفوزوا بثواب الجنة وتتخلصوا من عذاب النار. وقيل معناه: افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على أفعال الخير واجتناب المعاصى والفوز بالثواب. التبيان فى تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسى: 7/ 343، تفسير سورة الحج.

7- سورة النور/ 37 ___ 38.

وما ورد فی الأخبار المتظافرة بطرق عدیدة من أن من بلغه ثواب علی عمل فعمله ابتغاء ذلک الثواب أوتیه وإن لم یکن الأمر کما بلغه(1). وقال الصادق علیه السلام: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّوجل خوفاً فتلک عبادة العبید، وقوم عبدوا الله(2) طلباً للثواب فتلک عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله عزّوجل حباً له فتلک عبادة الأحرار، وهی أفضل العبادة»(3). والأفضلیة تستلزم وجود الفضیلة.

ونحو ذلک الأخبار الواردة فی الأعمال المأمور بها لقضاء الحوائج وتحصیل الولد أو المال والتزویج أو الشفاء أو طلب الخیرة أو نحو ذلک، ولو کان مثل هذه النیات مفسداً للعبادات لکان الترغیب والترهیب والوعد عبثاً بل مخلاً بالمقصود.

وکیف یمکن للعبد الضعیف الذلیل الذی لا یملک لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حیاة ولا نشوراً أن یستغنی عن جلب النفع من مولاه لنفسه أو دفع الضرر عنها، والعبادة المقصود بها الثواب أو الخلاص من العقاب إنما وقعت بأمره تعالی، فطالبها طالب لرضاه وأمره.

وتکلیف سائر الناس بتلک المراتب العلیة والدرجات السنیة لعله تکلیف بالمحال، فإن أکثر الناس لا یسعهم تلک القصود، وتلک المراتب مختصة بهم علیهم السلام ومن

1- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 87، کتاب الإیمان والکفر، باب من بلغه ثواب من الله علی عمل/ح2.

2- فی المصدر: "الله تبارک وتعالی".

3- الکافی، الکلینی: 2/ 84، کتاب الإیمان والکفر، باب العبادة/ ح5.

يقرب من مرتبتهم كسلمان(1) وأبى ذر(2) والمقداد(3)، ومن ادعى تلک المراتب فإنما يصدق فى دعواه إذا علم من نفسه أنه لو أيقن أن الله تعالى يدخله بطاعته وعبادته النار وبمعصيته الجنة يختار الطاعة ويترک المعصية، وأين عامة الخلق من هذه الدرجة؟!.

نعم ربما يتجه ذلک بناءً على زعم من زعم أن النية هى الإخطار بالبال وإن لم يكن له داع وباعث على القرب، وقد عرفت خلافه، فإن الداعى والباعث على القرب إذا لم يكن حاصلاً قبل فلا يمكن الإتيان به بتصوير بالجنان أو نطق باللسان.

وإن كنت فى ريب من ذلک فانظر الى نفسک حين يغلب عليها حب التدريس لإظهار الفضيلة والصيت وحب العبادة لاستمالة القلوب ومع ذلک أخطرت ببالک حين إيقاعهما أنک تدرس هذا الدرس وتعبد هذه العبادة قربة الى الله تعالى كنت بمعزل عن الإخلاص، وكان إخطارک ذلک من ((الْخَنّاسِ)) (4)(5)، ((الَّذِى يُوَسْوِسُ

1- سلمان: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبو عبد الله أول الأركان الأربعة، أجل من أن يوضح حاله. الرجال، ابن داود: 176/ الرقم 707، سلمان الفارسى.

2- أبى ذر: جندب بن جنادة الغفارى، أبوذر رحمه الله، وقيل: جندب بن السكن، وقيل: اسمه برير بن جنادة، مهاجرى، مات فى زمن عثمان بالربذة. رجال الطوسى، الطوسى: 32، باب الجيم/ الرقم 11.

3- المقداد: بن الأسود، واسم أبيه عمرو البهرانى، وكان الأسود بن عبد يغوث قد تبناه فنسب إليه، يكنى أبا معبد من أصحاب على عليه السلام، ثانى الأركان الأربعة عظيم القدر شريف المنزلة جليل من خواص على عليه السلام. رجال العلامة، الحسن بن يوسف الحلى: 169 __ 170، الباب الحادى عشر فى الآحاد/ الرقم 1.

4- سورة الناس/ 4.

5- الخناس: الشيطان لعنه الله تعالى، لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، وفى التفسير له رأس كرأس الحية يجثم على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس، أى: تراجع، وتأخر، وإذا ترک ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس فيه. تفسير غريب القرآن، الطريحى: 303، النوع السادس، ما أوله الخاء، "خنس".

فِی صُدُورِ النّاسِ))(1)، ولم ینفعک ذلک الإخطار، ولم یخلصک عن استحقاق النار، وکان ذلک کإخطار الشبعان اشتهی هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء.

واعلم أن الطریق الی الإخلاص کسر حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنیا، والتجرد للآخرة بحیث یغلب ذلک علی القلب، وکم من أعمال یتعب الإنسان فیها ویظن أنها خالصة لوجه الله تعالی ویکون فیها مغروراً لأنه لا یدری وجه الآفة فیها، کما حکی عن بعضهم أنه قال: قضیت صلاة ثلاثین سنة کنت صلیتها فی المسجد جماعة فی الصف الأول لأنی تأخرت یوماً لعذر، وصلیت فی الصف الثانی فاعترتنی خجلة من الناس حیث رأونی فی الصف الثانی، فعرفت أن نظر الناس إلی فی الصف الأول کان یسرنی، وکان سبب استراحة قلبی من ذلک من حیث لا أشعر(2).

وهذا باب دقیق غامض قلما تسلم الأعمال عن مثل ذلک، وقل من یتنبه له.

والغافلون عنه یرون حسناتهم فی الآخرة کلها سیئات، ((وَبَدَا لَهُم مِنَ اللّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ))(3)، ((وَبَدَا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا))(4)، ((الَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَهُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعًا))(5)، ((أَفَمَن زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)) (6).(7)

1- سورة الناس/5.

2- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 8/131، کتاب النیة والصدق والإخلاص، بیان حقیقة الخلوص.

3- سورة الزمر/ 47.

4- سورة الجاثیة/ 33.

5- سورة الکهف/ 104.

6- سورة فاطر/ 8.

7- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 8/ 130 ـــ 131، کتاب النیة والصدق والإخلاص، بیان حقیقة الخلوص.

الفصل الثالث: فی مجمل القول فی الطهارة والنظافة

قال الله سبحانه: ((رِجالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ))(1).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «الطهور نصف الإیمان»(2). وقال(3): «مفتاح الصلاة الطهور»(4). وقال(5): «بنی الدین علی النظافة»(6). وقال(7): «بئس العبد القاذورة»(8).

قال بعض العارفین: لیتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن الإیمان إنما یتم بعمارة القلوب والسرائر(9)، وأن المراد بقوله صلی الله علیه وآله وسلم:«الطهور نصف الإیمان»(10) أن عمارة الظاهر بالتطهیر والتنظیف بإفاضة الماء نصف الإیمان، والنصف الآخر عمارة الباطن بالأعمال الصالحة والأخلاق الحمیدة.

1- سورة التوبة/ 108.

2- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور: 1/ 115، الفصل السابع/ ح33.

3- أی: "النبی صلی الله علیه وآله وسلم".

4- تفسیر الإمام،الإمام العسکری علیه السلام:521،قصة رؤیة إبراهیم علیه السلام ملکوت السموات/ح318.

5- أی: "النبی صلی الله علیه وآله وسلم".

6- جامع السعادات، النراقی: 3/ 248، الطهارة.

7- أی: "النبی صلی الله علیه وآله وسلم".

8- الجعفریات، الکوفی: 157، باب السنة فی حلق الشعر یوم السابع للمولود وغیره.

9- قال النراقی فی جامع السعادات: إن تطهیر الظاهر، والجوارح، والقلب، والسر، من النجاسات والمعاصی ورذائل الأخلاق وما سوی الله نصف الإیمان، ونصفه الآخر عمارتها بالنظافة والطاعات ومعالی الأخلاق، والاستغراق فی شهود جمال الحق وجلاله. جامع السعادات، النراقی: 3/ 249، الطهارة.

10- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور: 1/ 115، الفصل السابع/ ح33.

والطهارة لها أربع مراتب:

الأولى: تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات.

والثالثة: تطهير القلب من مساوئ الأخلاق ورذائلها.

والرابعة: تطهير السر مما سوى الله جل وعلا، وهى طهارة الأنبياء والصديقين. والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها.

وهـذه مقامات الإيمان ، ولكل مقام طبقـة، ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يتجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى طهارة السـر مما سوى الله تعالى وعمارته بمعرفـة الله وانكشاف جلاله وعظمته سـبحانه ما لـم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود، ولن يصل إلى ذلک من لـم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهى وعمارتها بالطاعات والعبادات(1).

الفصل الرابع: فى أسرار إزالة النجاسة والتخلى لقضاء الحاجة

قال الشهيد الثانى(2): ليتذكر بذلک تطهير القلب من نجاسة الأخلاق

1- أنظر: جامع السعادات، النراقى: 3/ 249، الطهارة.

2- الشـهيد الثانى: الشـيخ الأجل زين الـدين بن على بن أحمـد بن محمد بن جمال الدين بن تقى الدين بن صالح تلميذ العلامة العاملى الجبعى الشـهيد الثانى، أمره فى الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، مصنفاته كثيرة مشهورة. أمل الآمل، الحر العاملى: 1/ 85، باب الزاى.

ومساوئها، فإنک إذا أمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر وتطهير الثياب وهی أبعد عن ذاتک فلا تغفل عن تطهير لبک الذی هو ذاتک وهو قلبک.

فاجتهد فی تطهيره بالتوبة والندم علی ما فرط، وتصميم العزم علی ترک العود فی المستقبل، وطهر بها باطنک فإنه موقع نظر المعبود.

وتذکر لتخليک لقضاء الحاجة نقصک وحاجتک، وما تشتمل عليه من الأقذار وما فی باطنک، وأنت تزين ظاهرک للناس والله تعالی مطلع علی خبث باطنک وخسة حالک، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن والأخلاق الداخلة فی الأعماق المفسدة، لکن لا علی الإطلاق لتستريح نفسک عند إخراجها ويسکن قلبک من دنسها ويخف لبک من ثقلها، وتصلح للوقوف علی بساط الخدمة والتأهل للمناجاة.

قال الصادق عليه السلام _ أی فی مصباح الشريعة _: «سمی المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس(1) من أثقال النجاسات واستفراغ الکثافات والقذر فيها»(2).

والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا کذلک تصير عاقبته، فيستريح بالعدول عنها ويترکها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها، ويستنکف عن أخذها وجمعها استنکافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفکر فی نفسه المکرمة فی حال کيف تصير ذليلة فی حال.

ويعلم أن التمسک بالقناعة والتقوی يورث له راحة الدارين، فإن الراحة فی هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها، وفی إزالة النجاسة من الحرام والشبهة

1- فی المصدر "الأنفس".

2- مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 126، الباب 59 فی التبزر، والظاهر من سياق أحاديث الباب إن العنوان فی التبرز وليس التبزر، وقد أوردنا النص أمانة للنقل.

فیغلق عن نفسه باب الکبر بعـد معرفته إیاها، ویفر من الـذنوب، ویفتح باب التواضع والندم والحیاء، ویجتهد فی أداء أوامره واجتناب نواهیه، طلباً لحسن المآب(1) وطیب الزلف(2)، ویسـجن نفسه فی سـجن الخوف والصبر والکف عن الشـهوات إلی أن یتصـل بأمان الله فی دار القرار ویذوق طعم رضاه، فإن المعول ذلک وما عداه لا شیء(3).

الفصل الخامس: فی السواک

قال صلی الله علیه وآله وسلم: «صلاة علی أثر سواک أفضل من خمس وسبعین صلاة بغیر سواک»(4).

وقـال الصـادق علیه السـلام: «إذا قمت باللیـل فاسـتک، فإن الملک یأتیک فیضع فاه علی فیک ولیس من حرف تتلوه(5) إلا صـعد به إلی السماء، فلیکن قولک(6) طیب الریح»(7).

1- المآب: المرجع. غریب الحدیث، ابن سلام: 2/ 69.

2- الزلف والزلفة والزلفی: القربة والدرجة والمنزلة. لسان العرب، ابن منظور: 9/ 138، مادة "زلف".

3- رسائل الشهید الثانی، الشهید الثانی: 116 ـــ 117، أسرار الصلاة.

4- أعلام الدین، الدیلمی: 273، فصل من کلام سـیدنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. وفیه النص: «صلاة علی اثر السواک خیر من خمس وسبعین صلاة بغیر سواک».

5- فی المصدر: "تتلوه وتنطق به".

6- فی المصدر: "فوک".

7- الکافی، الکلینی: 3/ 23، کتاب الطهارة، باب السواک/ ح7.

وفی مصباح الشریعة قال الصادق علیه السلام: قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «السواک مطهرة(1) للفم، مرضاة للرب»(2).

وجعلها من سننه المؤکدة، وفیها منافع للظاهر والباطن ما لا یحصی لمن عقل. وکما تزیل ما تلوث من أسنانک من مطعمک ومأکلک بالسواک کذلک فأزل نجاسة ذنوبک بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالأسحار، وطهر باطنک وظاهرک من کدورات المخالفات ورکوب المناهی کلها خالصاً لله تعالی،فإن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أراد باستعماله مثلاً لأهل الیقظة،وهو أن المسواک نبات لطیف نظیف وغصن شجر عذب مبارک.

والأسنان خلق خلقه الله تعالی فی الحلق آلة وأداة للمضغ وسبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة، وهی جوهرة صافیة تتلوث بما یمضغ من الطعام وتتغیر بها رائحة الفم، ویتولد منها الفساد فی الدماغ، فإذا استاک المؤمن الفطن بالنبات اللطیف ومسحه علی الجوهرة الصافیة أزال عنها الفساد والتغییر وعادت إلی أصلها، کذلک خلق الله القلب طاهراً صافیاً، وجعل غذاءه الفکر والذکر والهیبة والتعظیم، وإذا شیب القلب الصافی فعدلته بالغفلة والکدر صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الإنابة، لیعود الی حالته الأولی، وجوهرته الأصلیة الصافیة. قال الله عزّوجل: ((إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ التَّوّابِینَ وَیُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ))(3).

وإن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أمرنا باستواک ظاهر الأسنان وأراد بهذا المعنی المثل، ومن أناخ تفکره علی باب العبرة فی استخراج مثل هذه الأمثال فی الأصل والفرع فتح الله له عیون الحکمة، والمزید من فضل الله و((اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ))(4).

1- فی المصباح: "مطهر".

2- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 123، الباب الثامن والخمسون فی السواک.

3- سورة البقرة/ 222.

4- سورة التوبة/ 120.

الفصل السادس: فی الوضوء

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «من توضأ فذکر اسم الله طهر جمیع جسده، وکان الوضوء إلی الوضوء کفارة لما بینهما من الذنوب، ومن لم یسم لم یطهر جسده(1) إلا ما أصابه الماء»(2).

وکأن السر فی ذلک أن التسمیة تنبه القلب وتطهره عن الغفلة عن ذکر الله، وإذا طهر القلب الذی هو الرئیس طهرت جمیع الأعضاء.

قال الشهید الثانی(3) رحمه الله: أما الطهارة فلیستحضر فی قلبه أن تکلیفه فیها بغسل الأطراف الظاهرة وتنظیفها لاطلاع الناس علیها، ولکون تلک الأعضاء مباشرة للأمور الدنیویة المنهمکة فی الکدورات الدنیة، فلأن یطهر مع ذلک قلبه الذی هو موضع نظر الحق تعالی، فإنه لا ینظر إلی صورکم ولکن ینظر الی قلوبکم(4)، ولأنه الرئیس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها فی الأمور للبعدة عن جنابه تعالی وتقدس أولی وأحری، بل هذا تنبیه واضح علی ذلک وبیان شاف لما هنالک.

ولیعلم من یطهر تلک الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالی والإقبال علیه والالتفات عن الدنیا، فلذلک أمر بالتطهیر من الدنیا عند الاشتغال والإقبال علی الأخری، فأمر فی الوضوء بغسل الوجه لأن التوجه والإقبال بوجه القلب علی الله به، وفیه أکثر الحواس الظاهرة التی هی أعظم الأسباب الباعثة علی مطالب الدنیا، فأمر بغسله لیتوجه به وهو خال من تلک الأدناس، ویترقی بذلک الی تطهیر ما هو الرکن الأعظم فی القیاس.

1- فی المصدر: "لم یطهر من جسده".

2- جامع الأخبار، الشعیری: 63، الفصل 29 فی الوضوء.

3- مرت ترجمته.

4- أنظر: جامع الأخبار، الشعیری: 100، الفصل 56 فی الإخلاص.

ثم أمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنية والمشتهيات الطبيعية.

ثم أمر بمسح الرأس لأن فيه القوة المفكرة التى يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية، وتنبعث الحواس حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيوية المانع من الإقبال على الآخرة السنية.

ثم بمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبه، ويتوصل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر فى باقى الأعضاء، وحينئذ فيسوغ له الدخول فى العبادة والإقبال عليها فائزاً بالسعادة ـــ انتهى(1).

وفى مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمک الى رحمة الله، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته، وكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد كذلک نجاسات الظاهر يطهرها الماء لا غيره»، قال الله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنا مِنَ السَّماء مَاء طَهُورًا))(2) وقال عزّوجل: ((وَجَعَلْنا مِنَ الْماء كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ))(3)، فكما أحيا به كل شىء من نعيم الدنيا كذلک بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات.

وتفكر فى صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شىء وفى كل شىء، واستعمله فى تطهير الأعضاء التى أمرک الله بتطهيرها، وآت بآدابها فرائضه وسننه، فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لک عين فوائده عن قريب.

1- رسائل الشهيد الثانى، زين الدين بن على الشهيد الثانى: 113 ـــ 114.

2- سورة الفرقان/ 48.

3- سورة الأنبياء/30.

ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء، يؤدى كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل المؤمن الخاص كمثل الماء»(1).

ولتكن صفوتک مع الله فى جميع طاعاتک كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً(2)، وطهر قلبک بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحک بالماء(3).

وفى علل(4) الفضل بن شاذان(5) عن الرضا عليه السلام: «إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدى الجبار عند مناجاته إياه، مطيعاً له فى ما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدى الجبار»(6).

1- مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 128 ـــ 129، الباب الستون فى الطهارة.

2- إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الفرقان/ الآية 48. ونصها: ((وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنا مِنَ السَّماء ماء طَهُورًا)).

3- مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 128 ـــ 129، الباب الستون فى الطهارة.

4- إن كتاب العلل الذى ينقل منه الشهيد الثانى، وعنه ينقل الفيض الكاشانى، ومنه يروى أحاديثه السيد شبر، وهو للعلامة الفضل بن شاذان النيشابورى المتوفى سنة 260 هـ، لا تتوفر له طبعة يتم الرجوع إليها لذا يتم مقابلة الحديث عمن نقله من نسخته، ومن نقل عنهم، منهم: محمد بن على الصدوق فى من لا يحضره الفقيه، وزين الدين بن على الشهيد الثانى فى رسائله، والفيض الكاشانى فى المحجة البيضاء، وغيرهم.

5- الفضل بن شاذان النيسابورى: أبو محمد متكلم فقيه جليل القدر، كان أبوه من أصحاب يونس، وروى عن أبى جعفر الثانى، وقيل عن الرضا عليه السلام أيضا، وكان أحد أصحابنا الفقهاء العظام المتكلمين، حاله أعظم من أن يشار إليها. رجال ابن داود، ابن داود: 272/ الرقم1179.

6- أنظر: علل الشرائع، الصدوق: 1/257، باب 182 علل الشرائع وأصول الإسلام/ ح9. وسائل الشيعة، الحر العاملى: 1/ 367، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، باب 1 وجوبه للصلاة ونحوها/ ح9.

وإنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين، لأن العبد إذا قام بين يدى الجبار فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلک أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل(1) وبرأسه يستقبله فى ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد(2).

الفصل السابع: فى أسرار الغسل والتيمم

قال الشهيد الثانى(3): أمر فى الغسل بغسل جميع البشرة، لأن أدنى حالات الإنسان وأشدها تعلقاً وتملكاً بالملكات الشهوية حالة الجماع وموجبات الغسل، ولجميع بدنه مدخل فى تلک الحالة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن تحت كل شعر جنابة»(4).

فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية منغمساً(5) فى اللذات الدنية كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية، ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول فى العبادة المنيفة(6)، ويبعد عن القوى الحيوانية واللذات الدنيوية.

1- التبتل: الانقطاع عن النساء وترک النكاح. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 1/95.

2- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 1/ 308 ، كتاب أسرار الطهارة.

3- مرت ترجمته.

4- فقه الرضا عليه السلام، الإمام الرضا عليه السلام: 81 ، باب 3 الغسل من الجنابة وغيرها. وفيه النص: «أن تحت كل شعرة جنابة».

5- غمس: الغمس: إرساب الشىء فى الشىء السيال، أو الندى، أو فى ماء،أو صبغ،غمسه يغمسه غمسا،أى: مقله فيه، وقد انغمس فيه واغمس. لسان العرب، ابن منظور: 6/156، مادة "غمس".

6- طود منيف: جبل عال. مجمع البحرين، الطريحى: 3/ 68، مادة "طود".

ولما كان للقلب من ذلک الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درک الفضائل أولى من تطهير تلک الأعضاء الظاهرة عند اللبيب(1) العاقل.

وأمر بالتيمم بمسح تلک الأعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلک الأعضاء الرئيسية وهضماً لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة.

وهكذا يخطر بباله أن القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه فی مقام الهضم والإزراء ويسقه بسياط الذل والإغضاء(2)، عسى أن يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم، وهو منكسر متواضع، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع، فإنه عند القلوب المنكسرة(3) كما ورد فی الأثر، فترق من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لک الإقبال وتلافی سالف الإهمال _ انتهى(4).

وقال الرضا عليه السلام فی تتمة الرواية السابقة: «وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأن الجنابة من نفس الإنسان، وهو شیء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان، إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب»(5).

1- لبيب: عاقل ذو لب. لسان العرب، ابن منظور: 1/730، مادة "لبب".

2- الاغضاء: التغافل عن الشیء. مجمع البحرين، الطريحی: 3/ 317، مادة "غضی".

3- إشارة إلى قوله تعالى فی الحديث القدسی: «أنا عند المنكسرة قلوبهم». منية المريد، الشهيد الثانی: 123، فصل 6 فی فضل العلم من الآثار وتحقيقات بعض العلماء.

4- أنظر: رسائل الشهيد الثانی، زين الدين بن على الشهيد الثانی: 113. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 1/306 ___ 307، كتاب أسرار الصلاة.

5- علل الشرائع، الشيخ الصدوق:1 / 258، باب 182 علل الشرايع وأصول الإسلام/ح9. وفيه النص: أن الجنابة من نفس الإنسان ... الحديث. والنص كما فی المتن فی رسائل الشهيد الثانی، زين الدين بن على: 115.

وفی روایـة أخری عنه علیه السـلام(1): «وعلـة التخفیف فی البول والغائـط أنه أکثر وأدوم من الجنابـة فرضـی فیه بالوضوء لکثرته ومشـقته ومجیئه بغیر إرادة منه ولا شهوة، والجنابة لا تکون إلا بالاستلذاذ منهم لأنفسهم(2)»(3).

الفصل الثامن: فی الاستحمام

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «نعم البیت الحمام، یذکر فیه(4) النار ویذهب بالدرن»(5).

قیل: فیه إشارة إلی أنه ینبغی للعاقل أن لا یغفل عن ذکر الآخرة فی لحظاته، فإنها مصـیره ومسـتقره، فیکون له فی کل ما یراه من ماء أو نار أو غیرهما عبرة وموعظـة، فإن نظر إلی ظلمـة تذکر ظلمة اللحد، وإن سـمع صوتاً هائلاً تذکر نفخة الصور(6)، وإن رأی شـیئاً حسناً تذکر نعیم الجنة(7)، وإن سمع

1- أی: "الإمام الرضا علیه السلام".

2- فی الفقیه والوسائل: "والإکراه لأنفسهم".

3- من لا یحضره الفقیه، الصدوق: 1/ 67 __ 77، کتاب الطهارة، باب العلة التی من اجلها وجب الغسل من الجنابة ولم یجب من البول والغائط/ ح2. وسائل الشـیعة، الحر العاملی: 2/ 178، کتاب الطهارة، أبواب الجنابـة، باب 2 وجوب الغسل من الجنابـة وعدم وجوبه من البول والغائط/ ح1.

4- لیس فی المصدر: "فیه".

5- الکافی، الکلینی: 6/496، کتاب الزی والتجمل، باب الحمام/ ح1.

6- إشارة إلی قوله تعالی: ((وَیَوْمَ یُنفَخُ فِی الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِی السَّماوَاتِ وَمَن فِی الأَرْضِ إِلاّ مَن شاء اللَّهُ وَکُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِینَ)) سورة النمل/ 87.

7- إشارة إلی قوله تعالی: ((وَأَصْحابُ الْیَمِینِ ما أَصْحابُ الْیَمِینِ (27) فِی سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (30) وَماء مَّسْکُوبٍ (31) وَفاکِهَةٍ کَثِیرَةٍ (32) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)) سورة الواقعة/ 27 __ 34.

كلمة رد أو قبول تذكر ما ينكشف له فی آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول... إلی غیرک ذلک(1).

والحمام أشبه شیء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق، فینبغی أن یتذکر حر النار بحرارته، ویقدر نفسه محبوساً فی البیت الحار ساعة ویقیسه إلی جهنم ویستعیذ بالله منها(2).

قال الصادق علیه السلام: «فإذا دخلت البیت الثالث فقل: نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة، ترددها إلی وقت خروجک من البیت الحار»(3).

الفصل التاسع: فی سماع الأذان

قال أبو حامد(4): إذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فی قلبک هول النداء یوم

1- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 1/ 318، کتاب أسرار الطهارة. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 133، کتاب أسرار الطهارة.

2- نفس المصدر السابق.

3- روضة الواعظین، الفتال: 2/ 307، مجلس فی ذکر الآداب وأشیاء شتی.

4- أبو حامد: زین الدین أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الطوسی الغزالی، ولد بطوس سنة خمسین وأربعمائة، وکانت وفاته بطوس صبیحة یوم الاثنین رابع عشر جمادی الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة. خرج إلی الحجاز فی سنة ثمان وثمانین فحج ورجع إلی دمشق واستوطنها عشر سنین، بمنارة الجامع، وصنف فیها کتبا،یقال:إن الإحیاء منها، ثم صار إلی القدس والإسکندریة، ثم عاد إلی وطنه بطوس، مقبلا علی التصنیف، والعبادة، وملازمة التلاوة، ونشر العلم، وعدم مخالطة الناس. طبقات الشافعیة، الأسنوی: 2/111 __ 113/ الرقم 860.

القیامـة، وتشـمر بظاهرک وباطنک للإجابة والمسارعة، فإن المسارعین إلی هذا النداء هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الأکبر، فاعرض قلبک علی هـذا النـداء، فإن وجدته مملوءً بالفرح والاسـتبشار مشـحوناً بالرغبة إلی الابتدار(1) فاعلم أنه یأتیک النـداء بالبشـری والفوز یوم القضاء، ولذلک قال صلی الله علیه وآله وسلم: «أرحنا یا بلال(2)» أی أرحنا بها وبالنداء إلیها إذ کانت قرة عینه فیها(3) ــ انتهی(4).

وقال الشهید الثانی(5) رحمه الله: واعتبر بفصول الأـذان وکلماته کیف افتتحت بالله واختتمت بالله، واعتبر بـذلک، أن الله جل جلاله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ووطن قلبک بتعظیمه وتکبیره عند سماع التکبیر، واستحقر الدنیا وما فیها لئلا تکون کاذباً فی تکبیرک، وانف عن خاطرک کل معبود سواء بسماع التهلیل(6)، وأحضر النبی صلی الله علیه وآله وسلم وتأدب بین یدیه، واشهد له بالرسالة مخلصاً،

1- یقال: ابتدر القوم أمرا وتبادروه، أی: بادر بعضهم بعضا إلیه أیهم یسبق إلیه فیغلب علیه. تاج العروس، الزبیدی:3/33.

2- قال الخطیب البغـدادی: قال الخزاعی: لقـد سـمعت رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم یقول: یا بلال أقم الصـلاة أرحنا بها. تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی: 10/444. وأنه صلی الله علیه وآله وسلم کان یقول : أرحنا یا بلال. الحبل المتین، البهائی: 154.

3- أنظر: رسائل الکرکی، المحقق الکرکی: 3/ 225. سنن النسائی، أحمد بن شعیب النسائی: 7/ 61،کتاب عشرة النساء، باب حب النساء. وفیه: "وجعل قرة عینی فی الصلاة".

4- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 158، کتاب أسرار الصلاة.

5- مرت ترجمته.

6- قال اللیث: التهلیل قول: لا إله إلا الله. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 705، مادة "هلل".

وصل علیه وآله، وحرک نفسک واسع بقلبک وقالبک عند الدعاء إلی الصلاة، وما یوجب الفلاح، وما هو خیر الأعمال وأفضلها، وجدد عهدک بعد ذلک بتکبیر الله وتعظیمه، واختمه بذکره کما افتتحت به، واجعل مبدأک منه وعودک إلیه وقوامک به، واعتمادک علی حوله وقوته، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم(1).

الفصل العاشر: فی الوقت

قال الشهید الثانی رحمه الله(2): استحضر عند دخوله أنه میقات جعله الله لک، لتقوم فیه بخدمته، وتتأهل للسؤال فی حضرته والفوز بطاعته، ولیظهر علی قلبک السرور وعلی وجهک البهجة عند دخوله، لکونه سبباً لقربک ووسیلة إلی فوزک، واستعد له بالطهارة والنظافة ولبس الثیاب الصالحة للمناجاة، کما تتأهب عند القدوم علی ملک من ملوک الدنیا، وتلقاه بالوقار والسکینة والخوف والرجاء، واستحضر عظمة الله وجلاله، ونقصان قدرک وکماله.

وقد روی أن بعض أزواج النبی صلی الله علیه وآله وسلم قالت: کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فکأنه لم یعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن کل شیء(3).

1- رسائل الشهید الثانی، زین الدین بن علی: 121، أسرار الصلاة.

2- زین الدین بن علی بن أحمد العاملی. مرت ترجمته.

3- عدة الداعی، ابن فهد الحلی: 152، ما یکون قبل الدعاء کالطهارة وشم الطیب واستقبال القبلة والصدقة. عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور: 1/ 324، الباب الأول فی الأحادیث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الأول/ ح61.

وكان على علیه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ(1) ويتزلزل(2)، فيقال له: ما لک يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها(3)»(4).

وكان على بن الحسين علیه السلام إذا حضر الوضوء اصفر لونه(5).(6)

الفصل الحادى عشر: فى لباس المصلى

قال أبو حامد(7): وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنک عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنک موقع نظر الخلق، فما رأيک فى عورات باطنک وفضائح سرک التى لا يطلع عليها إلا ربک، فأحضر تلک الفضائح ببالک وطالب

1- قيل: قد تململ، وهو تقلبه على فراشه، قال: وتململه وهو جالس أن يتوكأ مرة على هذا الشق، ومرة على ذاک، ومرة يجثو على ركبتيه. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 631، مادة "ملل".

2- ابن الأعرابى: رجف البلد إذا تزلزل، وقد رجفت الأرض وأرجفت إذا تزلزلت. لسان العرب، ابن منظور: 9/113، مادة "رجف". واهتز،أى: تزلزل. مجمع البحرين، الطريحى: 4/ 426، مادة "هزز".

3- إشارة إلى قوله تعالى: ((إِنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً)) سورة الأحزاب/ 72.

4- أنظر: تفسير نور الثقلين، الحويزى: 4/ 313، تفسير سورة الأحزاب/ ح265.

5- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور الأحسائى:1/ 324،الباب الأول فى الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الأول/ ح63.

6- أنظر: رسائل الشهيد الثانى، زين الدين بن على: 119 ـــ 120.

7- محمد بن محمد بن محمد الطوسى الغزالى. مرت ترجمته.

نفسک بسترها، وتحقق أنه لا یسترها عن عین الله ساتر وإنما یکفرها الندم والحیاء والخوف، فتستفید بإحضارها فی قلبک انبعاث جنود الخوف والحیاء من مکامنها، فتذل به نفسک وتسکن تحت الخجلة قلبک.

وتقوم بین یدی الله قیام العبد المجرم المسیء الآبق(1) الذی ندم فرجع إلی مولاه ناکساً(2) رأسه من الحیاء والخوف(3).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: «أزین اللباس للمؤمنین لباس التقوی، وأنعمه الإیمان، قال الله عزّوجل: ((وَلِباسُ التَّقْوَیَ ذلِکَ خَیْرٌ))(4)، وإما اللباس الظاهر فنعمة من الله یستر بها عورات بنی آدم، وهی کرامة أکرم الله بها عباده ذریة آدم علیه السلام ما لم یکرم بها غیرهم، وهی للمؤمنین آلة لأداء ما افترض الله علیهم.

وخیر لباسک ما لا یشغلک عن الله تعالی بل یقربک من شکره وذکره وطاعته، ولا یحملک علی العجب والریاء والتزین والمفاخرة والخیلاء، فإنها من آفات الدین ومورثة القسوة فی القلب، وإذا لبست ثوبک فاذکر ستر الله علیک ذنوبک برحمته.

1- الإباق: هرب العبد من سیده. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 3، مادة "أبق".

2- نکس أنکسته نکسا: قلبته. کتاب العین، الفراهیدی: 5/313، مادة "نکس".

3- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 158، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة.

4- سورة الأعراف/ 26.

وألبس باطنک بالصدق کما ألبست ظاهرک بثوبک، ولیکن باطنک فی ستر الرهبة وظاهرک فی ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عزّوجل، حیث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء.

ولا تفضح أحداً حیث ستر الله علیک أعظم منه، واشتغل بعیب نفسک، واصفح عما لا یعنیک حاله وأمره.

واحذر أن تفنی عمرک بعمل غیرک، ویتجر برأس مالک غیرک وتهلک نفسک، فإن نسیان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالی فی العاجل وأوفر أسباب العقوبة فی الآجل، وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عیوب نفسه وترک ما یشین فی دین الله فهو بمعزل من الآفات، خائض فی بحر رحمة الله، یفوز بجواهر الفوائد من الحکمة والبیان، وما دام ناسیاً لذنوبه جاهلاً بعیوبه راجعاً إلی حوله وقوته لا یفلح أبداً»(1).

الفصل الثانی عشر: فی مکان المصلی

قال الشهید الثانی رحمه الله(2): استحضر فیه أنک کائن بین یدی ملک الملوک، ترید مناجاته والتضرع إلیه والتماس رضاه ونظره إلیک بعین الرحمة، فانظر مکاناً یصلح لذلک کالمساجد الشریفة(3) والمشاهد المطهرة(4) مع الإمکان، فإنه تعالی

1- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 30، الباب الثالث عشر فی اللباس. رسائل الشهید الثانی، زین الدین بن علی: 117 ـــ 118. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 1/379 ـــ 380.

2- مرت ترجمته.

3- مثل المسجد النبوی الشریف.

4- وهی مراقد أهل البیت علیهم السلام وأبنائهم البررة صلوات الله علیهم أجمعین.

جعل تلک المواضع محلاً لإجابته ومظنة لقبوله ورحمته، ومعدناً(1) لمرضاته ومغفرته، على مثال حضرة الملوک الذين يجعلونها وسيلة لذلک، فادخلها ملازماً للسکينة والوقار، ومراقباً للخشوع والانکسار، سائلاً أن يجعلک من خلص عباده، وأن يلحقک بالماضين منهم.

وراقب الله کأنک على الصراط جائز، وکن متردداً بين الخوف والرجاء وبين القبول والطرد، فيخشع حينئذ قلبک ويخضع لبک، وتتأهل لأن يفيض عليک الرحمة وتنالک يد العاطفة، وترعاک عين العناية(2).

وفى مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنک قصدت ملکاً عظيماً لا يطأ بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن بمجالسته إلا الصديقون، وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملک، فإنک على خطر عظيم إن غفلت.

واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معک وبک، لأن عطف عليک بفضله ورحمته قبل منک يسير الطاعة وأجزل لک عليها ثواباً کثيراً جزيلاً وإن طالبک باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بک حجبک ورد طاعتک وإن کثرت، وهو ((فَعّالٌ لِما يُرِيدُ))(3).

واعترف بعجزک وتقصيرک وفقرک بين يديه، فإنک قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به، واعرض أسرارک عليه، ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم، وکن کأفقر عباده بين يديه.

1- المعدن: مکان کل شيء يکون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشياء. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 279، مادة "عدن".

2- أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثانى: 118، أسرار الصلاة.

3- سورة البروج/ 16.

وأخـل قلبـک عن کل شاغل یحجبک عن ربک، فإنه لا یقبل إلا الأطهر والأخلص، فانظر من أی دیوان یخرج اسـمک، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذیذ مخاطباته، وشربت بکأس رحمته وکراماته من حسن إقباله علیک وإجاباته وقد صلحت لخدمته، فادخل فلک الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف مضـطر قـد انقطع عنه الحیل وقصـر عنه الأمل وقضـی الأجل، فإذا علم الله من قلبک صـدق الالتجاء إلیه نظر إلیک بعین الرأفة والرحمة،والعطف،ووفقک لما یحب ویرضی، فإنه کریم یحب الکرامة لعباده المضطرین إلیه المحترقین علی بابه لطلب مرضاته. قال الله تعالی:((أَمَّن یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَیَکْشِفُ السُّوءَ)) (1).(2)

الفصل الثالث عشر: فی الاستقبال

قال أبو حامد(3): وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهک عن سائر الجهات إلی جهة بیت الله، أفتری أن صرف القلب من سائر الأمور إلی أمر الله لیس مطلوباً منک؟! هیهات فلا مطلوب سواه.

وإنمـا هـذه الظواهر تحریکـات للبواطن وضـبط للجوارح وتسـکین لها بالإثبات فی جهـة واحـدة حتی لا تبغی علی القلب، فإنها إذا بغت وظلمت فی حرکاتها إلی جهاتها استبغت القلب وانقلبت به عن وجه الله، فلیکن وجه قلبک مع وجه بدنک.

1- سورة النمل/ 62.

2- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادقعلیه السلام: 130 __ 131، الباب الواحد والستون فی دخول المسجد.

3- مرت ترجمته.

واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهـة البيت إلا بالصـرف عن غيرها فلا ينصـرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سوى الله، وقـد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله(1) انصرف كيوم ولدته أمه»(2) ــ انتهى(3).

وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار»(4).

قيل: هذا نهى عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته فى حال الصـلاة، فإن الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ومن كان كـذلک فيوشک أن تدوم تلک الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قلة عقله للأمور العلوية وعدم فهمه للعلوم.

وفى مصـباح الشـريعة: قال الصادق عليه السـلام: «إذا استقبلت القبلة فأيئس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبک من كل شاغل يشـغلک عن الله تعالى، وعاين بسـرک عظمـة الله، واذكر وقوفک بين يديه ((يوم تَبْلُو(5) كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ))(6)، وقف على قدم الخوف والرجاء(7).

1- فى المستدرک: "إلى الله تعالى".

2- مستدرک الوسائل، النورى: 3/ 59، كتاب الصلاة، باب 16 تأكد استحباب المداومة على النوافل والإقبال بالقلب على الصلاة/ ح11.

3- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 1/ 158، كتاب أسرار الصلاة.

4- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور: 1/ 322، الباب الأول فى الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الأول/ ح58.

5- النص فى القرآن الكريم: ((هُنالِکَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مّا كانُواْ يَفْتَرُونَ)).

6- سورة يونس/30.

7- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 87، باب 39 فى افتتاح الصلاة.

الفصل الرابع عشر: فی القیام

قال أبو حامد(1): وأما الاعتدال قائماً فهو مثول بالقلب والشخص بین یدی الله تعالی، فلیکن رأسک الذی هو أرفع أعضائک مطرقاً متطأطئاً منکساً، ولیکن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبیها علی إلزام القلب التواضع والتذلل والتبری عن الترؤس والتکبر، ولیکن علی ذکرک هنا خطر المقام بین یدی الله فی هول المطلع عند التعرض للسؤال.

واعلم فی الحال أنک قائم بین یدی الله تعالی وهو مطلع علیک، فقم بین یدیه قیامک بین یدی بعض ملوک الزمان إن کنت تعجز عن معرفة کنه جلاله، بل قدر فی دوام قیامک فی صلواتک أنک ملحوظ ومرقوب بعین کالئة(2) من رجل صالح من أهلک أو ممن ترغب فی أن یعرفک بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلک أطرافک وتخشع جوارحک ویسکن جمیع أجزائک، خیفة أن ینسبک ذلک العاجز المسکین إلی قلة الخشوع.

وإذا أحسست من نفسک التماسک عند ملاحظة عبد مسکین فعاتب نفسک وقل لها: إنک تدعین معرفة الله وحبه أفلا تستحین من اجترائک علیه مع توقیرک عبداً من عباده أو تخشین الناس ولا تخشینه، وهو أحق أن یخشی؟!(3).

1- مرت ترجمته.

2- کلأه یکلؤه وکلاء وکلاءة، بالکسر: حرسه وحفظه. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 146، مادة "کلأ".

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 158 ـــ 159، کتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 113 ـــ 115، أسرار أرکان الصلاة وآدابها، الفصل الثانی فی المقارنات. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 233، الفصل الثامن القیام فی الصلاة. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 1/ 382 ـــ 383، کتاب أسرار الصلاة، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 112، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنویة للاعتدال. جامع السعادات، النراقی: 3/ 344 ـــ 345، فصل القیام.

ولذلک لما قیل للنبی صلی الله علیه وآله وسلم: کیف الحیاء من الله؟ فقال: «تستحی منه کما تستحی من الرجل الصالح من أهلک»(1).

الفصل الخامس عشر: فی التوجه

قال الشهید الثانی رحمه الله(2): إذا توجهت بالتکبیرات فاستحضر عظمة الله سبحانه، وصغر نفسک وخسة عبادتک فی جنب عظمته، وانحطاط همتک عن القیام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته.

وتفکر عند قولک: «اللهم أنت الملک الحق المبین»(3) فی عظیم ملکه وعموم قدرته واستیلائه علی جمیع العوالم، ثم ارجع علی نفسک بالذل والانکسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولک: «عملت سوءاً وظلمت نفسی فاغفر لی إنه لا یغفر الذنوب إلا أنت»(4).

1- نفس المصادر السابقة.

2- مرت ترجمته.

3- مفتاح الفلاح، البهائی : 49 ، الباب الأول فیما یعمل مابین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس.

4- مهج الدعوات، ابن طاووس: 104.

وأحضـر دعوته لک بالقیام بهـذه الخدمة، ومثل نفسک بین یدیه، وأنه قریب منک مجیب دعوة الداعی إذا دعاه، ویسـمع نداءه، وأن بیده خیر الدنیا والآخرة لا بید غیره عند قولک: «لبیک وسعدیک والخیر فی یدیک»(1)، ونزهه من الأعمال السیئة وأفعال الشر.

وأبـدله بها محض الإرشاد والهدایة عند قولک: «والشـر لیس إلیک والمهدی من هدیت»(2)، واعترف له بالعبودیـة وأن قوام وجودک وبدأه ومعاده منه بقولک: «عبـدک وابن عبدیک منک وبک ولک(3) وإلیک»(4)، أی منـک وجوده وبـک قوامه ولک ملکه وإلیک معاده، ((وَهُوَ الَّذِی یَبْدَئُ(5) الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلی))(6).

فأحضر فی ذهنک هذه الحقائق، وترق منها إلی ما یفتح علیک من الأسرار والدقائق، وتلق الفیض(7) من العالم الأعلی(8).

1- الکافی، الکلینی: 3/310، کتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة والحد فی التکبیر/ ح7.

2- نفس المصدر.

3- لیس فی الفلاح: "و لک".

4- فلاح السائل، ابن طاووس: 132، صفة نوافل الزوال.

5- فی النص القرآنی: "یبدؤا".

6- سورة الروم/ 27.

7- الفیض: الکثیر. کتاب العین، الفراهیدی: 7/ 65، مادة "فیض".

8- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 108 ـــ 109، فی أسرار الاستقبال إلی القبلة. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 112 ـــ 113، الآداب المعنویـة لسائر مقـدمات الصـلاة وأفعالها، الآداب المعنویـة للتوجه بالتکبیرات. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 1/ 383 ـــ 384، کتاب أسرار الصلاة.

الفصل السادس عشر: فی النیة

قال أبو حامد: وأما النیة فاعزم علی إجابة الله فی امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والکف عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جمیع ذلک لوجه الله رجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه، متقلداً للمنة بإذنه إیاک فی المناجاة، مع سوء أدبک وکثرة عصیانک.

وعظم فی نفسک قدر مناجاته، وانظر إلی من تناجی وکیف تناجی وبماذا تناجی، وعند هذا ینبغی أن یعرق جبینک من الخجل وترتعد فرائصک(1) من الهیبة ویصفر وجهک من الخوف(2).

الفصل السابع عشر: فی التکبیر

ومعناه «الله أکبر من کل شیء»(3)، أو «من أن یوصف»(4) أو أن یدرک بالحواس(5)، أو أن یقاس بالناس(6).(7)

1- ارتعدت فرائصه واصطکت فرائص الملائکة:هی جمع فریصة،وهی:اللحمة بین جنب الدابة وکتفها. مجمع البحرین، الطریحی: 3/ 385، مادة "فرص".

2- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/159، کتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 117 ـــ 118، أسرار أرکان الصلاة وآدابها، الفصل الثانی فی المقارنات، فی وظائف النیة و أسرارها. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 113 ـــ 114، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة و أفعالها، الآداب المعنویة للنیة. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 234، الفصل العاشر النیة فی الصلاة. جامع السعادات، النراقی: 3 / 347، فصل النیة.

3- الکافی، الکلینی: 1/ 118، کتاب التوحید، باب معانی الأسماء واشتقاقها/ ح9.

4- نفس المصدر.

5- أنظر: من لایحضره الفقیه، الشیخ الصدوق:1/306، کتاب الصلاة، باب وصف الصلاة/ ح7.

6- أنظر: الأمالی، الطوسی: 220، المجلس الثامن/ ح32.

7- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 1/ 385، کتاب أسرار الصلاة.

قال أبو حامد(1): فإذا نطق به لسانک فینبغی أن لا یکذبه قلبک، وإن کان فی قلبک شیء هو أکبر من الله تعالی فالله یشهد أنک کاذب وإن کان الکلام صدقاً، کما شهد علی المنافقین فی قولهم: «إنک رسول الله»(2).

فإن کان هواک أغلب علیک من أمر الله وأنت أطوع له منک لله فقد اتخذته إلهک وکبرته، فیوشک أن یکون قولک: «الله اکبر» کلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر فی ذلک لولا التوبة والاستغفار، وحسن الظن بکرم الله وعفوه(3).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: إذا کبرت فاستصغر ما بین السموات العلی والثری دون کبریائه، فإن الله تعالی إذا اطلع علی قلب العبد وهو یکبر وفی قلبه عارض عن حقیقة تکبیره قال: یا کاذب أتخدعنی! وعزتی وجلالی لأحرمنک حلاوة ذکری، ولأحجبنک عن قربی والمسارة بمناجاتی(4).

فاعتبر أنت قلبک حین صلاتک فإن کنت تجد حلاوتها وفی نفسک سرورها وبهجتها، وقلبک مسروراً بمناجاته ملتذاً بمخاطباته فاعلم انه قد صدقک فی تکبیرک، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنه دلیل علی تکذیب الله لک وطردک عن بابه(5).

1- الغزالی: مرت ترجمته.

2- إشارة إلی قوله تعالی: ((إِذَا جاءکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِینَ لَکاذِبُونَ)) سورة المنافقون/ 1.

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/159، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن و شرط من أعمال الصلاة.

4- أنظر: مصباح الشریعة،الإمام الصادق علیه السلام:87 ـــ 88،الباب التاسع والثلاثون فی افتتاح الصلاة.

5- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 121، أسرار أرکان الصلاة و آدابها، الفصل الثانی فی المقارنات، فی أسرار تکبیرة الإحرام. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 115، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة و أفعالها، الآداب المعنویة للتکبیر. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 235، الفصل العاشر النیة فی الصلاة.

الفصل الثامن عشر: فی دعاء التوجه

قـال أبو حامـد: وأما دعاء الاسـتفتاح فأول كلماته قولک: «وجهت وجهی للـذی فطر السـماوات والأرض حنيفاً مسـلماً»(1) وليس المراد بالوجه الوجه الظاهری، فإنک إنما وجهته إلی جهـة القبلـة، والله سـبحانه يتقـدس عن أن تحده الجهات حتی تقبل بوجه بدنک عليه، وإنما وجه القلب هو الـذی يتوجه به إلی فاطر السـماوات والأرض، فانظر إليه أمتوجه هو إلی أمانيه وهممه فی البيت والسوق ومتبع للشـهوات أم مقبل علی ((فاطِرِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ))(2).

وإياک وأن تكون أول مفاتحتک للمناجاة بالكـذب والاختلاف، ولن ينصـرف الوجه إلی الله إلا بانصـرافه عمن سواه، فاجتهـد فی الحال فی صرفه إليه، وإن عجزت عنه علی الدوام ليكون قولک فی الحال صدقاً.

وإذا قلت: «حنيفاً مسلماً»(3) فينبغی أن يخطر ببالک أن المسلم هو الذی «سلم المسلمون من لسانه ويده»(4)، فإن لم تكن كذلک كنت كاذباً، فاجتهد أن تعزم عليه فی الاستقبال، وتندم علی ما سبق من الأحوال.

1- وسائل الشيعة،الحر العاملی:6/ 25،كتاب الصلاة،باب 8 استحباب تفريق التكبيرات السبع/ح3.

2- سورة الأنعام/ 14.

3- سورة آل عمران/ 67.

4- الكافی،الكلينی:2/233،كتاب الإيمان والكفر،باب المؤمن وعلاماته وصفاته/ح12.

وإذا قلت: ((وَمـا أَنَاْ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ))(1)، فأخطر ببالک الشـرک الخفی(2)(3) فـإن قوله تعـالی: ((فَمَن کـانَ یَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحًا وَلا یُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))(4) نزل فی من یقصـد بعبادته وجه الله وحمد الناس(5). وکن منفیاً من هذا الشرک، واستشعر الخجلة فی قلبک أن وصفت نفسک بأنک لست من المشرکین من غیر براءة من هذا الشرک، فإن اسم الشرک یقع علی القلیل والکثیر منه.

وإذا قلت: ((مَحْیـایَ وَمَماتِی لِلّهِ))(6) فاعلم أن هـذا حال عبـد مفقود لنفسه موجود لسـیده، وأنه إن صدر من رضاه وغضـبه وقیامه وقعوده ورغبته فی الحیاء ورهبته من الموت لأمور الدنیا لم یکن ملائماً للحال(7).

1- سورة الأنعام/ 79.

2- الرئاء، هو: الشـرک الخفی. منیة المرید، الشهید الثانی: 317، الباب الثالث فی المناظرة وشـروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانی آفات المناظرة.

3- أنظر:شرح أصول الکافی، المازندرانی:9/ 333،کتاب الإیمان والکفر،باب العجب/ح1.

4- سورة الکهف/ 110.

5- قال المحـدث النوری: «عَنْ حُمَیْدِ بْنِ شُعَیْبٍ، عَنْ جابِرٍ قالَ: سَمِعْتُهُ، أَیْ: جَعْفَراً علیه السـلامیَقُولُ:((فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا یُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)) سورة الکهف/ 110. ثُمَّ قالَ: إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ رَجُلٍ عَمِلَ شَیْئاً مِنْ أَبْوَابِ الْخَیْرِ یَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَیَطْلُبُ بِهِ حَمْدَ النّاسِ، یَشْتَهِی أَنْ یُسْمَعَ النّاسَ، قالَ: فَقالَ: هَذَا الَّذِی أَشْرَکَ بِعِبادَةِ رَبِّهِ». مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 1/ 106، أبواب مقدمة العبادات، باب 11 تحریم قصد الریاء والسمعة فی العبادة/ ح11.

6- سورة الأنعام/ 162.

7- انظر: إحیاء علوم الـدین، الغزالی: 1/ 159، کتاب أسـرار الصـلاة ومهماتها، بیان تفصـیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن و شرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 122 ـــ 124، أسرار أرکان الصلاة وآدابها، الفصل الثانی فی المقارنات، فی أسرار دعـاء التوجه ومعناه. أسـرار العبادات، الفیض الکاشانی: 115، الآداب المعنویـة لسائر مقدمات الصـلاة وأفعالها، الآداب المعنویة لدعاء الاسـتفتاح. الحقـایق فی محـاسن الأخلاـق،الفیض الکاشانی: 235 ـــ 236، الفصـل الحادی عشـر دعاء الاسـتفتاح للصـلاة. جامع السعادات، النراقی:3/ 348 ـــ 349، فصل دعاء الاستفتاح.

الفصل التاسع عشر: فی الاستعاذة

قال(1): إذا قلت: «أعوذ بـالله من الشـيطان الرجيم» فاعلم أنه عـدوک، ومترصـد لصـرف قلبک عن الله حسـداً لک علی مناجاتک مع الله وسجودک له، مع أنه لعن لسبب سجدة واحدة ترکها ولم یوفق لها(2).

وأن اسـتعاذتک بالله منه بترک ما یحبه وتبدیله بما یحب الله لا بمجرد قولک، وأن من قصده سـبع أو عدو لیفترسه أو یقتله فقال: «أعوذ منک بـذلک الحصن الحصـین» وهو ثـابت علی مکانه أن ذلک لا ینفعه، بل لا یعیـذه إلا تبـدیل المکان، فکـذلک من یتبع الشـهوات التی هی محاب الشیطان ومکاره الرحمان فلا یغنیه مجرد القول، فلیقترن قوله بالعزم علی التعوذ بحصن الله عزّوجل عن شر الشیطان، وحصنه لا إله إلا الله، إذ قال تعالی فیما أخبر عنه نبینا صـلی الله علیه وآله وسلم: «لا إله إلا الله حصنی»(3)، والمتحصن به من لا معبود له سوی الله، فأما ((مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ))(4) فهو فی میدان الشیطان لا فی حصن الله.

1- یعنی: "أبو حامد الغزالی".

2- أنظر: إحیاء علوم الـدین، الغزالی: 1/ 159، کتاب أسـرار الصـلاة، بیان تفصـیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. رسائل الشهید الثانی، الشهید الثانی: 127، أسرار الصلاة.

3- بشارة المصطفی، عماد الدین الطبری: 269.

4- سورة الفرقان/ 43.

واعلم أن من مكائده أن يشغلک فی الصلاة بفکر الآخرة وتدبیر فعل الخیرات لتمتنع عن فهم ما تقرأ، فاعلم أن کل ما یشغلک عن معانی القرآن فهو وسواس(1)، فإن حرکة اللسان غیر مقصودة بل المقصود المعانی، والناس فی القراءة ثلاثة: رجل یتحرک لسانه وقلبه غافل، ورجل یتحرک لسانه وقلبه یتبع اللسان فیستمع ویفهم منه کأنه یسمعه من غیره وهو درجة ((أَصْحابُ الْیَمِینِ))(2)، ورجل یسبق قلبه إلی المعانی أولاً ثم یخدم اللسان قلبه فیترجمه. ففرق بین أن یکون اللسان ترجمان القلب أو یکون معلم القلب، والمقربون ألسنتهم ترجمان یتبع القلب ـــ انتهی(3).

وعلیک بالخضوع والخشوع وحضور القلب فی صلاتک.

الفصل العشرون: فی بیان الخضوع والخشوع وحضور القلب

قال الله تعالی: ((والَّذِینَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ))(4) وقال تعالی: ((فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ (4) الَّذِینَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ ساهُونَ))(5). ذمهم علی الغفلة عنها مع کونهم مصلین لا لأنهم سهوا عنها وترکوها(6).

1- أنظر: تفسیر الثعالبی، أبی زید الثعالبی: 4/ 142، تفسیر سورة المؤمنون.

2- إشارة إلی قوله تعالی فی سورة الواقعة/ الآیة 27، ونصها: ((وَأَصْحابُ الْیَمِینِ ما أَصْحابُ الْیَمِینِ)).

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 159، کتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 124 ـــ 126، أسرار أرکان الصلاة وآدابها، الفصل الثانی فی المقارنات،فی أسرار القراءة ووظائفها. أسرار العبادات،الفیض الکاشانی: 116 _ 117، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنویة لدعاء الاستفتاح.

4- سورة المؤمنون/ 2. ونصها: ((الَّذِینَ هُمْ فِی صلاتِهِمْ خاشِعُونَ)).

5- سورة الماعون/ 4 ـــ 5.

6- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی:1/349، کتاب أسرار الصلاة، فضیلة الخشوع ومعناه.

وقال تعالى: ((لا تَقْرَبُواْ الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكارى حَتّى تَعْلَمُواْ ما تَقُولُونَ))(1) وفيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بيَّن فيه العلة(2).

وقال تعالى: ((وَلا تَكُن مِنَ الْغافِلِينَ))(3) وقال تعالى: ((أَقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِى))(4).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»(5).

وقال عليه السلام(6): «إذا صليت فريضة فصلَّ لوقتها صلاة مودع تخاف أن لا تعود فيها»(7).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»(8).

1- سورة النساء/ 43.

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 1/349، كتاب أسرار الصلاة، فضيلة الخشوع ومعناه.

3- سورة الأعراف/ 205.

4- سورة طه/ 14.

5- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور الأحسائى: 1/ 322، الباب الأول فى الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه/ ح59. ونصه: «من صلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشىء من أمور الدنيا غفر الله له ذنوبه».

6- الإمام الصادق عليه السلام.

7- : أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابورى: 2/ 317، مجلس فى ذكر فضائل الصلاة.

8- المحاسن، البرقى: 1/ 261، باب 33 النية، ذيل الحديث. وفيه النص: «لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه». وورد كما فى المتن فى المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 1/ 359، كتاب أسرار الصلاة، فضيلة الخشوع و معناه.

وقال الصادق علیه السلام: «من قبل الله منه صلاة واحدة لم یعذبه، ومن قبل منه حسنة لم یعذبه»(1).

وروی أن إبراهیم الخلیل علیه السلام: «کان یسمع تأوهه علی حد میل، وکان فی صلاته یسمع له أزیز کأزیز المرجل(2)»(3).

وکان الحسن علیه السلام إذا فرغ من وضوئه تغیر لونه، فقیل له فی ذلک فقال: «حق علی من أراد أن یدخل علی ذی العرش أن یتغیر لونه(4). وروی نحوه عن السجاد علیه السلام»(5).

وعنه علیه السلام(6) أنه کان إذا توضأ اصفر لونه، فتقول(7) له أهله: ما هذا الذی یعتادک عند الوضوء؟ فیقول: «أتدرون بین یدی من أرید أن أقوم»(8).

ورآه رجل یصلی(9) فسقط رداؤه عن منکبه فلم یسوه حتی فرغ من صلاته فسأله عن ذلک فقال: «ویحک أتدری بین یدی من کنت؟ إن العبد لا

1- الکافی، الکلینی: 3/ 266، کتاب الصلاة، باب فضل الصلاة/ ح11. ذخیرة المعاد، المحقق السبزواری: 2/ 182، کتاب الصلاة.

2- قال أبو عبید: فی حدیثه علیه السلام: أنه کان یصلی ولجوفه أزیز کأزیز المرجل من البکاء. قوله: أزیز یعنی غلیان جوفه بالبکاء. غریب الحدیث، ابن سلام: 1/ 221.

3- عدة الداعی، ابن فهد الحلی: 151، الباب الرابع فی کیفیة الدعاء وله آداب.

4- نفس المصدر.

5- نفس المصدر.

6- الإمام زین العابدین علی بن الحسین علیهما السلام.

7- فی المصدر: "فیقول".

8- ینابیع المودة، القندوزی: 154، الباب الخامس والستون.

9- عن أبی حمزة الثمالی، قال: رأیت علی بن الحسین علیه السلام یصلی ... الحدیث.

تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها». فقلت جعلت فداک هلکنا قال علیه السلام: «کلا إن الله یتم ذلک بالنوافل»(1).

وعن الصادق علیه السلام قال: «کان علی بن الحسین(2) إذا قام إلی الصلاة تغیر لونه، وإذا(3) سجد لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقاً(4)»(5).

وعنه علیه السلام(6) قال: «کان أبی(7) یقول: کان علی بن الحسین علیه السلام إذا قام إلی الصلاة کأنه ساق شجرة لا یتحرک منه إلا ما حرکت الریح منه»(8).

ولله در المحقق الفرید والمدقق الوحید الشریف المهدی الطباطبائی رحمه الله(9) حیث

1- أنظر: تهذیب الأحکام، الشیخ الطوسی: 2/ 342، کتاب الصلاة، باب 16 أحکام السهو/ح3.

2- فی فلاح السائل: "کان علی بن الحسین علیه السلام".

3- فی فلاح السائل: "فإذا" بدل "وإذا".

4- حدیث علی بن الحسین علیه السلام: «لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقا»، أی: یسیل ویجری. مجمع البحرین، الشیخ الطریحی: 3/202، مادة "رفض".

5- فلاح السائل، ابن طاووس: 117، أدبه علیه السلام فی السجود.

6- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

7- أی: «الإمام الباقر علیه السلام».

8- أنظر: الکافی، الکلینی: 3/ 300، کتاب الصلاة، باب الخشوع فی الصلاة/ ح4.

9- المهدی الطباطبائی: بحر العلوم: السید محمد مهدی بن العالم السید مرتضی بن العالم الجلیل السید محمد البروجردی الطباطبائی، کان رحمه الله سید علماء الأعلام. ومولی فضلاء الإسلام علامة دهره وزمانه ووحید عصره وأوانه. قال شیخنا فی المستدرک: قد أذعن له جمیع علماء عصره ومن تأخر عنه بعلو المقام والرئاسة النقلیة والعقلیة وسائر الکمالات النفسانیة، حتی إن الشیخ الفقیه الأکبر الشیخ جعفر النجفی مع ما هو علیه من الفقاهة والرئاسة، کان یمسح تراب خفه بحنک عمامته، وهو من الذین تواترت عنه المکرمات ولقاءه الحجة صلوات الله علیه، ولم یسبقه فی هذه الفضیلة احد فیما اعلم إلا السید رضی الدین علی بن طاوس، وقد ذکرنا جملة منها بالأسانید الصحیحة فی کتابنا دار السلام، والجنة المأوی، والنجم الثاقب لو جمعت لکانت رسالة حسنة انتهی. تولد فی الحائر الشریف سنة 1155 هـ. توفی العلامة الطباطبائی بحر العلوم فی النجف الأشرف سنة1212هـ. الکنی والألقاب، الشیخ عباس القمی: 2/ 67 __ 70.

قال فی الدرة(1):

علیک بالحضور والإقبال

فی جملة الأقوال والأفعال

والصدق فی النیة والإخبات

فإنها حقیقة الصلاة

ولی_س للعبد بها م_ا یقبل

إلا ال_ذی ک_ان علیه یقبل

وص_ل بالخضوع والتخشع

وکن إذا صلیت کالمودع

واستعمل الوقار والسکینة

واستحض___ر المقاصد المکنونة

وخذ من الأکم_ام ل_ب الثمرة

واطلب من المعدن أصل الجوهرة

1- الدرة المنظومة فی الفقه خرج منه تمام الطهارة والصلاة إلی صلاة الطواف، لسیدنا بحر العلوم محمد المهدی بن المرتضی بن محمد الطباطبائی البروجردی المتوفی بالنجف (1212) طبع بإیران مکررا. أوله أفتتح المقال بعد البسملة بحمد خیر منعم والشکر له

إياک من قول به تفن_د

فأنت عبد لهواک تعبد

تلهج فی إياک نست_ع_ين

وأنت غير الله تستعين

ينعی علی الب_اطن حسن ما علن

ما أقبح القبيح فی زی حس___ن

ح_س_ن له الباطن فوق الظاهر

واع_بده بالقلب التقی الطاه_ر

وتب إليه وأنب واستغفر

وسدد الطاعة بالتفكر

وقم قيام الماثل الذليل

ما بين أيدی الملک الجليل

واعلم إذا ما قلت ما تقول

ومن تناجی ومن المسؤول(1)

وذكر أبو حامد وغيره(2) أن المعانی الباطنة التی تتم بها حياة الصلاة تجمعها ست جمل، وهی: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم والهيبة، والرجاء، والحياء.

فالأـول: حضور القلب، ونعنی به أن يفرغ القلب من غير مـا هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعـل والقول مقرونـاً بهما، ولا يكون الفكر جاريـاً فی غيرهمـا، ومهمـا انصـرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فی قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلـة عنه فقـد حصل حضور القلب.

الثانی: التفهم، بمعنی الكلام، وهو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنی اللفظ، فاشتمال القلب علی العلم بمعنی اللفـظ هو الـذی أردنـا به التفهم، وهـذا مقـام يتفـاوت فيه النـاس، إذ ليس يشـترک النـاس فی فهم معـانی القرآن والتسبيحات، وكم من معان لطيفة

1- أنظر: مستدرک سفينة البحار، على النمازى: 7/ 65. وقد أورد بعض الأبيات من القصيدة ولم نعثر على نسخة من الدرة لمقابلة ما ورد فى كتابنا مع الأصل.

2- أشرنا فى نهاية الفصل إلى المراجع التى ذكرت النص والمضمون ومؤلفيها فانظر الآتى.

يفهمها المصلی فی أثناء الصلاة ولم تکن قد خطرت بقلبه قبل ذلک. ومن هذا الوجه کانت الصلاة ناهیة عن الفحشاء والمنکر(1)، فإنها تفهم أموراً وتلک الأمور تنهی عن الفحشاء والمنکر لا محالة.

الثالث: التعظیم، وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم، إذ الرجل ربما یخاطب غیره بکلام هو حاضر القلب فیه ومتفهم لمعناه ولا یکون معظماً له.

الرابع: الهیبة، وهی زائدة علی التعظیم، إذ هی عبارة عن خوف منشؤه التعظیم، لأن من لا یخاف لا یسمی هائباً. ثم کل خوف لا یسمی مهابة، بل «الهیبة خوف مصدره الإجلال»(2).

الخامس: الرجاء، فالعبد ینبغی أن یکون راجیاً بصلاته ثواب الله، کما أنه خائف بتقصیره عقاب الله.

ثم الحیاء، ومستنده استشعار تقصیر وتوهم ذنب.

ثم ذکروا أسباب هذه المعانی الستة: فسبب حضور القلب الهمة، فإن قلبک تابع لهمک، فلا یحضر إلا فی ما یهمک، ومهما أهمک أمر حضر القلب شاء أم أبی، فهو مجبول(3) علیه ومسخر فیه، والقلب إذا لم یحضر فی الصلاة لم یکن متعطلاً بل کان حاضراً فی ما الهمة مصروفة إلیه من أمور الدنیا، فلا حیلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلی الصلاة، والهمة لا تنصرف إلیها ما لم یتبین أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلک هو الإیمان والتصدیق بأن ((الآخِرَةُ

1- إشارة إلی قوله تعالی: ((إِنَّ الصّلاةَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاء وَالْمُنکَرِ)) سورة العنکبوت/45.

2- سبل الهدی والرشاد، الشامی: 1/523.

3- جبل الإنسان علی هذا الأمر،أی:طبع علیه. وجبلة الشیء:طبیعته وأصله وما بنی علیه. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 98، مادة "جبل".

خَيْرٌ وَأَبْقى))(1)، وأن الصلاة وسيلة إليه، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة.

وأما التفهم فسببه ـــ بعد حضور القلب ـــ إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر(2) لرفع الخواطر الشاغلة، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها، أعنى النزوع(3) من تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر، «فمن(4) أحب شيئاً أكثر ذكره»(5)، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، ولذلک ترى من أحب غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر.

وأما التعظيم فهى حالة للقلب يتولد من معرفتين: إحداهما معرفة جلال الله وعظمته، وهى من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه. الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً، حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله، فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم

1- سورة الأعلى/ 17.

2- رجل متشمر: ماض فى الحوائج. كتاب العين، الفراهيدى: 6/ 216، مادة "شمر".

3- نزعت الشىء: قلعته. كتاب العين، الفراهيدى: 1/ 357، مادة "نزع".

4- فى التذكرة: "من" بدل "فمن".

5- تذكرة الموضوعات، الفتنى: 199.

والخشوع، فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة.

ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله، لأن القرينة الأخرى _ وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها _ لم تقترن إليه.

وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به، ولو أنه لو أهلک الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة. هـذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأوصـياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع. وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

وأما الرجاء فسـببه معرفـة لطف الله وكرمه وعميم أنعامه ولطائف صـنعه، ومعرفـة صـدقه فى وعده الجنة بالصـلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة.

وأمـا الحيـاء فباستشـعار التقصـير فى العبـادة، وعلمه بـالعجز عن القيـام بعظيم حق الله، ويقوى ذلـک المعرفـة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصـها وخبث دخلتها، وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعاله مع العلم بعظيم ما يقتضـيه جلال الله، والعلم بأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء(1).

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 1/154 ـــ 156، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة. أسرار العبادات، الفيض الكاشانى: 95 ـــ 98، المعانى الباطنة التى بها تتم حياة الصلاة. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 225 ـــ227، الفصل الثانى ست جمل تتم بها حياة الصلاة. جامع السعادات، النراقى: 3/323 ـــ 325، فصل حقيقة الصلاة.

الفصل الحادی والعشرون: فی القراءة

قال أبو حامد: إذ قلت: ((بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ))(1) فانوِ به التبرک لابتداء القراءة بکلام الله؛ وافهم أن معناه أن الأمور کلها بالله، وأن المراد بالاسم هنا هو المسمی، فإذا کانت الأمور بالله فلا جرم کان ((الْحَمْدُ للّهِ))(2)، إذ النعم منه، ومن یری من غیر الله نعمة أو یقصد غیر الله بشکره لا من حیث إنه مسخر من الله ففی تسمیته وتحمیده نقصان بقدر التفاته إلی غیر الله.

فإذا قلت: ((الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ))(3) فأحضر فی قلبک أنواع لطفه تتضح لک رحمته، فینبعث به رجاؤک، ثم استشعر من قلبک التعظیم والخوف بقولک: ((مٰالِکِ يَوْمِ الدِّينِ))(4)، أما العظمة فلأنه لا ملک إلا له، وأما الخوف فلهول یوم الجزاء والحساب الذی هو مالکه.

ثم جدد الإخلاص بقولک: ((إِيّاکَ نَعْبُدُ))(5) وجدد العجز والاحتیاج والتبری من الحول والقوة بقولک: ((وإِيّاکَ نَسْتَعِينُ))(6)، وتحقق أنه ما تیسرت طاعتک إلا بإعانته، وإن له المنة إذ وفقک لطاعته واستخدمک لعبادته، وجعلک أهلا لمناجاته، ولو حرمک التوفیق لکنت من المطرودین مع الشیطان اللعین(7).

1- سورة الفاتحة/ 1.

2- سورة الفاتحة/ 2.

3- سورة الفاتحة/ 3.

4- سورة الفاتحة/ 4.

5- سورة الفاتحة/ 5.

6- سورة الفاتحة، الآیة/ 5.

7- قول أبی حامد فی الإحیاء وتتمته بعد تعلیق المؤلف ذکرنا المصادر التی أوردته نهایة فصل القراءة.

قیل: أتی بصیغة الجمع هضماً لنفسه، و إن عبادته واستعانته لیستا قابلتین فی معرض العدل، فمزج عبادة غیره واستعانته أیضاً فی ذلک، إذ لا تخلو جمیع العبادات من عبادة مقبولة، وتکون عبادته وغیرها کبیع الصفقة لا یرد بعضه، ویقبل بعضه، بل إما یرد الجمیع أو یقبل الجمیع، والله سبحانه أکرم من أن یرد الجمیع فیقبل الجمیع، وهذا من جملة فوائد الصلاة فی أول الوقت والصلاة جماعة، والابتداء فی سؤال الحاجة بالصلاة علی محمد وآله ثم ذکر الحاجة ثم الاختتام بالصلاة، فإن الله أکرم من أن یقبل الطرفین ویرد الوسط(1).

ثم إذا فرغت من التفویض بقولک بسم الله وعن التحمید وعن إظهار الحاجة إلی الإعانة مطلقاً فعین سؤالک ولا تطلب إلا أهم حاجاتک وقل: ((إهدِنَا الصِّرٰاطَ المُستَقِیمَ))(2) الذی یسوقنا إلی جوارک ویفضی بنا إلی مرضاتک، وزده شرحاً وتفصیلاً وتأکیداً واستشهاداً بالذین أنعم علیهم نعمة الهدایة ((مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدٰاء وَالصّالِحِینَ))(3)، دون الذین غضب علیهم من الکفار والمنافقین الزائغین من الیهود والنصاری والصابئین.

فإذا تلوت الفاتحة کذلک فیشبه أن تکون ممن قال الله تعالی فیهم فی ما أخبر عنه النبی صلی الله علیه وآله وسلم: قسمت الصلاة بینی وبین عبدی نصفین نصفها لی ونصفها

1- عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ علیه السلام، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم: «لا تَجْعَلُونِی کَقَدَحِ الرّاکِبِ فإِنَّ الرّاکِبَ یَمْلأُ قَدَحَهُ فَیَشْرَبُهُ إِذَا شاءَ اجْعَلُونِی فِی أَوَّلِ الدُّعاءِ وَفِی آخِرِهِ وَفِی وَسَطِهِ». الکافی، الکلینی:2 / 492، کتاب الدعاء، باب الصلاة علی النبی محمد وأهل بیته الکرام/ح5.

2- سورة الفاتحة/ 6.

3- سورة النساء/ 69.

لعبدی، یقول العبد: ((الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ))(1) فیقول الله: حمدنی عبدی وأثنی علی(2)، وهو معنی قوله: سمع الله لمن حمده ـــ الحدیث إلی آخره.

فإن لم یکن لک من صلاتک حظ سوی ذکر الله فی جلاله وعظمته فناهیک به غنیمة، فکیف ما ترجوه من ثوابه وفضله.

وکذلک ینبغی أن تکون تفهم ما تقرأ من السورة کما یأتی فی باب تلاوة القرآن، فلا تغفل عن أمره ونهیه ووعده ووعیده ومواعظه وأخبار أنبیائه وذکر مننه وإحسانه، فلکل واحد حق، فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعید، والعزم حق الأمر والنهی، والاتعاظ حق الموعظة، والشکر حق ذکر المنة، والاعتبار حق أخبار الأنبیاء. وتکون هذه المعانی بحسب درجات الفهم، ویکون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلک لا تنحصر.

والصلاة مفتاح القلوب، فیها تنکشف أسرار الکلمات. فهذا حق القراءة، وهو حق الأذکار والتسبیحات أیضاً. ثم تراعی الهیئة فی القراءة فترتل ولا تسرد ولا تعجل، فإن ذلک أیسر للتأمل(3).

1- سورة الفاتحة/ 2.

2- أنظر: التبیان، الشیخ الطوسی: 1/ 46، تفسیر سورة الفاتحة. تفسیر مجمع البیان، الطبرسی: 1/ 48، تفسیر سورة الفاتحة. جامع البیان، الطبری: 1/ 128، تفسیر سورة الفاتحة.

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 160، کتاب أسرار الصلاة و مهماتها، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن و شرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 127 ـــ 131، أسرار أرکان الصلاة وآدابها، القسم الثانی فی المقارنات، فی تفصیل ترجمة القرآن و ما یتعلق بها. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 117 ـــ 119، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، تفصیل معانی الذکر فی الصلاة. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 350 ـــ 352، فصل الاستعاذة.

الفصل الثانی والعشرون: فی دوام القیام

قال أبو حامـد: وأما دوام القیام فهو تنبیه علی إقامـة القلب مع الله علی نعت واحد من الحضور. قال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: «إن الله مقبل علی المصلی ما لم یلتفت»(1).

وکما یجب حراسة الرأس والعین عن الالتفات إلی الجهات فکذلک یجب حراسة السـر عن الالتفات إلی غیر الصلاة، فإن التفت إلی غیرها فذکره باطلاع الله علیک، وقبح التهاون بالمناجی عند غفلة المناجی لیعود إلیه.

والزم خشوع القلب، فـإن الخلاص عن الالتفـات باطنـاً وظاهراً ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر. قال صـلی الله علیه وآله وسـلم: «وقد رأی مصلیاً یعبث بلحیته: أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه(2)، فإن الرعیة بحکم الراعی». ولهذا ورد فی الدعاء «اللهم أصلح الراعی والرعیة»(3) وهو القلب والجوارح، کل ذلک یقتضیه الطبع بین یدی من یعظم من أبناء الدنیا فکیف لا یتقاضاه بین یدی ملک الملوک عند من یعرف ملک الملوک.

ومن یطمئن بین یـدی غیر الله خاشـعاً وتضـطرب أطرافه بین یدی الله تعالی فذلک لقصور معرفته عن جلال الله تعالی، وعن اطلاعه علی سره وضمیره، وتدبر قوله تعالی: ((الَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ)) (4).(5)

1- رسائل الشهید الثانی، زین الدین بن علی: 124. وفیه: "علی العبد ما لم یلتفت".

2- بحار الأنوار، المجلسی: 81/ 261، کتاب الصلاة، باب 16 آداب الصلاة/ ح59.

3- جامع السعادات، محمد مهدی النراقی: 3/ 275.

4- سورة الشعراء/ 218 __ 219.

5- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 160 __ 161، کتاب أسرار الصلاة و مهماتها، بیان تفصیل ما ینبغی أن یحضر فی القلب عند کل رکن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 119 __ 120، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنویة للقیام. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 239، الفصل الرابع عشر القیام والخشوع.

الفصل الثالث والعشرون: فی الرکوع

قال(1): وأما الرکوع فینبغی أن تجدد عنده ذکر کبریاء الله تعالی، وترفع یدیک مستجیراً بعفو الله من عقابه، ومتبعاً سنة نبیه صلی الله علیه وآله وسلم، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً برکوعک، وتجتهد فی ترقیق قلبک وتجدید خشوعک، وتستشعر ذلک وعز مولاک واتضاعک وعلو ربک، وتستعین علی تقریر ذلک فی قلبک بلسانک، فتسبح ربک وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من کل عظیم، وتکرر ذلک علی قلبک لتؤکده بالتکرار.

ثم ترتفع عن رکوعک راجیاً أنه راحم ذلک، وتؤکد ذلک الرجاء فی نفسک بقولک: «سمع الله لمن حمده» أی أجاب الله لمن شکره، ثم تردف ذلک بالشکر المتقاضی للمزید، فتقول: ((الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ))(2)_ انتهی(3).

ثم تزید فی الخشوع والتذلل، فتقول: «أهل الکبریاء والعظمة والجود والجبروت»(4).

1- یعنی: أبو حامد الغزالی.

2- سورة الفاتحة/ 2.

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/161، کتاب أسرار الصلاة ومهماتها. أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 134 __ 136، فی وظائف الرکوع. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 120 __ 121، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأبعادها، الآداب المعنویة للرکوع والسجود. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 239 __ 240، الفصل الخامس عشر فی الرکوع. جامع السعادات، النراقی: 3/ 352 __ 353، فصل الرکوع.

4- مصباح المتهجد، الطوسی: 38 فصل فی سیاقة الصلوات الإحدی والخمسین.

وروى الصدوق(1) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن معنى مد العنق فى الركوع؟ فقال: «تأويله آمنت بک ولو ضربت عنقى»(2).

وفى مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «لا يركع لله عبد ركوعاً على الحقيقة إلا زينه الله تعالى بنور بهائه، وأظله فى ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثانى، وفى الركوع أدب وفى السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين»(3).

الفصل الرابع والعشرون: فى السجود

قال أبو حامد: ثم تهوى إلى السجود، وهو أعلى درجات الاستكانة فمكن أعز أعضائک ـــ وهو الوجه ـــ من أذل الأشياء ـــ وهو التراب ـــ، وإن أمكنک أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل، فإنه أجلب للخضوع وأدل على الذل.

1- الصدوق: محمد بن على بن الحسين بن بابويه، أبو جعفر، جليل القدر، حفظة بصير بالفقه و الأخبار، شيخ الطائفة، وفقيهها ووجهها بخراسان، كان ورد بغداد سنة خمس وخمسين و ثلاثمائة، سمع منه شيوخ الطائفة وهو حديث السن، له مصنفات كثيرة لم ير فى القميين مثله فى الحفظ وفى كثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف، مات بالرى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. رجال ابن داود، ابن داود الحلى: 324 ـــ 325 / الرقم 1425.

2- علل الشرائع، الشيخ الصدوق: 2/ 320، باب 10 علة مد العنق فى الركوع. وفيه: "آمنت بوحدانيتک ولو ضربت عنقى".

3- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 89، الباب الأربعون فى الركوع.

وإذا وضعت نفسک موضع الذل فاعلم أنک وضعتها موضعها ورددت الفرع إلی أصله فإنک من التراب خلقت وإليه رددت ، فعند هذا جدد علی قلبک عظمة الله وقل: «سبحان ربی الأعلی» وأكده بالتكرار، فإن المرة الواحدة ضعيفة الآثار، فإذا رق قلبک وطهر لبک فليصدق رجاؤک فی رحمة ربک، فإن رحمته تتسارع إلی الضعف والذل لا إلی التكبر والبطر، فارفع رأسک مكبراً سائلاً حاجتک ومستغفراً من ذنوبک.

ثم أكد التواضع بالتكرار، وعد إلی السجود ثانياً كذلک(1). انتهی.

وروی الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنه سئل ما معنی السجدة الأولی؟ قال: تأويلها «اللهم إنک منها خلقتنا» يعنی من الأرض، وتأويل رفع رأسک منها «ومنها أخرجتنا»، والسجدة الثانية «وإليها تعيدنا» ورفع رأسک منها «ومنها تخرجنا تارة أخری»(2).

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی: 1/ 161، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها. أسرار الصلاة، الشهيد الثانی: 136 __ 140، فی وظائف السجود وأسراره. أسرار العبادات، الفيض الكاشانی: 121 __ 122، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأبعادها، الآداب المعنوية للركوع والسجود. الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 240 __ 241، الفصل الخامس عشر فی الركوع. جامع السعادات، النراقی: 3 / 354 __ 355، فصل الركوع.

2- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 314، أبواب الصلاة وحدودها، باب وصف الصلاة/ ح16. وفيه النص: «سَأَلَ رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: لَهُ يا ابْنَ عَمِّ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ ما مَعْنَی السَّجْدَةِ الأُولی فَقالَ تَأْوِيلُهَا اللَّهُمَّ إِنَّکَ مِنْها خَلَقْتَنا يَعْنِی مِنَ الأَرْضِ، وَتَأْوِيلُ رَفْعِ رَأْسِکَ، وَمِنْها أَخْرَجْتَنا، وَتَأْوِيلُ السَّجْدَةِ الثّانِيَةِ، وَإِلَيْهَا تُعِيدُنا، وَرَفْعِ رَأْسِکَ، وَمِنْهَا تُخْرِجُنا تارَةً أُخْرَی».

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: «ما خسر والله من أتی بحقیقة السجود ولو کان فی العمر مرة واحدة، وما أفلح من خلا بربه فی مثل تلک الحال شبیهاً بمخادع نفسه غافل لاهٍ عما أعـد الله للساجـدین من أنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعد عن الله أبداً من أحسـن تقربه فی السـجود، ولا قرب إلیه أبداً من أساء أدبه وضـیع حرمته بتعلیق قلبه بسواه فی حال سجوده، فاسجد سجود متواضع لله ذلیل علم أنه خلق من تراب یطؤه الخلق، وأنه رکب من نطفة یسـتقذرها کل أحد». وقد جعل الله معنی السجود سبب التقرب إلیه بالقلب والسر والروح، فمن قرب منه بعـد من غیره، ألاـ تری فی الظـاهر أنه لاـ یسـتوی حـال السـجود إلا بالتواری عن جمیع الأشـیاء والاحتجاب عن کل ما تراه العیون، کـذلک أمر الباطن، فمن کان قلبه متعلقاً فی صـلاته بشـیء دون الله فهو قریب من ذلک الشـیء بعید عن حقیقة ما أراد الله منه فی صلاته. قال الله تعالی: ((مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ)) (1).(2)

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: قال الله تعالی: «لا أطلع علی قلب عبد فأعلم فیه حب الإخلاص لطاعة وجهی وابتغاء مرضاتی إلا تولیت تقویمه وسیاسته، ومن اشتغل فی صلاته بغیری فهو من المستهزئین بنفسه مکتوب اسمه فی دیوان الخاسرین»(3).

1- سورة الأحزاب/ 4.

2- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 91__92، الباب الواحد والأربعون فی السجود.

3- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 91، الباب الواحد والأربعون فی السجود. مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 4/ 483، کتاب الصلاة، أبواب السجود، باب 23 نوادر ما یتعلق بأبواب السجود/ ح2.

الفصل الخامس والعشرون: فی التشهد

قال الشـهید الثانی رحمه الله: إذا جلست للتشـهد بعد هذه الأفعال الدقیقة والأسـرار العمیقة المشـتملة علی الأخطار الجسـیمة والأهوال العظیمة فاستشـعر الخوف التام والرهبة والحیاء والوجل أن یکون جمیع ما سلف منک غیر واقع علی وجهه ولا محصلاً لوظیفته وشرطه ولا مکتوباً فی دیوان المقبولین، فاجعل یدک صـفراً من فوائدها إلا أن یتداررکک الله برحمته ویقبل عملک الناقص بفضله، وارجع إلی مبدأ الأمر وأصل الدین، واستمسک بکلمة التوحید وحصن الله تعالی الذی ((مَن دَخَلَهُ کٰانَ آمِنًا))(1) إن لم یکن حصل فی یدک غیره.

واشهد له بالوحدانیة، وأحضر رسوله الکریم ونبیه العظیم صلی الله علیه وآله وسلم ببالک واشهد له بالنبوة والرسالة، وصل علیه وآله مجدداً عهـد الله بإعـادة کلمتی الشـهادة متعرضـاً بهمـا لتأسـیس مراتب العبادة، فإنهما أول الوسائل وأساس الفواضل وجماع أمر الفضائل، مترقباً لإجابته صلی الله علیه وآله وسلم لک بصلاتک عشراً من صلاته(2) إذا قمت بحقیقة صلاتک علیه التی لو وصل إلیک منها واحدة فلحت أبداً(3).

وفی مصـباح الشـریعة: قال الصادق علیه السـلام: «التشـهد ثناء علی الله، فکن عبداً له فی السر، خاضعاً له فی الفعل، کما أنک له عبد فی القول والدعوی، وصل صدق

1- سورة آل عمران/ 97.

2- إشارة إلی النص الشـریف عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «من صلی علی مرة صلیت علیه عشرا ومن صلی علی عشرا صلیت علیه مائة». تصحیح الاعتقاد، الشیخ المفید: 91.

3- أنظر: أسـرار الصلاة، الشهید الثانی: 141 ـــ 143، وظائف التشـهد وأسراره. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 242، الفصل السابع عشر التشهد.

لسانک بصفاء سرک، فإنه خلقک عبداً وأمرک أن تعبده بقلبک ولسانک وجوارحک، وأن تحقق عبودیتک له بربوبیته لک، وتعلم أن نواصی الخلق بیده، فلیس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشیئته وهم عاجزون عن إتیان أقل شیء فی مملکته إلا بإذنه وإرادته.

ثم قال علیه السلام(1): «فاستعمل العبودیة فی الرضا بحکمته،وبالعبادة فی أداء أوامره، وقد أمرک بالصلاة علی نبیه محمد صلی الله علیه وآله وسلم، فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته، وانظر أن لا تفوتک برکات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلواته»(2).

الفصل السادس والعشرون: فی التسلیم

قال رحمه الله(3): وإذا فرغت من التشهد فأحضر نفسک بحضرة سید المرسلین والملائکة المقربین وبقیة أنبیاء الله وأئمته علیهم السلام: والحفظة لک من الملائکة المحصین لأعمالک، وأحضرهم جمیعاً فی بالک وقل: «السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته»، ولا تطلق لسانک بصیغة الخطاب من غیر حضور المخاطب فی ذهنک، فتکون من العابثین واللاعبین. وکیف یسمع الخطاب لمن لا یقصد لولا فضل الله ورحمته الشاملة ورأفته الکاملة فی اجتزائه بذلک عن أصل الواجب، وإن کان بعیداً عن درجات القبول منحطاً عن أوج القرب والوصول.

وإن کنت إماماً لقوم فأقصدهم السلام مع من تقدم من المقصودین، ولیقصدوا هم الرد علیک أیضاً، ثم یقصدوا مقصدک بسلام ثانٍ، فإذا فعلتم ذلک فقد أدیتم وظیفة السلام، واستحققتم من الله مزید الإکرام(4).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 93 ـــ 94، الباب الثانی والأربعون فی التشهد.

3- أی: "الشهید الثانی زین الدین بن علی".

4- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 143، وظائف السلام وأسراره، التسلیم. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 124، الآداب المعنویة لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنویة للتسلیم. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 243، الفصل الثامن عشر السلام.

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: «معنی السلام فی دبر کل صلاة الأمان، أی من أدی أمر الله وسنة نبیه خالصاً له خاشعاً قلبه فله الأمان من بلاء الدنیا، وبراءة من عذاب الآخرة. والسلام اسم من أسماء الله تعالی أودعه خلقه لیستعملوا معناه فی المعاملات والأمانات والإنصافات، وصدق مصاحبتهم فی ما بینهم وصحة معاشرتهم.

وإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدی معناه فاتق الله، ولیسلم منک دینک وقلبک وعقلک أن لا تدنسها بظلمة المعاصی، ولیسلم حفظتک أن لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منک بسوء معاملتک معهم ثم صدیقک ثم عدوک، فإن لم یسلم منه من هو الأقرب إلیه فالأبعد أولی، ومن لا یضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسلیم، وکان کاذباً فی سلامه وإن أفشاه فی الخلق(1).

1- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 95 ـــ 96، الباب الثالث والأربعون فی السلام . وفیه النص: «قال الصادق علیه السلام: معنی التسلیم فی دبر کل صلاة معنی الأمان أی من أتی بأمر الله تعالی وسنة نبیهصلی الله علیه وآله وسلم خاضعا له خاشعا فیه فله الأمان من بلاء الدنیا والبراءة من عذاب الآخرة والسلام اسم من أسماء الله تعالی أودعه فی خلقه لیستعملوا معناه فی المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصدیق مصاحبتهم ومجالستهم فیما بینهم وصحة معاشرتهم فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدی معناه فاتق الله تعالی ولیسلم دینک وقلبک وعقلک لا تدنسها بظلم المعاصی ولتسلم منک حفظتک لا تبرمهم ولا تملهم وتوحشهم منک بسوء معاملتک معهم ثم مع صدیقک ثم مع عدوک فإن من لم یسلم منه من هو أقرب إلیه فالأبعد أولی ومن لا یضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسلیم وکان کاذبا فی سلامه وإن أفشاه فی الخلق واعلم أن الخلق بین فتن ومحن فی الدنیا إما مبتلی بالنعمة لیظهر شکره وإما مبتلی بالشدة لیظهر صبره والکرامة فی طاعته والهوان فی معصیته ولا سبیل إلی رضوانه ورحمته إلا بفضله ولا وسیلة إلی طاعته إلا بتوفیقه ولا شفیع إلیه لا بإذنه ورحمته».

الباب الثانی: صلاة الجمعة

فی صلاة الجمعة

قال الشـهید الثانی رحمه الله: وتختص صـلاة الجمعة باسـتحضار أن یومها یوم عظیم، وعیدها عید شریف، خص الله به هذه الأمة وجعله وقتـاً شـریفاً لعباده، لیقربهم فیه من جواره ویبعـدهم من طرده وناره، وحثهم فیه علی الإقبال بصالـح الأعمال، وتلافی ما فرط منهم فی بقیة الأسـبوع من الإهمال، وجعل أهم ما یقع فیه من طاعته وما یوجب الزلفی(1) لدیه صـلاة الجمعة، وعبر عنها فی محکم کتابه الکریم بذکر الله، وخصـها من بین سائر الصـلوات التی هی أفضل القربات بالـذکر، فقال سـبحانه: ((یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا نُودِیَ لِلصَّلاٰةِ مِن یَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلیٰ ذِکْرِ اللّهِ وَذَرُوا الْبَیْعَ ذَلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِن کُنتُمْ تَعْلَمُونَ))(2).

وفی هذه الآیة الشریفة من التنبیهات والتأکیدات ما ینتبه له من له حظ من المعانی، ومن أهم رمزها التعبیر عن الصلاة بذکر الله تنبیهاً علی أن الغرض

1- الزلفة والزلفی: القربی والمنزلة. مجمع البحرین، الشیخ الطریحی: 2/ 286، مادة "زلف".

2- سورة الجمعة/ 9.

الأقصى من الصلاة ذكر الله بالقلب و إحضار عظمته بالبال، فإن هذا وأشباهه هو السر فی کون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنکر(1)، وهذا إنما يتم مع التوجه التام إلى الله وملاحظة جلاله الذی هو الذکر الأکبر(2) والکثير(3) على ما ورد فی بعض التفسير(4) فضلاً عن أن يکون ذکراً مطلقاً، فلا جرم وجب الاهتمام بها زيادة على غيرها من الصلوات، والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول فی

1- إشارة إلى قوله تعالى: ((إِنَّ الصّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاء وَالْمُنکَرِ)) سورة العنکبوت/45.

2- إشارة إلى قوله تعالى: ((وَلَذِکْرُ اللَّهِ أَکْبَرُ)) سورة العنکبوت/ 45.

3- إشارة إلى قوله تعالى:((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْکُرُوا اللَّهَ ذِکْرًا کَثِيرًا)) سورة الأحزاب/41.

4- قال الشيخ الطبرسی: "اختلف فی معنى الذکر الکثير: فقيل: هو أن لا ينساه أبدا، عن مجاهد. وقيل: هو أن يذکره سبحانه بصفاته العلى، وأسمائه الحسنى، وينزهه عما لا يليق به. وقيل: هو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أکبر على کل حال، عن مقاتل. وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قالوا: من قالها ثلاثين مرة، فقد ذکر الله ذکرا کثيرا. وعن زرارة وحمران، ابنی أعين، عن أبی عبد الله عليه السلام قال: من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ذکر الله ذکرا کثيرا. وروى الواحدی بإسناده عن الضحاک بن مزاحم، عن ابن عباس قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبی صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد! قل «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أکبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، عدد ما علم، وزنة ما علم، وملء ما علم». فإن من قالها کتب الله له بها ست خصال: کتب من الذاکرين الله کثيرا، وکان أفضل من ذکره بالليل والنهار، وکان له غرسا فی الجنة، وتحاتت عنه خطاياه کما تحات ورق الشجرة اليابسة، وينظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه. تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسی: 8/ 166 ـــ 168، تفسير سورة الأحزاب.

حضـرته والفوز بمخـاطبته، بعـد الإتيـان بمقـدمات الصـلاة من وظـائف اليوم من التنظيف والتطييب والتعمم وحلق الرأس وقص الشارب والأظفار وغير ذلک من السنن(1) بقلب مقبل صاف وعمل مخلص ونية خالصة: كما تعمل ذلک فی لقاء ملک الدنيا.

ولا تقصد بهذه الوظائف حظک من الرفاهية، فتخسـر صـفقتک وتظهر بعد ذلک حسرتک، وكلما أمكنک تكثير المطالب التی يترتب عليها الثواب بعملک فاقصدها يضاعف ثواب عملک بقصدها إن أمكنک ذلک(2).

1- أنظر فی الآداب والسـنن وتفصـيلها وما ورد فيهما: حليـة المتقين، العلامة المجلسـی. جامع أحاديث الشـيعة، البروجردی: الجزء 20 و21.

2- أنظر: أسـرار الصلاة، الشهيد الثانی: 201 ـــ 203، البحث الثانی، أسـرار صلاة الجمعة. أسرار العبادات، الفيض الكاشانی: 162 ـــ 164، الباب الخامس فی صـلاة الجمعـة وآدابها، آداب الجمعة. الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 244 ـــ 245، الفصل العشرون صلاة الجمعة.

الباب الثالث: صلاة العيدين

فی صلاة العیدین

قال(1): وأما صلاة العیدین(2) فأحضر فی قلبک أنها یوم قسمة الجوائز، وتفرقة الرحمة وإفاضة المواهب علی من قبل صومه وقرباته وقام بوظائفها فأکثر من الخشوع فی صلاتک والابتهال إلی الله تعالی فیها وقبلها وبعدها فی قبول أعمالک والعفو عن تقصیرک، واستشعر الحیاء والخجلة من حیرة الرد وخذلان الطرد، فلیس ذلک الیوم بعید لمن لبس الجدید، وإنما هوعید من أمن الوعید، وسلم من النقاش والتهدید، واستحق بصالح أعماله المزید فاستقبله بما استقبلت به یوم الجمعة من الوظائف وأسباب التهیؤ للإقبال بالقلب علی ربک والوقوف بین یدیه، عسی أن تصلح للمناجاة والخضوع لدیه، ولا تجعل فرحک فیه بما لم تخلق لأجله من متاع الدنیا، بل بکثرة عوائد الله فیه علی من عامله بمتاجر الآخرة(3).

1- أی: الشهید الثانی زین الدین بن علی.

2- العیدین: الفطر والأضحی.

3- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 210 __ 211، أسرار صلاة العید ووظائفها. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 169 __ 170، الباب السادس فی سائر الصلوات، الصلوات المفروضة، صلاة العیدین. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 245 __ 246، الفصل الحادی والعشرون صلاة العیدین. جامع السعادات، النراقی: 3/ 361، فصل ما ینبغی فی صلاة الجمعة والعیدین.

الباب الرابع: صلاة الآيات

فی صلوة الآیات

قال(1): وأما الآیات(2) فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها، وتکویر الشمس والقمر وظلمة القیامة ووجل الخلائق وخوفهم من الأخذ والنکال والعقوبة والاستئصال(3)، فأکثر من الدعاء والابتهال بمزید الخضوع والخشوع والخوف والوجل فی النجاة من تلک الشدائد، ورد النور بعد الظلمة والمسامحة علی الهفوة والزلة.

وتب إلی الله من ذنوبک وأحسن التوبة عسی أن ینظر إلیک، وأنت منکسر النفس مطرق الرأس مستح من التقصیر، فیقبل توبتک ویسامح هفوتک(4).

1- أی: الشهید الثانی زین الدین بن علی.

2- أی: صلاة الآیات.

3- قال الطریحی: استأصل الله الکفار، أی: أهلکهم جمیعا. واستأصل الشیء: إذا قطعه من أصله. مجمع البحرین، الطریحی: 1/79، مادة "أصل".

4- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 211 ـــ 212، فی أسرار صلاة الآیات. أسرار العبادات، الفیض الکاشانی: 170 ـــ 171، الباب السادس فی سائر الصلوات، صلاة الآیات. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 246، الفصل الثانی والعشرون صلاة الآیات. جامع السعادات، النراقی: 3/ 362، فصل ما ینبغی للمؤمن عند ظهور الآیات.

قال السجاد علیه السلام: «لا یفزع للآیتین ولا یرهب إلا من کان من شیعتنا، فإذا کان ذلک منهما فافزعوا إلی الله(1) وراجعوه»(2).

وقال الرضا علیه السلام: «إنما جعلت للکسوف صلاة لأنه من آیات الله تعالی، لا یدری لرحمة ظهرت أم لعذاب، فأحب النبی صلی الله علیه وآله وسلم أن تفزع أمته إلی خالقها وراحمها عند ذلک لیصرف عنهم شرها ویقیم مکروهها، کما صرف عن قوم یونس حین تضرعوا إلی الله عزّوجل»(3).

1- فی الفقیه: "الله تعالی".

2- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/540، أبواب الصلاة وحدودها، باب صلاة الکسوف والزلازل والریاح والظلم وعلتها/ ذیل الحدیث 1.

3- أنظر: وسائل الشیعة، محمد بن الحسن الحر العاملی: 7/ 483، کتاب الصلاة، أبواب صلاة الکسوف والآیات، باب 1 وجوبها لکسوف الشمس وخسوف القمر/ ح3.

الباب الخامس: قراءة القرآن

فی قراءة القرآن

قـال الله تعالی:((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً))(1). قال أمیر المؤمنین علیه السـلام: «أی بینه تبیاناً ولا تهـذه هـذ الشـعر ولا تنثره نثر الرمل، ولکن اقرعوا قلوبکم القاسیة، ولا یکن هم أحدکم آخر السورة»(2).

وقال الله تعالی: ((لَوْ أَنزَلْنَا هـذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْیَةِ اللّهِ))(3). ونری أنفسـنا الشقیة تتلوه وتقرؤه ولا تخشع قلوبنا ولا تتصدع فکنا کما قال تعالی: ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُم))(4) فکانت ((کَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً))(5).

1- سورة المزمل/ 4.

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/614، کتـاب فضل القرآن، باب ترتیل القرآن بالصوت الحسن/ح1. وسائل الشیعة، الحر العاملی: 6/ 207، أبواب قراءة القرآن ولو فی غیر الصلاة، باب 21 استحباب ترتیل القرآن وکراهة العجلة به/ ح1.

3- سورة الحشر/ 21.

4- سورة البقرة/ 74.

5- سورة البقرة/ 74.

وقال الصادق علیه السلام: «القرآن(1) نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن»(2).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «أتلوا القرآن وابکوا، فإن لم تبکوا فتباکوا»(3).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: «من قرأ القرآن ولم یخضع له ولم یرق قلبه ولم ینشئ حزنا ووجلا فی سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبیناً.

فقارئ القرآن یحتاج إلی ثلاثة أشیاء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فر منه الشیطان الرجیم، وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا یعترضه عارض فیحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالیاً واعتزل من الخلق بعد أن أتی بالخصلتین الأولیتین استأنس روحه وسره بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحین، وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون کراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب کأساً من هذا المشرب(4) فحینئذ لا یختار علی ذلک الحال حالاً ولا علی ذلک الوقت وقتاً، بل یؤثره علی کل طاعة وعبادة، لأن فیه المناجاة مع الرب بلا واسطة.

فانظر کیف تقرأ کتاب ربک ومنشور ولایتک، وکیف تجیب أوامره ونواهیه، وکیف تمثل حدوده، فإنه کتاب عزیز ((لا یَأْتِیهِ الْبٰاطِلُ مِن بَیْنِ یَدَیْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِیلٌ مِنْ حَکِیمٍ حَمِیدٍ))(5).

1- فی الکافی: "إن القرآن".

2- الکافی، الکلینی: 2/614، کتاب فضل القرآن، باب ترتیل القرآن بالصوت الحسن/ ح2.

3- تفسیر الصافی، الفیض الکاشانی: 3/ 286، تفسیر سورة مریم/ ح58.

4- المشرب: الماء الذی یشرب. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 489، مادة "شرب".

5- سورة فصلت/ 42.

فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر فی أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتک حروفه فی إضاعة حدوده(1).

وقال أبو حامد ما ملخصه: ينبغی لتالی القرآن من أمور باطنة:

منها: فهم عظمة الكلام وعلوه، وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه فی نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه.

ومنها: التعظيم للمتكلم، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغی أن يحضر فی قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن فی تلاوة كلامه غاية الخطر، فإنه تعالى قال: ((لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ))(2)، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان منقطعاً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح للمس المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب.

ومنها: حضور القلب وترک حديث النفس، وهذا يتولد من التعظيم فإن المعظم للكلام الذی يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففی القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالی أهلاً له، فكيف يطلب الأنس بالفكر فی غيره وهو فی متنزه.

ومنها: التدبر، وهو وراء حضور القلب، فإنه قد لا يتفكر فی غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبر، المقصود من القراءة التدبر، قال تعالى: ((أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها))(3) ولذلک سن

1- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 28 ـــ 29، الباب الثانی عشر فی قراءة القرآن.

2- سورة الواقعة/ 79.

3- سورة محمد/ 24.

فيه الترتيل(1)، لأـن الترتيـل فى الظاهر تمكن من التـدبر فى الباطن. قال أمير المؤمنين عليه السـلام: «لا خير فى عبادة لا فقه فيها، ولا فى قراءة لا تدبر فيها» (2). وإذا لـم يتمكن من التدبر إلا بالترديد فليردد.

ومنها: التفهم، وهو أن يسـتوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وأحوال أنبيائه والمكذبين لهم وأوامره وزواجره والجنة والنار.

ومنها: التخلى عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسـباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم نجائب(3) أسـرار القرآن. قـال النـبى صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «لولاـ أن الشـياطين يحومـون على قلـوب بنى آدم لينظروا(4) إلى الملكوت»(5)، ومعانى القرآن من جملة الملكوت لأنها إنما تدرک بنور البصيرة دون الحواس.

1- الترتيل فى القراءة: الترسل فيها والتبيين بغير بغى. الصحاح، الجوهرى: 4/ 1704، مادة "رتل".

2- الكافى، الكلينى: 1/ 36، كتاب فضل العلم، باب صـفة العلماء/ ح3 . وفيه النص: «قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السـلام أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ مَنْ لَـمْ يُقَنِّطِ النّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَـمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذابِ اللَّهِ وَلَـمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِى مَعاصِى اللَّهِ وَلَـمْ يَتْرُکِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ أَلا لا خَيْرَ فِى عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ أَلا لا خَيْرَ فِى قِراءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ أَلا لا خَيْرَ فِى عِبادَةٍ لَيْسَ فِيها تَفَكُّرٌ. وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى أَلا لا خَيْرَ فِى عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ أَلا لا خَيْرَ فِى قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ أَلا لا خَيْرَ فِى عِبادَةٍ لا فِقْهَ فِيهَا أَلا لا خَيْرَ فِى نُسُکٍ لا وَرَعَ فِيهِ».

3- نجائب القرآن، أى: أفضله و محضه. تاج العروس، الزبيدى: 1/ 478.

4- فى الرسائل: "لنظروا".

5- رسائل الشهيد الثانى، زين الدين بن على: 138، أسرار الصلاة.

وحجب الفهم أربعة أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فيكون تأملهم مقصوراً على مخارج الحروف، وهذا من تسويلات(1) الشيطان.

ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر، ومبتلى على الجملة بهوىً فى الدنيا مطاع، فإن ذلک سبب ظلمة القلب وصدؤه، وهو كالخبث(2) على المرآة.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل، وأن ما وراء ذلک التفسير بالرأى ولم يعلم أن القرآن له معان كثيرة وبطون وبطون وبطون(3).

ومنها: التخصيص، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه هو المأمور والمنهى، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلک، وإن سمع موعظة اتعظ أو عبرة اعتبر، وهكذا.

1- سولت له نفسه أمرا، أى: زينته له. الصحاح، الجوهرى: 5/ 1733، مادة "سول".

2- الخبث، بفتح الخاء والباء: ما تنفى النار من ردىء الفضة والحديد. غريب الحديث، ابن سلام: 2/ 192.

3- عن جابر بن يزيد الجعفى قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شى ء من التفسير فأجابنى ثم سألته عنه ثانية فأجابنى بجواب آخر فقلت جعلت فداک كنت أجبتنى فى هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال: «يا جابر إن للقرآن بطنا و للبطن بطنا وله ظهر وللظهر ظهر يا جابر ليس شى ء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية يكون أولها فى شى ء وآخرها فى شى ء وهو كلام متصل منصرف على وجوه». المحاسن، البرقى: 2/ 300، كتاب العلل/ ح5.

ومنها: التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فی الرحمة والمغفرة والعذاب ونحو ذلک.

ومنها: الترقی، وهو أن يترقی إلی أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث: أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرأ علی الله تعالی واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق(1) والتضرع(2) والابتهال(3)، ثم أن يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بأنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم، ثم أن يری فی الكلام المتكلم وفی الكلمات الصفات، فلا ينظر إلی نفسه ولا إلی قراءته، ولا إلی تعلق الأنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل يكون مقصور الهم علی المتكلم بوقوف الفكر عليه، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره، وهذه درجة المقربين، وما قبلها من درجات أصحاب اليمين(4)، وما عداها من درجة الغافلين. وعن الدرجة العليا

1- تلين له: تملق. مختار الصحاح، الرازی: 313، مادة "لين".

2- عن أبی المقدام السلمی، قال: تضرع الرجل لصاحبه، وتصرع : إذا ذل واستخذی. لسان العرب، ابن منظور: 8/200، مادة "صرع".

3- قال خالد بن جنبة: ابتهل فی الدعاء إذا كان لا يفرط عن ذلک ولا يثجو، قال: لا يثجو: لا يسكت عنه. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 82، مادة "بهر".

4- وردت العديد من النصوص فی بيان معنی أصحاب اليمين، منها: عن أبی جعفر عليه السلام: نحن وشيعتنا. تفسير فرات، فرات الكوفی: 513، تفسير سورة المدثر/ ح670. وعن الباقر عليه السلام أيضا، قال: شيعة علی والله هم أصحاب اليمين. تفسير فرات، فرات الكوفی: 514، تفسير سورة المدثر/ ح672. قال القمی: اليمين علی أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه شيعته. تفسير القمی، علی بن إبراهيم:2 / 348، تفسير سورة الواقعة.

أخبر الإمام الصادق عليه السلام فی ما روی عنه فقال: «والله(1) لقد تجلی الله لخلقه فی کلامه ولکن لا یبصرون»(2).

ومنها: التبری، وهو أن یتبری من حوله وقوته والالتفات إلی نفسه بعین الرضا والتزکیة، فإذا تلا آیات الوعد والمدح للصالحین فلا یشهد نفسه عند ذلک بل یشهد الموقنین والصدیقین فیها. ویتشوق أن یلحقه الله بهم، وإذا تلا آیة المقت(3) وذم العصاة والمقصرین شهد نفسه هناک وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً، وإلی هذا أشار أمیر المؤمنین علیه السلام فی الخطبة التی یصف فیها المتقین بقوله: وإذا مروا بآیة فیها تخویف أصغوا إلیها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفیر جهنم فی آذانهم(4)، فإذا رأی نفسه بصورة التقصیر فی القراءة کانت رؤیته سبب قربه، وحیث یتلو آیات الرحمة ویغلب علی حاله الاستبشار تنکشف له صورة الجنة فیشاهدها کأنه یراها عیاناً، وإن غلب علیه الخوف کوشف بالنار حتی یری أنواع عذابها، وهکذا(5).

1- لیس فی العوالی "والله".

2- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور:4 / 116، الجملة الثانیة فی الأحادیث المتعلقة بالعلم وأهله/ح181.

3- سورة النساء/ 22. ونصها: ((هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الأَْرْضِ فَمَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ وَلا یَزِیدُ الْکافِرِینَ کُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّ مَقْتاً وَلا یَزِیدُ الْکافِرِینَ کُفْرُهُمْ إِلاّ خَساراً)).

4- تحف العقول، الحرانی: 159، وصف أمیر المؤمنین علیه السلام للمتقین. وفی الخطبة : «وظنوا أن زفیر جهنم وشهیقها فی أصول آذانهم».

5- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 263 __ 271، کتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثالث فی أعمال الباطن فی التلاوة. الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 249 __ 260، الباب الرابع فی تلاوة القرآن. جامع السعادات، النراقی: 3/367 __ 378، المقصد الرابع تلاوة القرآن.

الباب السادس: آداب الدعاء

فی آداب الدعاء

العمدة فی آدابه الإقبال بالقلب، لأن من لا یقبل علیک لا یستحق إقبالک علیه، کما لو حادثک من تعلم غفلته عن محاورتک وإعراضه عن مجاورتک، فإنه یستحق إعراضک عن خطابه واشتغالک عن جوابه.

قال الصادق علیه السلام: من أراد أن ینظر منزلته عند الله فلینظر منزلة الله عنده، فإن الله ینزل العبد مثل ما ینزل العبد الله من نفسه(1).

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لا یقبل الله دعاء لاهٍ(2)»(3).

ومن جملة آدابه تسمیة الحاجة، والتعمیم فی الدعاء، والبکاء حالته، والاعتراف بالذنب قبل السؤال، والتقدم فی الدعاء قبل الحاجة إلیه، وأن لا یعتمد فی حوائجه علی غیر الله، وأن لا یلحن فی الدعاء(4).

1- عدة الداعی، ابن فهد الحلی: 180، الثانی عشر الإقبال بالقلب.

2- فی العدة لابن فهد: "دعاء قلب لاه".

3- المصدر السابق.

4- أنظر فی آداب الدعاء مفصلا: عدة الداعی، ابن فهد الحلی: 143 ـــ 244، الباب الرابع فی کیفیة الدعاء وله آداب.

وعن الصادق علیه السلام قال: إحفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو وکیف تدعو ولماذا تدعو، وحقق عظمة الله وکبریاءه، وعاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک واطلاعه علی سرک وما کمن فیه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتک وهلاکک کی لا تدعو الله بشیء عسی فیه هلاکک وأنت تظن أن فیه خیراً وتفکر ماذا تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الکل منک للحق وتذویب المهجة فی مشاهدة الرب، وترک الاختیار جمیعاً، وتسلیم الأمور کلها ظاهرها وباطنها إلی الله، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فإنه یعلم السر وأخفی، فلعلک تدعوه بشیء علم من نیتک بخلاف ذلک.

واعلم أنه لو لم یکن أمرنا الله بالدعاء لکنا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علینا بالإجابة، فکیف وقد ضمن ذلک لمن أتی بشرائط الدعاء، قال: فإذا أتیت بما ذکرت لک من شرائط الدعاء وأخلصت سرک لوجهه فأبشر بإحدی ثلاث: إما أن یعجل لک بما سألت، أو یدخر لک ما هو أعظم منه، وإما أن یصرف عنک من البلاء ما أن لو أرسله علیک لهلکت(1).

1- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 132 ـــ 134، الباب 62 فی الدعاء. وفیه النص: «قال الصادق علیه السلام: احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو کیف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وکبریاءه وعاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک واطلاعه علی سرک وما تکن وما تکون فیه من الحق والباطل واعرف طرق نجاتک وهلاکک کیلا تدعو الله تعالی بشی ء عسی فیه هلاکک وأنت تظن أن فیه نجاتک قال الله تعالی: ((وَیَدْعُ الإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَیْرِ وَکانَ الإِنْسانُ عَجُولاً))سورة الإسراء/ 11. وتفکر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة الکل منک للحق وتذویبا لمهجة فی مشاهدة الرب وترک الاختیار جمیعا وتسلیم الأمور کلها ظاهرا وباطنا إلی الله تعالی فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنظر الإجابة فإنه یعلم السر وأخفی فلعلک تدعوه بشی ء قد علم من سرک خلاف ذلک قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر وأنا أنتظر الحجر واعلم أنه لو لم یکن الله أمرنا بالدعاء لکان إذا أخلصنا الدعاء تفضل علینا بالإجابة فکیف قد ضمن ذلک لمن أتی بشرائط الدعاء وسئل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلمعن اسم الله الأعظم، فقال صلی الله علیه وآله وسلم کل اسم من أسماء الله أعظم ففرغ قلبک عن کل ما سواه وادعه تعالی بأی اسم شئت فلیس لله فی الحقیقة اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهار، قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم إن الله لا یستجیب الدعاء من قلب لاه، قال الصادق علیه السلام إذا أراد أحدکم أن لا یسأل ربه إلا أعطاه فلییأس من الناس کلهم ولا یکن رجاه إلا من عند الله عزّوجل فإذا علم الله تعالی ذلک من قلبه لم یسأله شیئا إلا أعطاه فإذا أتیت بما ذکرت لک من شرائط الدعاء وأخلصت سرک لوجهه فأبشر بإحدی ثلاث إما أن یعجل لک ما سألت وإما أن یدخر لک ما هو أفضل منه وإما أن یصرف منک من البلاء ما لو أرسله إلیک لهلکک، قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم، قال الله تعالی: من شغله ذکری عن مسألتی أعطیته أفضل ما أعطی للسائلین. قال الصادق علیه السلام لقد دعوت الله مرة فاستجاب لی ونسیت الحاجة لأن استجابته بإقباله علی عبده عند دعوته أعظم وأجل مما یرید منه العبد ولو کانت الجنة ونعیمها الأبدی ولیس یعقل ذلک إلا العاملون المحبون العارفون صفوة لله وخواصه».

وروى عن الصادق عليه السلام أنه قرأ ((أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعٰاهُ))(1) فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه، وتسألون ما لا تفهمونه(2).

1- سورة النمل/ 62.

2- الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 248، الفصل الثالث والعشرون التعقيب والدعاء وآداب الداعى.

الباب السابع: أسرار الزكاة والمعروف

فی أسرار الزکاة والمعروف

قال بعض العارفین(1): السر فی إیجاب الزکاة وإنفاق المال امتحان العبد، وفیه ثلاثة معانٍ:

1- هو: الفیض الکاشانی: الکاشی (1008 هـ ـــ 1090 هـ = 1600م _ 1680 م) محسن بن مرتضی بن فیض الله محمود الکاشی: مفسر من علماء الإمامیة ورد اسمه "محسن بن مرتضی" و "محسن بن محمد" و "محمد محسن" وقیل له "الفیض" وعرف جده بفیض الله وبالفیض. وجاءت نسبته "الکاشی" و"الکاشانی" و"القاشانی" ویقال له: ملا محسن فیض الکاشی، وینعت بالمتأله الحکیم، من أهل کاشان. قرأ کتب أبی حامد الغزالی وتأثر به وسلک منهجه فی کثیر من "تصرفاته وتظرفاته" کما یقول صاحب الروضات. له نحو 80 مصنفا، بعضها فی مجلدات. وأکثرها تعلیقات ورسائل. دونها فی فهرست شرح به موضوع کل منها. ومن کتبه "الصافی فی تفسیر کلام الله الوافی والأصفی، مختصره، والأصول الأصلیة ونضد الإیضاح مع فهرس الطوسی، ومنهاج النجاة والحقائق فی محاسن الأخلاق ومعتصم الشیعة والوافی، فی علوم الدین، وعین الیقین. أعلام، الزرکلی:5/290. حیث تجد تمام البحث مأخوذ من الحقایق فی محاسن الأخلاق وأشرنا إلی المصدر نهایة الباب.

المعنى الأول: إن التلفظ بكلمتى الشـهادة التزام التوحيد وشهادة بإقرار المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلک أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحـد الفرد، فـإن المحبـة لا تقبل الشـركة، والتوحيـد باللسان قليل الجـدوى، وإنما تمتحن درجـة الحب بمفارقـة المحبوبات، والأموال محبوبـة عنـد الخلق لأنها آلـة تنعمهم بالـدنيا وبسـببها يأنسون بهـذا العالـم ويفرون من الموت مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب، واستنزلوا عن المال الذى هو مرقومهم(1) ومعشوقهم، ولذلک قال الله تعالى: ((إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ))(2).

والمعنى الثانى: التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه(3). وقال الله عزّوجل: ((وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))(4).

وإنما تزول صـفة البخل بأن يتعود بـذل المال، فحب الشـىء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصـير ذلک اعتياداً، فالإنفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من حيث البخل المهلک، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

1- كتـاب مرقوم: بينت حروفه بالتنقيط. العين، الفراهيـدى: 5/159، مادة "رقم". الرقم: الكتابـة والختم. الصـحاح، الجوهرى: 5/ 1935، مادة "رقم".

2- سورة التوبة/ 111.

3- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور: 1/ 273، الفصل العاشر فى أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح96.

4- سورة الحشر/ 9.

والمعنى الثالث: شكر النعمة، فإن لله على عبده نعمة فى نفسه وماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال. وما أخسَّ(1) من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى فى إغنائه عن السؤال(2).

وينبغى للمنفق أن يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن حذراً من إغواء(3) الشيطان اللعين، وأن لا يحوج الفقير إلى السؤال، فورد أنه مكافأة لوجهه المبذول(4) وثمن ما أخذ منه وليس بمعروف، ويتحرى الأوقات الشريفة

1- الخسيس: الدنىء. الصحاح، الجوهرى: 3 / 922، مادة "خسس".

2- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 264 _ 265، الباب الخامس، الفصل الثانى السر فى إيجاب الزكاة.

3- أغواه الشيطان: أضله. و المغوى: الذى يحمل الناس على الغواية والجهل. وغوى يغوى من باب ضرب: انهمك فى الجهل، وهو خلاف الرشد، والاسم الغواية بالفتح . مجمع البحرين، الطريحى: 3/ 341، مادة "غوى".

4- عَنْ إِسْحاقَ بْنِ إِبْراهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا مِنْ مَوَالِيكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ تَعْرِفُ مُوَالاَتِى إِيّاكُمْ وَبَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شُقَّةٌ بَعِيدَةٌ وَقَدْ قَلَّ ذاتُ يَدِى وَلا أَقْدِرُ أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلى أَهْلِى إِلاّ أَنْ تُعِينَنِى قالَ فَنَظَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَمِيناً وَشِمَالاً وَقالَ أَلا تَسْمَعُونَ ما يَقُولُ أَخُوكُمْ إِنَّما الْمَعْرُوفُ ابْتِداءٌ فَأَمَّا ما أَعْطَيْتَ بَعْدَ ما سأَلَ فَإِنَّمَا هُوَ مُكافَأَةٌ لِمَا بَذَلَ لَكَ مِنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قالَ فَبِيتُ لَيْلَةً مُتَأَرِّقاً مُتَمَلْمِلاً بَيْنَ الْيَأْسِ وَالرَّجاءِ لا يَدْرِى أَيْنَ يَتَوَجَّهُ بِحاجَتِهِ فَيَعْزِمُ عَلى الْقَصْدِ إِلَيْكَ فَأَتَاكَ وَقَلْبُهُ يَجِبُ وَفَرائِصُهُ تَرْتَعِدُ وَقَدْ نَزَلَ دَمُهُ فِى وَجْهِهِ وَبَعْدَ هَذا فَلا يَدْرِى أَيَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ بِكآبَةِ الرَّدِّ أَمْ بِسُرُورِ النُّجْحِ فَإِنْ أَعْطَيْتَهُ رَأَيْتَ أَنَّكَ قَدْ وَصَلْتَهُ وَقَدْ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَما يَتَجَشَّمُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيّاكَ أَعْظَمُ مِمّا نالَهُ مِنْ مَعْرُوفِكَ قالَ فَجَمَعُوا لِلْخُراسانِيِّ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ. مستدرک الوسائل، النورى: 7/ 236، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة/ ح1.

والأمكنة المنيفة(1) كمكة والمدينة والمشاهد وشهر رمضان وذى الحجة ويوم الغدير، وأن يسر فى المستحب بحيث لا تدرى شماله ما تعطى يمينه قال الصادق عليه السلام: الصدقة فى السر والله أفضل من الصدقة فى العلانية(2).

وكان عليه السلام(3) إذا صلى العتمة(4) وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه بينهم ولا يعرفونه، فلما مضى عليه السلام فقدوا ذلک وعلموا أنه كان أبا عبد الله عليه السلام(5).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: صدقة السر تطفئ غضب الرب(6).

وقال الصادق عليه السلام: كل ما فرض الله عليک فإعلانه أفضل من إسراره، وكلما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه(7).

1- طود منيف، أى: عال مشرف. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 5/ 141، مادة "نيف".

2- الكافى، الكلينى: 1/ 333، كتاب الحجة، باب نادر فى حال الغيبة/ ح2.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- العتمة: وقت صلاة العشاء، قال الخليل: العتمة، الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق، وقد عتم الليل من باب ضرب، وعتمت ظلامه وأعتمنا من العتمة كأصبحنا من الصبح، وعتم تعتيما سار فى ذلک الوقت. مختار الصحاح، الرازى: 218، مادة "عتم".

5- أنظر: الكافى، الكلينى: 4/ 8، كتاب الزكاة، باب صدقة الليل/ ح1.

6- دعائم الإسلام، المغربى: 2/331، كتاب العطايا، الفصل 4 ذكر فضل الصدقة/ح1249.

7- تفسير كنز الدقائق، المشهدى: 1/ 657، تفسير سورة البقرة.

وسئل النبی صلی الله علیه وآله وسلم: أی الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدق(1) وأنت صحیح شحیح تأمل البقاء وتخشی الفاقة(2)، ولا تمهل حتی إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان کذا ولفلان کذا(3).

وینبغی أن تستصغر الإعطاء لیعظم عند الله تعالی وهو یذکر التوفیق والثواب. قال الصادق علیه السلام: رأیت المعروف لا یصلح إلا بثلاث خصال: تصغیره، وستره، وتعجیله. فإنک إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إلیه، فإذا(4) سترته تممته، وإذا عجلته هنأته، وإن کان غیر ذلک محقته(5).(6)

وأن یعطی الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة. قال تعالی: ((لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّی تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ))(7) وقال تعالی: ((أَنفِقُواْ مِن طَیِّبَاتِ مَا کَسَبْتُمْ))(8)، وأن یقبل یده بعد الإعطاء، فقد ورد أن الله تعالی یأخذها قبل أن تقع فی ید السائل(9)، فإنه عزّوجل

1- فی الأمالی: "تصدق".

2- فی الأمالی: "تأمل البقاء وتخاف الفقر".

3- الأمالی، الشیخ الطوسی: 398، المجلس 14/ ح34.

4- فی المکارم: "وإذا".

5- فی المکارم: "محقته ونکدته".

6- مکارم الأخلاق، الطبرسی: 136، الباب 7 فی الأکل والشرب، الفصل الأول فی فضل إطعام الطعام.

7- سورة آل عمران/ 92.

8- سورة البقرة / 267.

9- کان زین العابدین علیه السلام یقبل یده عند الصدقة و سئل عن ذلک فقال علیه السلام إنها تقع فی ید الله قبل أن تقع فی ید السائل. عدة الداعی، ابن فهد الحلی: 68، الباب الثانی، القسم السادس ما یرجع إلی الفعل کأعقاب الصلاة.

((يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ))(1)، وأن يلتمس الـدعاء من الآخذ، فقد ورد أن دعاءه يسـتجاب فيه(2)، وأن يصـرف إلى من فى إعطائه أكثرية الأجر كالأرحام والعلماء والصلحاء(3)، ولا يرد السائل إلا بلطف، فورد: أكرم السائل ببذل يسـير أو برد جميل(4)، ولا يحتقر ما عنده، فورد: لا تستحيوا(5) من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه(6).

ويجتنب المن والأذى كما قال تعالى: ((ولا تُبْطِلُواْ(7) صَدَقاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذى))(8). والمن: أن يرى نفسه محسناً(9)، بل المحسن هو القابض لإيصاله إلى

1- سورة التوبة / 104.

2- قال زين العابدين عليه السلام: دعوة السائل الفقير لا ترد. وسائل الشيعة، الحر العاملى: 9/ 425، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب 25 استحباب التماس الدعاء من السائل / ح 6.

3- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صـلى الله عليه وآله وسـلم أَنَّهُ قَالَ : الصَّدَقَةُ عَلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ جُزْءٍ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِعَشَرَةٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْعامَّةِ وَقالَ تَعـالَى: ((مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها)) سورة الأنعام/ 160 . وَجُزْءٍ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِسَبْعِينَ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِى الْعاهـاتِ وَجُزْءٍ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِسَبْعِمِائَةٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِى الأَرْحَامِ وَجُزْءٍ الصَّدَقَةُ بِسَبْعَةِ آلافٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْعُلَماءِ وَجُزْءٍ الصَّدَقَةُ بِسَبْعِينَ أَلْفاً وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَوْتَى. مسـتدرک الوسائل، النورى: 7/ 195 ـــ 196، كتاب الزكاة، أبواب الصدقـة، باب 18 تأكد استحباب الصدقة على ذى الرحم والقرابة/ ح10.

4- الكافى، الكلينى:4/ 15،كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب كراهية رد السائل/ ح3.

5- فى الغرر: "لا تستحى".

6- غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدى: 382، الباب الرابع فى الأخلاق الاقتصادية، الفصل الأول فى السخاوة، مواعظ متفرقة/ ح38.

7- بداية الآية: ((يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا ...)).

8- سورة البقرة/ 264.

9- يحتمل المن تأويلين: أحدهما: إحسان المحسن غير معتد بالإحسان، يقال: لحقت فلانا من فلان منة، إذا لحقته نعمة باستنقاذ من قتل، أو مـا أشـبهه. والثانى: من فلان على فلان إذا عظم الإحسان، وفخر به، وأبـدأ فيه، وأعاد حتى يفسـده ويبغضه، فالأول حسن، والثانى قبيـح. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 418، مادة "منن".

الثواب والإنجـاء من العقـاب، وكونه نائبـاً عنه تعـالى، وهو حق الله عزّوجـل أحـال عليه الفقير إنجـازاً لما وعـده من الرزق. والأذى التعيير والتوبيخ والقول السيئ والقطوب(1) والاستخدام وهتک الستر والاستخفاف.

وينبغى للآخذ أن يعلم أن الله تعالى أمر المعطى بصرفه إليه ليكفى مهمته، فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطى، فيدعو له ويثنى عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يشكر الناس لم يشكرالله(2).

وينبغى للمؤمن أن لا يسأل الناس مهما استطاع، فإنه ذل فى الـدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيامة(3). وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه:ألا تبايعون!(4) فقالوا: قد بايعناک يا رسول الله. قال: تبايعون(5) على أن لا تسألوا

1- القطوب، أى: العبوس. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 4/ 79 ، مادة " قطب".

2- تفسير مجمع البيان، الطبرسى: 10/ 386، تفسير سورة الضحى.

3- عن أَبَى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِيّاكُمْ وَسُؤالَ النّاسِ فَإِنَّهُ ذُلٌّ فِى الدُّنْيا وَفَقْرٌ تُعَجِّلُونَهُ وَحِسَابٌ طَوِيلٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ. الكافى، الكلينى: 4/ 20، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب كراهية المسألة/ ح1.

4- فى الوسائل: "تبايعونى".

5- فى الوسائل: "تبايعونى".

الناس شيئاً، فكان بعد ذلک تقع المخضرة(1)(2) من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لو أن أحدكم يأخذ حبلاً فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله(5).

وقال الصادق عليه السلام: شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولو مات جوعاً(6).

وقال عليه السلام(7): لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً(8).

1- فى الوسائل: "المخصرة".

2- المخضـرة: الغليظة عودها، والصلبة شوكها. تاج العروس، الزبيدى: 1/ 185. والمخصرة: بكسر الميم، وسكون المعجمة كالسوط، أو كل ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها. ومنه: "ينكت بمخصرته". مجمع البحرين، الطريحى: 1/ 654، مادة "خصر".

3- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 9/ 443، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب 32 كراهة المسألة مع الاحتياج/ ح 18.

4- عـدة الداعى، ابن فهد الحلى: 100، البـاب الثانى، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصـلاة، فصل فى كراهيـة السؤال ورد السؤال.

5- مشكاة الأنوار،الطبرسى:131،الباب الثالث فى محاسن الأفعال،الفصل السابع فى القناعة.

6- عدة الداعى،ابن فهد الحلى:99،الباب الثانى،القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 9/ 443، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب 32 كراهة مسألة مع الاحتياج/ ح17.

وقال علیه السلام(1): من سأل من غیر حاجة فکأنما یأکل الجمر(2).

واعلم أن للجسد زکاة کما أن فی المال زکاة، وهو نقصه لمزید الخیر والبرکة، إما اضطراراً بأن یصاب بآفة، أو اختیاراً بأن یصرف فی الطاعة ویمنع عن المعصیة.

قال الصادق علیه السلام: قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم یوماً لأصحابه: ملعون کل مال لا یزکی، ملعون کل جسد لا یزکی ولو فی کل أربعین یوم مرة. قیل له: یا رسول الله أما زکاة المال فقد عرفناها فما زکاة الأجساد؟ فقال لهم: أن تصاب بآفة. قال: فتغیرت وجوه الذین سمعوا ذلک منه. قال: فلما رآهم قد تغیرت ألوانهم قال: هل تدرون ما عنیت بقولی؟ قالوا: لا یا رسول الله. قال: إن الرجل یخدش(3) الخدشة وینکب النکبة(4) ویعثر العثرة ویمرض المرضة ویشاک الشوکة وما أشبه هذا حتی ذکر فی حدیثه اختلاج(5) العین(6).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: علی کل جزء من أجزائک زکاة واجبة لله عزّوجل، بل علی کل منبت شعرک، بل علی کل لحظة فزکاة العین النظر بالعبر والغض عن الشهوات وما یضاهیها، وزکاة الأذن استماع العلم

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- جامع السعادات، النراقی: 2/ 99، فصل لا یجوز السؤال من غیر حاجة.

3- الخدش: مزق الجلد قل أو کثر. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 166، مادة "خدش".

4- النکبة: هی ما یصیب الإنسان من الحوادث. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 5/ 113.

5- الاختلاج: الحرکة والاضطراب. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 2/ 60.

6- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/258، کتاب الإیمان والکفر، باب شدة ابتلاء المؤمن/ ح26.

والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتک بالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره، وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله عليک وتحريكها بكتابة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون فی طاعة الله والقبض عن الشرور، وزكاة الرجل السعی فی حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبک وسلامة دينک. هذا ما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله، وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصی، وهم أربابه وهو شعارهم ودثارهم(1).

وعن النبی صلی الله عليه وآله وسلم: لكل شیء زكاة وزكاة الأبدان الصيام(2).

1- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 51 ـــ 52، الباب 22 فی الزكاة.

2- المقنعة، الشيخ المفيد: 304، كتاب الصيام، باب 7 ثواب الصيام.

الباب الثامن: أسرار الصوم

فی أسرار الصوم

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: الصوم جنة من النار(1).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الصائم فی عبادة وإن کان نائماً فی(2) فراشه ما لم یغتب مسلماً(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: قال الله تعالی(4): الصوم لی وأنا أجزی به، وللصائم فرحتان: حین یفطر وحین یلقی ربه عزّوجل، والـذی نفس محمد بیده لخلوف(5) فم الصائم عند الله أطیب من ریح المسک(6).

1- مصباح المتهجد، الشیخ الطوسی: 666، شهر شوال، فصل فی زکاة الفطر.

2- فی الفضائل: "علی" بدل "فی".

3- فضائل الأشهر الثلاثة ، الشیخ الصدوق : 122 ، کتاب فضائل شهر رمضان/ ح124.

4- فی الفقیه: "تبارک وتعالی".

5- الخلوف: تغیر طعم الفم. غریب الحدیث، ابن سلام: 1/ 327.

6- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 2/ 75، کتاب الصوم، باب فضل الصیام/ ح4.

وقال الكاظم عليه السلام: قيلوا فإن الله تبارک وتعالى(1) يطعم الصائم ويسقيه فى منامه(2).

قيـل: ولو لـم يكن فى الصوم إلاـ الارتقـاء من حضـيض(3) حظوظ النفس البهيميـة إلى ذروة التشـبه بالملائكـة الروحانيـة لكفى به فضـلاً ومنقبة(4)، وإنما كان الصوم جنة من النار لأنه يدفع حر الشـهوة والغضب اللتين بهما تصـلى نار جهنم فى باطن الإنسان فى الدنيا وتبرز له فى الآخرة. وإنما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لم يغتب مسلماً»(5) لأن الغيبة أكل لحم الميتة، فهو نوع من الأكل يقوى به البدن.

وإنما كان الصوم لله مع أن سائر العبادات له ـــ كما شرف البيت بالنسبة إليه والأرض كلها له ـــ لوجهين:

أحـدهما: إن الصوم كف وترک، وهو فى نفسه سـر ليس فيه عمل يشاهـد وجميع الطاعات بمشـهد من الخلق ومرأى، والصوم لا يعلمه إلا الله.

والثانى: إنه قهر لعدو الله، فإن وسـيلة الشيطان الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب(6)، ولذلک قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع(7)، والشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم.

1- ليس فى ثواب الأعمال: "تبارک وتعالى".

2- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: 51، ثواب الصائم.

3- الحضيض: قرار الأرض وأسفل الجبل. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 1/ 385، مادة "حضض".

4- أسرار العبادات، الفيض الكاشانى: 250، أسرار الصيام، مدخل فى فضل الصيام.

5- أنظر: مصدر "الحديث الثانى" فى بداية "الباب الثامن".

6- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 274، الباب السادس فى الصوم.

7- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 101، باب تهذيب الأخلاق.

وإنما كان خلوف الفم ـــ وهو تغير رائحته ـــ أطيب عند الله من ريح المسک لأنه سبب طيب الروح الذی هو عند الله من الإنسان کما أنه بدنه عند نفسه، وإليه أشير فی قوله تعالی: ((مٰا عِندَکُمْ يَنفَدُ وَمٰا عِندَ اللّٰهِ يبقی))(1)، وأين طيب الروح من طيب المسک؟ فإن الأول روحانی عقلی معنوی والثانی جسمانی حسی صوری.

فصل قال أبو حامد ما ملخصه: إعلم أن للصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص: أما «صوم العموم» فهو کف البطن والفرج عن قضاء الشهوات.

وأما «صوم الخصوص» فهو کف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، ويتم بأمور ستة:

الأول: غض البصر وکفه عن الاتساع فی النظر الی کل ما يذم ويکره، بل کل ما يشغل القلب ويلهی عن ذکر الله تعالی. قال النبی صلی الله عليه وآله وسلم: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن ترکها خوفاً من الله أتاه الله إيماناً(2) يجد حلاوته فی قلبه(3). وقال صلی الله عليه وآله وسلم: خمس يفطرن الصائم: الکذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الکاذبة، والنظر بشهوة(4).

1- سورة النحل/ 96. ونصها:((ما عِندَکُمْ يَنفَدُ وَما عِندَ اللّٰهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ما کانُواْ يَعْمَلُونَ)).

2- فی المستدرک: "فمن ترکها خوفا من الله أعطاه إيمانا".

3- مستدرک الوسائل، النوری: 14/ 268، کتاب النکاح، باب تحريم النظر إلی النساء الأجانب وشعورهن/ ح5.

4- مواهب الجليل، الحطاب الرعينی: 3/ 303.

الثانی: حفظ اللسان عن الهذیان والکذب والغیبة والنمیمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء. قال صلی الله علیه وآله وسلم: إنما الصوم جنة، فإذا کان أحدکم صائماً(1) فلا یرفث ولا یجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فلیقل إنی صائم(2).

الثالث: کف السمع عن الإصغاء إلی المحرمات، إذ کل ما حرم قوله حرم الإصغاء إلیه. قال تعالی: ((سَمّاعُونَ لِلْکَذِبِ أَکّالُونَ لِلسُّحْتِ))(3). وقال صلی الله علیه وآله وسلم: المغتاب والمستمع شریکان فی الإثم(4).

الرابع: کف بقیة الجوارح من الید والرجل من المکاره، وکف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، إذ لا معنی للصوم عن الحلال والإفطار علی الحرام فیکون قد بنی قصراً وهدم مصراً، وشرب الدواء وأکل السم، لأن المحرمات سموم تهلک الدین والصوم دواء، ولا ینفع الدواء مع السم. وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: کم من صائم لیس له من صومه(5) إلا الجوع والعطش(6). فقیل: هو الذی یفطر علی الحرام. وقیل: هو الذی یمسک عن الطعام الحلال ویفطر علی لحوم الناس بالغیبة وهو الحرام. وقیل: هو الذی لا یحفظ جوارحه عن الآثام(7)، ولعل المعنی أعم.

1- فی المسند: "الصیام جنة فإذا کان أحدکم یوما صائما".

2- مسند الشامیین، سلیمان بن أحمد الطبرانی: 4/ 279/ ح 3284.

3- سورة المائدة/ 42.

4- کشف الخفاء، العجلونی: 2/ 215، حرف المیم/ ح2323.

5- فی البحار: "صیامه".

6- بحار الأنوار،الشیخ المجلسی:93/294،کتاب الصوم،باب 36 آداب الصائم/ح24.

7- أنظر: الفیض القدیر، المناوی: 4/ 21 / شرح الحدیث رقم 4404.

الخـامس: أن لا يسـتكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ، فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن ملىء من الحلال. وكيف يسـتفاد من الصوم قهر عدو الله وكسـر الهوى لتقوى النفس على التقوى، ثم تفطم عن الشـهوات إلى الليل حتى تهيج شهوتها وتقوى رغبتها، ثم تطعم من اللذات إلى أن تمتلئ؟! ولعلها لو تركت على عادتها لكان أولى، بل ينبغى أن يأكل الأكلة المعتادة ولا يملئ بطنه.

السادس: أن يكون قلبه بعـد الإفطار معلقاً مضـطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يـدرى أيقبل صومه فيكون من المقربين، أو يرد عليه فيكون من الممقوتين(1).

أقول: وإلى هذا النوع من الصوم أشـير فى ما روى عن الصادق عليه السلام قال: إذا صمت فليصم سمعک وبصرک وشعرک وجلدک...(2) وعد(3) أشـياء غير هـذا وقـال: لا يكون يوم صومک كيوم فطرک(4). ودع المراء وأذى الخـادم، وليكن عليـک وقار الصـيام، فإن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سمع امرأة تسب جاريتها وهى صائمة فدعى بطعام فقال لها كلى، فقالت إنى صائمة، فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتک؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط(5).

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 1/ 221 ـــ 223، كتاب أسرار الصوم، الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة.

2- فى الكافى الحديث متصل.

3- فى الكافى: "وجلدک وعدد أشياء".

4- الكافى، الكلينى: 4/ 87، كتاب الصوم، باب أدب الصائم/ ح1.

5- أنظر: الإقبال، ابن طاووس: 86، الباب الخامس فيما نذكره من سياقة عمل الصائم، فصل فيما نذكره من كمال صفات الصوم.

قال أبو حامـد: وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيـة والأفكار الدنيويـة وكفه عما سوى الله بالكلية، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى ما سوى الله واليوم الآخر، وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلک زاد الآخرة _ انتهى(1).

وفى مصـباح الشـريعة : قال الصادق عليه السـلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصوم جنة، أى ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صـمت فانو بصومک كف النفس عن الشـهوات وقطع الهمة عن خطرات الشـيطان، فأنزل نفسک منزلة المرضـى لا تشـتهى طعاماً ولا شـراباً، متوقعاً فى كل لحظـة شـفاءک من مرض الـذنوب، وطهر باطنک من كل كـدر وغفلـة وظلمـة تقطعک عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى.

ثم قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزّوجل: الصوم لى وأنا أجزى به، فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطمع، وفيه صفـاء القلب وطهـارة الجوارح وعمـارة الظـاهر والباطن والشـكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضـرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات. وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرنا منبه لمن عقل ووفق لاستعماله(2).

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 1/ 221، كتاب أسرار الصوم الفصل، الثانى فى أسرار الصوم و شروطه الباطنة.

2- أنظر:مصباح الشريعة،الإمام الصادق عليه السلام:135 __ 136، الباب الثالث والستون فى الصوم.

الباب التاسع: أسرار الحج وزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمشاهد المشرفة

اشارة

فی أسرار الحج وزیارة النبی والمشاهد

ولنفتح الباب بما رواه فی مصباح الشریعة عن الصادق علیه السلام.

قال: قال الصادق علیه السلام: إذا أردت الحج فجرد قلبک لله تعالی من کل شاغل وحجاب کل حاجب، وفوض أمورک کلها إلی خالقک، وتوکل علیه فی جمیع ما یظهر من حرکاتک وسکناتک، وسلم لقضائه وحکمه وقدره، وودع الدنیا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمک من جهة المخلوقین، ولا تعتمد علی زادک أو راحلتک وأصحابک وقوتک وشبابک ومالک مخافة أن یصیر ذلک عدواً ووبالاً، فإن من ادعی رضاء الله واعتمد علی ما سواه صیره علیه وبالاً وعدواً لیعلم أنه لیس له قوة وحیلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفیقه.

فاستعد استعداد من لا یرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبیه وما یجب علیک من الأدب والاحتمال والصبر والشکر والشفقة والسخاوة وإیثار الزاد علی دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبک، والبس کسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، وأحرم من کل شیء یمنعک عن ذکر الله ویحجبک عن طاعته، ولب بمعنی إجابة صادقة صافیة خالصة زاکیة لله تعالی فی دعوتک متمسکاً بالعروة الوثقی، وطف بقلبک مع الملائکة حول العرش کطوافک مع المسلمین بنفسک حول البیت، وهرول هرولة من هواک. وتبرأ من حولک وقوتک، واخرج من غفلتک وزلاتک بخروجک إلی منی. ولا تتمن ما لا یحل لک ولا تستحقه،واعترف بالخطأ بعرفات، وجدد عهدک عند الله تعالی بوحدانیته، وتقرب إلیه واتقه بمزدلفة، واصعد بروحک إلی الملأ الأعلی بصعودک علی الجبل، واذبح حنجرة الهوی والطمع عند الذبیحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذمیمة عند رمی الجمرات، واحلق العیوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرک، وادخل فی أمان الله وکنفه وستره وکلاءته(1) من متابعة مرادک بدخولک الحرم ودخول البیت متحققاً لتعظیم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته، وودع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحک وسرک للقائه یوم تلقاه بوقوفک علی الصفا وکن بمرأی من الله نقیة أوصافک عند المروة، واستقم علی شرط حجتک هذه ووفاء عهدک الذی عاهدت به مع ربک وأوجبته له إلی یوم القیامة.

واعلم بأن الله تعالی لم یفرض الحج ولم یخصه من جمیع الطاعات بالإضافة إلی نفسه بقوله تعالی: ((وَلِلّهِ عَلی النّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً))(2)، ولا شرع نبیه سنة فی خلال المناسک علی ترتیب ما شرعه إلا للاستعانة والإشارة إلی الموت

1- اذهب فی کنف الله وحفظه، أی: فی کلاءته وحرزه وحفظه. لسان العرب، ابن منظور: 9/ 308، مادة "کنف".

2- سورة آل عمران/ 97.

والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السابقة من الدخول فى الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسک الحج من أولها إلى آخرها لأولى الألباب وأولى النهى(1).

فصل: فى العزم على الحج

ينبغى للعازم أن يعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره، فليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن الرياء والسمعة، وإلا فقد أتلف ماله وأتعب بدنه واكتسب الإثم و((خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ و(2) ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ))(3)، وليرد المظالم ويتب توبة خالصة، ولا يقدم على ربه قدوم العبد العاصى، فلا يكون له من سفره نصيب إلا التعب.

وليتذكر فى سفره سفر الآخرة، فعن قريب إليه يصير ونحوه يسير.

فصل: فى الزاد

ليتذكر فيه زاد سفر الآخرة، فإنه أبعد من هذا السفر والاحتياج فيه إلى الزاد من الأعمال الصالحة أكثر، وليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده لا تصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء.

فصل: فى الراحلة

ليشكر الله على تسخير الدواب له لتحمل أثقاله إلى بلد لم يكن بالغه إلا بشق الأنفس، وليتذكر المركب الذى يركبه إلى الدار الآخرة، وهى الجنازة التى يحمل عليها، فالعجب لمن يستعد للسفر المشكوک فيه ولا يستعد للسفر المتيقن.

1- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 47 _ 50، الباب الواحد والعشرون فى الحج.

2- ليس فى النص القرآنى حرف "الواو".

3- سورة الحج/ 11.

فصل: فی شراء ثوب الإحرام

لیـذکر عنده الکفن ولفه فیه، فإنه سـیرتدی ویتزر بثوبی الإحرام عند القرب من بیت الله، وربما لا یتم سـفره إلیه، وإنه سـیلقی الله ملفوفاً فی ثیـاب الکفن لا محالـة، فکما لا یلقی بیت الله إلا مخالفاً عادته فی الزی والهیئـة فلا یلقی الله بعـد الموت إلا فی زی مخالف لزی الـدنیا، وهذان الثوبان متقاربان لعدم الخیاطة فیهما.

فصل: فی الخروج من البلد

لیعلم أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلی الله فی سـفر لا یضاهی أسـفار الـدنیا، فلیحضـر فی قلبه ماذا یریـد وأین یتوجه وزیارة من یقصد، وسفر الآخرة ومفارقة الأهل والوطن مفارقة لا رجوع فیها.

فصل: فی دخول البادیة ومشاهدة العقبات

لیتـذکر فیها ما بین الخروج من الـدنیا بالموت إلی میقات القیامـة وما بینهما من الأهوال والمطالبات، ولیتـذکر من هول قطع الطریق سؤال منکر ونکیر ومن سـباع البوادی عقارب القبر ودیـدانه وما فیه من الأفاعی والحیات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وکربته ووحدته، ولیتزود فی هذه الأحوال لمخاوف القبر.

فصل: فی الإحرام والتلبیة بالمیقات

لیعلم أن معناه إجابـة نـداء الله، فلیرج القبول ولیخش أن یقال له «لا لبیک ولا سـعدیک» فإن وقت التلبیة بدایة الأمر وهو محل الخطر، فقد روی أن السـجاد علیه السلام لما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت علیه الرعدة ولم یستطیع أن یلبی فقال: أخشی أن یقول لی ربی لا لبیک ولا سعدیک، فلما لبی علیه السلام غشی علیه وسقط من راحلته،فلم یزل یعتریه ذلک حتی قضی حجته(1).

1- أنظر: عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی: 4/ 35، الجملة الأولی فی أحادیث متفرقة/ح121.

فصـل: فی دخول مکـة لیتـذکر عنـدها أنه قـد انتهی إلی حرم آمن، ولیرج عنـده أن یـأمن بـدخوله من عقاب الله، ولیخش أن لا یکون أهلاً للقرب، فیکون بـدخول الحرم خائنـاً مسـتحقاً للمقت، ولیکن رجـاؤه فی جمیع الأوقات غالباً، فالکرم عمیم ورب البیت کریم، وحق الزائر یرعی وذمام(1) المستجیر غیر مضیع.

فصل: فی وقوع البصر علی البیت

لیحضـر عظمة البیت فی القلب ویقدر أنه حاضـر بین یدی رب البیت، ولیرجُ أن یرزقه لقاءه فی الآخرة کما رزقه لقاء بیته فی الدنیا، ولیتذکر انصباب الناس فی القیامة إلی جهة الجنة آملین لدخولها کافة فیؤذن لبعض ویمنع الآخرون.

فصل: فی الطواف بالبیت

لیعلم أنه فی الطواف متشبه بالملائکة الحافین(2) حول العرش الطائفین حوله، وأن المقصود الحقیقی طواف قلبه بـذکر رب البیت حتی لا یبتدئ الذکر إلا به ولا یختم إلا به کما یبتدئ الطائف بالبیت ویختم به.

1- الـذمام والمذمـة: الحق والحرمـة، والجمع: أذمـة والذمـة: العهـد والکفالـة، وجمعها ذمام. وفلان له ذمة، أی: حق. لسان العرب، ابن منظور: 12/ 221، مادة "ذمم".

2- حف القوم بالشـیء و حوالیه یحفون حفـا وحفوه و حففوه: أحـدقوا به و أطافوا به و عکفوا واسـتداروا. لسان العرب، ابن منظور: 9/ 49، مادة "حفف".

فصل: فی استلام الحجر

لیعتقد أنه حینئذ یبایع الله علی طاعته والتجنب عن معصیته، فلیصمم العزم علی الوفاء، ومن غدر فی المبایعة استحق المقت، فقد روی أن الحجر یمین الله فی الأرض یصافح بها خلقه کما یصافح الرجل أخاه(1).

فصل: فی التعلق بأستار الکعبة والالتصاق بالملتزم

لتکن نیته فی الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبیت ولرب البیت وتبرکاً بالمماسة ورجاءً للتحصن عن النار فی کل جزء لا فی البیت، ولتکن نیته فی التعلق بالستر الإلحاح فی طلب المغفرة وسؤال الأمان کالمذنب المتعلق بثیاب من أذنب إلیه المتضرع إلیه فی عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إلیه ولا مفزع له إلا عفوه وکرمه، وأنه لا یفارق ذیله إلا بالعفو وبذل الأمن فی المستقبل.

فصل: فی السعی بین الصفا والمروة فی فناء البیت

لیتذکر أنه متردد تردد العبد فی فناء ملک الملوک جائیاً وذاهباً مرة بعد أخری وکرة بعد أولی، إظهاراً للخلوص فی الخدمة ورجاءً للملاحظة بعین الرحمة، کالذی دخل علی الملک وخرج وهو لا یدری ما الذی یقضی به الملک فی حقه من قبول أو رد، فلا یزال یتردد علی فناء الدار مرة بعد أخری یرجو أن یرحم فی الثانیة إن لم یرحم فی الأولی.

1- عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ علیه السلام، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم: «استَلِمُوا الرُّکْنَ فَإِنَّهُ یَمِینُ اللَّهِ فِی خَلْقِهِ یُصافِحُ بِها خَلْقَهُ مُصافَحَةَ الْعَبْدِ أَوِ الرَّجُلِ یَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ بِالْمُوَافَاةِ». الکافی، الکلینی: 4/ 406، کتاب الحج، باب المزاحمة علی الحجر الأسود/ ح9.

ولیتـذکر عنـد تردده تردده بین کفتی المیزان فی عرصات القیامة، ولیمثل الصـفا بکفة الحسـنات والمروة بکفة السـیئات، ولیتذکر تردده بین الکفتین ناظراً إلی الرجحان والنقصان مردداً بین العذاب والغفران.

فصل: فی الوقوف بعرفة

لیتـذکر بمـا یری من ازدحـام الخلق وارتفـاع الأـصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فی الترددات علی المشاعر اقتفاءً لهم وسـیراً بسـیرتهم وکأنه فی عرصات القیامة واجتماع الأمم مع الأنبیاء والأئمة، واقتفاء کل أمة نبیاً وطمعهم فی شفاعتهم وتحیرهم فی ذلک الصعید الواحد بین الرد والقبول.

وإذا تذکرت ذلک فألزم قلبک الضراعة(1) والابتهال إلی الله حتی تحشـر فی زمرة الفائزین المرحومین، وحقق رجاءک بالإجابة، فالموقف شریف.

فصل: فی الوقوف بالمشعر

استحضر أنه قد أقبل علیک مولاک بعد أن کان مدبراً عنک طارداً لک عن بابه فأذن لک فی دخول حرمه، فإن المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه، فقد أشرف علی أبواب الرحمة وهبت علیک نسمات الرأفة، وکسبت خلع القبول بالإذن فی دخول حرم الملک.

فصل: فی رمی الجمار

لیقصـد به الانقیـاد للأـمر، إظهـاراً للرق والعبودیـة وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غیر حظ للعقل والنفس، ولیقصـد به التشـبه بإبراهیم علیه السلام حیث عرض له إبلیس

1- الضراعة: هی شدة الفقر والحاجة إلی الله عزّوجل. تاج العروس، الزبیدی: 5/ 431.

علیه اللعنة فی هذا الموضع لیدخل علی حجة الشبهة فأمره الله أن یرمیه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله.

فصل: فی ذبح الهدی

لیعلم أنه تقرب إلی الله تعالی بحکم الامتثال، ولیرج أن یعتق بکل جزء منه جزءاً من النار، وهکذا ورد(1) الوعد، وکلما کان الهدی أکثر وأجزاؤه أوفر کان فداؤه من النار أعم.

فصل: فی رؤیة المدینة

إذا وقع بصرک علی حیطانها فتذکر أنها البلدة التی اختارها الله عزّوجل لنبیه صلی الله علیه وآله وسلم وجعل إلیها هجرته وأنها داره التی فیها شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دینه إلی أن توفاه الله وجعل تربته فیها.

ثم مثل فی نفسک مواقع أقدام رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عند ترددات فیها، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهی موضع قدمه العزیز، فلا تضع قدمک علیه إلا علی سکینة ووجل، وتذکر مشیه وتخطیه فی سککها، وتصور خشوعه صلی الله علیه وآله وسلم وسکینته فی المشی وإحباط عمل من هتک حرمته برفع صوته فوق صوته(2).(3)

1- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 254، کتاب أسرار الحج، الباب الثالث فی الآداب الدقیقة والأعمال الباطنة.

2- إشارة إلی قوله تعالی: ((یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)) سورة الحجرات/ 2.

3- قال ابن شهر آشوب: قوله سبحانه: ((لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ)) إلی قوله: ((أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُم)) لو وقع رفع الصوت علی صوت النبی صلی الله علیه وآله وسلم علی سبیل الإجابة له لم یستحق العقاب و إذا وقع علی خلاف ذلک انحبط الفعل. متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: 2/ 86، باب المفردات.

فصل: فی زیارة النبی والأئمة علیهم السلام

ینبغی أن تقف بین أیـدیهم فی کمـال الأـدب خاشـعاً معظماً، وأن تزورهم أمواتاً کما تزورهم أحیاءً، ولا تقرب من قبرهم إلا کما تقرب من شخصهم فی حیاتهم.

واعلم أنهم عالمون بحضورک وقیامک وزیارتک، وأنه یبلغهم سلامک وصلواتک، فمثل صورهم الکریمة فی خیالک موضوعین علی اللحد بإزائک(1)، وأحضر عظیم رتبتهم فی قلبک، وتذکر کلماتهم الشریفة ومواعظهم المنیفة ونصائحهم الشافیة وهدایتهم الکافیة الوافیة(2).

1- حذیاک، أی: بإزائک. تاج العروس، الزبیدی: 10/ 86. الحذاء: الإزاء. وحاذاه: آزاه. القاموس المحیط، الفیروز آبادی: 4/ 316.

2- أسـرار العبـادات، الفیض الکاشانی: 323 ـــ 336، الأعمال الباطنـة لعبادة الحـج. المحجـة البیضاء، الفیض الکاشانی: 2/189 ـــ 206، کتاب أسرار الحج، الباب الثالث فی الآداب الدقیقة والأعمال الباطنة. جامع السعادات، النراقی: 3/383 ـــ 401، المقصد السادس الحج.

الركن الثانى: ف_ى ال_ع_ب_ادات، وفيه أبواب

اشارة

الباب الأول: جملة الحقوق التى تلزم الإنسان

فی جملة الحقوق الـــــــتـــی تـــلـــزم الإنـــــــــسان

روی الصدوق فی الفقیه عن زین العابدین علیه السلام قال:

حق الله الأکبر أن تعبده لا تشرک به شیئاً، فإذا فعلت ذلک بإخلاص جعل لک علی نفسه أن یکفیک أمر الدنیا والآخرة.

وحق نفسک علیک أن تستعملها بطاعة الله تعالی.

وحق اللسان إکرامه عن الخنا(1) وتعویده الخیر وترک الفضول التی لا فائدة فیها والبر بالناس وحسن القول فیهم.

وحق السمع تنزیهه عن سماع الغیبة وسماع ما لا یحل له سماعه.

وحق البصر أن تغضه عما لا یحل لک وتعتبر بالنظر به.

وحق یدک أن لا تبسطها إلی ما لا یحل لک.

1- الخنا: الفحش. الصحاح، الجوهری: 6/ 2332، مادة "خنا".

وحق رجليک أن لا تمشی بهما إلی ما لا یحل لک فیهما تقف علی الصراط فانظر أن لا تزل بک فتردی بهما فی النار.

وحق بطنک أن لا تجعله وعاءً للحرام ولا تزید علی الشبع.

وحق فرجک أن تحصنه عن الزنا وتحفظه من أن ینظر إلیه.

وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلی الله عزّوجل وأنت فیها قائم بین یدی الله تعالی، فإذا علمت ذلک قمت مقام العبد الذلیل الحقیر الراغب الراهب الراجی الخائف المستکین المتضرع المعظِّم لمن کان بین یدیه بالسکون والوقار، وتقبل علیها بقلبک وتقیمها بحدودها وحقوقها.

وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلی ربک وفرار إلیه من ذنوبک، وفیه قبول توبتک وقضاء الفرض الذی أوجبه الله تعالی علیک.

وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله عزّوجل علی لسانک وسمعک وبصرک وبطنک وفرجک لیسترک به من النار، فإن ترکت الصوم خرقت ستر الله علیک.

وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرک عند ربک ووودیعتک التی لا یحتاج إلی الإشهاد علیها، وکنت لما تستودعه سراً أوثق منک بما تستودعه علانیة، وتعلم أنها تدفع البلاء والأسقام فی الدنیا وتدفع عنک النار فی الآخرة.

وحق الهدی أن ترید به الله عزّوجل ولا ترید به خلقه، ولا ترید به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحک یوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم أنک جعلت له فتنة، وأنه مبتلیً فیک بما جعله الله له علیک من السلطان، وأن علیک أن لا تتعرض لسخطه فتلقی بیدک إلی التهلکة وتکون شریکاً له فیما یأتی إلیک من سوء.

وحق سائسک بالعلم التعظیم له والتوقیر لمجلسه، وحسن الاستماع إلیه والإقبال إلیه، وأن لا ترفع علیه صوتک، ولا تجیب أحداً یسأله عن شیء حتی یکون هو الذی یجیب، ولا تحدث فی مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذکر عندک بسوء، وأن تستر عیوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً ولا تعادی له ولیاً، فإذا فعلت ذلک شهد لک ملائکة الله بأنک قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

وأما حق سائسک بالملک فأن تطیعه ولا تعصیه إلا فیما یسخط الله عزّوجل، فإنه لا طاعة للمخلوق فی معصیة الخالق.

وأما حق رعیتک بالسلطان فأن تعلم أنهم صاروا رعیتک لضعفهم وقوتک، فیجب أن تعدل فیهم وتکون لهم کالوالد الرحیم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشکر الله عزّوجل علی ما آتاک من القوة علیهم.

وأما حق رعیتک بالعلم فأن تعلم أن الله عزّوجل إنما جعلک قیماً لهم فی ما آتاک من العلم وفتح لک من خزائنه فإن أحسنت فی تعلیم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر علیهم زادک الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمک أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منک کان حقاً علی الله عزّوجل أن یسلبک العلم وبهاءه ویسقط من القلوب محلک.

وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله تعالی جعلها لک سکناً وأنساً، فتعلم أن ذلک نعمة من الله تعالی علیک، فتکرمها وترفق بها وإن کان حقک علیها أوجب، فإن لها علیک أن ترحمها لأنها أسیرک، وتطعمها وتکسوها وإذا جهلتْ عفوت عنها.

وأما حق مملوكک فأن تعلم أنه خلق ربک وابن أبیک وأمک ولحمک ودمک، لم تملکه لأنک ما صنعته دون الله ولا خلقت شیئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً، ولکن الله تعالی کفاک ذلک ثم سخره لک وائتمنک علیه واستودعک إیاه لیحفظ لک ما یأتیه من خیر إلیه، فأحسن إلیه کما أحسن الله إلیک، وإن کرهته استبدلت به ولم تعذب خلق الله تعالی. ولا قوة إلا بالله.

وحق أمک أن تعلم أنها حملت حیث لا یحتمل أحد أحداً، وأعطتک من ثمرة قلبها ما لا یعطی أحد أحداً، ووقتک بجمیع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمک وتعطش وتسقیک وتعری وتکسوک وتضحی وتظلک، وتهجر النوم لأجلک، ووقتک الحر والبرد لتکون لها، فإنک لا تطیق شکرها إلا بعون الله وتوفیقه.

وأما حق أبیک فأن تعلم أنه أصلک، فإنک لولاه لم تکن مهما رأیت من نفسک ما یعجبک فاعلم أن أباک أصل النعمة علیک فیه، فاحمد الله واشکره علی قدر ذلک.

وأما حق ولدک فأن تعلم أنه منک ومضاف إلیک فی عاجل الدنیا بخیره وشره، وأنک مسؤول عما ولیته من حسن الأدب والدلالة علی ربه عزّوجل والمعونة علی طاعته، فاعمل فی أمره عمل من یعلم أنه مثاب علی الإحسان إلیه معاقب علی الإساءة إلیه.

وأما حق أخیک فأن تعلم أنه یدک وعزک وقوتک فلا تتخذه سلاحاً علی معصیة الله ولا عدة للظلم علی خلق الله، ولا تدع نصرته علی عدوه والنصیحة له، فإن أطاع الله وإلا فلیکن الله أکرم علیک منه.

وأما حق مولاک المنعم علیک فأن تعلم أنه أنفق فیک ماله وأخرجک من ذل الرق ووحشته إلی عز الحریة وأنسها فأطلقک من أسر الملکة وفک عنک قید العبودیة

وأخرجک من السجن وملکک نفسک وفرغک لعبادة ربک، وتعلم أنه أولی الخلق بک فی حیاتک ومودتک، وأن نصرته علیک واجبة بنفسک وما احتاج إلیه منک.

وأما حق مولاک الذی أنعمت علیه فأن تعلم أن الله عزّوجل جعل عتقک له وسیلة إلیه وحجاباً لک من النار، وأن ثوابک فی العاجل میراثه إذا لم یکن له رحم مکافأة لما أنفقت من مالک وفی الآجل الجنة.

وأما حق ذی المعروف علیک فأن تشکره وتذکر معروفه وتکسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فیما بینک وبین الله تعالی، فإذا فعلت ذلک کنت قد شکرته سراً وعلانیة، ثم إن قدرت علی مکافأته یوماً کافأته.

وحق المؤذن أن تعلم أنه مذکر لک ربک عزّوجل وداع لک إلی حظک وعونک علی قضاء فرض الله علیک، فاشکره علی ذلک شکر المحسنین إلیک.

وأما حق إمامک فی صلاتک فأن تعلم أنه تقلد السفارة بینک وبین ربک عزّوجل وتکلم عنک ولم تتکلم عنه، ودعا لک ولم تدع له. وکفاک هول المقام بین یدی الله عزّوجل، فإن کان نقص کان به دونک وإن کان تماماً کنت شریکه، ولم یکن له علیک فضل فوقی نفسک بنفسه وصلاتک بصلاته، فتشکر له علی قدر ذلک.

وأما حق جلیسک فأن تلین له جانبک وتنصفه فی مجازاة اللفظ ولا تقوم من مجلسک إلا بإذنه، ومن یجلس إلیک یجوز له القیام عنک بغیر إذنک، وتنسی زلاته وتحفظ خیراته ولا تسمعه إلا خیراً.

وأما حق جارک فحفظه غائباً وإکرامه شاهداً ونصرته إذا کان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت علیه سوءً سترته علیه، وإن علمت أنه یقبل نصیحتک نصحته فیما بینک وبینه, ولا تسلمه عند شدیدة، وتقیل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة کریمة.

وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف وتكرمه كما يكرمک، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة فإن سبق كافأته، وتوده كما يودک، وتزجره عما يهم به من معصية، وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً.

وأما حق الشريک فإن غاب كفيته وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه ولا تعمل برأيک دون مناظرته. وتحفظ عليه ماله ولا تخنه فيما غر أو خان من أمره، فإن يد الله تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا.

وأما حق مالک فأن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا فى وجهه، ولا تؤثر على نفسک من لا يحمدک فاعمل به بطاعة ربک، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة والتبعة.

وأما حق غريمک الذى يطلبک فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ورددته عن نفسک رداً لطيفاً.

وحق الخليط أن لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقى الله فى أمره.

وحق الخصم المدعى عليک فإن كان ما يدعى عليک حقاً كنت شاهده على نفسک ولم تظلمه وأوفيته حقه, وإن كان ما يدعى باطلاً رفقت به ولم تأت به فى أمره غير الرفق ولم تسخط ربک.

وحق خصمک الذى تدعى عليه إن كنت محقاً فى دعواک أجملت مقاولته ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً فى دعواک اتقيت الله عزّوجل وتبت إليه وتركت الدعوى.

وحق المستشير إن علمت له رأياً حسناً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

وحق المشير عليک أن لا تتهمه فى ما لا يوافقک من رأيه، وإن وافقک حمدت الله تعالى.

وحق المستنصح أن تؤدّى إليه النصيحة، وليكن مذهبک الرحمة له والرفق به.

وحق الناصح أن تلين له جناحک وتصغی إليه بسمعک، فإن أتی بالصواب حمدت الله تعالی وإن لم يوفق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلک إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشیء من أمره علی حال.

وحق الكبير توقيره لسنه وإجلاله لتقدمه فی الإسلام قبلک وترک مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلی طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليک احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته فی تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة.

وحق السائل إعطاؤه علی قدر حاجته.

وحق المسؤول إن أعطی فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحق من سرک لله أن تحمد الله تعالی أولاً ثم تشكره.

وحق من أساءک أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو يضر انتصرت. قال الله تعالی: ((وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلئِکَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ))(1).

وحق أهل ملتک إضمار السلامة والرحمة لهم والرفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم وكف الأذی عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسک وتكره لهم ما تكره لنفسک، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيک وشبابهم بمنزلة إخوتک وعجائزهم بمنزلة أمک والصغار بمنزلة أولادک.

وأما حق أهل الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجل منهم ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجل بعهده(2).

1- سورة الشوری/ 41.

2- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 2/ 618 __ 626، كتاب الحج، باب الحقوق/ ح1.

الباب الثانی: آداب المعیشة والمجالسة

فی آداب المعیشة والمجالسة

فی آداب المعیشة والمجالسة مع أصناف الخلق إجمالاً، ملتقطة من کلام الحکماء وأخبار أهل البیت علیهم السلام.أأ/ا/أ:م

إذا أردت حسن المعیشة فالق صدیقک وعدوک بوجه الرضا من غیر ذلة لهم ولا وحشة منهم.

وتوقر(1) فی غیر کبر وتواضع فی غیر مذلة.

وکن فی جمیع أمورک فی أوسطها، فکلا طرفی قصد الأمور ذمیم.

ولا تنظر فی عطفیک، ولا تکثر الالتفات، ولا تقف علی الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز(2).

1- التوقیر یستعمل فی معنی التعظیم، یقال: وقرته، إذا عظمته. الفروق اللغویة، أبو هلال العسکری: 147، الفرق بین التوقیر والوقار.

2- قال أبو معاذ: المستوفز: الذی رفع إلیتیه ووضع رکبتیه. تاج العروس، الزبیدی: 10/ 67.

وتحفظ من تشبيک أصابعک، والعبث بلحيتک وخاتمک، وتخليل أسنانک وإدخال يدک فی أنفک، وكثرة بصاقک وتنخمک(1)، وطرد الذباب عن وجهک، وكثرة التمطی(2) والتثاؤب فی وجوه الناس وفی الصلاة وفی غيرها.

وليكن مجلسک هادئاً، وحديثک منظوماً مرتباً، واصغ إلی الكلام الحسن ممن حدثک بغير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته.

واسكت عن المضاحک والحكايات، ولا تحدث عن إعجابک بولدک ولا جاريتک ولا شعرک وتصنيفک وسائر ما يخصک.

ولا تتصنع تصنع المرأة فی التزيين ولا تتبذل تبذل العبيد، وتوق كثرة الكحل والإسراف فی الدهن، ولا تلح فی الحاجات،ولا تشجع أحداً علی الظلم.

ولا تعلم أهلک وولدک فضلاً عن غيرهم مقدار مالک، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عندهم، وإن كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم، واجفهم(3) من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف.

ولا تهازل أمتک ولا عبدک فيسقط وقارک، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلک وتجنب عجلتک، وتفكر فی حجتک، ولا تكثر من الإشارة بيديک، ولا تكثر الالتفات إلی من وراءک.

1- النخامة، بالضم: النخاعة. يقال تنخم الرجل، إذا تنخع. والنخاعة: ما يخرجه الإنسان من حلقه من مخرج الخاء. مجمع البحرين، الطريحی: 4/ 286، مادة "نخم".

2- المط و المطو والمد واحد، المطيطاء بضم الميم ممدود، التبختر ومد اليدين فی المشیء. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 404، مادة "مطط".

3- الجفاء: ترک الصلة والبر. الجفاء: البعد عن الشیء. لسان العرب، ابن منظور: 14/149، مادة "جفا".

ولا تجث على ركبتيک، وإذا هـدأ غيظک فتکلم، وإن قربک سـلطان فکن منه على حد السـنان، وإن استرسل إليک فلا تأمن انقلابه عليک، ورافق به رفقک بالصبی، وکلمه بما يشـتهيه ولا يحملنّک لطفه بک أن تـدخل بينه وبين أهله وولده وجيشه وإن کنت لذلک مسـتحقاً عنده، فإن سقطة الداخل بين الملک وأهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال.

وإياک وصـديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالک أکرم من عرضک، وإذا دخلت مجلساً فالأدب البداية بالتسـليم وترک التخطی لمن سبق والجلوس حيث تسعى وحيث يکون أقرب إلى التواضع، وأن تحيی بالسلام من قرب منک عند الجلوس، ولا تجلس على الطريق، وإن جلست فـأدبه غض البصـر، ونصـرة المظلوم وإغاثـة الملهوف وعون الضـعيف وإرشـاد الضـال ورد السـلام وإعطـاء السائـل والأـمر بالمعروف والنهی عن المنکر، والارتياد لموضع البصاق، فلا تصبق عن جهة القبلة ولا عن يمينک ولکن عن يسارک وتحت قدمک اليسرى.

ولا تجالس الملوک، فإن فعلت فأدبه ترک الغيبـة ومجانبـة الکـذب وصـيانة السـر وقلـة الحوائـج وتهـذيب الألفاظ والإعراب فی الخطاب، والمذاکرة بأخلاق الملوک وقلة المداعبة وکثرة الحذر منهم وإن ظهرت المودة، وأن لا يتجشأ(1) بحضرته ولا يتخلل بعد الأکل عنده.

وعلى الملک أن يتحمل کل شـیء إلا إفشاء السـر والقدح فی الملک والتعرض للحرم. ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترک الخوض فی حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم(2)، والتغافل عما يجرى فی سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم(3).

1- التجشأ: إخراج الريح من الفم مع الصوت عند الشبع. مستدرک سفينة البحار، النمازى: 2/ 63، مادة "جشأ".

2- ارجف القوم إذا خاضوا فی الأخبار السيئة وذکر الفتن. لسان العرب، ابن منظور: 9/ 113، مادة "رجف".

3- أنظر: إحيـاء علوم الـدين، الغزالی: 2/ 172، کتاب آداب الألفـة والأخوة، جملة آداب العشـرة والمجالسة مع أصـناف الخلق. المحجة البيضاء، الفيض الکاشانی: 3/ 350 ـــ 352، کتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة والصحبة.

وإياک وأن تمازح لبيباً(1) أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليک والسفيه(2) يجترئ عليک، لأن المزاح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم، ويمقته(3) المتقون. وهو يميت القلب، ويباعد عن الرب، ويكسب الغفلة، ويورث الذلة، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب. وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر، ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لفظ فليذكر الله تعالى عند قيامه. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من جلس فى مجلس وكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلک: «سبحانک اللهم وبحمدک أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرک وأتوب إليک» غفر له ما كان فى مجلسه ذلک(4).

1- لبيب: عاقل ذو لب. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 730، مادة "لبب".

2- السفيه: الخفيف العقل. السفيه: الجاهل، والضعيف الأحمق. لسان العرب، ابن منظور: 13/499، مادة "سفه".

3- المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت. كتاب العين، الفراهيدى: 5/ 132، مادة "مقت".

4- سنن الترمذى، محمد بن عيسى الترمذى: 5/ 158، أبواب الدعوات، باب 39 ما يقول إذا قام من مجلسه / ح1. وفيه النص: "من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلک: «سبحانک اللهم وبحمدک أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرک وأتوب إليک» إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلک".

الباب الثالث: الإخاء والإلفة

فی الإخاء والإلفة

قال تعالی فی معرض الامتنان: ((لَوْ أَنفَقْتَ مٰا فِی الأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفَتْ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَلکِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ))(1).

وقال تعالی: ((فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا))(2) یعنی بالإلفة(3).

ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعًا وَلا تَفَرَّقُواْ))(4).

وقال: ((وَلا تَکُونُواْ کالَّذِینَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ))(5).

1- سورة الأنفال/ 63.

2- سورة آل عمران/103.

3- أمر تعالی بتذکر نعمه وأعظمها الإسلام وإتباع نبیه محمد (صلی الله علیه وآله وسلم)، فإن به زالت العداوة والفرقة وکانت المحبة والألفة. الجامع لأحکام القرآن، القرطبی: 4/ 164، تفسیر سورة آل عمران.

4- سورة آل عمران / 103.

5- سورة آل عمران/105.

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: من أراد الله به خیراً رزقه خلیلاً صالحاً، إن نسی ذکره وإن ذکر أعانه(1).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: من آخی أخاً فی الله(2) رفع الله له درجة(3) فی الجنة لا ینالها بشیء من عمله(4).

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: أعجز الناس من عجز عن اکتساب الإخوان، وأعجز منه من ضیع من ظفر به(5).(6)

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: أوثق عری الإیمان الحب فی الله والبغض فی الله والتولی لأولیاء الله(7) والتبری من أعداء الله(8).(9)

وقال الباقر علیه السلام: إذا أردت أن تعلم أن فیک خیراً فانظر إلی قلبک، فإن کان یحب أهل طاعة الله ویبغض أهل معصیته ففیک خیر والله یحبک, وإذا کان یبغض أهل طاعة الله ویحب أهل معصیته فلیس فیک خیر والله یبغضک، والمرء مع من أحب(10).

1- المعجم الأوسط، الطبرانی: 4/294. وفیه النص: "من ولی من أمر المسلمین شیئا فأراد الله به خیرا رزقه وزیرا صالحا، إن نسی ذکره، وإن ذکر أعانه".

2- فی الفیض: "الله عزّوجل".

3- فی الفیض: "رفعه الله درجة".

4- فیض القدیر، المناوی: 5/ 526/ ح7789.

5- فی النهج: "به منهم".

6- نهج البلاغة، الشریف الرضی: 470، حکم أمیر المؤمنین علیه السلام/ح12.

7- فی المعانی: "وتولی أولیاء الله".

8- فی المعانی: "الله عزّوجل".

9- معانی الأخبار، الصدوق: 398 __ 399، باب نوادر المعانی/ح55.

10- مصادقة الإخوان، الصدوق: 51، باب محبة الإخوان/ ح3.

وتحقيق المقام فى بيان الحب والبغض فى الله: إن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق ـــ كالصحبة بحسب الجوار وبحسب الاجتماع فى مدرسة أو سوق أو سفر أو على باب السلطان أو غير ذلک ـــ وإلى ما ينشأ اختياراً أو يقصد، وهو الذى يبعث على الأخوة فى الدين، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية(1).

والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة، وهذه الأمور لا يقصد بها الإنسان غيره إلا إذا أحبه، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته.

والمحبوب إما أن يحب لذاته، وإما أن يحب ليتوصل به إلى مقصود آخر وراءه، وذلک المقصود إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة، وإما أن يكون متعلقاً بالله تعالى. فهذه أربعة أقسام:

القسم الأول: وهو حبک الإنسان لذاته، وهو ممكن أن يكون هو فى ذاته محبوباً عندک على معنى أنک تلتذ برؤيته ومعيته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانک له، فإن كل جميل لذيذ فى حق من أدرک جماله، وكل لذيذ محبوب، واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع الملاءمة والمناسبة والموافقة بين الطباع.

ثم ذلک المستحسن إما أن يكون الصورة الظاهرة ـــ أى الخلقة ـــ وإما أن يكون الصورة الباطنة، وهى كمال العقل وحسن الخلق، ويتبع حسن الأخلاق حسن

1- قال المجلسى: "النية تطلق على النية المقارنة للفعل وعلى العزم المتقدم عليه سواء تيسر العمل أم لا وعلى التمنى للفعل وإن علم عدم تمكنه منه والمراد هنا أحد المعنيين الآخرين ويمكن أن يقال إن النية لما كانت من الأفعال الاختيارية القلبية فلا محالة يترتب عليها ثواب وإذا فعل الفعل المنوى يترتب عليه ثواب آخر ولا ينافى اشتراط العمل بها تعدد الثواب كما أن الصلاة صحتها مشروطة بالوضوء ويترتب على كل منهما ثواب إذا اقترنا". بحار الأنوار، المجلسى: 67/200، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب 53 النية وشرائطها / بيان حديث 4.

الأفعال لا محالة، ويتبع كمال العقل غزارة العلم، وكل ذلک مستحسن عند ذی الطبع السلیم والعقل المستقیم. وکل مستحسن مستلذ به ومحبوب، بل فی ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا، فإنه قد تستحکم المودة بین شخصین من غیر ملاحة فی صورة وحسن فی خلق وخلق، ولکن بمناسبة باطنة توجب الإلفة والموافقة، فإن شبه الشیء ینجذب إلیه بالطبع، والأشباه الباطنة خفیة ولها أسباب دقیقة لیس فی قوة البشر الاطلاع علیها، وعنه عبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناکر منها اختلف(1). فالتناکر نتیجة التباین، والائتلاف نتیجة التناسب الذی عبر عنه بالتعارف.

ویدخل فی هذا القسم المحبة للجمال إذا لم یکن المقصود قضاء الشهوة وهذا الحب لا یدخل فیه الحب لله، بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس، وهو إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً وإلا فهو مباح.

القسم الثانی: أن یحبه لینال من ذاته غیر ذاته، فیکون وسیلة إلی محبوب غیره، والوسیلة إلی المحبوب محبوب، ولذلک یحب الناس الذهب والفضة من حیث إنهما وسیلة إلی المقاصد، وهو إن کان لفائدة دنیویة لم یکن من جملة الحب فی الله، ثم ینقسم ذلک إلی مذموم ومباح.

القسم الثالث: أن یحبه لا لذاته بل لغیره، وذلک الغیر غیر راجع إلی حظوظه فی الدنیا بل یرجع إلی حظوظه فی الآخرة، کمن یحب أستاذه وشیخه لأن یتوسل به إلی تحصیل العلم وتحسین العمل، ومقصوده من العلم والعمل الفوز فی الآخرة، فهذا من جملة المحبین لله، وکذلک من یحب تلمیذه لأنه یتلقف منه العلم

1- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 4/380، کتاب الفرائض والمواریث، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) الموجزة/ ح56.

وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به إلى درجة التعظيم فى ملكوت السماء. قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلّم فذلک يدعى عظيماً فى ملكوت السماء(1).

ولا يتم التعليم إلا بمتعلم، فهو إذاً آلة فى تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله.

بل نزيد ونقول: من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة تقرباً إلى الله فأحب طباخاً لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه فى الله.

بل نزيد على هذا ونقول: من أحب من يخدمه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه لتفرغه بذلک للعلم والعمل، ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله.

القسم الرابع: أن يحب فى الله ولله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات وأعظمها، وهذا القسم أيضاً ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد، فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلک الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، وكذلک من أحب الله تعالى أحب أحباءه. ويأتى الكلام فى محبة الله إن شاء الله تعالى(2).

1- منية المريد، الشهيد الثانى: 121، الفصل 5 فى فضل العلم. وفيه النص: "من علم وعمل فذاک يدعى عظيما فى ملكوت السماء". وأورده أيضا ابن عساكر فى تاريخ دمشق: 47/457. بهذا النص: من علم وعمل وعلم كان يدعى عظيما فى ملكوت السماء.

2- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 145 ـــ 149، كتاب آداب الألفة والأخوة، بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها من الأخوة فى الدنيا. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 319 ـــ 322، الباب الخامس فى الإخاء والألفة، الفصل الأول أقسام الحب والمصاحبة. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 3/293 ـــ 302، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، بيان معنى الأخوة فى الله وتمييزها عن الأخوة فى الدنيا.

ویلزم المحب فی الله أن یبغض فی الله، فـإذا أحببت إنسانـاً من حیث إنه مطیع لله تعـالی فـإذا عصـی ربه فلا بـد أن تبغضه لأنه عاصٍ للّه وممقوت عند الله(1).

روی أن الله تعالی أوحی إلی نبی من الأنبیاء: أما زهدک فی الدنیا فقد تعجلت الراحة، وأما انقطاعک إلی فقد تعززت بی، ولکن هل عادیت فیّ عدواً أو والیت فیّ ولیاً؟!(2).

1- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2 / 149، کتاب آداب الألفة والأخوة، بیان البغض فی الله.

2- مستدرک سفینة البحار، النمازی: 4/375، زهد الأنبیاء وخاتمهم.

الباب الرابع: تقسيم الإخوان والأصدقاء

فی تقسیم الإخوان والأصدقاء

روی عن الباقر علیه السلام قال: قام رجل بالبصرة فقال: یا أمیر المؤمنین اخبرنا عن الإخوان؟ فقال علیه السلام: الإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المکاشرة. فأما إخوان الثقة فهم الکهف والجناح والأهل والمال، فإذا کنت من أخیک علی حد الثقة فابذل له مالک وبدنک وصاف من صافاه وعاد من عاداه واکتم سره وعیبه وأظهر منه الحسن، واعلم أیها السائل أنهم أقل من الکبریت الأحمر(1). وأما إخوان المکاشرة فإنک تصیب لذتک منهم فلا تقطعن ذلک منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلک عن ضمیرهم، وابذل لهم ما بذلوا من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان(2).

وعن الصادق علیه السلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السلام: لا علیک أن تصحب ذا العقل، وإن لم تحمد کرمه، ولکن انتفع بعقله واحترس من سیئ أخلاقه، ولا

1- الکبریت: معروف، وقولهم: أعز من الکبریت الأحمر، إنما هو کقولهم: أعز من بیض الأنوق. ویقال: ذهب کبریت، أی: خالص. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 130، مادة "کبر".

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 248__249، کتاب الإیمان والکفر، باب فی أن المؤمن صنفان/ح3.

تدعن صحبة الكريم فإن(1) لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وفرّ(2) كل الفرار من اللئيم الأحمق(3).

وقال الصادق عليه السلام: عليک بالتلاد(4)، وإياک وكل محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمة ولا ميثاق، وكن على حذر من أوثق الناس فى نفسک، فإن الناس أعداء النعم(5).

وفى رواية أخرى عنه عليه السلام(6): لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شىء منها فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شىء منها فلا تنسبه إلى شىء من الصداقة: فأولها أن تكون سريرته وعلانيته لک واحدة، والثانية أن يرى زينک زينه وشينک شينه، والثالثة أن لا تغيره(7) عليک ولاية ولا مال، والرابعة أن لا يمنعک شيئاً تناله مقدرته، والخامسة ___ وهى تجمع هذه الخصال- أن لا يسلمک عند النكبات(8).

1- فى الوسائل: "وإن".

2- فى الوسائل: "وافرر".

3- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 12/19، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب الثامن استحباب صحبة العاقل الكريم واجتناب الأحمق اللئيم/ ح1.

4- التلاد: كل حال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء. لسان العرب، ابن منظور: 3 /99، مادة «تلد».

5- الكافى، الكلينى: 8/249، كتاب الروضة، حديث القباب/ ح51.

6- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

7- فى الوسائل: "لا يغيره".

8- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 12/25 ___ 26، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب 13 استحباب مصادقة من يحفظ صديقه ولا يسلمه/ ح1.

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: قد قل ثلاثة أشیاء فی کل زمان: الإخاء فی الله، والزوجة الصالحة الألیفة فی دین الله، والولد الرشید. ومن أصاب أحد الثلاثة فقد أصاب خیر الدارین والحظ الأوفر فی الدنیا. واحذر أن تؤاخی من أرادک لطمع أو خوف أو قتل أو أکل أو شرب، واطلب مؤاخاة الأتقیاء وفی ظلمات الأرض ولو أفنیت عمرک فی طلبهم، فإن الله عزّوجل لم یخلق علی وجه الأرض أفضل منهم بعد النبیین، وما أنعم الله علی العبد بمثل ما أنعم به من التوفیق لصحبتهم. قال الله تعالی: ((الأَخِلاّء یَوْمَئِذٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاّ الْمُتَّقِینَ))(1).(2)

1- سورة الزخرف/ 67.

2- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 150 ـــ 151، الباب 71 فی المؤاخاة.

الباب الخامس: حقوق الأخوة والصحبة

فی حقوق الأخوة والصحبة

وهی فی المال والنفس واللسان والقلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء والتخفیف وترک التکلف والتکلیف، وتجمعها ثمانیة أمور:

الأول: المال، وله مراتب ثلاث:

أولها: وهی أدناها أن تنزله منزلة عبدک وخادمک فی القیام بحوائجه وأموره من دون أن تحوجه إلی سؤال.

الثانیة: وهی أوسطها أن تنزله منزلة نفسک وترضی بمشارکته إیاک فی مالک.

الثالثة: وهی أعلاها أن تؤثره علی نفسک وتقدم حاجته علی حاجتک، قال تعالی: ((وَیُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ))(1)، وقال السجاد علیه السلام لرجل: هل یدخل أحدکم یده فی کم أخیه وکیسه فیأخذ منه ما یرید من غیر إذن؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان(2).

1- سورة الحشر/ 9.

2- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3/320، کتاب آداب الصحبة والعشرة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة والصحبة، الحق الأول. کتاب الإخوان، ابن أبی الدنیا: 205، فی سخاء النفس بالبذل للإخوان. وفیه النص: "عن عبد الله بن الولید، قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علی: یدخل أحدکم یده فی کم صاحبه ویأخذ ما یرید؟ قلنا: لا، قال: فلستم بإخوان کما تزعمون.

الثانی: فی الإعانـة بالنفس فی قضاء حاجاته والقیام بها قبل السؤال وهـذه أیضاً لها درجات: أدناها القیام بالحاجـة عنـد السؤال والقـدرة مع البشاشة. وعن الصادق علیه السـلام قال: إنی لأتسارع إلی قضاء حوائج أعدائی مخافة أن أردهم فیستغنون عنی(1). هذا فی الأعداء فکیف فی الأصدقاء(2).

الثالث والرابع: علی اللسان بالسـکوت عن ذکر عیوبه فی حضرته وغیبته والممـاراة(3) والمنافسة معه إلا فی الله، وعن أسراره التی تنهی إلیه ولو بعد القطیعة، فإن ذلک من لؤم الطبع، وأن یسکت عن القدح(4) فی أحبائه وأهله وولده، وعن حکایة قدح غیره فیه، فإن الذی سبک من بلغک(5)، وبـالنطق بإظهـار التودد والتفقـد والـدعاء والثناء، وینصـحه ویخوفه إذا ارتکب حراماً وینبهه علی عیوبه، ویقبـح القبیـح فی عینه ویحسن الحسن.

1- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3/321، کتاب آداب الصحبة والعشرة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة والصحبة، الحق الثانی.

2- نفس المصدر.

3- دع المماراة، أی دع المجادلة فیما فیه المریة والشک. مجمع البحرین، الطریحی: 4/185، مادة "مرأ".

4- قدحت فی نسبه، أی: طعنت. المجموع، محیی الدین النووی: 20/ 206.

5- أنظر: المحجـة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3/323، کتاب آداب الصـحبة والمعاشـرة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة والصـحبة، الحق الثالث.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: المؤمن مرآة المؤمن(1) ـــ أى يرى منه ما لا يرى من نفسه، كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة.

الخامس: العفو عن زلاته وهفواته(2)، وهفوته إن كانت فى الدين نصحته وأرشدته، وإن كانت لتقصير فى الأخوة عفوت عنه ولا تعاقبه، وإذا اعتذر إليک فاقبل عذره. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل فعليه مثل إثم صاحب المكس(3).(4)

السادس: الدعاء له فى حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله، ولا تفرق بين نفسک وبينه، فإن دعاءک له دعاء لنفسک. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إذا دعا رجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملک: ولک مثل ذلک(5).

وعن الباقر عليه السلام: فى قوله تعالى: ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ))(6) قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فتقول له الملائكة: آمين. ويقول الله العزيز الجبار: ولک مثل ما سألت، ولقد أعطيت ما سألت بحبک إياه(7).

1- سنن أبى داود،ابن الأشعث السجستانى:2/460،كتاب الأدب،باب 57 فى النصيحة والحياطة/ح1.

2- الهفوة: الزلة. الصحاح، الجوهرى: 6/2535، مادة "هفا".

3- المكس: انتقاص الثمن فى البياعة. كتاب العين، الفراهيدى: 5/317، مادة "مكس".

4- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 3/339، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثانى فى حقوق الأخوة والصحبة، الحق الخامس.

5- الأمالى، الطوسى: 481، المجلس 17/ ح20. وفيه النص: "من دعا لمؤمن بظهر الغيب قال الملک ولک مثل ذلک".

6- سورة الشورى/ 26.

7- أنظر: تفسير الصافى، الفيض الكاشانى: 4/376، تفسير سورة الشورى.

وروی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: مثل المیت فی قبره مثل الغریق یتعلق بکل شیء، ینتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قریب(1). وإنه لیدخل علی قبور الأموات من دعاء الأحیاء من الأنوار مثل الجبال(2).

السابع: الوفاء والإخلاص، والوفاء هو الثبات علی الحب وإدامته إلی الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما یراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعی، ولذلک قیل: «قلیل الوفاء بعد الوفاة خیر من کثیر الوفاء فی حال الحیاة»(3).(4)

وروی أنه صلی الله علیه وآله وسلم أکرم عجوزاً دخلت علیه، فقیل له فی ذلک فقال: «إنها کانت تأتینا أیام خدیجة»(5).

ومن الوفاء مراعاة جمیع أقاربه وأصدقائه، وأن لا یتغیر حاله فی التواضع مع أخیه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولایته، وأن لا یصادق أعدائه.

الثامن: التخفیف وترک التکلیف، وذلک بأن لا یکلف أخاه ما یشق علیه، ولا یستمد منه من جاه ولا مال، ولا یکلفه التواضع له والتفقد والقیام بحقوقه، بل لا یقصد بمحبته إلا الله تبارک وتعالی تبرکاً بدعائه واستئناساً بلقائه(6).

1- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2/167، کتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة والصحبة، الحق السادس الدعاء للأخ فی حیاته وبعد مماته.

2- نفس المصدر.

3- ذیل الحدیث فی الآداب: "خیر من کثیره وقت الحیاة".

4- آداب الصحبة، أبی عبد الرحمن السلمی: 1 / 93 / ح 124.

5- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، القاضی عیاض: 1 / 127.

6- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3 / 318 ـــ 345، کتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثانی، فی حقوق الأخوة والصحبة. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2/155 ـــ 171، کتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة.

قال أمير المؤمنين علیه السلام:شر الأصدقاء من تکلف لک، ومن أحوجک إلی مداراة، وألجاک إلی اعتذار(1).

وعن الصادق علیه السلام قال: أثقل إخوانی علیّ من یتکلف لی وأتحفظ منهم(2)، وأخفهم علی قلبی من أکون معه(3) کما أکون وحدی(4).

1- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2/169، کتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثانی فی حقوق الأخوة، الحق الثامن التخفیف وترک التکلف والتکلیف.

2- فی المستدرک: "منه".

3- فی المستدرک: "معهم".

4- مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 9/155، کتاب الحج، أبواب أحکام العشرة، باب 146 نوادر ما یتعلق بأبواب أحکام العشرة/ ح5.

الباب السادس: حقوق المسلم والمؤمن

فی حقوق المسلم والمؤمن

وهی أمور:

الأول: أن یحب للکافة ما یحب لنفسه، ویکره لهم ما یکره لنفسه.

قال الصادق علیه السلام: إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب علی رجل منهم عرق سهر له الآخرون(1).

وقال علیه السلام(2): المؤمن أخو المؤمن کالجسد الواحد، إن اشتکی شیئاً منه وجد ألم ذلک فی سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة(3)- الحدیث.

وقال علیه السلام(4):المؤمنون خدم بعضهم لبعض،قال:یفید بعضهم بعضا(5)-الحدیث.

1- الکافی، الکلینی: 2/165، کتاب الإیمان والکفر، باب أخوة المؤمنین بعضهم لبعض/ ح1. کتاب المؤمن،الأهوازی:38، باب 3 ما جعل الله بین المؤمنین من الإخاء/ ح1.ولیس فی بدایته "إنما".

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- مصادقة الإخوان، الشیخ الصدوق: 48، باب المؤمن أخو المؤمن/ ح2.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- الکافی، الکلینی: 2/167، کتاب الإیمان والکفر، باب أخوة المؤمنین بعضهم لبعض/ ح9. وفیه النص: المؤمنون خدم بعضهم لبعض، قلت: وکیف یکونون خدما بعضهم لبعض؟ قال: یفید بعضهم بعضا ... الحدیث.

وفی الصحیح(1) عنه علیه السلام(2) قال لأصحابه: اتقوا الله، وکونوا إخوة برة متحابین فی الله متواصلین متراحمین، تزاوروا وتلاقوا وتذاکروا أمرنا(3).(4)

1- الحدیث الصحیح: ما اتصل سنده إلی المعصوم بنقل العدل الإمامی عن مثله فی جمیع الطبقات حیث تکون متعددة وإن اعتراه شذوذ. فخرج باتصال السند المقطوع، فی أی مرتبة اتفق،فإنه لا یسمی صحیحا،وإن کان رواته من رجال الصحیح. وشمل قوله: "إلی المعصوم" النبی والإمام. وبقوله: "بنقل العدل" الموثق. وبقوله: "ألإمامی" الحسن. وبقوله: "فی جمیع الطبقات" ما اتفق فیه واحد بغیر الوصف المذکور، فإنه بسببه یلحق بما یناسبه من الأوصاف، لا بالصحیح. وهو وارد علی من عرفه من أصحابنا ـــ کالشهید فی الذکری ـــ بأنه: "ما اتصلت روایته إلی المعصوم بعدل إمامی" (الذکری، الشهید الأول:4). فإن اتصاله بالعدل المذکور لا یلزم أن یکون فی جمیع الطبقات بحسب إطلاق اللفظ، وإن کان ذلک مرادا. ونبه بقوله: "وإن اعتراه شذوذ" علی خلاف ما اصطلح علیه العامة من تعریفه، حیث اعتبروا سلامته من الشذوذ، وقالوا فی تعریفه: "إنه ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله، وسلم عن شذوذ وعلة". وشمل تعریفهم بإطلاق العدل جمیع فرق المسلمین. فقبلوا روایة المخالف العدل، ما لم یبلغ خلافه حد الکفر، أو یکن ذا بدعة ویروی ما یقوی بدعته،علی أصح أقوالهم. وبهذا الاعتبار کثرت أحادیثهم الصحیحة وقلت أحادیثنا الصحیحة. الرعایة لحال البدایة فی علم الدرایة، الشهید الثانی: 66 ـــ 67، الباب الأول فی أقسام الحدیث، الأول: الصحیح.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- فی الکافی: "وتذاکروا أمرنا وأحیوه".

4- الکافی، الکلینی: 2/175، کتاب الإیمان والکفر، باب بالتراحم والتعاطف/ ح1.

الثانی: أن لا یؤذی أحداً من المسلمین بقول أو فعل. قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده(1).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: أتدرون من المسلم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال(2): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده(3). قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون علی أنفسهم وأموالهم. قالوا: فمن المهاجر؟ قال: من هجر الشر واجتنبه(4).(5)

وعن الباقر علیه السلام قال: ألا أنبئکم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون علی أنفسهم وأموالهم. ألا أنبئکم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ویده، والمهاجر من هجر السیئات وترک ما حرم الله، والمؤمن حرام علی المؤمن أن یظلمه أو یخذله أو یغتابه أو یدفعه دفعة(6).

الثالث: أن یتواضع لکل مسلم ولا یتکبر علیه، فإن ((اللّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ))(7). وقال صلی الله علیه وآله وسلم: إن الله أوحی إلی: أن تواضعوا حتی لا یفخر أحد علی أحد(8). ثم إن تفاخر علیه غیره فلیحتمل، فقد قال الله تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله وسلم: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ))(9).

1- التفسیر الکبیر، الرازی: 26/165، تفسیر سورة ص.

2- فی المعجم: "قال".

3- فی المعجم: "من یده ولسانه".

4- فی المعجم: "من هجر السوء فاجتنبه".

5- المعجم الأوسط، الطبرانی: 3/291، من اسمه بکر/ح3188.

6- الکافی، الکلینی: 2/235، کتاب الإیمان والکفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته/ ح19.

7- سورة لقمان/ 18.

8- ریاض الصالحین، النووی: 317، باب 71 التواضع وخفض الجناح للمؤمنین/ ح602.

9- سورة الأعراف/ 199.

وقال الصادق علیه السلام: إن فی السماء ملکین موکلین بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تکبر وضعاه(1).

وفی حدیث حسن(2) أن علی بن الحسین علیهما السلاممرّ علی المجذومین(3) وهو راکب حماره وهم یتغدون،فدعوه إلی الغداء فقال: أما لولا أنی صائم(4) لفعلت، فلما صار إلی منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن یتونقوا(5)(6) فیه، ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدی معهم(7).

الرابع: أن لا یسمع بلاغات الناس بعضهم علی بعض، ولا یبلغ بعضهم ما یسمع من بعض. قال صلی الله علیه وآله وسلم: لا یدخل الجنة قتات(8).(9)

1- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 227، الباب الخامس فی مکارم الأخلاق ونظائرها، الفصل الثانی فی التواضع.

2- الحدیث الحسن: هو ما اتصل سنده إلی المعصوم بإمامی ممدوح من غیر نص علی عدالته. مع تحقق ذلک فی جمیع مراتبه، أی: جمیع رواة طریقه. أو تحقق ذلک فی بعضها، بأن کان فیهم واحد إمامی ممدوح، غیر موثق مع کون الباقی من الطریق من رجال الصحیح فیوصف الطریق بالحسن لأجل ذلک الواحد. الرعایة لحال البدایة فی علم الدرایة،الشهید الثانی:68،الباب الأول فی أقسام الحدیث،الثانی:الحسن.

3- فی الکافی: "مر علی بن الحسین (علیه السلام) علی المجذمین".

4- فی الکافی: "أما إنی لولا أنی صائم".

5- فی الکافی: "یتنوقوا".

6- قولهم: تنوق وتنیق فی مطعمه وملبسه: تجوّد وبالغ. مجمع البحرین، الطریحی: 4/394، مادة "نوق".

7- الکافی، الکلینی: 2/ 123، کتاب الإیمان والکفر، باب التواضع/ ح8.

8- قتات: هو النمام. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 11، مادة "قتت".

9- تفسیر الثعالبی، عبد الرحمن الثعالبی: 4/ 326، تفسیر سورة القلم.

وفی الصحیح(1) عن الباقر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا معشر من أسلم بلسانه ولم یسلم بقلبه لا تتبعوا عثرات المسلمین، فمن(2) تتبع عثرات المسلمین تتبع الله عثراته(3)، ومن تتبع الله عثراته(4) یفضحه(5).

وفی الموثق(6) عنه علیه السلام قال(7): أقرب ما یکون العبد إلی الکفر أن یؤاخی الرجل الرجل علی الدین فیحصی علیه زلاته لیعیره بها یوماً(8).

وعنه علیه السلام(9) قال: من روی علی مؤمن روایة یرید بها شینه وهدم مروته لیسقط من أعین الناس أخرجه الله تعالی(10) من ولایته إلی ولایة الشیطان، فلا یقبله الشیطان(11).

1- الحدیث الصحیح: مر تعریفه وبیانه فی بدایة الباب السادس فی حقوق المسلم والمؤمن.

2- فی الکافی: "فإنه من".

3- فی الکافی: "عثرته".

4- فی الکافی: "عثرته".

5- الکافی، الکلینی: 2/355، کتاب الإیمان والکفر، باب من طلب عثرات المسلمین وعوراتهم/ح4.

6- الحدیث الموثق: سمی بذلک، لأن راویه ثقة، وإن کان مخالفا، وبهذا فارق الصحیح مع اشتراکهما فی الثقة. ویقال له: القوی أیضا، لقوة الظن بجانبه بسبب توثیقه. وهو ما دخل فی طریقه من نص الأصحاب علی توثیقه مع فساد عقیدته، بأن کان من إحدی الفرق المخالفة للإمامیة، وإن کان من الشیعة. الرعایة لحال البدایة فی علم الدرایة، الشهید الثانی: 70، الباب الأول فی أقسام الحدیث، الثالث: الموثق.

7- أی: «الإمام أبی جعفر الباقر علیه السلام».

8- منیة المرید، الشهید الثانی: 331، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها وآدابها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما یتولد منها من مهلکات الأخلاق.

9- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

10- لیس فی کشف الریبة: "تعالی".

11- کشف الریبة، الشهید الثانی: 11.

الخامس: أن لا يزيد فی الهجرة لمن يعرفه أكثر من ثلاثة أيام مهما غضب عليه. قال النبی صلی الله عليه وآله وسلم: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهم(1) الذی يبدأ بالسلام(2).

وقال صلی الله عليه وآله وسلم: من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة(3).

وقال صلی الله عليه وآله وسلم: أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من(4) الإسلام ولم يكن بينهما ولاية، وأيهما سبق(5) إلی كلام صاحبه كان السابق إلی الجنة يوم الحساب(6).

وعنه عليه السلام(7) قال: لا يزال إبليس فرحاً ما تهاجر(8) المسلمان، فإذا التقيا اصطكت(9) ركبتاه وتخلعت أوصاله ونادی يا ويله ما لقی من الثبور(10).(11)

1- فی المسند: "وخيرهما".

2- مسند الشهاب، ابن سلامة: 2/60 ح881.

3- الكفاية فی علم الرواية، الخطيب البغدادی: 90، باب ما جاء فيمن سمع حديثا فخفی عليه فی وقت السماع حرف منه لإدغام المحدث إياه ما حكمه.

4- فی الإرشاد: "عن".

5- فی الإرشاد: "كان أسبق".

6- إرشاد القلوب، الديلمی: 1/ 178، الباب الحادی والخمسون فی أخبار عن النبی صلی الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهارعليهم السلام.

7- الإمام الصادق عليه السلام.

8- فی المنية: "ما اهتجر".

9- تحاكا: اصطك جرماهما فحك كل الآخر. القاموس المحيط، الفيروز آبادی: 3/ 299، مادة "الحك".

10- الثبور: الهلاك. كتاب العين، الفراهيدی: 8/222، مادة "ثبر".

11- منية المريد، الشهيد الثانی: 326، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها وآدابها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

السادس: أن يحسن إلى كل من قدر منهم إن استطاع، فعن السجاد عن آبائه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله(1).

وفى رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر(2).

وقال الباقر عليه السلام:من خالطت فإن استطعت أن تكون يدک العليا عليهم فافعل(3).

السابع:أن لا يدخل على أحد إلا بإذنه،بل يستأذن ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف(4).

الثامن: أن يخالط الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسن طريقته، فإنه إذا أراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهى بالفقه والغبى بالبيان أذى وتأذى. قال الصادق عليه السلام: خالقوا الناس بأخلاقهم(5).

التاسع: أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا(6).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من تمام إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم(7).

1- صحيفة الرضا عليه السلام، الإمام الرضا عليه السلام: 52. وفيه النص: «اصطنع الخير إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن لم تصب أهله فأنت من أهله».

2- آداب الصحبة، أبى عبد الرحمن السلمى: 1/ 98، التودد إلى الإخوان/ ح139.

3- الكافى، الكلينى: 2/ 637، كتاب العشرة، باب حسن المعاشرة/ ح1.

4- أنظر: علل الشرائع، الصدوق: 2/ 366، باب 88 علة تسبيح فاطمة عليها السلام/ ح1.

5- من لا يحضره الفقيه، الصدوق: 1/ 383، كتاب الصلاة، أبواب الصلاة وحدودها، باب الجماعة وفضلها/ ح38.

6- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلمى الهمذانى:3/414/ح5265.

7- جامع الأخبار، الشعيرى: 92، الفصل الخمسون فى الشيخ. وفيه النص: "من إكرام جلال الله عزّوجل إكرام ذى الشيبة المسلم".

وقال الصادق علیه السلام: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من عرف فضل کبیر لسنه فوقره آمنه الله من فزع یوم القیامة(1).

وفی روایة: من وقر ذا شیبة فی الإسلام آمنه الله من فزع یوم القیامة(2).

العاشر: أن یکون مع کافة الخلق مستبشراً طلق الوجه رقیقاً. قال صلی الله علیه وآله وسلم: أتدرون علی من حرمت النار؟ قالوا: الله ورسول أعلم. قال علی اللین الهین(3) السهل القریب(4). وقال علیه السلام(5): إن الله یحب السهل الطلق(6).

وقال الصادق علیه السلام: من أخذ من وجه أخیه المؤمن قذاة(7) کتب الله(8) له عشر حسنات، ومن تبسم فی وجه أخیه کانت له حسنة(9).

1- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 169، الباب الثالث فی محاسن الأفعال وشرف الخصال، الفصل السابع عشر فی إکرام الشیوخ.

2- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 12 / 99، کتاب الحج، أبواب أحکام العشرة، باب 67 استحباب إجلال ذی الشیبة المؤمن وتوقیره وإکرامه/ ح10.

3- فی المعجم: "الهین اللین".

4- المعجم الأوسط، سلیمان بن أحمد الطبرانی: 8/ 219، من بقیة من أول اسمه میم، من اسمه موسی/ ح8452.

5- أی: "النبی صلی الله علیه وآله وسلم".

6- مسند الشهاب، القاضی أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعی: 2/ 153، إن الله یحب السهل الطلق/ ح1083.

7- القذی: جمع قذاة، وهو ما یقع فی العین والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غیر ذلک. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 30، مادة "قذا".

8- فی الکافی: "الله عزّوجل".

9- الکافی،الکلینی:2/ 205 __ 206، کتاب الإیمان والکفر، باب فی إلطاف المؤمن وإکرامه/ح1.

وقال علیه السلام(1): من قال لأخیه مرحباً کتب الله له مرحباً إلی یوم القیامة(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من أکرم أخاه المسلم بکلمة یلطفه بها وفرج عنه کربته لم یزل فی ظل الله الممدود علیه الرحمة ما کان فی ذلک(4).

وعنه علیه السلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السلام(5): المؤمن إلف مألوف، ولا خیر فی من لا یألف ولا یؤلف(6).

الحادی عشر: أن لا یعد مسلماً بوعد إلا ویفی به. قال السجاد علیه السلام فی صفة المنافق: وإذا(7) وعدک أخلفک(8).

وقال الصادق علیه السلام عدة المؤمن أخاه نذر لا کفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدا ولمقته تعرض، وذلک قوله تعالی(9):((یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لا تَفْعَلُونَ (2) کَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مٰا لا تَفْعَلُونَ))(10).(11)

1- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

2- مصادقة الإخوان، الشیخ الصدوق: 78، باب ملاطفة الإخوان/ ح2.

3- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

4- الکافی، الکلینی:2/206، کتاب الإیمان والکفر، باب فی إلطاف المؤمن وإکرامه/ح5.

5- الحدیث مروی فی المراجع الخاصة والعامة عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

6- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 10/ 39، باب الخطب والأوامر، فصل فی العزلة والاجتماع وما قیل فیهما.

7- فی الکافی: "وإن".

8- الکافی، الکلینی: 2/ 396، کتاب الإیمان والکفر، باب صفة النفاق والمنافق/ ح3.

9- لیس فی الکافی: "تعالی".

10- سورة الصف/ 2 ___ 3.

11- الکافی، الکلینی: 2/ 363 ___ 364، کتاب الإیمان والکفر، باب خلف الوعد/ ح1.

وعنه عليه السلام(1) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد(2).

وعنه عليه السلام(3) قال: إنما سمى إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلاً فى مكان فانتظره فى ذلك المكان سنة، فسماه الله تعالى صادق الوعد، ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال إسماعيل: مازلت منتظراً لك(4).

الثانى عشر: أن ينصف الناس من نفسه، ولا يأتى إليهم إلا ما يحب أن يؤتى إليه. قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً(5).

وقال الصادق عليه السلام لرجل: ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قال: بلى. قال: إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك أخاك، وذكر الله فى كل موطن، أما إنى لا أقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وإن كان هذا من ذلك، ولكن ذكر الله فى كل موطن إذا هممت على طاعة أو معصية(6).

وروى أن أعرابياً أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى بعض غزواته فأخذ بغرز(7) راحلته فقال: يا رسول الله علمنى عملاً أدخل به الجنة. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أحببت أن يأتيه

1- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

2- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 12/ 165، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب 109 استحباب الصدق فى الوعد ولو انتظر سنة/ ح2.

3- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

4- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/105، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ح7.

5- الكافى، الكلينى: 2/ 144، كتاب الإيمان والكفر، باب الإنصاف والعدل/ ح4.

6- أنظر: الأمالى، المفيد: 88، المجلس العاشر/ ح4.

7- الغرز: ركاب الرحل وكل ما كان مساكا للرجلين فى المركب يسمى: غرزا . كتاب العين، الفراهيدى: 4/382، مادة "غرز".

الناس إليک فأته إليهم، وما کرهت أن يأتيه الناس إليک فلا تأته إليهم. خل سبيل الراحلة(1).

الثالث عشر: أن يزيد فی توقير من تدل هيئته وثيابه علی علو منزلته، وينزل الناس منازلهم. روی أن النبی صلی الله عليه وآله وسلم دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتی دحس(2) وامتلأ، فجاء جرير بن عبد الله البجلی(3) فلم يجد مکاناً فقعد علی

1- أنظر: کتاب الزهد، الأهوازی: 21، باب 2 الأدب والحث علی الخير/ ح45.

2- فی حديث طلحة: أنه دخل عليه داره وهی دحاس، أی: ذات دحاس، وهو: الامتلاء والزحام. وفی حديث عطاء: حق علی الناس أن يدحسوا الصفوف حتی لا يکون بينهم فرج، أی: يزدحموا ويدسوا أنفسهم بين فرجها. لسان العرب، ابن منظور: 6/ 77، مادة "دحس".

3- جرير بن عبد الله البجلی: أبو عمرو، وکان ممن هاجر إلی رسول الله (صلی الله عليه وآله وسلم) ما حجبه رسول الله (صلی الله عليه وآله وسلم) منذ أسلم، ولا رآه إلا تبسم فی وجهه. مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان: 76، الصقع الثانی من أصقاع الإسلام، ذکر مشاهير الصحابة بالکوفة/ الرقم 275. ـــ قال الخطيب البغدادی: وفی سنة أربع وخمسين مات جرير بن عبد الله البجلی. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادی:1/202. ـــ قال ابن عساکر: فلما انصرف علی من البصرة أرسل جرير بن عبد الله البجلی إلی معاوية فکلمه، وعظم عليه أمر علی وسابقته فی الإسلام، ومکانه من رسول الله (صلی الله عليه وآله وسلم) واجتماع الناس عليه، وأراده علی الدخول فی طاعته، والبيعة له فأبی، وجری بينه وبين جرير کلام کثير فانصرف جرير إلی علی بن أبی طالب فأخبره بذلک فذلک حين أجمع علی علی الخروج إلی صفين. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: 59/ 118. ـــ عده الشيخ ممن روی عن أمير المؤمنين عليه السلام. رجال الوسی، الشيخ الطوسی: 59، باب الجيم/ الرقم 7. ـــ قال أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السلام: «إِنَّ اسْتِعْدادِی لِحَرْبِ أَهْلِ الشّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاقٌ لِلشّامِ وَصَرْفٌ لأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرادُوهُ وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلاّ مَخْدُوعاً أَوْ عاصِياً وَالرَّأْیُ عِنْدِی مَعَ الأَناةِ فَأَرْوِدُوا وَلا أَكْرَهُ لَكُمُ الإِعْدادَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذا الأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِی فِيهِ إِلاّ الْقِتالَ أَوِ الْكُفْرَ بِما جاءَ مُحَمَّدٌ (صلی الله عليه وآله وسلم) إِنَّهُ قَدْ كانَ عَلَی الأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْداثاً وَأَوْجَدَ النّاسَ مَقالاً فَقالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا». نهج البلاغة، الشريف الرضی: 84، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة رقم 43.

الباب، فلف رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم رداءه فألقاه عليه، فقال له: اجلس على هذا. فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى، ثم لفه فرمى به إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وقال: ما كنت لأجلس على ثوبک أكرمک الله كما أكرمتنى، فنظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يميناً وشمالاً ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه(1).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لما قدم عدى بن حاتم(2) إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أدخله النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيته ـــ ولم يكن فى البيت غير حصفة(3) ووسادة من أدم ـــ فطرحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدى(4).(5)

1- أنظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالى: 2/ 178، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث فى حق المسلم والرحم والجوار والملک وكيفية المعاشرة.

2- عدى بن حاتم: عده الشـيخ فى رجاله تارة من أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم. وأخرى من أصـحاب على عليه السلام بإضافة الطائى. له كلام فى ولائه لعلى عليه السـلام. عد عدى أيضا من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السـلام. معجم رجال الحديث، السيد الخوئى: 12/ 147، عـدى بن حاتم/ الرقم 7661. عـدى بن حاتم: الطائى، أحـد بنى ثعل، ويكنى أبا طريف، نزل الكوفة وابتنى بها دارا فى طىء، ولم يزل مع على بن أبى طالب (عليه السـلام) وشـهد معه الجمل وصفين، وذهبت عينه يوم الجمل، ومات بالكوفة زمن المختار سنة ثمان و ستين. الطبقات الكبرى، ابن سعد: 6/ 22، عدى بن حاتم.

3- فى الكافى: "خصفة".

4- فى الكافى: "لعدى بن حاتم".

5- الكافى، الكلينى: 2/ 659، كتاب العشرة، باب إكرام الكريم/ ح3.

الرابع عشر: أن يصلح ذات البين من المسلمين مهما وجد إليه سبيلا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الصدقة إصلاح ذات البين(1).

وفى الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: لأن أصلح بين اثنين أحب إلى من أن أتصدق بدينارين(2).

وعن المفضل(3) قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالى(4).

وعن أبى حنيفة (سائق الحاج)(5) قال: مرَّ بنا المفضل وأنا وختنى(6) نتشاجر فى ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتى إذا استوثق كل منا من صاحبه قال: أما

1- مجمع الزوائد، على بن أبى بكر الهيثمى: 8/80، باب ما جاء فى الإصلاح بين الناس.

2- الفصول المهمة، الحر العاملى:2/280، كتاب الصلح، باب 1/ ح3.

3- المفضل بن عمر الجعفى: جليل ثقة. معجم رجال الحديث، السيد الخوئى: 19 / 330، المفضل بن عمر أبو عبد الله/ الرقم12615.

4- تفسير الصافى، الفيض الكاشانى: 5/ 52، تفسير سورة الحجرات/ الآية 10.

5- سعيد بن بيان، أبو حنيفة، سابق الحاج الهمدانى: ثقة، روى عن أبى عبد الله عليه السلام، له كتاب. رجال النجاشى، أحمد بن على النجاشى: 180 _ 181، باب السين/ الرقم 476.

6- الختن: الصهر. كتاب العين، الفراهيدى: 4/ 238، مادة "ختن". الختن بالتحريک: كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ وهم الأختان هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل: زوج ابنته. الصحاح، الجوهرى: 5/ 2107، مادة "ختن".

إنها ليست من مالی ولكن أبو عبد الله أمرنی إذا تنازع رجلان من أصحابنا فی شیء أن أصلح بینهما وأفتدیها من ماله، فهذا مال أبی عبد الله علیه السلام(1).

وفی الحسن عنه علیه السلام(2) قال: المصلح لیس بكاذب(3).

الخامس عشر: أن یستر عورات المسلمین كلهن. قال صلی الله علیه وآله وسلم: من ستر علی مسلم ستره الله تعالی(4) فی الدنیا والآخرة(5).

وعن الصادق علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من أذاع فاحشة كان كمبتدیها(6)، ومن عیّر مؤمناً بشیء لم یمت حتی یركبه(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: من قال فی مؤمن ما رأته عیناه وسمعته أذناه فهو من الذین قال الله تعالی(9): ((إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَن تَشِیعَ الْفَاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ))(10).(11)

1- أنظر: تهذیب الأحكام، الشیخ الطوسی: 6/ 312، كتاب القضایا والأحكام، باب 92 من الزیادات فی القضایا والأحكام/ ح70.

2- الإمام الصادق علیه السلام.

3- الكافی، الكلینی: 2/ 210، كتاب الإیمان والكفر، باب الإصلاح بین الناس/ ح5.

4- فی أخبار أصبهان: "ستر الله علیه".

5- ذكر أخبار أصبهان، الحافظ الأصبهانی: 2/ 17.

6- فی المؤمن: "كمبتدئها".

7- كتاب المؤمن، الأهوازی: 66 __ 67، باب 8 ما حرم الله عزّوجل علی المؤمن من حرمة أخیه المؤمن/ ح3.

8- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

9- فی الاختصاص: "عزّوجل" بدل "تعالی".

10- سورة النور/ 19.

11- الاختصاص، الشیخ المفید: 227، حدیث فی زیارة المؤمن لله.

السادس عشـر: أن يتقى مواضع التهم صـيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: كيف ترون من يسب أبويه؟ فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه. فقال: نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه(1).

السابع عشـر: أن يشـفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى كل من له عنده منزلة، ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه، ففى الكافى عن المفضـل بن عمر عن الصادق عليه السـلام قال: إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائـج فقراء شـيعتنا ليثيبهم على ذلک الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن(2).

وعنه عليه السلام(3) قال: قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة، وخير من حملان ألف فرس فى سبيل الله(4).

وعنه عليه السلام(5): لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف(6).

1- إحيـاء علوم الـدين، أبو حامـد الغزالى: 2/ 181، كتـاب آداب الألفـة والأـخوة، البـاب الثالث فى حق المسـلم والرحم والجوار وكيفية المعاشرة.

2- الكـافى، الكلينى: 2/193، كتـاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجـة المؤمن/ح2. وفى ذيل الحديث تتمة، نصـها: «فان اسـتطعت أن تكون منهم فكن. ثم قال لنا: والله رب نعبده لا نشرک به شيئا».

3- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

4- مصادقة الإخوان، الصدوق: 54، باب ثواب قضاء حوائج الإخوان/ ح3.

5- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

6- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 16/ 363، كتـاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب 26 استحباب اختيار قضاء حاجة المؤمن على غيرها من القربات حتى العتق والطواف والحج المندوب/ ح2.

وعن أبان بن تغلب(1) قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: من طاف بالبيت أسبوعاً كتب الله تعالى له ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وفى رواية: وقضى له ستة آلاف حاجة، قال: ثم قال: وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف ـــ حتى عدّ عشراً(2).

وعنه عليه السلام(3) قال: إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا يكون(4) عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله(5) بهمه الجنة(6).

وعنه عليه السلام(7) قال: من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له(8) فى حاجته ابتلى بالقيام(9) بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر(10).

1- أبان بن تغلب: بنقطتين فوق فمعجمة، ابن رباح، بنقطة تحت الباء، أبو سعيد البكرى الجريرى، بالجيم المضمومة والمهملتين، مولى بنى جرير، ثقة جليل القدر سيد عصره، وفقيه، وعمدة الأئمة، روى عن الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث. الرجال، ابن داود: 9 ـــ 10، باب الهمزة/ الرقم 4 أبان بن تغلب.

2- أنظر : الكافى ، الكلينى : 2 / 194 ، كتاب الإيمان والكفر ، باب قضاء حاجة المؤمن/ ح 6.

3- الإمام الباقر عليه السلام.

4- فى الكافى: "فلا تكون".

5- فى الكافى: "الله تبارک وتعالى".

6- الكافى، الكلينى: 2/ 196، كتاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجة المؤمن/ ح14.

7- أى: "الإمام الباقر عليه السلام".

8- ليس فى المحاسن: "له".

9- ليس فى المحاسن: "بالقيام".

10- المحاسن، البرقى: 1/ 99، كتاب عقاب الأعمال، باب 31 عقاب من استعان به المؤمن فلم يعنه/ ح2.

وعنه علیه السلام(1) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من أعان مؤمناً نفس الله عنه ثلاثاً وسبعین کربة واحدة فی الدنیا واثنتین وسبعین کربة عند کربته(2) العظمی حیث یتشاغل الناس بأنفسهم(3).

الثامن عشر: أن یبدأ کل مسلم بالسلام قبل الکلام ویصافحه عند السلام، فعن الصادق علیه السلام قال: من بدأ بالکلام قبل السلام فلا تجیبوه(4).

وقال علیه السلام(5):ابدأوا بالسلام قبل الکلام،فمن بدأ بالکلام قبل السلام فلا تجیبوه(6).

وقال علیه السلام(7): إن الله عزّوجل قال: «البخیل من بخل بالسلام»(8).

وعنه علیه السلام(9) قال: إذا سلم أحدکم فلیجهر بسلامه، ولا یقول «سلّمت فلم یردوا علی» ولعله یکون قد سلم ولم یسمعهم، وإذا(10) ردّ أحدکم فلیجهر برده ولا یقول المسلم «سلمت فلم یردوا علی(11)»(12).

1- الإمام الصادق علیه السلام.

2- فی الوسائل: "کربه".

3- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 16/ 372، کتاب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، أبواب فعل المعروف، باب 29 استحباب تفریج کرب المؤمن/ ح5.

4- الخصال، الشیخ الصدوق: 1/ 19، باب الواحد من بدأ بالکلام قبل السلام فلا تجیبوه/ ح1.

5- أی : "الإمام الصادق علیه السلام".

6- تفسیر کنز الدقائق، محمد المشهدی: 2/ 560، تفسیر سورة النساء/ الآیة 87.

7- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

8- معانی الأخبار، الشیخ الصدوق: 246، باب معنی البخل والشح/ ح7.

9- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

10- فی الوسائل: "فإذا".

11- فی الوسائل: "یردوا علی الحدیث".

12- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 12/ 65 ـــ 66، کتاب الحج، أبواب أحکام العشرة فی السفر والحضر، باب 38 إنه لا بد من الجهر بالسلام وبالرد بحیث یسمع المخاطب/ح1.

وعنه علیه السلام(1) قال: یسلم الصغیر علی الکبیر، والمار علی القاعد، والقلیل علی الکثیر(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: القلیل یبدأون الکثیر بالسلام، والراکب یبدأ الماشی، وأصحاب البغال یبدأون بأصحاب(4) الحمیر، وأصحاب الخیل یبدأون أصحاب البغال(5).

وعنه علیه السلام(6) قال: یسلم الراکب علی الماشی، والماشی علی القاعد، وإذا لقیت جماعة جماعة سلم الأقل علی الأکثر، وإذا لقی واحد جماعة سلم الواحد علی الجماعة (7).

وعنه علیه السلام(8) قال: لا تبدأوا أهل الکتاب بالتسلیم، وإذا سلموا علیکم فقولوا: وعلیکم(9).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- الکافی، الکلینی: 2/ 646، کتاب العشرة، باب من یجب أن یبدأ بالسلام/ ح1.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- فی المشکاة: "أصحاب".

5- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 197، الباب الرابع فی آداب المعاشرة مع الناس، الفصل الرابع فی التسلیم والمعانقة.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- الکافی، الکلینی: 2/ 647، کتاب العشرة، باب من یجب أن یبدأ بالسلام/ ح3.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- تفسیر الصافی، الفیض الکاشانی: 1/ 478، تفسیر سورة النساء/ الآیة 86.

وعن أبی عبیدة(1) قال: کنت زمیل أبی جعفر علیه السلام، وکنت أبدأ بالرکوب ثم یرکب هو، فإذا استوینا سلم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح. قال: وکان إذا نزل قبلی فإذا استویت أنا وهو علی الأرض سلم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه. فقلت: یا بن رسول الله إنک لتفعل شیئاً ما یفعله من قبلنا و إن فعل مرة فکثیر؟ فقال: أما علمت ما فی المصافحة، إن المؤمنین یلتقیان فیصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنوب تنحات(2) عنهما کما ینحات الورق عن الشجر والله ینظر إلیهما حتی یفترقا(3).

وعنه علیه السلام(4) قال: ما صافح رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم رجلاً قط فنزع یده حتی یکون هو الذی نزع(5) یده منه(6).

1- أبی عبیدة: زیاد بن عیسی أبو عبیدة الحذاء: کوفی مولی، ثقة، روی عن أبی جعفر، وأبی عبد اللهعلیهما السلام،وقال الحسن بن علی بن فضال: إنه مات فی حیاة أبی عبد الله علیه السلام. قال الکشی حدثنی أحمد بن محمد بن یعقوب قال أخبرنی عبد الله بن حمدویه قال حدثنی محمد بن عیسی عن بشر عن الأرقط عن أبی عبد الله علیه السلام قال لما دفن أبو عبیدة الحذاء قال انطلق بنا حتی نصل علی أبی عبیدة قال فانطلقنا فلما أتینا إلی قبره لم یزد علی أن دعا فقال اللهم برد علی أبی عبیدة اللهم نور له قبره اللهم ألحقه بنبیه ولم یصل علیه فقلت هل علی المیت صلاة بعد الدفن فقال لا إنما هو الدعاء.وقال السید علی بن أحمد العقیقی العلوی: أبو عبیدة زیاد الحذاء حسن المنزلة عند آل محمد (علیهم السلام) وکان زامل أبا جعفرعلیه السلام إلی مکة. رجال العلامة،العلامة الحلی:74، الباب الثانی زیاد/الرقم4 زیاد بن عیسی أبو عبیدة الحذاء.

2- الحت: حتک الورق من الغصن. قال الأزهری، الحت: الفرک والحک والقشر. مختار الصحاح، الرازی:72، مادة "حتت".

3- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 179، کتاب الإیمان والکفر، باب المصافحة/ ح1.

4- الإمام الصادق علیه السلام.

5- فی المشکاة: "ینزع".

6- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 201، الباب الرابع فی آداب المعاشرة مع الناس، الفصل الخامس فی المصافحة والتقبیل.

وعنه علیه السلام(1) قال: تصافحوا فإنه یذهب(2) بالسخیمة(3).

وعنه علیه السلام(4) قال: مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائکة(5).

وعنه علیه السلام(6) قال: إن لکم لنوراً تعرفون به فی الدنیا، حتی إن أحدکم إذا لقی أخاه قبله فی موضع النور من جبهته(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: لا تقبل(9) رأس أحد ولا یده إلا رسول الله أو من أرید به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم(10).

وفی روایة أخری: إن تقبیل الید لا یصلح إلا لنبی أو وصی نبی(11).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی التحف: "فإنها تذهب".

3- تحف العقول، الحرانی: 360، ما روی عن الإمام الصادق علیه السلام فی قصار المعانی.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 183، کتاب الإیمان والکفر، باب المصافحة/ ح21.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- الکافی، الکلینی: 2/ 185، کتاب الإیمان والکفر، باب التقبیل/ ح1.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- فی العوالی: "لا یقبل".

10- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور: 1/ 435، الباب الأول فی الأحادیث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الثالث/ ح143.

11- الکافی، الکلینی: 2/ 185، کتاب الإیمان والکفر، باب التقبیل/ ح3. ونصه: «عن علی بن مزید صاحب السابری، قال: دخلت علی أبی عبد الله علیه السلام فتناولت یده فقبلتها، فقال: أما إنها لا تصلح إلا لنبی أو وصی نبی».

وينبغى تعظيم المؤمن بالقيام، لعمومات ما دل على الحث على التعظيم. قال تعالى:((وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ))(1) وقال تعالى:((وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ))(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا(3)، وكونوا عباد الله إخواناً(4).

وربما يؤدى ترک القيام إلى التباغض والتقاطع والإهانة، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام إلى فاطمة(5)، وقام إلى جعفر(6)(7) لما قدم من الحبشة(8)، وقال للأنصار: قوموا إلى سيدكم(9).

1- سورة الحج/ 32.

2- سورة الحج/ 30.

3- ليس فى كشف الريبة: "ولا تقاطعوا".

4- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 81، الفصل الخامس فى كفارة الغيبة. رياض الصالحين، النووى: 62، باب 269 النهى عن التباغض والتقاطع والتدابر/ ح1567.

5- فى القواعد: "فاطمة عليها السلام".

6- جعفر: جعفر بن أبى طالب: السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،]أى[عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى الهاشمى، أخو على بن أبى طالب، وهو أسن من على بعشر سنين. هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة. سير أعلام النبلاء، الذهبى: 1/ 206، جعفر بن أبى طالب/ 34.

7- فى القواعد: "جعفر عليه السلام".

8- الحبشة: يسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثانى باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان إسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند، وليست هذه الأسماء لهم من أجل انتسابهم إلى آدمى أسود، لا حام، ولا غيره. لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، محمد صديق حسن خان: 1/ 178، ذكر المعتدل من الأقاليم والمنحرف.

9- القواعد والفوائد، الشهيد الأول: 2/ 160، القاعدة 209.

وفی المحاسن عن الصادق علیه السلام أنه سئل عمن قام من مجلسه یعظم الرجل؟ قال: مکروه إلا لرجل فی الدین(1).

وعنه علیه السلام(2) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إن من حق الداخل علی أهل البیت أن یمشوا معه هنیهة(3) إذا دخل وإذا خرج(4).

وأما ما روی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: من أحب أن یتمثل له النساء والرجال قیاماً فلیتبوأ مقعده من النار(5). فهو محمول علی ما یصنعه الجبابرة من إلزامهم الناس بالقیام فی حال قعودهم إلی أن ینقضی مجلسهم، لا هذا القیام المخصوص القصیر زمانه، ولو سلم فهو محمول علی من أحب ذلک تجبراً وعلواً علی الناس(6).

وأما ما روی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه کان یکره أن یقام له، وکان إذا قام لا یقومون له لعلمهم بکراهة ذلک(7)، فهو منه صلی الله علیه وآله وسلم تواضع وتخفیف علی أصحابه، وینبغی للمؤمن أن لا یحب ذلک.

1- المحاسن، البرقی: 1/ 233، کتاب مصابیح الظلم من المحاسن، باب 19 حق العالم/ ح186. وفیه النص: «عن إسحاق بن عمار قال قلت لأبی عبد الله علیه السلام من قام من مجلسه تعظیما لرجل قال مکروه إلا لرجل فی الدین».

2- فی الکافی: «عن أبی عبد الله علیه السلام، قال : قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم».

3- فی الکافی: "هنیئة".

4- الکافی، الکلینی: 2/ 659، کتاب العشرة، باب حق الداخل/ ح1.

5- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3/ 392، کتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثالث فی حق المسلم والرحم والجوار والملک.

6- أنظر:نضد القواعد الفقهیة، المقداد السیوری:273_274،التاسع فی تعظیم المؤمن وتوابعه.

7- أنظر: القواعد و الفوائد، الشهید الأول: 2/ 161، القاعدة 209.

التاسع عشر: أن يصون عرض أخيه ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: من تطول على أخيه فى غيبة سمعها منه(1) فى مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر فى الدنيا والآخرة، وإن لم يردها(2) وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة(3).

العشرون: تسميت(4) العاطس. قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا عطس الرجل فسمتوه ولو من وراء جزيرة(5). وفى رواية: ولو من وراء البحر(6).

وعنه عليه السلام(7) قال: من سمع عطسة فحمد الله تعالى وصلى على النبى وأهل بيته لم يشتك عينه ولا ضرسه. ثم قال عليه السلام: إن سمعتها فقلها وإن كان بينك وبينه البحر(8).

وعنه عليه السلام(9) قال: من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه ثم قال: «الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد النبى وآله» (10) خرج من

1- فى الفقيه: "فيه".

2- فى الفقيه: "فان هو لم يردها".

3- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق:4/15، باب ذكر جمل من مناهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم/ح1.

4- قال الجوهرى: التسميت بالسين المهملة، وبالشين المعجمة، أيضا: الدعاء للعاطس، مثل يرحمك الله. مجمع البحرين، الطريحى: 2/ 413، مادة: "سمت".

5- ذخيرة المعاد، السبزوارى: 2/ 367.

6- الكافى، الكلينى: 2/ 653، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح2.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- أنظر: الحدائق الناضرة، البحرانى: 9/ 98، الأخبار الواردة فى العطس.

9- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

10- فى نور الثقلين: "وآله وسلم".

منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب حتى يصير تحت العرش يستغفر الله له إلى يوم القيامة(1).

وعنه عليه السلام(2) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: العطاس للمريض دليل العافية وراحة البدن(3).(4)

وفى رواية: إنه ينفع البدن كله(5) ما لم يزد على الثلاث، فإن(6) زاد على الثلاث فهو داء وسقم(7).

وسئل الصادق عن قوله تعالى: ((إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ))(8) فقال: العطسة القبيحة(9).

وعنه عليه السلام(10) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تصديق الحديث عند العطاس(11).

وفى رواية أخرى: إذا كان الرجل يتحدث بحديث فعطس عاطس فهو شاهد حق(12).

1- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزى: 1/ 16، تفسير سورة الفاتحة/ ح68.

2- أى: الإمام الصادق عليه السلام".

3- فى الكافى: "للبدن".

4- الكافى، الكلينى: 2/ 656، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح19.

5- فى الكافى: "العطاس ينفع فى البدن كله".

6- فى الكافى: "فإذا".

7- الكافى، الكلينى: 2/ 656، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح20.

8- سورة لقمان/ 19.

9- تفسير البغوى، البغوى: 3/ 493، تفسير سورة لقمان.

10- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

11- الكافى، الكلينى: 2/ 657، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح24.

12- الكافى، الكلينى: 2/ 657، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح25.

الحادی والعشـرون: التقیة والمداراة مع الأشرار. عن الصادق علیه السلام فی قوله تعالی(1):((أُوْلئِکَ یُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَیْنِ بِمٰا صَبَرُوا))(2) قال: بما صبروا علی التقیة. ((وَیَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّیِّئَةَ))(3) قال: الحسنة التقیة والسیئة الإذاعة(4).

وعنه علیه السلام(5) قال: إن تسعة أعشار الدین التقیة(6)، ولا دین لمن لا تقیة له(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: التقیة من دین الله(9).

وعن الباقر علیه السلام قال: التقیة دینی(10) ودین آبائی، ولا إیمان لمن لا تقیة له(11).

وعنه علیه السلام(12) قال: التقیة فی کل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حین تنزل به(13).

وعنه علیه السلام(14): التقیة فی کل شیء یضطر إلیه ابن آدم فقد أحله الله(15).(16)

1- فی المشکاة: "عزّوجل" بدل "تعالی".

2- سورة القصص/ 54.

3- سورة الرعد/ 22.

4- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 41، الفصل الحادی عشر فی التقیة.

5- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

6- فی الخصال:"فی التقیة".

7- الخصال، الشیخ الصدوق: 1/ 22، باب الواحد، تسعة أعشار الدین فی خصلة/ ح1.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- المحاسن،البرقی:1/258،کتاب مصابیح الظلم من المحاسن،باب 31 التقیة/ح303.

10- فی الکافی: "التقیة من دینی".

11- الکافی، الکلینی: 2/ 219، کتاب الإیمان والکفر، باب التقیة/ ح12.

12- أی: "الإمام الباقر علیه السلام".

13- الکافی، الکلینی: 2/ 219، کتاب الإیمان والکفر، باب التقیة/ ح13.

14- أی: "الإمام الباقر علیه السلام".

15- فی تفسیر کنز الدقائق: "أحله الله له".

16- تفسیر کنز الدقائق، المشهدی: 2/ 53، تفسیر سورة آل عمران.

وعنه علیه السلام(1): إنما جعلت التقیة لیحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فلیس تقیة(2).

الثانی والعشرون: أن یتجنب مخالطة الأغنیاء ویختلط بالمساکین، ویحسن إلی الأیتام، فقد کان النبی صلی الله علیه وآله وسلم یقول: اللهم أحینی مسکیناً وأمتنی مسکیناً واحشرنی فی زمرة المساکین(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: إیاکم ومجالسة الموتی. قیل: ومن الموتی(4)؟ قال: الأغنیاء(5).

وقال الصادق علیه السلام: ما من عبد مسح یده علی رأس یتیم ترحماً له إلا أعطاه الله عزّوجل بکل شعرة نوراً یوم القیامة(6).

وروی أنه یکتب الله تعالی(7) له بعدد کل شعرة مرت علیها یده حسنة(8).

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من أنکر منکم قساوة قلبه فلیدن یتیماً فیلاطفه ولیمسح رأسه یلن قلبه بإذن الله، فإن(9) للیتیم حقاً(10).

1- أی: "الإمام الباقر علیه السلام".

2- الحدائق الناضرة، البحرانی: 18/ 153.

3- جامع الأخبار، الشعیری: 111، الفصل السابع والستون فی الفقراء.

4- فی الإحیاء: "ومن الموتی یا رسول الله".

5- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2/ 187، کتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث فی حق المسلم والرحم والجوار.

6- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 188، کتاب الطهارة، باب النوادر/ ح12.

7- فی الفقیه: "عزّوجل".

8- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 188، کتاب الطهارة، باب النوادر/ ح13.

9- فی الوسائل "إن" بدل "فإن".

10- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 21/ 375، کتاب النکاح، أبواب أحکام الأولاد، باب 13 استحباب مسح رأس الیتیم ترحما به/ ح4.

الثالث والعشرون: النصيحة لكل مسلم والجهد فی إدخال السرور فی قلبه، ففی الصحیح عن الصادق علیه السلام قال: یجب للمؤمن علی المؤمن النصیحة له فی المشهد والمغیب(1).

وقال الباقر علیه السلام:قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: لینصح الرجل منکم أخاه کنصیحته لنفسه(2).

وقال الصادق علیه السلام: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من أصبح ولم یهتم(3) بأمور المسلمین فلیس بمسلم(4).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الخلق عیال الله، فأحب الخلق إلی الله من نفع عیال الله وأدخل علی أهل بیته(5) سروراً(6).

وعن الباقر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من سر مؤمناً فقد سرنی، ومن سرنی فقد سر الله(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: تبسم الرجل فی وجه أخیه حسنة، وصرفه القذی(9) عنه

1- الکافی، الکلینی: 2/ 208، کتاب الإیمان والکفر، باب نصیحة المؤمن/ ح2.

2- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 202.

3- فی الکافی: "ولا یهتم".

4- الکافی، الکلینی: 2/ 163، کتاب الإیمان والکفر، باب الإهتمام بأمور المسلمین والنصیحة لهم ونفعهم/ ح1.

5- فی الجعفریات: "أهل بیت".

6- الجعفریات، الأشعث الکوفی: 193 ـــ 194، کتاب التفسیر، باب فی ذکر البنات.

7- مصادقة الإخوان، الشیخ الصدوق: 62، باب إدخال السرور علی المؤمن/ ح9.

8- أی: "الإمام الباقر علیه السلام".

9- القـذی: جمع قـذاة، وهو ما یقع فی العین والماء والشـراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غیر ذلک. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 30، مادة "قذا".

حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن(1).

وقال الصادق عليه السلام: لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(2).

الرابع والعشرون: أن يعود مرضاهم. قال الصادق عليه السلام: من عاد مريضاً من المسلمين وكّل الله(3) به سبعين ألفاً من الملائكة يغشون رحله يسبحون فيه ويقدسون ويهللون ويكبرون إلى يوم القيامة نصف صلواتهم لعائد(4) المريض(5).

وعنه عليه السلام(6) قال: أيما مؤمن عاد مؤمناً حتى(7) يصبح شيعه سبعين(8) ألف ملك، فإذا قعد غمرته الرحمة واستغفروا له حتى يمسى، وإن عاده مساءً كان له مثل ذلك حتى يصبح(9).

وعن الصادق عليه السلام قال: إذا دخل أحدكم على أخيه عائداً له فليدع له(10)، فإن دعاءه مثل دعاء الملائكة(11).

1- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 16/ 349، كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، باب 24 استحباب إدخال السرور على المؤمن وتحريم إدخال الكرب عليه/ ح2.

2- الكافى،الكلينى:2/189، كتاب الإيمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين/ ح6.

3- فى الذكرى: "الله عزّوجل".

4- فى الذكرى: "لعايد" بدل "لعائد".

5- الذكرى، الشهيد الأول: 36، الاحتضار وأحكام المحتضر.

6- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

7- فى الكافى: "حين".

8- فى الكافى: "سبعون".

9- الكافى، الكلينى: 3/ 121، كتاب الجنائز، باب ثواب عيادة المريض/ ح8.

10- فى المكارم: "فليدع له وليطلب منه الدعاء".

11- مكارم الأخلاق، الطبرسى:361، الفصل الأول فى آداب المريض والعائد وعلاجه، فى عيادة المريض.

وقال علیه السلام(1): من عاد مریضاً فی الله لم یسأل المریض للعائد شیئاً إلا استجاب الله له(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: تمام العیادة للمریض أن تدع(4) یدک علی ذراعه وتعجل القیام من عنده، فإن عیادة النوکی(5) أشد علی المریض من وجعه(6).

وعنه علیه السلام(7): العیادة قدر فواق الناقة(8) أو حلب ناقة(9).

وعنه علیه السلام(10): إن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: إن من أعظم العواد أجراً عند الله لمن إذا عاد أخاه خفف الجلوس، إلا أن یکون المریض یحب ذلک ویریده ویسأله ذلک(11).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- الدعوات، قطب الدین الراوندی: 222، الباب الثالث فی ذکر المرض ومنافعه العاجلة والآجلة، فصل فی عیادة المریض ووصیته وأحواله/ ح2.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- فی الکافی: "تضع" بدل "تدع".

5- نوک کفرح نواکة ونواکا ونوکا محرکة، أی: حمق، حماقة. تاج العروس، الزبیدی: 7/ 188، مادة "نوک".

6- الکافی، الکلینی: 3/ 118، کتاب الجنائز، باب فی کم یعاد المریض وقدر ما یجلس عنده وتمام العیادة/ ح4.

7- الإمام الصادق علیه السلام.

8- فی الکافی: "ناقة".

9- الکافی، الکلینی: 3/ 118، کتاب الجنائز، باب فی کم یعاد المریض وقدر ما یجلس عنده وتمام العیادة/ ح2.

10- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

11- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 2/ 426، کتاب الطهارة، أبواب الاحتضار، باب 15 استحباب الجلوس عند المریض من غیر إطالة إلا أن یحب المریض ذلک أو یسأله/ ح2.

وعنه عليه السلام(1): لا ـ عيادة فی وجع العين، ولا ـ تكون عيادة فی أقل من ثلاثة أيام،فإذا وجبت فيوم ويوم لا،فإذا طالت العلة ترک المريض وعياله(2).

الخامس والعشرون: تشييع جنائزهم وحمل السرير والتعزية. قال الباقر عليه السلام: من مشی مع جنازة حتی يصلی عليها ثم رجع كان له قيراط، وإذا مشی معه حتی يدفن كان قيراطان. والقيراط مثل أحد(3).

وقال عليه السلام(4): من تبع جنازة امرئ مسلم أعطی يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا قال الملک: ولک مثل ذلک(5).

وقال الصادق عليه السلام: من أخذ بقائمة السرير غفر الله له خمساً وعشرين كبيرة، وإذا ربّع خرج من الذنوب(6).

وقال عليه السلام(7) لإسحاق بن عمار(8): إذا حملت جوانب السرير سرير الميت

1- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

2- الكافی، الكلينی: 3 / 117، كتاب الجنائز، باب فی كم يعاد المريض وقدر ما يجلس عنده وتمام العيادة/ح1.

3- أنظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسی: 1/ 455 ـــ 456، كتاب الطهارة، أبواب الزيادات، باب 23 تلقين المحتضرين/ ح130.

4- أی: "الإمام الباقر عليه السلام".

5- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 86.

6- الكافی، الكلينی: 3/ 174، كتاب الجنائز، باب ثواب من حمل جنازة/ ح2.

7- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- إسحاق بن عمار: إسحاق بن عمار بن حيان مولی بنی تغلب أبو يعقوب الصيرفی. شيخ من أصحابنا، ثقة، وإخوته يونس ويوسف وقيس وإسماعيل، وهو فی بيت كبير من الشيعة، وابنا أخيه علی بن إسماعيل وبشر بن إسماعيل كانا من وجوه من روی الحديث. روی إسحاق عن أبی عبد الله وأبی الحسن عليهما السلام، ذكر ذلک أحمد بن محمد بن سعيد فی رجاله. له كتاب نوادر، يرويه عنه عدة من أصحابنا. أخبرنا محمد بن علی قال حدثنا أحمد بن محمد بن يحيی قال حدثنا سعد عن محمد بن الحسين، قال حدثنا غياث بن كلوب بن قيس البجلی عن إسحاق به. رجال النجاشی، أحمد بن علی النجاشی: 71، باب إسحاق/ الرقم 169.

خرجت من الذنوب كما ولدتک أمک(1).

وقال الباقر علیه السلام: إن المشی خلف الجنازة أفضل من بین یدیها(2)، ولا بأس إن مشیت بین یدیها(3).

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من عزی حزیناً کسی فی الموقف حلة یُحَبَّرْ بها(4).

وقال الکاظم علیه السلام(5): یعزی قبل الدفن وبعده(6).

وقال الصادق علیه السلام: التعزیة الواجبة بعد الدفن(7).

وقال(8): کفاک من التعزیة بأن یراک صاحب المصیبة(9).

1- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 162، کتاب الطهارة، باب الصلاة علی المیت/ح10.

2- فی الفقیه: "أفضل من المشی من بین یدیها".

3- من لا یحضره الفقیه،الشیخ الصدوق:1/162،کتاب الطهارة، باب الصلاة علی المیت/ح11.

4- الکافی، الکلینی: 3/ 205، کتاب الجنائز، باب ثواب من عزی حزینا/ ح1.

5- فی الاستبصار: "عن هشام بن الحکم، قال: رأیت موسی بن جعفر علیه السلام یعزی ... الحدیث".

6- الاستبصار، الشیخ الطوسی: 1/ 217،أبواب الجنائز، باب کیفیة التعزیة/ ح1.

7- الکافی، الکلینی:3/204،کتاب الجنائز،باب التعزیة وما یجب علی صاحب المصیبة/ح4.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 174، کتاب الطهارة، باب التعزیة والجزع عند المصیبة وزیارة القبور والنوح والمأتم/ ح4.

وعزى عليه السلام قوماً فقال(1): «جبر الله وهنكم(2) وأحسن عزاكم ورحم متوفاكم، ثم انصرف»(3).

السادس والعشرون: زيارة قبورهم وعمل البر لأمواتهم(4).

روى الصدوق(5) عن الصادق عليه السلام: إنه سئل عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها؟ فقال: أما زيارة القبور فلا بأس(6)، ولا يبنى عندها مساجد(7).

وكانت فاطمة عليها السلام: تأتى قبور الشهداء كل غداة سبت، فتأتى قبر حمزة فتترحم عليه وتستغفر له(8).

وقال الكاظم عليه السلام: إذا دخلت المقابر فطأ القبور، فمن كان مؤمناً استراح إلى ذلك، ومن كان منافقاً وجد ألمه(9).

1- فى الفقيه: "أتى أبو عبد الله عليه السلام قوما قد أصيبوا بمصيبة، فقال: ... الحديث".

2- الوهن: الضعف فى العمل وفى الأشياء، وكذلك فى العظم ونحوه. كتاب العين، الفراهيدى: 4/ 92، مادة "وهن".

3- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 174، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح5.

4- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 2/173 ـــ 190، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة.

5- مرت ترجمته.

6- فى الفقيه: "فلا بأس بها".

7- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 178، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح531.

8- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 180، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح537.

9- مجمع الفائدة، الأردبيلى: 2/ 503، الاستناد إلى القبر والمشى عليه.

وعن محمد بن مسلم(1) قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: لموتی(2) نزورهم؟ فقال: نعم. قلت: فیعلمون بنا إذا أتیناهم؟ فقال: أی(3) والله إنهم لیعلمون بکم ویفرحون بکم ویستأنسون إلیکم. قلت(4): فأی شیء نقول إذا أتیناهم؟ قال: قل: «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم وصاعد إلیک أرواحهم ولقّهم منک رضواناً وأسکن إلیهم من رحمتک ما تصل به وحدتهم وتؤنس به وحشتهم إنک علی کل شیء قدیر» (5).

وقال الرضا علیه السلام: ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ علیه ((إِنّا أَنزَلْناهُ))(6) سبع مرات إلا غفر الله له(7) ولصاحب القبر(8).

1- محمد بن مسلم: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان، مولی ثقیف الأعور، وجه أصحابنا بالکوفة، فقیه، ورع، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله علیهما السلام، وروی عنهما و کان من أوثق الناس. له کتاب یسمی الأربعمائة مسألة فی أبواب الحلال والحرام. أخبرنا أحمد بن علی قال حدثنا ابن سفیان، عن حمید قال حدثنا حمدان القلانسی قال حدثنا السندی بن محمد، عن العلاء بن رزین، عنه به. ومات محمد بن مسلم سنة خمسین ومائة. رجال النجاشی، أحمد بن علی النجاشی: 323 ـــ 324، باب المیم/ الرقم 882.

2- فی الفقیه: "الموتی".

3- فی الفقیه: "إی" بدل "أی".

4- فی الفقیه: "قال: قلت".

5- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/180 ـــ 181، باب التعزیة والجزع عند المصیبة وزیارة القبور والنوح والمأتم/ ح39.

6- فی الحدائق: ((إِنّا أَنزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ)) سورة القدر/ 1.

7- فی الحدائق: "إلا غفر الله تعالی له".

8- الحدائق الناضرة، البحرانی: 4/ 171، المقام الرابع، فی زیارة القبور.

وقال الصادق عليه السلام: ست تلحق(1) المؤمن بعد وفاته: ولد يستغفر له، ومصحف يخلفه، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وقليب يحفره، وسنة يؤخذ بها من بعده(2).

وقال عليه السلام(3): من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له(4) ونفع الله به الميت(5).

وقال عليه السلام(6): يدخل على الميت فى قبره الصلاة والحج(7) والصدقة والبر والدعاء، ويكتب أجره للذى يفعله وللميت(8).

1- فى الفقيه: "يلحقن".

2- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 185، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح54.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- فى المعتبر: "أضعف له أجره".

5- المعتبر، العلامة الحلى: 1/ 340، فى اعتبار المماثلة.

6- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

7- فى الفقيه: "الصلاة والصوم والحج".

8- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 1/ 185، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح56.

الباب السابع: بيان بعض الحقوق إجمالا

فی بیان بعض الحقوق إجمالاً

إعلم أن الجملـة الجامعـة: أن لا تستصـغر أحـداً من إخوان الـدین حیاً کان أو میتاً فتهلک، لأنک لا تدری لعله خیر منک، فإنه - وإن کان فاسـقاً - فلعله یختم له بالصلاح ویختم لک بمثل حاله. ولا تنظر إلیهم بعین التعظیم لهم فی حال دنیاهم، فإن الدنیا صغیرة عند الله صغیر ما فیها، ومهما عظم أهل الدنیا فی نفسک فقد عظمت الدنیا، فتسقط من عین الله.

ولا تبذل لهم دینک لتنال من دنیاهم فتصغر فی أعینهم وتحرم دنیاهم، فإن لم تحرم کنت قد استبدلت «الذی هو أدنی بالذی هو خیر»(1).

ولا تعادهم بحیث تظهر العـداوة فیطول الأمر علیک فی المعاداة ویذهب به دینک ودنیاک فیهم ویذهب دینهم فیک، إلا إذا رأیت منکراً فی الدین فتعادی أفعالهم القبیحة.

1- سورة البقرة/ 61.

وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانه، فحسبهم جهنم يصلونها(1)، ولا تحقد عليهم ولا تسكن إليهم فى مودتهم لک وثنائهم فى وجهک وحسن بشرهم لک، فإنک إذا طلبت حقيقة ذلک لم تجد فى المائة إلا واحداً وربما لا تجده.

ولا تشک إليهم أحوالک فيکلک الله إليهم، ولا تطمع أن يکونوا لک فى الغيب والسر کما فى العلانية، فذلک طمع کاذب. ولا تطمع بما فى أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض. ولا تظهر عليهم تکبراً لاستغنائک عنهم فإن الله يلجئک إليهم عقوبة التکبر بإظهار الاستغناء.

وإذا سألت أخاً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدواً تطول عليک مقاساته.

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل(2) القبول، فلا يسمع منک ويعاديک وليکن وعظک عاماً من غير تنصيص على شخص.

ومهما رأيت منهم کرامة وخيراً فاشکر الله الذى سخرهم لک، واستعذ بالله أن يکلک إليهم.

وإذا بلغک عنهم غيبة أو رأيت منهم شراً أو أصابک منهم ما يسوؤک فکل أمرهم إلى الله، واستعذ بالله من شرهم، ولا تشغل نفسک بالمکافاة فيزيد الضرر

1- إشارة إلى قوله تبارک وتعالى فى سورة المجادلة/ الآية 8، ونصها ((حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها)).

2- فى حديث الاستسقاء: "وأخلفتنا مخايل الجود"، جمع مخيلة، وهى: السحاب التى يظن أنها تمطر وليست بماطرة. مجمع البحرين، الطريحى: 1/ 722، مادة "خيل". وفى التهذيب: المخيلة بفتح الميم: السحابة. و الجمع: مخايل. تاج العروس، الزبيدى: 7/ 313، مادة "خيل".

ویضـیع العمر بذلک، ولا تقل لهم «لم تعرفوا موضعی»، واعتقد أنک لو استحققت ذلک لجعل الله لک موضعاً فی قلوبهم، فالله المحبب والمبغض الی القلوب.

وکن فیهم سـمیعاً لحقهم أصم عن باطلهم: نطوقاً بحقهم صـموتاً عن باطلهم. واحذر صـحبة أکثر الناس، فإنهم لا یقیلون عثرة ولا یغفرون زلـة ولا یسترون عورة، ویحاسـبون علی النقیر(1) والقطمیر(2) ویحسدون علی القلیل والکثیر، یستنصـفون ولا ینصـفون ویؤاخذون علی الخطأ والنسیان، ویغیرون الإخوان بالنمیمة(3) والبهتان(4)، فصحبة أکثرهم خسران وقطیعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق(5) وإن سخطوا فباطنهم الحنق(6)، لا یؤمنون فی حنقهم ولا

1- فلان کریم النقیر، أی: الأصل. الصحاح، الجوهری: 2/ 836، مادة "نقیر".

2- ما أصبت منه قطمیرا، أی: شیئا. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 108، مادة "قطمر".

3- النمیمـة: القالـة بین النـاس، أی کثرة القول وإیقـاع الخصومـة بین الناس بما یحکی البعض عن البعض. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 574، مادة "قول".

4- بهته فلان، أی: استقبله بأمر قذفه به وهو بریء منه، لا یعلمه، والاسم: البهتان. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 35، مادة "بهت".

5- الملق من التملق، وأصـله من التلیین، ویقال: التلین. ترتیب إصلاح المنطق، ابن السکیت الأهوازی: 364، مادة "الملق". ورجل ملق: یعطی بلسانه ما لیس فی قلبه. الصحاح، الجوهری: 4/ 1556، مادة "ملق".

6- الحنق: شدة الاغتیاظ، حنق حنقا فهو حنق. کتاب العین، الفراهیدی: 3/ 51، مادة "حنق".

يرجون فی ملقهم، ظـاهرهم ثيـاب وباطنهم ذئاب، ينطلقون بالظنون ويتغامزون ورائک بالعيون، ويتربصون بصـديقهم من الحسـد ((رَيْبَ الْمَنُونِ))(1)، يحصون عليک العثرات فی صحبتهم ليجبهوک(2) بها فی غضبهم ووحشتهم.

ولا تعول علی مودة من لم تختبره حق الخبرة، بأن تصـحبه مـدة فی دار وموضع واحـد، فتجربه فی عزله وولايته وغناه وفقره، أو تسافر معه أو تعامله فی الدينار والدرهم، أو تقع فی شدة فتحتاج إليه، فإن رضـيته فی هذه الأحوال فاتخذه أباً لک إن کان کبيراً وابناً إن کان صغيراً وأخاً إن کان مثلک(3).

1- سورة الطور/ 30.

2- التجبيه: أن ينکس رأسه. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 483، مادة "جبه".

3- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی: 2/ 190، کتاب آداب الألفة و الأخوة، الباب الثالث فی حق المسـلم والرحم والجوار والملک وکيفية المعاشرة.

الباب الثامن: حقوق الجوار

فی حقوق الجوار

إعلم أن الجوار يقتضی حقاً وراء ما يقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق الجار من الحقوق ما يستحق كل مسلم وزيادة لما روی عنه عليه السلام(1) قال: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذی له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذی له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذی له حق واحد فالجار المشرک(2).

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده فی المرض، ويعزيه فی المصيبة، ويقوم معه فی العزاء، ويهنئه فی الفرح، ويظهر الشركة فی السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح علی عوراته، ولا يضايقه فی وضع الجذع علی جداره، ولا فی صب الماء

1- فی الإحياء: "قال النبی صلی الله عليه وآله وسلم".

2- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالی: 2/ 191، كتاب آداب الألفة والأخوة، حقوق الجوار.

من میزابه، ولا فی مطرح التراب من فنائه، ولا یضیق طریقه إلی الدار، ولا یتبعه النظر فی ما یحمله إلی داره، ویستر ما ینکشف له من عوراته، وینعشه من صرعته إذا نابته نائبة(1)، ولا یغفل عن ملاحظة داره عند غیبته، ولا یتسمع علیه کلامه، ویغض بصره عن حرمته، ولا یدیم النظر إلی خادمته، ویتلطف لولده فی کلمته، ویرشده إلی ما یجهله من أمر دینه ودنیاه(2).

هذا کله مضافاً إلی حقوق الإسلام المتقدمة(3)، ففی الحدیث النبوی: أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بک أعنته، وإن استقرضک أقرضته، وإن افتقد عدت إلیه(4)، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خیر هنأته، وإن أصابته مصیبة عزیته، ولا تستطیل علیه بالبناء فتحجب عنه الریح إلا بإذنه، وإذا اشتریت فاکهة فاهد منها(5) له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا یخرج بها ولدک لیغیظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار(6) قدرک إلا أن تغرف له منها(7).

1- النوائب جمع نائبة، وهی ما ینوب الإنسان، أی: ما ینزل به من المهمات والحوادث ونابتهم نوائب الدهر. تاج العروس، الزبیدی: 1/ 496.

2- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 191 _ 192، کتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث فی حق المسلم والرحم والجوار والملک، حقوق الجوار.

3- أنظر: الأبواب المتقدمة فی الحقوق.

4- فی الکنز: "وإن افتقر عدت علیه".

5- لیس فی الکنز: "منها".

6- "لاتؤذ جارک بقتار قدرک"، هو: ریح القدر والشواء ونحوهما. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/12، مادة "قتر".

7- کنز العمال، المتقی الهندی: 9/ 58 _ 59، الإکمال من حق الجار/ ح25935.

وفی الصادقی(1): حسن الجوار یزید فی الرزق(2).

وعنه علیه السلام(3): إن یعقوب لما ذهب منه بنیامین نادی: یا رب أما ترحمنی أذهبت عینی وأذهبت ابنی؟! فأوحی الله تعالی(4): لو أمتُّهما لأحییتهما لک حتی أجمع بینک وبینهما، ولکن تذکر الشاة التی ذبحتها وشویتها وأکلت وفلان إلی جانبک(5) صائم لم تنله منها شیئاً(6).

وفی روایة أخری: وکان بعد ذلک یعقوب(7) ینادی منادیه کل غداة من منزله علی فرسخ: ألا من أراد الغداة(8) فلیأت إلی یعقوب، وإذا أمسی نادی: ألا من أراد العشاء فلیأت إلی یعقوب(9).

وعنه علیه السلام(10): حسن الجوار زیادة فی الأعمار وعمارة فی الدیار(11).

وعنه علیه السلام(12): لیس منا من لم یحسن مجاورة من جاوره(13).

1- أی: فی الخبر الصادقی، ونعنی: الحدیث المروی عن الإمام الصادق علیه السلام.

2- الکافی، الکلینی: 2/ 666، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح3.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- فی الکافی: "الله تبارک وتعالی".

5- فی الکافی:"وفلان و فلان إلی جانبک".

6- الکافی، الکلینی: 2/ 667، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح4.

7- فی الکافی: "فکان بعد ذلک یعقوب علیه السلام".

8- فی الکافی: "الغداء".

9- الکافی، الکلینی: 2/ 667، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح5.

10- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

11- مشکاة الأنوار،الطبرسی:213،الباب الرابع فی آداب المعاشرة،الفصل العاشر فی حق الجار.

12- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

13- الکافی، الکلینی: 2/ 668، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح11.

وعن الباقر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: ما آمن بی من بات شبعان وجاره جائع قال: وما من أهل قریة یبیت فیهم(1) جائع ینظر الله إلیهم یوم القیامة(2).

وقال علیه السلام(3): من القواصم الفواقر التی تقصم الظهر جار السوء، إن أی(4) حسنة أخفاها، وإن رأی سیئة أفشاها(5).

وفی الحسن عن الباقر علیه السلام(6): کل أربعین داراً جیران من بین یدیه ومن خلفه وعن یمینه وعن شماله(7).

1- فی الکافی: "وفیهم".

2- الکافی، الکلینی: 2/ 668، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح14.

3- أی: "الإمام الباقر علیه السلام".

4- فی الکافی: "رأی".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 668، کتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح15.

6- فی نور الثقلین: "عن أبی عبد الله علیه السلام، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم... الحدیث".

7- تفسیر نور الثقلین، الحویزی: 1/ 480، تفسیر سورة النساء/ ح244.

الباب التاسع: حقوق الأقارب والرحم

فی حقوق الأقارب والرحم

قـال الله تعالی: ((وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِی تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیبًا))(1). ففی الحسن عن الصـادق قال: هی أرحام الناس، إن الله تعالی(2) أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى أنه جعلها منه(3).(4)

وفی الموثق عنه علیه السـلام(5) أن رجلاً أتی النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فقال: یا رسول الله أهل بیتی أبوا إلا توثباً علی وقطیعـة لی وشتیمة، فأرفضـهم. فقال: إذاً یرفضـکم الله جمیعاً. قال: کیف أصنع؟ قال: تصل من قطعک وتعطی من حرمک وتعفو عمن ظلمک، فإنک إذا فعلت ذلک کان لک من الله علیهم ظهیر(6).

وعنه علیه السلام(7) قال: ما نعلم شـیئاً یزید فی العمر إلا صلة الرحم، حتی إن الرجل یکون أجله ثلاث سنین فیکون وصولاً للرحم فیزید الله فی عمره ثلاثین سنة

1- سورة النساء/ 1.

2- لیس فی العیاشی: "تعالی".

3- فی العیاشی: "معه" بدل "منه".

4- تفسیر العیاشی، العیاشی: 1/ 217، تفسیر سورة النساء/ ح9.

5- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

6- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 150، کتاب الإیمان والکفر، باب صلة الرحم/ ح2.

7- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً لرحمه(1) فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين(2).

وعن الباقر عليه السلام قال: صلة الأرحام تزكى الأعمال وتنمى الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ فى الأجل(3).

وعنه عليه السلام(4) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصى الشاهد من أمتى والغائب منهم ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم، وإن كان منه على مسيرة سنة، فإن ذلک من الدين(5).

وعنه عليه السلام(6) قال: إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول: صل(7) من وصلنى واقطع من قطعنى(8).

قال الشهيد الثانى رحمه الله: الرحم هو القريب المعروف بالنسب وإن بعدت لحمته وجاز نكاحه بالنص والإجماع(9).

1- فى الكافى: "قاطعا للرحم".

2- الكافى، الكلينى: 2/ 152 _ 153، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم/ ح17.

3- تحف العقول، الحرانى: 299، ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام فى قصار المعانى.

4- أى: "الإمام الباقر عليه السلام".

5- عدة الداعى، ابن فهد الحلى: 90، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة. وأورده الكلينى والطبرسى عن الإمام الباقر عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلمباختلاف كلمة وهى: "وإن كانت منه" بدل "وإن كان منه". الكافى، الكلينى: 2/151، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم / ح 5 . مشكاة الأنوار، الطبرسى: 165، الفصل الخامس عشر فى صلة الرحم.

6- أى: «الإمام الباقر عليه السلام».

7- فى الوسائل: "اللهم صل".

8- وسائل الشيعة، الحر العاملى: 21/ 535، كتاب النكاح، أبواب النفقات، باب 17 استحباب صلة الأرحام/ ح7.

9- مسالک الأفهام، الشهيد الثانى: 6/ 31، لا رجوع مع تلف العين. وقال الشهيد الثانى فى ذيل وصفه الرحم: "وهو موضع نص و وفاق".

الباب العاشر: حقوق الوالدين والولد

فی حقوق الوالدین والولد

قال الله تعالی: ((وَبِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً))(1) وقال: ((أمّا(2) یَبْلُغَنَّ عِنـدَکَ الْکِبَرَ أَحَـدُهُمٰا أَوْ کِلاَهُمٰا فَلا تَقُل لَهُمآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمٰا وَقُل لَهُمٰا قَوْلاً کَرِیمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ))(3).

وفی الصحیح عن أبی ولاد الحناط(4) قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله تعالی ((وَبِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً))(5) ما هذا الإحسان؟ فقال الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تکلفهما أن یسألاک مما یحتاجان إلیه وإن کانا مستغنیین، أ لیس

1- سورة البقرة/ 83.

2- فی النص القرآنی: "إما".

3- سورة الإسراء/ 23 ـــ 24.

4- أبی ولاد الحناط: حفص بن سالم أبو ولاد الحناط: قال ابن فضال حفص بن یونس مخزومی، روی عن أبی عبد الله (علیه السلام)، ثقة، لا بأس به. و قیل إنه من موالی جعفی، ذکره أبو العباس. له کتاب یرویه الحسن بن محبوب أخبرنا ابن نوح قال حدثنا الحسن بن حمزة قال حدثنا ابن بطة، قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا الحسن بن محبوب عن حفص بکتابه. رجال النجاشی، أحمد بن علی النجاشی: 135، باب الحاء/ الرقم 347.

5- سورة البقرة/ 83.

يقول الله تعـالى: ((لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتّى تُنفِقُواْ مِمّا تُحِبُّونَ))(1). قال: ثم قال عليه السـلام: وأما قول الله تعالى:((أمّا(2) يَبْلُغَنَّ عِندَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُمَا))(3) الآية. قال: إن أضـجراک فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباک. قال: ((وَقُل لَهُمَا قَوْلاً کَرِيمًا))(4) إن ضرباک فقل لهما «غفر الله لکما»فـذلک منک قول کريم. قال: ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ))(5) قال: لا تملأ عينيک من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتک فوق أصواتهما ولا يدک فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما(6).

وعنه عليه السلام(7): إن رجلاً أتى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فقال: يا رسول الله أوصـنى. فقال: لا تشـرک بالله شـيئاً وإن حرقت وعذبت(8) إلا ـ وقلبک مطمئن بالإيمان، ووالـديک فأطعهما وبرهما حيين كانا أو ميتين، وإن أمراک أن تخرج من أهلک ومالک فافعل فإن ذلک من الإيمان(9).

وعنه عليه السلام أنه سئل أى الأعمال أفضل؟ فقال(10): الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله(11).

1- سورة آل عمران/ 92.

2- فى النص القرآنى: "إما".

3- سورة الإسراء/ 23.

4- سورة الإسراء/ 23.

5- سورة الإسراء / 24.

6- أنظر: الكافى،الكلينى:2/157ـــ 158،كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ح1.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- فى الكافى: "وإن حرقت بالنار وعذبت".

9- الكافى، الكلينى: 2/ 158، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح2.

10- فى المحاسن: "عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام، أى الأعمال أفضل؟ قال: ... الحديث".

11- المحاسن، البرقى: 1/ 292، كتاب مصابيح الظلم، باب 47 المحبوبات/ ح7.

وعنه علیه السلام(1) قال: أتی رجل رسول الله(2) فقال: یا رسول الله إنی راغب فی الجهاد نشیط . قال: فقال له النبی(3): فجاهد فی سبیل الله فإنک إن تقتل تکن حیاً عند الله ترزق، وإن مت(4) فقد وقع أجرک علی الله، وإن رجعت رجعت من الذنوب کما ولدت. قال: یا رسول الله إن لی والدین کبیرین یزعمان أنهما یأنسان بی ویکرهان خروجی. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: فقر مع والدیک، فوالذی نفسی بیده لأنسهما بک یوماً ولیلة خیر من جهاد سنة(5).

وعنه علیه السلام(6) قال: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال(7): یا رسول الله من أبر؟ قال: أمک. قال: ثم من؟ قال(8): أمک. قال: ثم من؟ قال: أباک(9).

وعن جابر(10) قال: سمعت رجلاً یقول لأبی عبد الله علیه السلام: إن لی أبوین

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی الکافی: "رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم".

3- فی الکافی: "رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم".

4- فی الکافی: "تمت".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 160، کتاب الإیمان والکفر، باب البر بالوالدین/ ح10.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- فی کتاب الزهد: "فقال".

8- فی کتاب الزهد: "قال علیه السلام".

9- کتاب الزهد، الأهوازی: 40، باب 5 بر الوالدین والقرابة والعشیرة والقطیعة/ ح22.

10- ورد الإسناد فی أصول الکافی: "عنه، عن علی بن الحکم، عن سیف بن عمیرة، عن أبی الصباح، عن جابر، قال: ... الحدیث". (وعنه عائدة لما قبله) وقد ورد فیما قبله بالإسناد: "عن محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن علی بن الحکم ...". وجابر هذا قد اختلف فیه مع من سبقه، وهو أبو الصباح، ولم یقطع لأحد منهما ممن ترجم لهم بأنه جابر بن یزید،أو غیره، أو أن أبو الصباح، هو: إبراهیم بن نعیم، أو مولی آل سام، وفی جابر، یقول الکاظمی: "المشترک بین جماعة لا حظ لهم بالتوثیق، ما عدا جابر بن یزید الجعفی، ولا یخفی ما فیه، ویمکن استعلام: أنه هو: بروایة عمرو بن شمر عنه، وروایة عبد الرحمن بن کثیر عنه، و حریز عنه، وروایة أبی جمیلة المفضل بن صالح السکونی عنه، وروایة عبد الله بن محمد عنه، وروایة المنخل بن جمیل الأسدی عنه، وروی عنه یوسف بن یعقوب، وإبراهیم بن سلیمان. وحیث یعسر التمییز تقف الروایة علی ما عرفت. هدایة المحدثین، محمد أمین الکاظمی: 28 ـــ 29، باب جابر.

مخالفین. فقال: برهما کما تبر المسلمین بمن(1) یتولانا(2).

وعن سدیر(3) قال: قلت لأبی جعفر علیه السلام(4): هل یجزی الولد والده؟ فقال: لیس له جزاء إلا فی خصلتین: أن یکون الوالد مملوکاً فیشتریه ابنه(5) فیعتقه، أو یکون علیه دین فیقضیه عنه(6).

1- فی الکافی: "ممن".

2- الکافی، الکلینی: 2/ 162، کتاب الإیمان والکفر، باب البر بالوالدین/ ح14.

3- سدیر بن حکیم: یکنی أبا الفضل. روی الکشی عن علی بن محمد القتیبی قال حدثنا الفضل بن شاذان عن ابن أبی عمیر عن بکر بن محمد الأزدی قال و زعم لی زید الشحام قال إنی لأطوف حول الکعبة وکفی فی کف أبی عبد الله علیه السلام ودموعه تجری علی خدیه فقال یا شحام ما رأیت ما صنع ربی إلی، ثم بکی ودعا. ثم قال یا شحام إنی طلبت إلی إلهی فی سدیر وعبد السلام بن عبد الرحمن، وکانا فی السجن، فوهبهما لی وخلی سبیلهما. وهذا حدیث معتبر یدل علی علو مرتبتهما. رجال العلامة، العلامة الحلی: 85، الباب العاشر فی الآحاد/ الرقم3.

4- فی الأمالی: "عن سدیر عن أبیه، قال: قلت لأبی جعفر الباقر علیه السلام: ... الحدیث".

5- لیس فی الأمالی: "ابنه".

6- الأمالی، الشیخ الصدوق: 462، المجلس السبعون/ ح9.

وعنه عليه السلام(1) قال: إن العبد ليكون باراً بوالديه فی حياتهما ثم يموتان فلا يقضی عنهما دينهم ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون لهما عاقاً فی حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضی دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله تعالی باراً(2).

وعن الكاظم عليه السلام قال: سأل رجل رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ما حق الوالد علی ولده؟ قال: أن(3) لا يسميه باسمه ولا يمشی بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له(4).

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف سنة ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء. إنما الكبر رداء الله تعالی.(5)

وعن زيد بن علی(6) عن أبيه(7) عن جده(8) قال: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما(9).

1- أی: "الإمام الباقر عليه السلام".

2- أنظر: كتاب الزهد، الأهوازی: 33، باب 5 بر الوالدين والقرابة والعشيرة والقطيعة/ح2.

3- ليس فی الكافی: "أن".

4- الكافی، الكلينی: 2/ 158 _ 159، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح5.

5- أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسی: 161، فی حقوق الوالدين وبرهما.

6- زيد بن علی بن الحسين، قتل سنة إحدی وعشرين ومائة، وله اثنتان وأربعون سنة. شهد له الصادق عليه السلام بالوفاء وترحم عليه. رجال ابن داود، ابن داود: 164، باب الزای المعجمة/ الرقم 653.

7- الإمام علی بن الحسين عليه السلام.

8- الإمام الحسين بن علی عليه السلام.

9- الكافی، الكلينی: 6/ 48، كتاب العقيقة، باب حق الأولاد/ ح5.

وعن الصادق علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: رحم الله والدین أعانا ولدهما علی برهما(1).

وفی روایـة أخری: قلت: کیف یعینه علی بره؟ قال: یقبل میسوره ویتجاوز عن معسوره، ولا یرهقه ولا یخرق به، ولیس(2) بینه وبین أن یصیر فی حد من حدود الکفر إلا أن یدخل فی عقوق أو قطیعة رحم(3).

وعن الصادق علیه السـلام قال: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: حق الولد علی والده إذا کان ذکراً أن یستفره(4) أمه ویستحسن اسـمه ویعلمه کتاب الله ویطهره ویعلمه السـباحة، وإن(5) کانت أنثی یستفره(6) أمها ویسـتحسن اسـمها ویعلمها سورة النور ولا یعلمها سورة یوسف ولا ینزلها الغرف ویعجل سراحها إلی بیت زوجها(7).

1- الکافی، الکلینی: 6/ 48، کتاب العقیقة، باب حق الأولاد/ ح3.

2- فی التهذیب: "فلیس" بدل "ولیس".

3- تهذیب الأحکام، الشیخ الطوسی: 8/ 113، کتاب الطلاق، باب 5 الحکم فی أولاد المطلقات من الرضاع وحکمهم بعده وهم أطفال/ ح39.

4- یستفره الأفراس: یستکرمها. القاموس المحیط، الفیروز آبادی: 4/ 289، فصل الفاء، مادة "فره".

5- فی الکافی: "وإذا" بدل "وإن".

6- فی الکافی: "أن یستفره".

7- الکافی، الکلینی: 6/ 49، کتاب العقیقة، باب حق الأولاد/ ح6.

الباب الحادی عشر: حقوق المملوک

فی حقوق المملوک

روی أنه کـان من آخر مـا أوصـی به رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أن قـال: اتقوا الله فی ما ملکت أیمانکم، أطعموهم مما تأکلون وألبسوهم ممـا تلبسون ولاـ تکلفوهم من العمـل مـا لا یطیقون، فما أحببتم فأمسـکوا وما کرهتم فبیعوا ولا تعـذبوا خلق الله فإن الله تعالی ملککم إیاهم ولو شاء لملکهم إیاکم(1).

وروی أنه جاء رجل(2) إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال: یا رسول الله کم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم قال: أعف عنه کل یوم سبعین مرة(3).

وقال الصادق علیه السـلام: إذا اشتریت رأساً فلا ترینه ثمنه فی کفة المیزان، فما من رأس رأی ثمنه فی کفة المیزان فأفلح، فإذا اشتریت رأسـاً فغیر اسمه وأطعمه شیئاً حلواً إذا ملکته وتصدق بأربعة دراهم(4).

1- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 3 / 444، کتاب آداب الصحبة والمعاشرة، حقوق المملوک.

2- الرجل هو: عبد الله بن عمر.

3- إحیاء علوم الدین، أبو حامد الغزالی:2/198، کتاب آداب الألفة والمحبة، حقوق المملوک.

4- أنظر: تهذیب الأحکام، الشیخ الطوسی: 7 /71، کتاب التجارات، باب 6 ابتیاع الحیوان/ ح16.

وعنه عليه السلام(1) أنه سئل عن أخوين مملوكين هل يفرق بينهما وعن المرأة وولدها؟ قال: لا هو حرام إلا أن يريدوا ذلک(2).

وعنه عليه السلام(3) عن أبيه(4) قال: قال على بن أبى طالب: من اتخذ من الإماء أكثر مما ينكح أو ينكح فالإثم عليه إن بغين(5).

وعنه عليه السلام(6) أنه بعث غلاماً له فى حاجة فأبطأ، فخرج عليه السلام على أثره فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فلما انتبه قال له عليه السلام: يا فلان والله ما ذلک لک تنام الليل والنهار، لک الليل ولنا منک النهار(7).

وعن السجاد عليه السلام أنه سكبت عليه الماء الجارية ليتوضأ للصلاة فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجه عليه السلام فرفع رأسه إليها فقالت الجارية: إن الله عزّوجل يقول: ((وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ))(8) قال: كظمت غيظى.

1- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

2- أنظر : الكافى ، الكلينى : 5 / 218 __ 219 ، كتاب المعيشة ، باب التفرقة بين ذوى الأرحام/ح2.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- الإمام الباقر محمد بن على عليهما السلام.

5- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 3/ 451، كتاب النكاح، باب أحكام المماليک والإماء/ ح3.

6- أى: "الإمام الصادق عليه السلام". ولكن الحادثة يرويها فى المناقب: جعفر بن أبى عائشة، وفى مصادر أخرى: حفص بن أبى عائشة.

7- أنظر: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب: 4/ 274، باب إمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فصل فى معالى أموره عليه السلام.

8- سورة آل عمران/ 134.

قالت: ((وَالْعٰافِينَ عَنِ النّاسِ))(1). قال لها: عفا الله عنک. قالت: ((وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(2). قال: اذهبی فأنت حرة لوجه الله تعالی(3).

وروی أنه علیه السلام(4) دعا مملوکه مرتین فلم یجبه وأجابه فی المرة الثالثة(5)، فقال له : یا بنی أما سمعت صوتی؟ قال: بلی. قال: فما لک لم تجبنی. قال: أمنتک. قال: الحمد لله الذی جعل مملوکی یأمننی(6).

1- سورة آل عمران/ 134.

2- سورة آل عمران/ 134.

3- أنظر: کشف الغمة، الأربلی: 2/ 87، ذکر الإمام الرابع أبی الحسن علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام.

4- أی: "الإمام السجاد علیه السلام".

5- فی المشکاة: "ثم أجابه فی الثالثة".

6- مشکاة الأنوار،الطبرسی:178،الفصل الثانی والعشرون فی ذکر المداراة وحسن الملکة.

الباب الثانی عشر: حقوق الزوجین

فی حقوق الزوجین

لکـل من الزوجین حق یجب علی صاحبه القیام به، بالکتاب والسـنة والإجماع، ولا بـد من الإتیان به من دون طلب ولا اسـتعانة بالغیر ولا إظهار کراهة فی تأدیته بل باستبشار وانطلاق وجه.

أما حقه علیها: «فأن(1) تطیعه ولا تعصـیه، ولا تتصـدق من بیته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسـها وإن کانت علی ظهر قتب(2)، ولا تخرج من بیتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغیر إذنه لعنتها ملائکة السـماء وملائکة الأرض(3) وملائکة الغضب وملائکة الرحمة حتی ترجع إلی بیتها»(4)، کما فی الأخبار.

1- فی المهذب: "أن" بدل "فأن".

2- قتب: القتب، بالتحریک: رحل صغیر علی قدر السنام. الصحاح، الجوهری: 1/ 198، مادة "قتب".

3- فی المهذب: "ملائکة السماء والأرض".

4- المهذب البارع، ابن فهد الحلی: 3/ 192، حق الرجل علی المرأة.

وأما حقها علیه: فأن «یسدّ جوعتها، ویستر عورتها، ولا یقبح لها وجهاً»(1). وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: خیارکم خیارکم لنسائکم(2). وفی روایة: خیرکم خیرکم لنسائه، وأنا خیرکم لنسائی(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: عیال الرجل أُسراؤه، وأحب العباد إلی الله تعالی(4) أحسنهم صنیعاً إلی أُسرائه(5).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج، إن ترکته انتفعت به وإن أقمته کسرته(6).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: من صبر علی خلق امرأة سیئة الخلق واحتسب فی ذلک الأجر أعطاه الله تعالی(7) ثواب الشاکرین(8).

1- الکافی، الکلینی: 5/ 511، کتاب النکاح، باب حق المرأة علی الزوج/ ح5.

2- ذخیرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسی: 3/ 1298/ ح2800.

3- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 3/ 443، باب حق المرأة علی الزوج/ ح14.

4- فی المکارم: "عزّوجل" بدل "تعالی".

5- مکارم الأخلاق، الطبرسی: 217، فی حق المرأة علی الزوج.

6- الکافی، الکلینی: 5/ 513، کتاب النکاح، باب مداراة الزوجة/ ح1.

7- لیس فی الأمالی: "تعالی".

8- الأمالی، الصدوق: 430، المجلس السادس والستون/ ح1.

الباب الثالث عشر: العزلة والمخالطة

فی العزلة والمخالطة

قـد اختلف الناس فی الترجیـح بینهما فـذهب إلی کل فریق، فـذهب قوم إلی ترجیح المخالطة لقوله تعالی: ((أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ))(1) وقوله تعالی: ((وَلا تَکُونُواْ کَالَّذِینَ تَفَرَّقُواْ))(2) وقوله صلی الله علیه وآله وسلم: المؤمن إلف مألوف ولا خیر فی من لا یألف ولا یؤلف(3)، وقوله صـلی الله علیه وآله وسـلم: من فارق الجماعـة مات میتة جاهلیة(4)، وللأخبار الدالـة علی اسـتحباب التزاور والتصافح والمعانقة وعیادة المرضـی وتشییع الجنائز وقضاء الحوائج والاهتمام بأمور المسلمین وإصلاح ذات البین والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر والتعاون علی البر والتقوی وحضور الجمعة والجماعة، وما دل علی الأمر بالتعلیم والتعلم، وما دل علی الأمر بالنفع والانتفاع بالکسب والمعاملة، وما دل

1- سورة الأنفال/ 63.

2- سورة آل عمران/ 105.

3- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 10/ 39، فصل فی العزلة والاجتماع.

4- مجمع الزوائد، الهیثمی: 1/ 324، باب لا یکفر أحد من أهل القبلة بذنب.

على التأديب والتأدب ومـداراة الناس وتحمل أذاهم والاستئناس والإيناس وحضور الولائم وإجابة الدعوة ومدح التواضع والأمر به والتجربة والتجارب، ونحو ذلک مما لا يتم إلا بالمعاشرة(1).

وذهب قوم إلى ترجيح العزلة، وقد ألف المحقق العارف ابن فهد(2) رسالة فی ذلک، واستشهد بأخبار وآثار كثيرة، منها:

1- مر ذكر الأخبار الواردة بالآداب فی الأبواب السابقة مع بيان مصادرها.

2- ابن فهـد: الشـيخ جمال الـدين أحمـد بن فهد الحلی: فاضل، عالم، ثقة، صالح، زاهد، عابد، ورع، جليل القدر، له كتب منها: المهذب شرح المختصـر النافع، وعدة الداعی، والمقتصـر، والموجز، وشـرح الألفية للشهيد، والمحرر، والتحصين، والدر الفريد فی التوحيد. يروی عن تلامذة الشـهيد. أمل الآمل، الحر العاملی: 2/21، باب الألف/الرقم50. قال القمی: جمال السالكين أبو العباس أحمـد بن محمد بن فهد الحلی، الأسدی، الشـيخ، الأجل، الثقة، الفقيه، الزاهد، العالم، العابد، الصالح، الورع، التقی، صاحب المقامات العالية، والمصـنفات الفائقة، كالمهذب البارع شـرح المختصـر النافع، والموجز، والتحرير، وعدة الداعی، والتحصين، واللمعة الجلية، وغير ذلک. حكی انه رأی فی الطيف أمير المؤمنين عليه السـلام آخذا بيد السـيد المرتضـی رضی الله عنه يتماشيان فی الروضة المطهرة الغروية، وثيابهما من الحرير الأخضـر، فتقدم الشـيخ أحمد بن فهد وسـلم عليهما، فأجاباه. فقال السـيد له: أهلا بناصرنا أهل البيت. ثم سأله السيد عن أسماء تصانيفه؟ فلما ذكرها له، قال السـيد: صـنف كتابا مشـتملا على تحرير المسائل، وتسـهيل الطرق، والـدلائل، واجعل مفتتح ذلک: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المقدس بكماله عن مشابهة المخلوقات" فلما انتبه الشـيخ شـرع فی تصنيف كتاب التحرير، وافتتحه بما ذكره السيد رحمه الله، ولد سنة 757 هـ، وتوفی سنة 841 هـ، ودفن فی جوار أبی عبد الله الحسـين عليه السلام قرب خيمكاه، و قبره مشهور يزار، وينقل عن السيد الأجل صاحب الرياض أنه ينتابه ويتبرک به. الكنی والألقاب، الشيخ القمی: 1/ 380 __ 381، ابن فهد.

عن الصادق علیه السلام قال: لولا الموضع الذی وضعنی الله فیه لسرنی أن أکون علی رأس جبل لا أعرف الناس ولا یعرفونی حتی یأتینی الموت(1).

وعن الباقر علیه السلام أنه قال لعبد الواحد الأنصاری(2): ما یضرک ـــ أو ما یضر رجلاً ـــ إذا کان علی الحق ما قاله(3) له الناس ولو قالوا له(4) مجنون، وما یضره ولو کان علی رأس جبل یعبد الله تعالی(5) حتی یجیئه الموت(6).

وعن الصادق علیه السلام قال: ما یضر المؤمن أن یکون منفرداً عن الناس ولو علی قلة جبل ـــ فأعادها ثلاث مرات(7).

وعن الباقر علیه السلام قال: ما یضر من عرّفه الله الحق أن یکون علی قلة جبل یأکل من نبات الأرض حتی یجیئه الموت(8).

وعن الصادق علیه السلام قال: ما یضر من کان علی هذا الأمر أن لا یکون(9) ما یستظل به إلا الشجر فلا یأکل(10) إلا من ورقه(11).

1- التحصین، ابن فهد: 7، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

2- عبد الواحد بن المختار الأنصاری: من أصحاب الباقر و الصادق علیهما السلام. نقد الرجال، التفرشی: 3/167، باب العین/ الرقم 8.

3- فی التحصین: "ما قال".

4- لیس فی التحصین: "له".

5- لیس فی التحصین: "تعالی".

6- التحصین، ابن فهد: 7، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

7- نفس المصدر السابق.

8- نفس المصدر السابق.

9- لیس فی التحصین: "أن لا یکون له".

10- فی التحصین: "ولا یأکل".

11- التحصین، ابن فهد: 8، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

وعنه علیه السلام(1) قال: لا علیک أن لا یعرفک الناس ___ ثلاثاً(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: قال الله تبارک وتعالی: إنّ أعبد أولیائی عبد مؤمن ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه، وعبد الله فی السریرة، وکان غائصاً فی الناس، فلم یشر إلیه بالأصابع، وکان رزقه کفافاً، فصبر علیه فعجلت به المنیة فقلّ تراثه وقلّت بواکیه(4).

وعن الباقر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: قال الله تبارک وتعالی: إن أعبد(5) أولیائی عندی رجل خفیف ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه فی الغیب وکان غامضاً فی الناس جعل رزقه کفافا فصبر علیه حتی مات فقل تراثه وقلّت بواکیه(6).

وقال الصادق علیه السلام: إن ما یحتج الله تبارک وتعالی به علی عبده أن یقول: لم أخمل ذکرک(7).

وقال علیه السلام(8) لحفص بن غیاث(9): یا حفص کن ذنباً ولا تکن رأساً(10).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- التحصین، ابن فهد: 9، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- أنظر: مستدرک الوسائل، النوری: 11/ 386، کتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 51 استحباب لزوم المنزل غالبا مع الإتیان بحقوق الإخوان لمن یشق علیه اجتناب مفاسد العشرة/ ح12.

5- فی التحصین: "إن أغبط".

6- التحصین، ابن فهد: 10، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

7- التحصین، ابن فهد: 11، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة. ونص الحدیث: "إن مما یحتج الله تبارک و تعالی به علی عبده یوم القیامة أن یقول أ لم أخمل ذکرک".

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- حفص بن غیاث القاضی: ولی القضاء لهارون، وروی عن الصادق علیه السلام، وکان عامیا، وله کتاب معتمد. رجال العلامة، العلامة الحلی: 218، الباب الرابع حفص/ الرقم 1.

10- الکافی، الکلینی: 8/ 128، کتاب الروضة، حدیث نادر/ ح3.

وعنه علیه السلام(1) أنه قال له معروف الکرخی(2): أوصنی یا بن رسول الله. قال(3): أقلل معارفک. قال زدنی. قال: أنکر من عرفت منهم. قال: زدنی. قال: حسبک(4).

ولأن فیها فوائد کثیرة: منها التفرغ للعبادة والفکر والاستئناس بمناجاة الله تعالی عن مناجاة الخلق.

ولأن فیها التخلص من المهلکات والأخلاق الرذیلة کالغیبة وسماعها والریاء والتکبر والحقد والحسد والسکوت عن الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، والتخلص من الفتن والخصومات، وصیانة الدین والنفس عن الخوض فیها والتعرض لأخطارها، والخلاص من شر الناس، ومن انقطاع طمع الناس عنه وانقطاع طمعه عنهم، والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء وأخلاقهم الردیئة وغیر ذلک.

وتحقیق المقام علی وجه أنیق وطرز رشیق تلتئم علیه الأخبار الواردة فی هذا المضمار بوجوه:

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- معروف الکرخی: معروف بن فیروز الکرخی، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفین. کان من موالی الإمام علی الرضا بن موسی الکاظم (علیهما السلام)، ولد فی کرخ بغداد، ونشأ وتوفی ببغداد. اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرک به. ولابن الجوزی کتاب فی أخباره وآدابه، توفی سنة 200. الأعلام، الزرکلی: 7/ 269.

3- فی التحصین: " قال علیه السلام".

4- التحصین، ابن فهد: 11، القطب الثانی فی الإذن فی العزلة.

الأول: أن يقال: إن العزلة الممدوحة إنما هى العزلة بالقلب دون البدن كما يرشد إلى ذلک ما رواه عبد الله بن سنان(1) عن الصادق عليه السلام قال: طوبى لعبد عرف الناس(2)، فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم بقلبه فعرفوه فى الظاهر وعرفهم فى الباطن(3).

الثانى: أن يراد بالعزلة العزلة عن أهل الدنيا الذين يشغلون الإنسان عن ذكر الله، لا أهل الآخرة من العلماء والعقلاء والعرفاء الذين يكتسب من أخلاقهم ويستفيد من علومهم وأحوالهم ويتوصل إلى الأجر والثواب بمخالطتهم ويشهد لذلک قول الكاظم عليه السلام: يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل الدنيا والراغبين فيها ورغب فى ما عند الله، ومن رغب فى ما عند الله كان أنيسه فى الوحشة وصاحبه فى الوحدة وغناه فى العيلة ومعزه من غير عشيرة(4).

1- عبد الله بن سنان بن طريف: مولى بنى هاشم، يقال مولى بنى أبى طالب، ويقال مولى بنى العباس. كان خازنا للمنصور والمهدى والهادى والرشيد، كوفى، ثقة، من أصحابنا، جليل، لا يطعن عليه فى شى ء، روى عن أبى عبد الله عليه السلام، وقيل روى عن أبى الحسن موسى عليه السلام وليس بثبت. له كتاب الصلاة الذى يعرف بعمل يوم وليلة، وكتاب الصلاة الكبير، وكتاب فى سائر الأبواب من الحلال والحرام. روى هذه الكتب عنه جماعات من أصحابنا لعظمه فى الطائفة وثقته وجلالته. أخبرنى الحسين بن عبيد الله قال حدثنا أحمد بن جعفر قال حدثنا حميد عن الحسن بن سماعه، عن عبد الله بن جبلة عنه. رجال النجاشى، أحمد بن على النجاشى: 214، باب العين/ الرقم 558.

2- فى المستدرک: "طوبى لعبد نومة عرف الناس".

3- مستدرک الوسائل، النورى: 11/ 386، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 51 استحباب لزوم المنزل غالبا مع الإتيان بحقوق الإخوان لمن يشق عليه اجتناب مفاسد العشرة/ ح10.

4- أنظر: الكافى، الكلينى: 1/ 17، كتاب العقل والجهل/ ح 12.

الثالث: أن يقال: إن العزلـة لا بـد فيها من العلم والزهـد، كما تنبئ عنه عينها وزاؤها، فالعزلـة بـدون عين العلم ذلـة، وبدون زاء الزهد علة، وبدون لام الجهل عزة، فالجاهل لا يليق له العزلة، ففی الكافی عن الصادق علیه السلام أنه قیل له: رجل عرف هذا الأمر ـــ أی الإمامة ـــ لزم بیته ولم یتعرف إلی أحد من إخوانه. قال: فقال: كیف یتفقه هذا فی دینه؟(1).

ثم هـذا العالم إن كان ذا نفس قدسـیة وقوة ملكوتیة خشن فی ذات الله قادر علی الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر وإرشاد الضال ومعاونة الضعیف وإدراك اللهیف ونصرة المظلوم ونحو ذلك، ولا تأخذه فی الله لومة لائم، فالأولی بحاله المخالطة وإلا فالعزلة.

الرابع: أن یقال: إن الانقباض عن الناس مكسـبة للعـداوة والانبساط إلیهم مجلبة لقرناء(2) السوء، فلیكن الإنسـان بین المنقبض والمنبسط، وكذلك یجب الاعتدال فی المخالطة والعزلة، ویختلف ذلك بحسب الأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات، فلیلاحظ كل ما یصلحه وما یلیق بحاله(3).

1- منیة المرید، الشهید الثانی: 375، الفصل الأول فی أقسام الآداب الشرعیة الأصلیة.

2- قرنـاء، ككرماء، والقرین: المصاحب، والجمع كالجمع، والقرین: الشـیطان المقرون بالإنسان لا یفارقه. وفی الحـدیث: ما من أحـد إلا وكل به قرینه، أی: مصاحبه من الملائكة والشیاطین. تاج العروس، الزبیدی: 9/ 308، مادة "القرین".

3- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 2/ 201 ـــ 204، كتاب آداب العزلة، الباب الأول فی نقل المذاهب والأقاویل.

المحتويات

مقدمة القسم

كلمة لابد منها

مقدمة التحقيق

الأول: تعريف التحقيق

الثانى: لماذا هذا الكتاب

الثالث: كتابنا وعلم الأخلاق

المذاهب الأخلاقية

الإتجاه العقلى

الإتجاه المادى

الإتجاه الصوفى

سيرة التآليف الأخلاقية

المجموعة الأولى: الكتب الأخلاقية الفلسفية

المجموعة الثانية: الكتب الأخلاقية العرفانية

المجموعة الثالثة: الكتب الأخلاقية الروائية

المجموعة الرابعة: الكتب التلفيقية

كتابنا و علم الأخلاق

ترجمة المؤلف السيد عبد الله شبر

إسمه وشهرته

أسرته ونسبه

ولادت_ه

نبذة من سيرته

تربيته

أخلاقه

من معاصريه

أوصافه

ذكائه

منزلته العلمية

عمله

طريقته فى التأليف

أولاده

قالوا فيه

مشايخه

تلامذته

تصانيفه ومؤلفاته

وفاته

المقدمة

الفصل الأول: فى مدح حسن الخلق وذم سيئه

الفصل الثانى: فى معنى الخلق وكيفية تهذيبه

الفصل الثالث

الركن الأول: فى أسرار العبادات وفيه أبواب

الباب الأول: الطهارة

الفصل الأول: فى النية

الفصل الثانى: فى الإخلاص

الفصل الثالث: فى مجمل القول فى الطهارة والنظافة

الفصل الرابع: فى أسرار إزالة النجاسة والتخلى لقضاء الحاجة

الفصل الخامس: فى السواك

الفصل السادس: فى الوضوء

الفصل السابع: فى أسرار الغسل والتيمم

الفصل الثامن: فى الاستحمام

الفصل التاسع: فى سماع الأذان

الفصل العاشر: فى الوقت

الفصل الحادى عشر: فى لباس المصلى

الفصل الثانى عشر: فى مكان المصلى

الفصل الثالث عشر: فى الاستقبال

الفصل الرابع عشر: فى القيام

الفصل الخامس عشر: فى التوجه

الفصل السادس عشر: فى النية

الفصل السابع عشر: فى التكبير

الفصل الثامن عشر: فى دعاء التوجه

الفصل التاسع عشر: فى الاستعاذة

الفصل العشرون: فى بيان الخضوع والخشوع وحضور القلب

الفصل الحادى والعشرون: فى القراءة

الفصل الثانى والعشرون: فى دوام القيام

الفصل الثالث والعشرون: فى الركوع

الفصل الرابع والعشرون: فى السجود

الفصل الخامس والعشرون: فى التشهد

الفصل السادس والعشرون: فى التسليم

الباب الثانی: صلاة الجمعة

الباب الثالث: صلاة العیدین

الباب الرابع: صلاة الآیات

الباب الخامس: قراءة القرآن

الباب السادس: آداب الدعاء

الباب السابع: أسرار الزکاة والمعروف

الباب الثامن: أسرار الصوم

الباب التاسع: أسرار الحج وزیارة النبی صلی الله علیه وآله وسلم والمشاهد المشرفة

فصل: فی العزم علی الحج

فصل: فی الزاد

فصل: فی الراحلة

فصل: فی شراء ثوب الإحرام

فصل: فی الخروج من البلد

فصل: فی دخول البادیة ومشاهدة العقبات

فصل: فی الإحرام والتلبیة بالمیقات

فصل: فی وقوع البصر علی البیت

فصل: فی الطواف بالبیت

فصل: فی استلام الحجر

فصل: فی التعلق بأستار الکعبة والالتصاق بالملتزم

فصل: فی السعی بین الصفا والمروة فی فناء البیت

فصل: فی الوقوف بعرفة

فصل: فی الوقوف بالمشعر

فصل: فی رمی الجمار

فصل: فی ذبح الهدی

فصل: فی رؤیة المدینة

فصل: فی زیارة النبی والأئمة علیهم السلام

الركن الثانى: ف_ى ال_ع_ب_ادات، وفيه أبواب

الباب الأول: جملة الحقوق التى تلزم الإنسان

الباب الثانى: آداب المعيشة والمجالسة

الباب الثالث: الإخاء والإلفة

الباب الرابع: تقسيم الإخوان والأصدقاء

الباب الخامس: حقوق الأخوة والصحبة

الباب السادس: حقوق المسلم والمؤمن

الباب السابع: بيان بعض الحقوق إجمالا

الباب الثامن: حقوق الجوار

الباب التاسع: حقوق الأقارب والرحم

الباب العاشر: حقوق الوالدين والولد

الباب الحادى عشر: حقوق المملوک

الباب الثانى عشر: حقوق الزوجين

الباب الثالث عشر: العزلة والمخالطة

المحتويات

الجزء الثانى

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

الأخلاق

تأليف

السيد عبدالله شبر

تحقيق

السيد على القصير

الجزء الثانى

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

شعبة التحقيق

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1429هـ - 2008م

العراق: كربلاء المقدسة-العتبة الحسينية المقدسة-هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الركن الثالث: فى المهلكات من الأخلاق الردية التى هى السموم القاتلة المهلكة للدين، وفيه أبواب

اشارة

الباب الأول: شهوة البطن

فی شهوة البطن

إعلم أن البطن علی التحقیق ینبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ یتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق(1) إلی المنکوحات، ثم یتبع شهوة المطعم والمنکح شدة الرغبة فی المال والجاه اللذین هما الوسیلة إلی التوسع فی المطعومات والمنکوحات، ویتبع استکثار المال والجاه أنواع الرعونات(2) وضروب المنافسات والمحاسدات، ویتولد من ذلک آفة الریاء وغائلة(3) التفاخر والتکاثر والکبریاء، ثم یتداعی ذلک إلی الحسد والحقد والعداوة والبغضاء، ثم یفضی ذلک بصاحبه إلی

1- الشبق: شدة الغلمة وطلب النکاح. یقال: رجل شبق وامرأة شبقة. وشبق الرجل، بالکسر، شبقا، فهو شبق: اشتدت غلمته، وکذلک المرأة. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 171، مادة "شبق".

2- رعن: الأرعن: الأهوج فی منطقه المسترخی. والرعونة: الحمق والاسترخاء. رجل أرعن وامرأة رعناء، بینا الرعونة والرعن أیضا. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 182، مادة "رعن".

3- الغوائل جمع غائلة: وهی: الحقد. یقال: غاله یغوله غولا من باب قال: إذا ذهب به وأهلکه. مجمع البحرین، الشیخ الطریحی: 3/ 339، مادة "غول".

اقتحام البغی والمنکر والفحشاء، وکل ذلک ثمرة إهمال المعدة وما یتولد من بطر(1) الشبع والامتلاء.

ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضیق مجاری الشیطان لأذعنت(2) نفسه لطاعة الله ولم تسلک سبیل البطر والطغیان، ولم ینجر به ذلک إلی الانهماک فی الدنیا وإیثار العاجلة علی العقبی، ولم یتکالب(3) هذا التکالب علی الدنیا(4). قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: لا یدخل ملکوت السماوات قلب من ملأ بطنه(5).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الفکر نصف العبادة، وقلة الطعام هی العبادة(6).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم:لا تمیتوا القلوب بکثرة الطعام والشراب، فإن القلب کالزرع(7) یموت إذا کثر(8) علیه الماء(9).

1- البطر: الطغیان عند النعمة وطول الغنی. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 69، مادة "بطر".

2- أذعن له: خضع وذل وأقر وأسرع فی الطاعة وانقاد کذعن، کفرح. القاموس المحیط، الفیروز آبادی: 4/225، فصل الذال.

3- من المجاز: الکلب (الحرص)، کلب علی الشیء کلبا إذا اشتد حرصه علی طلب شیء. تاج العروس، الزبیدی: 1/459، مادة "کلب".

4- أنظر: جامع السعادات، النراقی: 2/ 8، المقام الثالث، الشره. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/73، کتاب کسر الشهوتین.

5- المحجة البیضاء،الفیض الکاشانی:5/146،باب کسر الشهوتین،بیان فضیلة الجوع وذم الشبع.

6- المغنی عن حمل الأسفار، أبوالفضل العراقی:2/ 749،کتاب کسر الشهوتین/ ح2745.

7- فی شرح ابن أبی الحدید: "فإن القلب یموت بهما کالزرع".

8- فی شرح ابن أبی الحدید:"إذا أکثر".

9- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 19/ 187، باب الحکم والمواعظ، نبذة من الأقوال الحکمیة فی حمد القناعة وقلة الکلام.

وقال صـلى الله عليه وآله وسـلم: ما ملأ ابن آدم وعاء شـراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صـلبه، فإن كان هو فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه(1).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش(2).

وقال الصادق عليه السلام: إن البطن ليطغى من أكلة، وإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا خف بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا امتلأ بطنه(3).

وعنه عليه السلام(4) قال: ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صـلبه، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس(5)، ولا تسمنوا سمن(6) الخنازير للذبح(7).

وقال الباقر عليه السلام: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى(8) من بطن مملوء(9).

وقال لقمان لابنه: يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة(10).

1- المحجة البيضاء،الفيض الكاشانى:5/147،كتاب كسر الشهوتين،بيان فضيلة الجوع وذم الشبع.

2- أعلام الدين، الديلمى: 121، باب صفة المؤمن.

3- أنظر: المحاسن، البرقى:2/446،كتاب المآكل،باب 44 النهى عن كثرة الطعام وكثرة الأكل/ح 6.

4- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

5- فى الكافى: "وثلث بطنه للنفس".

6- فى الكافى: "تسمن".

7- الكافى، الكلينى: 6/ 269 ـــ 270، كتاب الأطعمة، باب كراهية كثر الأكل/ح9.

8- فى المحاسن: "إلى الله عزّوجل".

9- المحاسن، البرقى:2/447،كتاب المآكل،باب النهى عن كثرة الطعام وكثرة الأكل/ح8.

10- مجموعة ورام، ورام ابن أبى فراس: 1/ 102، باب تهذيب الأخلاق.

وفوائد الجوع كثيرة:

الأولى: صفاء القلب واتقاد(1) القريحة(2) ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة(3) ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ كشبه السكر.

الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر(4).

الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر(5) الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله.

1- وقد: وقدت النار توقدت، وبابه وعد، ووقودا بالضم ووقيدا بالفتح وقدة بالكسر ووقدا ووقدانا بفتحتين فيهما وأوقدها هو واستوقدها أيضا، والاتقاد كالتوقد والوقود بالفتح الحطب وبالضم الاتقاد. مختار الصحاح، الرازى: 374، باب الواو, مادة "وقد".

2- قرحا: رماه به واستقبله به. الاقتراح: ارتجال الكلام. والاقتراح ابتدع الشىء تبتدعه وتقترحه من ذات نفسك من غير أن تسمعه، وقد اقترحه فيهما. لسان العرب، ابن منظور: 2/ 558، مادة "قرح".

3- البلادة ضد الذكاء. وقد بلد بالضم فهو بليد. الصحاح، الجوهرى: 2/ 449، مادة "بلد".

4- قال السيد الخوئى: الذكر، هو: الصلاة. كتاب الصلاة، السيد الخوئى: 3/ 184، فصل فى القيام. قال الكاشانى: قيل، هو: الدعاء. بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشانى: 2/ 136، فصل الوقوف بمزدلفة.

5- الأشر: البطر. وقد أشر بالكسر يأشر أشرا، فهو أشر وأشران. الصحاح، الجوهرى: 2/ 579، مادة "أشر".

الرابعـة: أن لا ينسـى بلاء الله وعذابه، ولا ينسـى أهل البلاء، فإن الشـبعان ينسـى الجائعين وينسـى الجوع، والفطن(1) لا يشاهـد بلاءً إلا ويتـذكر بلاء الآخرة، فيتذكر بالجوع جوع أهل النار وأن ((لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِن ضَرِيعٍ (6) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِى مِن جُوعٍ))(2)، وبالعطش عطشهم وعطش أهل المحشر فى عرصات(3) القيامة.

الخامسـة: كسـر شـهوات المعاصـى كلهـا والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء(4)، فـإن منشأ المعاصـى كلها الشـهوات والقوى، ومادة الشهوات والقوى الأطعمة والأشربة.

السادسة: دفع النوم ودوام السـهر، فإن من شبع شرب كثيراً، ومن كثر شربه كثر نومه، وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب.

السابعة: تيسـير المواظبة على العبادة، لأن كثرة الأكل تحتاج إلى زمان يشـتغل فيه بالأكل وتحصـيله وتحصـيل الآلة وأسـبابه، والاشـتغال بإدخاله وإخراجه.

1- الفطنة: كالفهم. والفطنة: ضد الغباوة. ورجل فطن بين الفطنة والفطن وقد فطن لهذا الأمر. وأما الفطن فذو فطنة للأشـياء. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 323، مادة "فطن".

2- سورة الغاشية/ 6 __ 7.

3- العرصات: جمع عرصة، وقيل: هى كل موضع واسع لا بناء فيه. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 53، فصل العين المهملة، مادة "عرص".

4- إشارة إلى قوله تعالى: ((وَما أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لأَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ ما رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ)) سورة يوسف/53.

الثامنة: صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضول الأخلاط فی المعدة والعروق، ثم المرض یمنع العبادات ویشوش القلب ویمنع من الذکر والفکر ویحوج إلی الفصد(1) والحجامة(2) والدواء والطبیب، وإلی مؤن وتبعات لا یخلو الإنسان فیها بعد التعب من أنواع المعاصی.

قال علیه السلام(3): المعدة بیت الداء، والحمیة رأس کل دواء(4)، وأعط کل بدن ما عودته(5).

التاسعة: خفة المؤونة.

العاشرة: التمکن من الإیثار والتصدق بالفاضل عن الضروری(6).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: قلة الأکل محمودة علی کل حال وعند کل قوم، لأن فیها المصلحة للظاهر والباطن، والمحمود من المأکول أربعة: ضرورة، وعدة، وفتوح، وقوت. فالضرورة للأصفیاء، والعدة لقوم الأتقیاء، والفتوح للمتوکلین، والقوت للمؤمنین.

1- الفصد: شق العرق، فصده یفصده فصدا و فصادا، فهو مفصود و فصید. لسان العرب، ابن منظور: 3/ 336، مادة "فصد".

2- الحجم: فعل الحاجم، وقد حجمه یحجمه من باب قتل: شرطه، فهو محجوم، واسم الصناعة، حجامة بکسر الحاء. والمحجم بالکسر والمحجمة: الآلة التی یجمع فیها دم الحجامة عند المص. مجمع البحرین، الطریحی: 445 __ 446، باب الحاء، مادة "حجم".

3- النبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

4- فی العوالی: "والحمیة رأس الدواء".

5- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی: 2/30، الباب الأول فی أحادیث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الرابع/ح72 .

6- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3 / 77 __ 80، کتاب کسر الشهوتین، بیان فوائد الجوع وآفات الشبع.

وليس شـيء أضـر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهى مورثـة شـيئين: قسوة القلب، وهيجان الشـهوة. والجوع أدام للمؤمن، وغـذاء للروح، وطعام للقلب، وصحة للبدن(1) ـــ الحديث.

واعلم أنه حيث كـان طبع الإنسـان طالباً لغايـة الشـبع جاء الشـرع فى المبالغـة فى الجوع، حتى يكون الطبع باعثاً والشـرع مانعاً، فيتقاومان ويحصل الاعتـدال والوسط المطلوب فى جميع الأخلاق والأحوال، فالأفضل حينئـذ بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقـل المعـدة ولاـ بـألم الجوع، فـإن المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشـغل القلب ويمنع منها، فالمقصود أن يأكل أكلاً معتـدلاً بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر، ليكون متشـبهاً بالملائكة، فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع(2). وإليه الإشارة بقوله تعالى:((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلا تُسْرِفُواْ))(3).

والقوام فيه أن لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً حتى يشتهيه، ويكف نفسه عنهما وهى تشتهيه(4).

1- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 77، الباب 34 فى الأكل.

2- أنظر: الحقـايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 67، الباب الثانى فيما يؤدى إلى مساوى الأخلاق، الفصل الأول الاعتـدال فى شهوتى البطن والفرج. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/76 ـــ 80، كتاب كسر الشهوتين، بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.

3- سورة الأعراف/ 31.

4- طب الأئمة، ابنا بسطام: 60، لوجع الخاصرة.

الباب الثانی: شهوة الفرج

فی شهوة الفرج

إعلم أن هذه الشـهوة من أعظم المهلكات لابن آدم إن لم تضـبط وتقهر وترد إلی حد الاعتدال، ولها طرفان: إفراط بأن تقهر العقل فتصـرف همـة الرجل إلی التمتع بالنساء والجواری فتحرمه عن سـلوک طريق الآخرة وقـد تقهر الـدين وتجر إلی اقتحام الفواحش، وقـد تنتهی به إلی الفسق البهيمی الذی ينشأ عن استيلاء الشـهوة فيسـخر الوهم العقل لخدمة الشـهوة. وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة محتالاً لأجلها، وهو مرض قلب فارغ لا همـة له، ولذا قيل: إن الشـيطان قال(1) للمرأة: أنت نصف جندی وأنت سـهمی الذی أرمی به فلا أخطئ، وأنت موضع سری، وأنت رسولی فی حاجتی(2). فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب.

وأعظم الشـهوة شهوة النساء، ويجب الاحتراز منها فی مبدأ الأمر بترک معاداة النظر والفكر، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه، ولهذا قيل: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله(3).

1- فی الإحياء: "يقول".

2- إحياء علوم الدين، الغزالی: 3/ 90، كتاب كسر الشهوتين، القول فی شهوة الفرج.

3- أنظر: جـامع السـعادات، النراقی: 2/ 12 ـــ 13، المقام الثالث، الشـهوة الجنسـية. إحياء علوم الـدين، الغزالی: 3/ 90، كتاب كسـر الشهوتين، القول فی شهوة الفرج.

وقال الله تعالى: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ))(1).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: النظرة(2) سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله(3) إيماناً يجد حلاوته فى قلبه(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء(5).

وتفريط هذه الشهوة إما بالعفة الخارجة من الاعتدال أو بالضعف عن امتناع المنكوحة، وهو أيضاً مذموم، والمحمود أن تكون هذه الشهوة معتدلة منقادة للعقل والشرع فى الانبساط والانقباض، ومهما أفرطت فكسرها يكون بالجوع والصوم وبالتزويج. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر الشباب عليكم بالباءة(6)، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن الصوم(7) له وجاء(8). (9)

1- سورة النور/ 30.

2- فى الجامع: "النظر".

3- ليس فى الجامع لفظ الجلالة: "الله".

4- جامع الأخبار، الشعيرى: 145، الفصل السابع والمائة فى الزنا.

5- كشف الخفاء، العجلونى: 1/ 39، الهمزة مع التاء المثناة/ ح76.

6- عليكم بالباءة، يعنى: النكاح والتزوج. يقال فيه الباءة والباء، وقد يقصر، وهو من الباءة: المنزل، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا. وقيل: لأن الرجل يتبوأ من أهله، أى: يستمكن كما يتبوأ من منزله. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 1/ 157، باب الباء مع الواو، مادة "بوأ".

7- فى الإحياء: "فالصوم".

8- وجى بوزن عصا، يريد التعب والحفى، إلا أن يراد فيه معنى الفتور. لأن من وجى فتر عن المشى، فشبه الصوم فى باب النكاح بالتعب فى باب المشى. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 191. مادة "وجأ".

9- إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 91، كتاب كسر الشهوتين، القول فى شهوة الفرج.

والحكمـة فی إیجاد هـذه الشـهوة مع کثرة غوائلها وآفاتها بقاء النسل ودوام الوجود، وأن یقیس بلـذتها لذات الآخرة، فإن لذة الوقاع لو دامت لکانت أقوی لذات الأجساد، کما أن ألم النار أعظم آلام الجسد، والترهیب والترغیب یسوقان الخلق إلی سعاداتهم وثوابهم(1).

1- أنظر: الحقـایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 68، الباب الثانی فیما یؤدی إلی مساوی الأخلاق، الفصل الأول الاعتـدال فی شهوتی البطن والفرج. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/90 ـــ 91، کتاب کسر الشهوتین، القول فی شهوة الفرج.

الباب الثالث: اللسان

اشارة

فی اللسان

وهو من نعم الله العظیمة ولطائف صنعه الغریبة ومننه الجسیمة، فإنه صغیر جرمه عظیم طاعته وجُرمه، ولا یعلم الکفر والإیمان اللذان هما غایة الطاعة والطغیان إلا بشهادة اللسان، وما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخیل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان یتناوله ویتعرض له بإثبات أو نفی بحق أو باطل.

وهذه الخاصیة لا توجد فی غیره من الأعضاء، فإن العین لا تصل إلی غیر الألوان والصور، والأذن لا تصل إلی غیر الأصوات، والید لا تصل إلی غیر الأجسام، وکذا سائر الأعضاء.

واللسان رحب المیدان، له فی الخیر والشر مجال واسع، فمن أهمله فرخی(1) العنان سلک به طرق الهلکة والخسران، إذ لا تعب فی تحریکه ولا مؤونة فی إطلاقه(2)، فینبغی ضبطه تحت حکم العقل والشرع.

1- المراخاة: أن ترخی رباطا أو ربقا، یقال: راخ له من خناقة، أی: رفه عنه. وأرخ له القید، أی:وسعه ولا تضیقه،وأرخ له الحبل،أی:وسع علیه فی تصرفه حتی یذهب حیث شاء. تاج العروس، الزبیدی: 10/147، مادة "رخی".

2- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 69، الباب الثانی فیما یؤدی إلی مساوی الأخلاق، الفصل الأول الاعتدال فی شهوتی البطن والفرج. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/98، کتاب کسر الشهوتین، القول فی شهوة الفرج.

وحيث كان الطبع مائلاً إلى إطلاقه و إرخاء عنانه(1) جاء الشرع بالبحث على إمساكه حتى يحصل التعادل، كما تقدم فى الجوع.

وتحقيق الكلام فيه يتم فى فصول:

الفصل الأول: فى خطر إطلاقه وفضيلة صمته

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من صمت نجا(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصمت حكمة، وقليل فاعله(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من يتكفل(4) لى بما بين لحييه(5) ورجليه أتكفل له بالجنة(6).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى(7)، والقبقب: البطن(8). والذبذب: الفرج(9). واللقلق: اللسان(10).

1- العنان: سير اللجام. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 3/ 313، باب العين مع النون، مادة "عنن".

2- روضة الواعظين، الفتال النيسابورى: 2/ 469، مجلس فى ذكر حفظ اللسان والصدق والاشتغال عن عيوب الناس.

3- سبل السلام، العسقلانى: 4/ 180/ ح11.

4- فى سبل السلام: "تكفل".

5- انكسر أحد فكيه، أى: لحييه. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 476، مادة "فكك".

6- سبل السلام، العسقلانى: 4/ 180، باب الزهد والورع.

7- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 105، باب ما جاء فى الصمت وحفظ اللسان.

8- مجمع البحرين، الطريحى: 3/ 450، مادة "قبقب".

9- تاج العروس، الزبيدى: 1/ 251.

10- غريب الحديث، ابن قتيبة: 1/ 170.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: هل يكبُّ الناس على مناخرهم(1) إلا حصائد ألسنتهم(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره(4) بقلبه ثم أمضاه بلسانه،وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشيء(5) أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه(6).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به(7).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أمسك لسانك فإنها صدقة تتصدق(8) بها على نفسك. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه(9).

ومر أمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه فقال(10): يا هذا إنك تملى على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك(11).

1- فى شرح ابن أبى الحديد: "وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم".

2- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد:7/90، الخطب والأوامر، فصل فى مدح قلة الكلام وذم كثرته.

3- المغنى، ابن قدامه: 3/ 266، محذورات الإحرام وهى تسعة.

4- فى مجموعة ورام: "يدبره".

5- فى مجموعة ورام: "بالشىء".

6- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 106، باب ما جاء فى الصمت وحفظ اللسان.

7- إحياء علوم الدين، الغزالى:3/101، كتاب آفات اللسان، بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت.

8- فى الكافى: "تصدق".

9- الكافى، الكلينى:2/114، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح7.

10- فى الفقيه: "ثم قال".

11- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 4/ 396، باب ذكر جمل من مناهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة التى لم يسبق إليها.

وعن السجاد علیه السلام قال: إن لسان ابن آدم یشرف علی جمیع جوارحه کل صباح فیقول: کیف أصبحتم؟ فیقولون: بخیر إن ترکتنا، ویقولون: الله الله فینا، ویناشدونه ویقولون: إنما نثاب ونعاقب بک(1).

وقال الباقر علیه السلام: إن شیعتنا الخرس(2).

وقال الصادق علیه السلام: النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسکوت راحة للعقل(3).

وقال(4): فی حکمة آل داود: علی العاقل أن یکون عارفاً بزمانه، مقبلاً علی شأنه، حافظاً للسانه(5).

وقال علیه السلام(6): قال لقمان لابنه: یا بنی إن کنت زعمت أن الکلام من فضة فإن السکوت من ذهب(7).

وعن أمیر المؤمنین علیه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه، فزن کلامک واعرضه علی العقل والمعرفة، فإن کان لله وفی الله فتکلم(8) وإن کان غیر ذلک فالسکوت خیر منه(9).

1- الکافی، الکلینی: 2/115، کتاب الإیمان والکفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح13.

2- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 175، الباب الثالث فی محاسن الأفعال وشرف الخصال وما یشبههما، الفصل العشرون فی حفظ اللسان.

3- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 4/ 402، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم الموجزة / ح102.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 116، کتاب الإیمان والکفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح20.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- الکافی، الکلینی: 2/116، کتاب الإیمان والکفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ح16.

8- فی المحجة: "فتکلموا به".

9- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 196 ـــ 197، کتاب آفات اللسان، بیان عظم خطر اللسان وفضیلة الصمت.

وسئل السجاد علیه السلام عن الکلام والسکوت أیهما أفضل؟ فقال علیه السلام: لکل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالکلام أفضل من السکوت. قیل: وکیف ذاک یا بن رسول الله؟ قال: لأن الله عزّوجل ما بعث الأنبیاء والأوصیاء بالسکوت، إنما بعثهم بالکلام، ولا استحقت الجنة بالسکوت، ولا استوجبت ولایة الله بالسکوت، ولا توقیت النار بالسکوت، ولا تجنب سخط الله بالسکوت، إنما ذلک کله بالکلام، ما کنت لأعدل القمر بالشمس إنک تصف فضل السکوت بالکلام ولست تصف فضل الکلام بالسکوت(1).

الفصل الثانی: فی آفات اللسان، وهی أمور

الأول: وهو أهونها وأحسنها ـــ التکلم فی المباح، وهو تضییع للعمر الشریف ویحاسب علیه ویکون قد استبدل الذی هو أدنی بالذی هو خیر(2).

روی أن لقمان دخل علی داود علیه السلام وهو یسرد الدرع ولم یکن رآها قبل ذلک، فجعل یتعجب مما یری، فأراد أن یسأله عن ذلک فمنعته الحکمة فأمسک نفسه ولم یسأله، فلما فرغ قام داود ولبسها فقال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان: الصمت حکم وقلیل فاعله ـــ أی حصل العلم به من غیر سؤال. وقیل: کان یتردد إلیه سنة وهو یرید أن یعلم ذلک ولم یسأل(3).

1- أنظر: الاحتجاج، الطبرسی: 2/ 315، احتجاجه علیه السلام فی أشیاء شتی من علوم الدین وذکر طرف من مواعظه البلیغة.

2- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 102، کتاب آفات اللسان، الآفة الأولی: الکلام فیما لا یعنیک.

3- أنظر: قصص الأنبیاء، الجزائری: 329، باب فیه قصص لقمان وحکمه علیه السلام.

وعلاج هـذا أن يعلم أن الموت بين يـديه، وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شـبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله وتضييعه خسران. والعلاج من حيث العمل أن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه.

الثـانى: الخوض فى الباطـل، وهو الكلاـم فى المعاصـى، كحكايـات أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك وأحوالهم.

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك(1) بها جلساءه يهوى(2) بها أبد من الثريا(3).(4)

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أعظم الناس خطايا يوم القيامة هو(5) أكثرهم خوضاً فى الباطل(6).

وإليه الإشارة بقوله تعالى:((وَكُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِ ينَ))(7). ويـدخل فى هـذا الخوض حكايات البدع والمذاهب الفاسدة، فإن الحديث فى ذلک كله خوض فى الباطل(8).

1- فى مجموعة ورام: "ليضحک".

2- فى مجموعة ورام: "فيهوى".

3- الثريا: من الكواكب، سـميت لغزارة نوئها. وقيل: سـميت بـذلک لكثرة كواكبها مع صـغر مرآتها. لسان العرب، ابن منظور: 14/ 112، مادة "ثرا".

4- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 111، باب ما جاء فى المراء والمزاح والسخرية.

5- ليس فى المحجة كلمة: "هو".

6- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى:5/207، كتاب آفات اللسان، الآفة الثالثة الخوض فى الباطل.

7- سورة التوبة/ 65.

8- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى:5/207، كتاب آفات اللسان، الآفة الثالثة الخوض فى الباطل.

الثالث: المراء(1) والمجادلة. قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تمار أخاک ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من ترک المراء وهو محق بنى له(3) فى أعلى الجنة، ومن ترک المراء وهو مبطل بنى له بيت فى مربض الجنة(4).(5)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدال(6) وإن كان محقاً(7).

وقال لقمان لابنه: يا بنى لا تجادل العلماء فيمقتوک(8).

واعلم أن المراء عبارة عن الطعن فى كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزيد الكياسة(9). والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

1- المراء: الجدال. والتمارى والمماراة: المجادلة على مذهب الشک والريبة. لسان العرب، ابن منظور: 15/ 278، مادة "مرا".

2- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 108، باب ما جاء فى المراء والمزاح والسخرية.

3- فى منية المريد: "بنى له بيت".

4- فى منية المريد: "فى ربض الجنة".

5- منية المريد،الشهيد الثانى:170،الباب الأول فى آداب المعلم والمتعلم،النوع الأول آداب اشتركا فيها،القسم الثانى آدابهما فى درسهما واشتغالهما،الثانى أن لا يسأل تعنتا وتعجيزا.

6- فى المحجة: "والجدل".

7- المحجة البيضاء،الفيض الكاشانى:5/208،كتاب آفات اللسان،الآفة الرابعة المراء والجدال.

8- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 109، باب ما جاء فى المراء والمزاح والسخرية.

9- الكيس: خلاف الحمق، والجماع، والطب، والجود، والعقل، والغلبة بالكياسة، وقد كاسه يكيسه. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 2/ 248، مادة "الكيس".

الرابع: الخصومة، وهی لجاج فی الکلام لیستوفی به مال أو حق مقصود، وذلک تارة یکون ابتداءً وتارة یکون اعتراضاً، والمراء لا یکون إلا اعتراضاً علی کلام سبق.

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إن أبغض الرجال إلی الله الألد(1) الخصم(2).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: من جادل فی خصومة بغیر علم لم یزل فی سخط الله حتی ینزع(3).

الخامس: الفحش والسب وبذاءة اللسان، مصدره الخبث(4) واللؤم.

قال رسول صلی الله علیه وآله وسلم: إیاکم والفحش، فإن الله لا یحب الفحش ولا التفحش(5).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم:لیس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفحاش(6) ولا البذی(7).

1- رجل ألد بین اللدد، شدید الخصومة لغیرة. مجمع البحرین،الطریحی : 4/ 116، مادة "لدد".

2- مسند ابن راهویه، ابن راهویه: 3/ 653، بدء مسند عائشة. وقد أورده بهذا المضمون الفیض الکاشانی فی کتابه: المحجة البیضاء: 5/ 211، کتاب آفات اللسان، الآفة الخامسة: الخصومة.

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 109، باب ما جاء فی المراء والمزاح والسخریة.

4- الخبث: ضد الطیب. وقد خبث الشیء خباثة، وخبث الرجل خبثا، فهو خبیث، أی: خب ردئ. الصحاح، الجوهری: 1/ 281، فصل الخاء، مادة "خبث".

5- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 215، کتاب آفات اللسان، الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان.

6- فی الجامع الصغیر: "ولا الفاحش".

7- الجامع الصغیر، السیوطی: 2/ 453/ ح7584.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح(3) فى الأسواق(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر(5).

السادس: اللعن لإنسان أو حيوان أو جماد. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: المؤمن ليس بلعان(6).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه(7)، ومن كان يستحق اللعن لإبداعه فى الدين جاز لعنه بل وجب. قال تعالى:((أُولئِکَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِکَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ))(8). وقال تعالى:((أُولئِکَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ))(9).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لعن الله الكاذب(10) ولو كان مازحاً(11).

1- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 110، باب ما جاء فى المراء والمزاح والسخرية.

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 5/ 216، كتاب آفات اللسان، الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان.

3- فى الأدب المفرد: "ولا الصياح".

4- الأدب المفرد، البخارى: 74، فضل من يعول يتيما له/ ح310.

5- مسند أحمد، أحمد بن حنبل: 1/ 385.

6- إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 111، كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة: اللعن.

7- مسند أحمد، أحمد بن حنبل: 5/ 15. وفى ذيل الحديث: "ولا بالنار".

8- سورة البقرة/ 161.

9- سورة البقرة/ 159.

10- فى كشف الخفاء: "الكذاب".

11- كشف الخفاء، العجلونى: 2/ 143، حرف اللام/ ح2050.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقنت فى بعض نوافله بلعن صنمى قريش(1).(2)

السابع: الغناء والشعر. قال الله تعالى:((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))(3). قال الصادق عليه السلام: هو الغناء(4).

وقال عليه السلام(5) فى قوله تعالى:((لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ))(6) قال: الغناء(7).

وقال عليه السلام(8): الغناء عشر(9) النفاق(10).

وقال الباقر عليه السلام: الغناء مما وعد الله عزّوجل عليه النار، وتلا هذه الآية:((وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِى(11) لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ))(12).(13)

1- أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 30/ 394، كتاب الفتن والمحن، باب 20/ ذيل حديث 167. مستدرک الوسائل، المحدث النورى: 4/ 405، كتاب الصلاة، أبواب القنوت، باب 6 استحباب الدعاء فى القنوت بالمأثور/ ح8.

2- أنظر دعاء صنمى قريش: مصباح الكفعمى، الكفعمى: 552 __ 553، الفصل الرابع والأربعون فيما يتعلق فيما يعمل فى شعبان.

3- سورة الحج/ 30.

4- أنظر: الكافى، الكلينى: 6/ 431، كتاب الأشربة والأطعمة، باب الغناء/ ح1.

5- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

6- سورة الفرقان/ 72.

7- أنظر: دعائم الإسلام، المغربى: 2/ 208، كتاب النكاح، فصل 4 ذكر الدخول بالنساء ومعاشرتهن/ ح18.

8- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

9- فى ثواب الأعمال: "عش".

10- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: 244، عقاب الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا.

11- فى النص القرآنى: "من يشترى".

12- سورة لقمان/ 6.

13- الكافى، الكلينى: 6/ 431، كتاب الأشربة، باب الغناء/ ح4.

وأما الشعر فيطلق على معنيين:

أحـدهما: الكلام الموزون المقفى، سواء كان حقاً أو باطلاً، وعلى حقه يحمل حـديث: «إن من الشـعر لحكمة(1)»(2) وما ورد فى مدح الشعر، فإن المراد به ما كان حقاً من الموزون المقفى الذى ليس فيه تمويه(3) ولا كذب.

والثانى: الكلام المشـتمل على التخيلات الكاذبـة والتمويهات المزخرفـة التى لا أصل ولا حقيقة لها، سواء كان لها وزن وقافية أم لا، وعليه يحمل ما ورد فى ذمه، وهو المراد من نسبة قريش القرآن إلى الشعر(4)، وقولهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنه شاعر(5). وقال تعالى: ((وَمٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَمٰا يَنبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ))(6)، فإن القرآن ليس بموزون(7).

وقـال الباقر عليه السـلام فى قوله تعالى:((وَالشُّعَراء يَتَّبِعُهُمُ الْغٰاوُونَ))(8) هـل رأيت شاعراً يتبعه أحـد، إنما هم قوم تفقهوا لغير الله فضـلوا وأضلوا(9).

1- فى الفقيه: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا".

2- من لا يحضـره الفقيه، الشيخ الصدوق: 4/379، باب النوادر، ومن ألفاظ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم الموجزة التى لم يسـبق إليها/ح43.

3- التمويه: اسم لكل حيلـة لا تأثير لها. ولا يقال تمويه إلا وقـد عرف معناه والمقصـد منه. ولهذا قيل التمويه ما لا يثبت، وقيل التمويه أن ترى شـيئا مجوزا بغيره كما يفعل مموه الحديد فيجوزه بالذهب. الفروق اللغوية، أبو هلال العسـكرى: 144/ الرقم 555 الفرق بين التمويه والسحر.

4- إشارة إلى قوله تعالى:((وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ)) سورة الحاقة/ 41.

5- أنظر: متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: 2/ 23.

6- سورة يس/ 69.

7- الخرائج والجرائح، الراوندى: 3/ 1003، باب فى أن إعجاز القران المعانى التى اشتمل عليها من الفصاحة.

8- سورة الشعراء/ 224.

9- معانى الأخبار، الشـيخ الصدوق: 385، باب نوادر المعانى/ ح19. ونص الحـديث: "فى قول الله عزوجل ((الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ)) سورة الشعراء/ 224. قال: هل رأيت شاعرا يتبعه أحد، إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلوا و أضلوا".

الثامن: المزاح، وأصله مذموم منهی عنه إلا القدر الیسیر فی غیر معصیة الله.

قال صلی الله علیه وآله وسلم: لا تمار أخاک ولا تمازحه(1). والمراد النهی عن الإفراط منه، لقوله صلی الله علیه وآله وسلم: «إنی لأمزح ولا أقول إلا حقاً»(2).

وروی أنه صلی الله علیه وآله وسلم أتت عجوز إلیه فقال لها: لا تدخل الجنة عجوز. فبکت فقال صلی الله علیه وآله وسلم: إنک لست یومئذ بعجوز، قال الله تعالی:((إِنّا أَنشَأْناهُنَّ إِنشاء (35) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکارًا (36) عُرُبًا أَتْرابًا))(3).(4)

وروی أنه جاءت إلیه صلی الله علیه وآله وسلم امرأة یقال لها أم أیمن(5) فقالت: إن زوجی یدعوک. فقال: ومن هذا هو الذی بعینه بیاض؟ فقالت: لا والله ما بعینه بیاض. فقال صلی الله علیه وآله وسلم: بلی إن بعینه بیاضاً. قالت: لا والله. فقال: ما من أحد إلا بعینه بیاض(6).

1- مجموعة ورام، وارم ابن أبی فراس: 1/ 111، باب ما جاء فی المراء والمزاح والسخریة.

2- کشف الغمة، الأربلی: 1/ 9، ذکر أسمائه صلی الله علیه وآله وسلم.

3- سورة الواقعة/ 35 ___ 37.

4- أنظر:مجموعة ورام،وارم ابن أبی فراس:1/112،باب ما جاء فی المراء والمزاح والسخریة.

5- أم ایمن: حاضنة رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم)، واسمها برکة الحبشیة ورثها النبی من أبیه. کانت وصیفة لعبد المطلب، وقیل کانت لآمنة أم رسول صلی الله علیه وآله وسلم، وکانت تحضنه حتی کبر، فأعتقها حین تزوج خدیجة، وتزوجها عبیدة بن زید بن الحارث الحبشی فولدت له أیمن وکنیت به. الدرجات الرفیعة، ابن معصوم: 439.

6- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 234، کتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح.

وجاءته امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملنى على بعير. فقال صـلى الله عليه وآله وسلم: نحملك(1) على ابن بعير. فقالت: ما أصنع به لا يحملنى(2). فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هل من بعير(3) إلا وهو ابن بعير(4).

وروى أنه صـلى الله عليه وآله وسـلم كان يأكل رطباً مع ابن عمه وأخيه أمير المؤمنين، وكان يأكل ويضع النوى أمامه، فلما فرغا كان النوى كله مجتمعاً عند على عليه السلام، فقال له: يا على إنک لأكول. فقال له: يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب ونواه(5).

التاسع: السخرية والاستهزاء، وهما حرام مهما كانا مؤذيين. قال تعالى:((لا يَسْخَرْ قَومٌ مِن قَوْمٍ عَسى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ))(6).

ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحک منه، وقد يكون ذلک بالمحاكاة بالقول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

وروى عنه صـلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال: هلم هلم، فيجىء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال: هلم هلم فما يأتيه(7).

1- فى الإحياء: "بل نحملک".

2- فى الإحياء: "إنه لا يحملنى".

3- فى الإحياء: "ما من ابن بعير".

4- إحياء علوم الدين،الغزالى:3/ 116 ـــ 117،كتاب آفات اللسان،الآفة العاشرة:المزاح.

5- أنظر: التحفة السنية، السيد الجزائرى : 323.

6- سورة الحجرات/ 11.

7- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 5/ 236، كتاب آفات اللسان، الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء.

العاشر: إفشاء السر، وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة(1). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الحديث بينكم أمانة(2).

الحادى عشر: الوعد الكاذب. قال صلى الله عليه وآله وسلم: العدة دين(3). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا(4) حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان(5).

الثانى عشر: الكذب فى القول واليمين، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. قال صلى الله عليه وآله وسلم: كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له فيه(6) كاذب(7).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الكذب ينقص الرزق(8).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: على(9) كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب(10).

1- سنن الترمذى، الترمذى: 3/ 230، باب ما جاء فى السخاء/ ح2025.

2- كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبى الدنيا: 213، باب حفظ السر.

3- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد: 10/ 140، باب الخطب والأوامر، ذكر الآثار الواردة فى آفات اللسان.

4- فى صحيح ابن حبان: "من إذا".

5- صحيح ابن حبان، ابن حبان: 1/ 490/ ح256.

6- فى مجموعة ورام: "وأنت به".

7- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 164، باب الكذب.

8- العهود المحمدية، الشعرانى: 867، النهى عن التهاون بالوقوع بالكذب.

9- ليس فى مجموعة ورام: "على".

10- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 114، باب الكذب.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: المنان بعطية، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل(2) إزاره(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة فى قلبه إلى يوم القيامة(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما لى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار، كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل فى الحرب فإن الحرب خدعة، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته يرضيها(5).

الثالث عشر: الغيبة، وتحقيق الكلام فيها يتم بأمور:

الأول: فى ذمها، قال تعالى:((وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ))(6).

1- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد: 20/ 260، باب الحكم والمواعظ، الحكم المنسوبة/ح47.

2- أسبل أبزاره: أرخاه. امرأة مسبل: أسبلت ذيلها. وأسبل الفرس ذنبه: أرسله. أسبل فلان ثيابه إذا طولها وأرسلها إلى الأرض. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 321، فصل السين المهملة، مادة "أسبل".

3- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 114، باب الكذب.

4- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 114، باب الكذب.

5- بحار الأنوار، المجلسى: 69/ 254، كتاب الإيمان والكفر، باب 114 الكذب وروايته وسماعه/ح20.

6- سورة الحجرات/ 12.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من مشى فى غيبة أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وصفها فى جهنم(1) وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلک مات وهو مستحل لما حرم الله(2).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله(3) الغيبة أسرع فى دين الرجل المسلم من الآكلة فى جوفه(4).

وقال عليه السلام(5): من قال فى مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّوجل: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)) (6).(7)

وقال عليه السلام(8): من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان(9).

وقال عليه السلام(10): الغيبة حرام على كل مسلم، وإنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب(11).

1- فى منية المريد: "خطاها وضعها فى جهنم".

2- منية المريد، الشهيد الثانى: 10.

3- فى كشف الريبة: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ... الحديث".

4- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 10.

5- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

6- سورة النور/ 19.

7- الكافى، الكلينى: 2/ 357، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح2.

8- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

9- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 2/ 209.

10- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

11- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 9.

الثـانی: فی بیـان معناها. قال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: هل تـدرون ما الغیبـة، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذکرک أخاک بما یکره. قیل:أرأیت إن کان فی أخی ما أقول؟ قال:إن کان له ما تقول فقد اغتبته،فإن لم یکن فیه ما تقول فقد بهته(1).

وعن الصادق علیه السلام: هو أن تقول لأخیک فی دینه ما لم یفعل، وتثبّت علیه أمراً قد ستره الله علیه(2).

وفی روایة أخری: الغیبة أن تقول فی أخیک ما ستر الله علیه، وأما الأمر الظاهر فیه ـــ مثل الحدة والعجلة ـــ فلا(3).

واعلم أن الغیبـة غیر مقصورة علی اللسان، بل تکون بالقول والکتابـة والإشارة والإیماء(4) والغمز(5) والحرکـة وکل ما یفهم المقصود. وقد قیل: «إن القلم أحد اللسانین»(6).

وروی عن عائشة(7) قالت: دخلت علینا امرأة فلما ولت أومأت بیدی (أی

1- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 118، باب الغیبة.

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 357، کتاب الإیمان والکفر، باب الغیبة والبهت/ ح3.

3- الکافی، الکلینی: 2/ 358، کتاب الإیمان والکفر، باب الغیبة والبهت/ ح7.

4- الإیماء: الإشارة بالأعضاء کالرأس والید والعین والحاجب. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 1/ 82، مادة "أومأ".

5- الغمز: الإشارة بالجفن والحاجب. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 386، مادة "غمز".

6- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 9/ 67، حکم الغیبة فی الدین.

7- عائشة: بنت أبی بکر، تکنی بأم عبد الله، وأمها أم رومان، وسـمعت أبا بکر بن أبی شیبة، یقول: توفیت عائشة سنة ثمان وخمسین. الآحاد والمثانی، الضحاک: 5/ 388، عائشة بنت أبی بکر.

قصيرة) فقال(1) صلى الله عليه وآله وسلم: قد(2) اغتبتيها(3).

ومن أقسامها أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذى لم يبتلنا بطلب الدنيا وحب الجاه ونحو ذلک، فهو جمع بين رياء وغيبة.

الثالث: فى الأسباب الباعثة على الغيبة، وهى أمور: منها تشفى الغيظ بذكر مساوئ عدوه، ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم فى التفكه فى أعراض الناس(4) حتى لا يستثقلوه ولا ينفروا عنه، ومنها العدد كقوله إن أكلت حراماً ففلان وفلان يأكله وإن فعلت كذا ففلان فعل ونحوه، ومنها الاستشعار من إنسان أنه سيقصده بطول لسانه فيه فيقدح فى حاله حتى يسقط أثر شهادته، ومنها أن ينسب إلى شىء فيريد أن يبرأ منه بذكر الذى فعله, ومنها إرادة أن يرفع نفسه بنقص غيره بأن يقول فلان جاهل وفهمه ركيک وغرضه أنه أفضل منه، ومنها الحسد له بأن يريد زوال نعمة إكرام الناس له والثناء عليه بذكر عيوبه، ومنها اللعب والهزل والمطايبة فيذكر غيره حتى يضحک الناس، ومنها السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلک قد يجرى فى الحضور فيجرى أيضاً فى الغيبة، ومنها التعجب من المنكر كأن يقول ما أعجب ما رأيت من فلان كذا وكذا، ومنها الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما ابتلى به، ومنها الغضب لله على منكر فعله فيذكره فى غيابه، وكان ينبغى له فى الثلاثة الأخيرة لو كان مخلصاً فيها أن لا يذكر الاسم.

1- فى كشف الريبة: "قال".

2- ليس فى كشف الريبة: "قد".

3- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 14، الفصل الأول.

4- قال الكركى: "وضابط الغيبة المحرمة: ما يكون الغرض منها التفكه بعرض الغير، وليس مقصودا به غرض صحيح". رسائل الكركى، المحقق الكركى: 2/ 44، رسالة فى العدالة.

الرابع: فی العلاج، وهو قسمان إجمالی وتفصیلی:

أما الإجمالی فهو أن یعلم أنه معرض لسخط الله، وأنه أحبط حسنات نفسه واستحق دخول النار وکفی بذلک رادعاً عنها، وحکی أن رجلاً قال لآخر: «بلغنی أنک تغتابنی. فقال: ما بلغ من قدرک عندی أن أحکمک فی حسناتی»(1).

وأما التفصیلی فلینظر إلی السبب ویعالجه بضده، فإن کان هو الغضب فیعالجه بما یأتی فیه ویقول إن أمضیت غضبی فیه فلعل الله یمضی غضبه علیّ وقد قال صلی الله علیه وآله وسلم: إن لجهنم باباً لا یدخله(2) إلا من شفی غیظه بمعصیة الله(3).(4)

وإن کان هو الموافقة فلیعلم أنه تعرض لسخط الخالق فی رضاء المخلوق(5).

1- أنظر: کشف الریبة، الشهید الثانی: 23 ـــ 27، الفصل الثانی فی العلاج الذی یمنع الإنسان عن الغیبة.

2- فی مجموعة ورام: "لا یدخلها".

3- فی مجموعة ورام: "الله تعالی".

4- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 121، باب الغیبة.

5- قال المازندرانی: (یا عیسی إنی إن غضبت علیک لم ینفعک رضاء من رضی عنک وإن رضیت عنک لم یضرک غضب المغضبین) بفتح الضاد علی صیغة المفعول من أغضبه فهو مغضب وذلک مغضب. وفیه تنبیه علی وجوب ترک ما یوجب رضاء المخلوق إذا کان موجبا لغضب الخالق ووجوب طلب ما یوجب رضاء الخالق وإن کان موجبا لغضب المخلوق لأن المخلوق وجوده وعدمه سواء فکیف غضبه ورضاه وضره ونفعه. شرح أصول الکافی، محمد صالح المازندرانی: 12/125.

وأما تنزيه النفس فأن يعلم أنّ التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت الخلق وسخط الله عليه متيقن ورضاء الناس مشكوک فيه.

وأما العدد فهو جهل، لأنه تعذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، وكان كمن يلقى نفسه من شاهق(1) اقتداءً بغيره.

وأما قصد المباهاة(2) وتزكيـة النفس فليعلم أنه أبطل فضـله ضد الله وهو من الناس فى خطر، فربما نال اعتقادهم فيه بخبث فعله فيكون قد ((خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ))(3).

وأما الحسد فهو جمع بين عذابين دنيوى وأخروى، لأن الحاسد فى عذاب كما يأتى.

وأما الاستهزاء فمقصوده إخزاء غيره عند الناس، وهو قد أخزى نفسه عند الله والملائكة والأنبياء والأوصياء، فهو بالاستهزاء على نفسه(4).

وأما الترحم فهو وإن كان حسناً ولكن قد حسدک إبليس بأن نقل من حسناتک إليه ما هو أكثر من رحمتک.

وأما التعجب المخرج للغيبة فينبغى أن يتعجب بنفسه، حيث أهلک دينه بدين غيره أو بدنياه وهو مع ذلک لا يأمن عقوبة الدنيا.

1- شاهق: ممتنع طولا، والجمع: شواهق. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 192، مادة "شهق".

2- المباهاة: المفاخرة. مجمع البحرين، الشيخ الطريحى: 1/ 260، مادة "بهو".

3- سورة الحج/ 11.

4- أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثانى: 299.

الخامس: فی بیان الأعذار المسوغة(1) للغیبة، وهی أمور:

الأول: التظلم عند من یرجو زوال ظلمه، قال تعالی: ((لا یُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ))(2). وقال صلی الله علیه وآله وسلم: لصاحب الحق مقال(3). وقال صلی الله علیه وآله وسلم: مطل الغنی ظلم(4). وقال(5) لیُّ الواجد ظلم یحل عرضه وعقوبته(6).

الثانی: الاستفتاء، کأن یقول للمفتی: قد ظلمنی أبی أو أخی فکیف طریقی فی الخلاص والأسلم التعریض وعدم ذکر الاسم.

الثالث: تحذیر المؤمن من الوقوع فی الخطر ونصح المستشیر، فإذا رأی متفقهاً یتلبس بما لیس من أهله فلک أن تنبه الناس علی نقصه وقصوره. وکذلک إذا استشیر فی شراء مملوک أو تزویج امرأة وکان مستحضراً للعیوب فلیذکرها، لما ورد من جواز الوقیعة فی أصحاب البدع(7)، وأن «المستشار مؤتمن»(8).

1- ساغ الشراب یسوغ سوغا، أی: سهل مدخله فی الحلق. الصحاح، الجوهری: 4/ 1322، مادة "سوغ".

2- سورة النساء/ 148.

3- کشف الریبة، الشهید الثانی: 33، الفصل الثالث فی الأعذار المرخصة فی الغیبة.

4- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 4/380، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم الموجزة / ح5819.

5- أی: "النبی صلی الله علیه وآله وسلم".

6- تفسیر القرطبی، القرطبی: 6/ 2، تفسیر سورة النساء.

7- البدعة: الحدث فی الدین بعد الإکمال. الصحاح، الجوهری: 3/ 1184، مادة "بدع".

8- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی: 1/439، الباب الأول فی الأحادیث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلک الثالث/ ح156.

الرابع: الجرح للشاهد والراوى، صيانة لحقوق المسلمين وحفظاً للأحكام الشرعية.

الخامس: أن يكون المقول فيه ذلک متظاهراً به کالفاسق المتظاهر بفسقه. قال الصادق علیه السلام: إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة له(1). وعن الباقر علیه السلام قال: ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق(2). وعن النبى صلى الله علیه وآله وسلم: من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له(3). وعنه صلى الله علیه وآله وسلم: ليس لفاسق غيبة(4). وظاهر هذه الأخبار جواز غيبته وإن استنكف عن ذلک.

السادس: أن يكون الإنسان معروفاً باسم أو لقب يعرب عن غيبته، کالأعرج والأعمش(5) والأشتر(6) ونحوها إذا لم يمكن التعريف بدون ذلک. قال

1- مجمع الفائدة، المحقق الأردبيلى: 13/ 164.

2- قرب الإسناد، الحميرى: 82.

3- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 36، الفصل الثالث فى الأعذار المرخصة فى الغيبة.

4- مجمع الزوائد، الهيثمى: 1/ 149، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب.

5- رجل أعمش، وامرأة عمشاء، أى: لا تزال عينها تسيل دمعا، ولا تكاد تبصر بها. كتاب العين، الفراهيدى: 1/ 267، مادة "عمش". الأعمش: الفاسد العين، الذى تغسق عيناه، ومثله الأرمص. تاج العروس، الزبيدى: 4/ 327، مادة "عمش".

6- ابن الأعرابى: يقال للرجل المشقوق الشفة السفلى أفلح، وفى العليا أعلم، وفى الأنف أخرم، وفى الأذن أخرب، وفى الجفن أشتر، ويقال فيه كله أشرم. لسان العرب، ابن منظور: 12/ 321، مادة "شرم".

الصادق عليه السلام:جاءت زينب العطارة الحولاء(1)(2) إلى نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ___(3)الحديث.

1- رجل أحول بين الحول وحول: جاء على الأصل لسلامة فعله، ولأنهم شبهوا حركة العين التابعة لها بحرف اللين التابع لها، فكأن فعلا فعيل، فكما يصح نحو طويل كذلك يصح حول من حيث شبهت فتحة العين بالألف من بعدها. وأحال عينه وأحولها: صيرها حولاء، وإذا كان الحول يحدث ويذهب قيل: احولت عينه احولالا واحوالت احويلالا. لسان العرب، ابن منظور: 11/ 191، مادة "حول".

2- زينب العطارة: عدها البرقى ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. رجال البرقى، أحمد بن محمد البرقى: 61، من روى من النساء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، زينب العطارة.

3- الكافى، الكلينى: 8/ 153 ___ 155، كتاب الروضة، حديث زينب العطارة/ ح143. ونصه: «عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: جاءَتْ زَيْنَبُ الْعَطّارَةُ الْحَوْلاءُ إِلى نِساءِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَبَناتِهِ وَكانَتْ تَبِيعُ مِنْهُنَّ الْعِطْرَ فَجاءَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَهِىَ عِنْدَهُنَّ فَقالَ إِذا أَتَيْتِنا طابَتْ بُيُوتُنا فَقالَتْ بُيُوتُکَ بِرِيحِکَ أَطْيَبُ يا رَسُولَ اللَّهِ قالَ إِذا بِعْتِ فَأَحْسِنِى وَلا تَغُشِّى فَإِنَّهُ أَتْقى وَأَبْقى لِلْمالِ فَقالَتْ يا رَسُولَ اللّهِ ما أَتَيْتُ بِشَىْ ءٍ مِنْ بَيْعِى وَ إِنَّما أَتَيْتُ أَسْأَلُکَ عَنْ عَظَمَةِ اللّهِ عزّوجل فَقالَ جَلَّ جَلالُ اللّهِ سأُحَدِّثُکِ عَنْ بَعْضِ ذلِکِ ثُمَّ قالَ إِنَّ هَذِهِ الأَرْضَ بِمَنْ عَلَيْها عِنْدَ الَّتِى تَحْتَها كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهاتانِ بِمَنْ فِيهِما وَمَنْ عَلَيْهِما عِنْدَ الَّتِى تَحْتَها كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَالثّالِثَةُ حَتّى انْتَهى إِلى السّابِعَةِ وَتلا هذِهِ الآيَةَ ((خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)) سورة الطلاق/12. وَالسَّبْعُ الأَرَضِينَ بِمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عَلى ظَهْرِ الدِّيکِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ والدِّيکُ لَهُ جَناحانِ جَناحٌ فِى الْمَشْرِقِ وَجَناحٌ فِى الْمَغْرِبِ وَرِجْلاهُ فِى التُّخُومِ وَالسَّبْعُ والدِّيکُ بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عَلَى الصَّخْرَةِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَالصَّخْرَةُ بِمَنْ فِيها وَمَنْ عَلَيْها عَلى ظَهْرِ الْحُوتِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيکُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عَلَى الْبَحْرِ الْمُظْلِمِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيکُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ عَلى الْهَواءِ الذّاهِبِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيکُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ وَالْهَواءُ عَلَى الثَّرى كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيَةَ ((لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى)) سورة طه/ 6. ثُمَّ انْقَطَعَ الْخَبَرُ عِنْدَ الثَّرى وَالسَّبْعُ وَالدِّيکُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ وَالْهَواءُ وَالثَّرى بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عِنْدَ السَّماءِ الأُولى كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهَذا كُلُّهُ وَسَماءُ الدُّنْيا بِمَنْ عَلَيْها وَمَنْ فِيها عِنْدَ الَّتِى فَوْقَها كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهاتانِ السَّماءانِ وَمَنْ فِيهِما وَمَنْ عَلَيْهِما عِنْدَ الَّتِى فَوْقَهُمَا كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهَذِهِ الثَّلاثُ بِمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عِنْدَ الرّابِعَةِ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ حَتّى انْتَهى إِلى السّابِعَةِ وَهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمَكْفُوفِ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ عِنْدَ جِبالِ الْبَرَدِ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَتلا هَذِهِ الآيَةَ ((وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ)) سورة النور/43. وَهذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ عِنْدَ الْهَواءِ الَّذِى تَحارُ فِيهِ الْقُلُوبُ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ عِنْدَ حُجُبِ النُّورِ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ وَحُجُبُ النُّورِ عِنْدَ الْكُرْسِىِّ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيَةَ ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ)) سورة البقرة/ 255. وَهذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ وَحُجُبُ النُّورِ وَالْكُرْسِىُّ عِنْدَ الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ فِى فَلاةٍ قِىٍّ وَتلا هذِهِ الآيَةَ ((الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى)) سورة طه/ 5. وَفِى رِوايَةِ الْحَسَنِ: الْحُجُبُ قَبْلَ الْهَواءِ الَّذِى تَحارُ فِيهِ الْقُلُوبُ».

السابع: إذ علم اثنان أو جماعة معصية من آخر فذكرها بعضهم لبعض جاز ذلک، لأنها لا تؤثر عند السامع، وفيه أشكال.

الثامن: فی كفارة الغيبـة. يجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله. وهل يكفى الاسـتغفار أم لا بد من الاستحلال؟ وجهان بل قولان لتعارض الأخبار ظاهراً:

فعن الصادق قال: سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته(1).

وفى العلل عنه صـلى الله عليه وآله وسـلم قال: الغيبـة أشـد من الزنا. فقيل: يا رسول الله ولم ذلک؟ قال: أما صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وأما صاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذى يحله(2).

1- الكافى، الكلينى: 2/ 357، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح4.

2- أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق: 2/ 557، باب 345 العلة التى من أجلها صارت الغيبة أشد من الزنا/ ح1.

وقد روى عن الصادق عليه السلام ما يصلح للجمع بين الأقوال والأخبار. قالعليه السلام(1): إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه، وإن لم يلحقه فاستغفر الله(2) وذلک لأن فی الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثارة للغيبة وجلباً للضغائن، وفی حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبة.

الرابع عشر: النميمة

قال تعالى:((هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلّ بَعْدَ ذلِکَ زَنِيمٍ))(3) وقال تعالى: ((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ))(4). قيل الهمزة: النمام، واللمزة: المغتاب(5).

وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم: لا يدخل الجنة نمام(6).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: شراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعايب(7).

وقال الباقر عليه السلام: الجنة محرمة على المغتابين والمشائين بالنميمة(8).

1- الإمام الصادق عليه السلام.

2- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 205، الباب المائة فی الغيبة.

3- سورة القلم/ 11 __ 13.

4- سورة الهمزة/ 1.

5- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 5/ 275، كتاب آفات اللسان، الآفة السادسة عشر النميمة.

6- كشف الريبة، الشهيد الثانی: 41، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

7- الكافی، الكلينی: 2/ 369، باب الإيمان والكفر، باب النميمة/ ح3.

8- الكافی، الكلينی: 2/ 369، كتاب الإيمان والكفر، باب النميمة / ح2. ونصه: «مُحَرَّمَةٌ الْجَنَّةُ عَلى الْقَتّاتِينَ الْمَشّاءِينَ بِالنَّمِيمَةِ».

والنمـام هـو من ينم قول الغير إلى المقول فيه ويكشف مـا يكره كشـفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه: أو كرهه ثـالث، وسواء كـان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو الإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان ذلک عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أو لا. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتک الستر وكشفه.

ومن حملت إليه النميمة فعليه بأمور ستة.

الأول: عدم تصديقه لأنه فاسق وقد قال تعالى:((إِن جٰاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا))(1).

الثانى: أن ينهره عن ذلک لقوله تعالى: ((وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ))(2).

الثالث: أن يبغضه لأنه بغيض الله.

الرابع: أن لا يظن المنقول عنه السوء، لقوله تعالى: ((اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ))(3).

الخامس: أن لا يحمله ذلک على التجسس(4) والبحث ليتحقق حقيقة الحال، قال تعالى: ((وَلا تَجَسَّسُوا))(5).

1- سورة الحجرات/ 6.

2- سورة لقمان/ 17.

3- سورة الحجرات/ 12.

4- التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى السر. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 1/263، مادة "جسس".

5- سورة الحجرات/ 12.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام فلا يحكى نميمته ويقول قال فلان فيک کذا. وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناک(1) وإن كنت كاذباً عاقبناک. وإن شئت أن نقيلک(2) أقلناک. قال: أقلنى يا أمير المؤمنين(3).

الخامس عشر: كلام ذى اللسانين

وهو الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وذلک عين النفاق. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يجىء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً(4) لسانه فى قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبا خده(5)، ثم يقال: هذا(6) الذى كان فى الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلک يوم القيامة.(7)

وقال الباقر عليه السلام: بئس العبد عبداً يكون ذا وجهين وذا لسانين يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطى حسده وإن أبتلى خذله.(8)

1- المقت:بغض من أمر قبيح ركبه،فهو مقيت،وقد مقت إلى الناس مقاتة،ومقته الناس مقتا. كتاب العين، الفراهيدى: 5/ 132، مادة "مقت".

2- أقال الله عثرتک و أقالكها، أى: صفح عنک. تاج العروس، الزبيدى: 8/ 92.

3- كشف الريبة، الشهيد الثانى: 45، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

4- دلع لسانه يدلع دلعا ودلوعا، أى: خرج من الفم، واسترخى وسقط على عنفقته. كتاب العين، الفراهيدى: 2/ 41، مادة "دلع".

5- فى الخصال: "حتى يلهبا جسده".

6- فى الخصال: "ثم يقال له هذا".

7- الخصال، الشيخ الصدوق: 1/ 38، باب الاثنين، ما جاء فى ذى وجهين/ ح16.

8- إرشاد القلوب، الديلمى: 1/ 178، الباب الحادى والخمسون فى أخبار عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار.

السادس عشر: المدح

وفيه ست آفات أربع فی المادح:

الأولی: إنه قد یفرط فینتهی به الإفراط(1) إلی الکذب.

الثانیة: إنه قد یدخله الریاء(2)، فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا یکون مضمراً(3) له ولا معتقداً لما یقوله، فیکون مرائیاً(4) منافقاً.

الثالثة: إنه قد یقول ما لا یتحققه ولا سبیل له للاطلاع علیه.

الرابعة: إنه قد یفرح الممدوح وهو ظالم فاسق وذلک غیر جائز. قال صلی الله علیه وآله وسلم: إن الله لیغضب إذا مدح الفاسق(5).

واثنتان فی الممدوح: إحداهما أنه قد یحدث فیه کبر أو إعجاب وهما مهلکان. الثانیة أنه إذا أثنی علیه بالخیر فرح به وفتر ورضی عن نفسه.

1- الإفراط: إعجال الشیء فی الأمر قبل التثبت. یقال: أفرط فلان فی أمره، أی: عجل فیه. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 369، مادة "فرط".

2- الریاء نفاق إلا أن المنافق یظهر غیر ما یسر، وذو الریا یبدی للناس خلاف ما یضمر. غریب الحدیث، ابن قتیبة: 1/ 185، ألفاظ من أحادیث المولد والمبعث.

3- أضمرت الشیء: أخفیته. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 493، مادة "ضمر".

4- مرائیا یرائی الناس بقوله وعمله، لا یکون وعظه وکلامه حقیقة. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 70.

5- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 283، کتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة عشر المدح. کشف الخفاء، العجلونی: 2/ 248، حرف اللام والألف/ ح2474.

فإذا سلم المدح من هذه الآفات فلا بأس به(1). وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أحثوا التراب فی وجوه المداحين(2). وقال أمير المؤمنين عليه السلام لما أثنى عليه: اللهم اغفر لی ما لا يعلمون ولا تؤخذنی بما يقولون واجعلنی خيراً مما يظنون(3).

1- أنظر لتمام الفصل الثانی وما ورد فی آفات اللسان: إحياء علوم الدين، الغزالی: 3/ 105 ـــ 145، كتاب آفات اللسان. الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 69 ـــ 72، الباب الثانی فيما يؤدی إلی مساوی الأخلاق، الفصل الثانی فی اللسان وآفاته.

2- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحديد: 17/ 45، أبواب الكتب والرسائل، باب 53 ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعی رحمه الله لما ولاه علی مصر وأعمالها، فصل النهی عن سماع السعاية وما هو. ونصه: «أحثوا فی وجوه المداحين التراب».

3- أنظر: نهج البلاغة، الشريف الرضی: 485، حكم أمير المؤمنين/ الحكمة رقم 100.

الباب الرابع: الغضب

فی الغضب

وهو شعلة من النار اقتبست من ((نارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ))(1) إلا أنها لا ((تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ))(2) وإنها لمستكنة فی طی(3) الفؤاد استكنان(4) الجمر تحت الرماد، ویستخرجها الكبر الدفین من قلب ((كُلُّ جَبّارٍ عَنِیدٍ))(5)، كما یستخرج الحجر النار من الحدید، وتستخرجها حمیة الدین من قلوب المؤمنین.

وسببه ثوران نار الغضب، وهی الحرارة المودعة فی الإنسان واشتعالها، فیغلی بها دم القلب وینتشر فی العروق ویرتفع إلی أعالی البدن كما ترتفع النار وكما یرتفع الماء الذی یغلی فی القدر، ولذلك ینصب إلی الوجه فیحمر الوجه والعین والبشرة لصفائها تحكی ما وراءها من حمرة الدم كما تحكی الزجاجة لون ما فیها.

1- سورة الهمزة/ 6.

2- سورة الهمزة/ 7.

3- الطیة تكون نزلا، وتكون منتوی، تقول: مضی فلان لطیته، أی: لنیته التی نواها. كتاب العین، الفراهیدی: 7/465، مادة "طوی".

4- منه الحدیث: "علی ما استكن"، أی: استتر. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 206.

5- سورة إبراهیم/ 15.

وإنما ينبسط الـدم إذا غضب على من دونه واستشـعر القـدرة عليه، فإن صـدر الغضب على من هو فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الـدم من ظاهر الجلـد إلى جوف القلب وصار حزناً، ولذلک يصـفر اللون، وإن كان الغضب على نظير يشک فيه تولد منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب.

وقوة الغضب محلهـا القلب، ومعناهـا غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتوجه هـذه القوة عنـد ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها، والانتقام فوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به.

والناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفريط(1) والإفراط(2) والاعتدال(3):

أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضـعفها، وذلک مذموم، وهو الذى يقال فيه إنه لا حمية له، ومن ثمرته عدم الغيرة على الحرام، واحتمال الذل وصـغر النفس والخور(4) والسـكوت عنـد مشاهـدة المنكرات. وقـد وصف الله تعالى خيار الصـحابة بالشـدة والحمية فقال:((أَشِدّاء عَلَى الْكُفّارِ))(5) وقال تعالى:((يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ

1- فرط فى الأمر يفرط فرطا، أى: قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلک التفريط. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 368، مادة "فرط".

2- الإـفراط: إعجال الشـىء فى الأمر قبل التثبت. وأفرط فلان فى أمره،أى: عجل فيه جاوز القـدر. كتاب العين، الفراهيـدى: 7/419، مادة "فرط".

3- الاعتـدال: توسط حال بين حالين فى كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 4/ 13، مادة "العدل".

4- الخور: رخـاوة وضـعف فى كـل شـىء، تقول خـار يخور خورا، ورجل خوار، وخور تخويرا. كتاب العين، الفراهيـدى: 4/ 302، مادة "خور".

5- سورة الفتح/ 29.

الْكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ))(1) والشدة والغلظة من آثار قوة الغضب(2).

والإفراط: هو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر واختيار، ويعمى ويصم عن كل موعظة، ومن آثاره تغير اللون وشدة الرعدة فى الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام وانطلاق اللسان بالفحش والشتم(3) وقبح الكلام والضرب والتهجم(4)، ولذلک قال صلى الله عليه وآله وسلم: الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل(5).

وعن ميسر(6) قال: ذكر الغضب عند أبى جعفر عليه السلام فقال: إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلک، فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت(7).

1- سورة التوبة/ 73.

2- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 70/ 269، كتاب الإيمان والكفر، باب 132 ذم الغضب ومدح التنمر فى ذات الله.

3- الشتم: السب، والاسم الشتيمة. الصحاح، الجوهرى: 5/ 1985، مادة "شتم".

4- هجم على القوم يهجم هجوما: انتهى إليهم بغتة. وقيل: دخل بغير إذن. وقال الجوهرى وغيره: وهجمت أنا على الشىء بغتة أهجم هجوما وهجمت غيرى، يتعدى ولا يتعدى. لسان العرب، ابن منظور: 12/600 ـــ 601، مادة "هجم".

5- الكافى، الكلينى: 2/ 302، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح1.

6- ميسر بن عبد العزيز: بياع الزطى، مات فى حياة الصادق عليه السلام، وقيل: ميسر بفتح الميم، من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام. وقال الكشى: قال على بن الحسن: إن ميسر بن عبد العزيز كان كوفيا وكان ثقة. نقد الرجال، التفرشى: 4/ 446، الرقم 2.

7- الكافى، الكلينى: 2/ 302، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح2.

وعن أبی حمزة الثمالی(1) عنه علیه السلام(2) قال: إن الغضب جمرة من الشیطان توقد فی جوف ابن آدم، وإن أحدکم إذا غضب احمرت عیناه وانتفخت أوداجه ودخل الشیطان فیه، فإذا خاف أحدکم ذلک من نفسه فلیلزم الأرض، فإن رجز الشیطان یذهب عنه عند ذلک(3).

وعن الصادق علیه السلام: الغضب مفتاح کل شر(4).

وعنه علیه السلام(5) قال: من کف غضبه ستر الله عورته(6).

وعنه علیه السلام(7) قال: إن فی التوراة مکتوب: ابن آدم(8) اذکرنی حین تغضب أذکرک عند غضبی فلا أمحقک فی ما أمحق(9)، وإذا ظلمت بظلمة فارض بانتصاری لک فإن انتصاری لک خیر من انتصارک لنفسک(10).

1- ثابت بن دینار: أبو حمزة الثمالی، ودینار أبوه یکنی بأبی صفیة، کوفی، ثقة، لقی علی بن الحسین وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن علیهم السلام، وروی عنهم، وکان من خیار أصحابنا، وثقاتهم، ومعتمدهم فی الروایة والحدیث. نقد الرجال، التفرشی: 1/ 311 __ 312، ثابت بن دینار/ الرقم 14.

2- الإمام الباقر علیه السلام.

3- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/304 __ 305، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب/ح12.

4- إرشاد القلوب، الدیلمی: 1 / 177، الباب الحادی والخمسون فی أخبار عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم والأئمة الأطهار علیهم السلام.

5- الإمام الصادق علیه السلام.

6- الکافی، الکلینی: 2/ 303، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب/ ح6.

7- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

8- فی الکافی: "یا ابن آدم".

9- فی الکافی: "فلا أمحقک فیمن أمحق".

10- الکافی، الکلینی: 2/ 304، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب/ ح 10.

وقال علیه السلام(1): من لم یملک غضبه لم یملک عقله(2).

وعنه علیه السلام(3) فی ما ناجی الله به موسی: یا موسی أمسک غضبک عمن ملکتک علیه أکف عنک غضبی(4).

واعلم أن قمع أصل الغیظ من القلب غیر ممکن، بل التکلیف إنما هو بکسر سورته(5) وتضعیفه حتی لا یشتد هیجان الغیظ فی الباطن، وینتهی ضعفه إلی أن یظهر أثره فی الوجه، بل ینبغی للإنسان أن یکون غضبه تحت إشارة العقل والشرع، فیغضب فی محل الغضب ویحلم فی محل التحلم، ولا یخرجه غضبه عن الاختیار. قال تعالی:((وَالْکاظِمِینَ الْغَیْظَ))(6) ولم یقل: والفاقدین الغیظ.

والأسباب المهیجة للغضب: الزهو(7)، والعجب، والهزل(8)، والهزء(9), والذل

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- الکافی، الکلینی: 2/ 305، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب/ ح13.

3- الإمام الباقر علیه السلام.

4- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 303، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب/ ح7.

5- سورة کل شیء: حده. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 387، مادة "سور".

6- سورة آل عمران / 134.

7- الزهو: الکبر والعظمة. و المزهو: المعجب بنفسه. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 73، مادة "زهو".

8- الهزل: نقیض الجد. ورجل هزل ککتف: کثیره. والهزالة: الفکاهة. القاموس المحیط، الفیروز آبادی: 4/ 69، فصل الهاء، مادة "الهزل".

9- الهزء والهزؤ: السخریة. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 183، مادة "هزأ".

والتعيير، والمماراة(1) والمضادة، والعذر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه. وهى بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً.

ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هـذه الأسـباب، فلا بـد من إزالتها بأضدادها، فينبغى أن يميت الزهو بالتواضع، والعجب بالمعرفة بنفسک, والفخر بمعرفة أنه من الرذائل وإنما الفخر بالفضائل، وأما الهزل فيزيله بالجد فى طلب الفضائل والأخلاق الحسـنة، وأما الهزء فيزيله بالتكرم عن إيـذاء الناس وبصـيانة النفس عن أن يُسـتهزأ بک، وأما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصـيانة النفس عن مرِّ الجواب، وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هـذه الأخلاق يفتقر فى علاجه إلى رياضـة وتحمل مشـقة، وأصل الرياضـة فى إزالـة هـذه الأخلاق يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها. ثم المواظبة على مباشـرة أضدادها مدة مديدة حتى تصـير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذى يتولد منها(2).

وعلاـجه عنـد هيجـانه ___ كما أشـير إليه فى الأخبار المتقدمـة ___ الاسـتعاذة من الشـيطان، والجلوس إن كان قائماً، والاضـطجاع إن كان جالساً(3)، والوضوء أو

1- الامتراء فى الشىء: الشک فيه، وكذلک التمارى. والمراء: المماراة والجدل. لسان العرب، ابن منظور: 15/ 278، مادة "مرا".

2- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 73 ___ 78، الباب الثالث فى الغضب. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 147 ___ 160، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد.

3- إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 156، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، بيان علاج الغضب بعد هيجانه. ونص الحديث: «إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فأتكئ وإن كنت متكئا فاضطجع».

الغسل بالماء البارد(1). قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا غضب أحدكم فليتوضأ وليغتسل فإن الغضب من النار(2). وأمر صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة من الشيطان، وأن يتفكر فى ما ورد فى فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال(3). قال الله فى معرض المدح: ((وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ))(4) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته(5).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أشدكم من ملك(6) نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا عند القدرة(7).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب السبيل إلى الله تعالى جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم، وجرعة مصيبة تردها بصبر(8).

1- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 70/ 272، كتاب الإيمان والكفر، باب 132 ذم الغضب ومدح التنمر فى ذات الله.

2- المصدر السابق.

3- أنظر: ما ورد فى الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ما يلى: الكافى، الكلينى: 2/ 109، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، و 2/ 107، باب العفو، و 2/ 111، باب الحلم. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 2/ 274. الاختصاص، المفيد: 342. غرر الحكم، الآمدى: 246. روضة الواعظين، النيسابورى: 2/ 376.

4- سورة آل عمران/ 134.

5- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 5/ 308 __ 309، كتاب آفة الغضب والحقد والحسد، فضيلة كظم الغيظ.

6- فى الإحياء: "غلب" بدل "ملك".

7- إحياء علوم الدين،الغزالى:3/157،كتاب ذم الغضب والحقد والحسد،فضيلة كظم الغيظ.

8- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى:5/310،كتاب آفة الغضب والحقد والحسد،فضيلة كظم الغيظ.

وعن السجاد صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما أحب أن لی بذل نفسی حمر النعم(1)، وما تجرعت جرعة أحب إلی من جرعة غيظ لا أكافی بها صاحبها(2).

وعن الباقر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً و إيماناً يوم القيامة(3).

وعن الصادق عليه السلام قال: نعم الجرعة(4) الغيظ(5) لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظم(6) البلاء، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم(7).

وعنه عليه السلام(8): ما من عبد كظم(9) غيظا إلا زاده الله تعالى عزاً فی الدنيا وعزاً فی الآخرة(10).

1- فی الحديث "ما أحب بذل نفسی حمر النعم" هی بضم حاء وسكون ميم الإبل الحمر، وهی أنفس أموال النعم وأقواها وأجلدها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله. مجمع البحرين، الطريحی: 1/ 573، باب الحاء.

2- الكافی، الكلينی: 2/109، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ/ ح1.

3- الكافی، الكلينی: 2/110، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ/ ح7.

4- جرع الغيظ: كظمه. وجرعه غصص الغيظ فتجرعه، أی:كظمه. لسان العرب، ابن منظور: 8/ 46، مادة "جرع".

5- الغيظ: غضب كامن للعاجز. الصحاح، الجوهری: 3/ 1176، مادة "غيظ".

6- فی مجموعة ورام: "عظيم" بدل "عظم".

7- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 189.

8- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

9- كظم الرجل غيظه: اجترعه. كتاب العين، الفراهيدی: 5/ 345، مادة "كظم".

10- أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسی: 217، الباب الرابع فی آداب المعاشرة مع الناس وما يتصل بها، الفصل الحادی عشر فی الحلم وكظم الغيظ والغضب.

وعنه علیه السلام(1): من کظم غیظاً ولو شاء أن یمضیه أمضاه ملأ الله قلبه یوم القیامة رضاه(2).

وعن الصادق علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط(3).

وعن حفص(4) قال: بعث الصادق علیه السلام غلاماً له فی حاجة فأبطأ، فخرج علیه السلام فی أثره فوجده نائماً، فجلس عند رأسه یروحه حتی انتبه فقال له أبو عبد الله علیه السلام: یا فلان والله ما ذلک لک تنام اللیل والنهار، لک اللیل ولنا منک النهار(5).

1- أی : «الإمام الصادق» علیه السلام.

2- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5 / 310، کتاب آفة الغضب والحقد والحسد، فضیلة کظم الغیظ.

3- الکافی، الکلینی: 2/ 112، کتاب الإیمان والکفر، باب الحلم/ ح5.

4- حفص بن أبی عائشة المنقری بالولاء، الکوفی. محدث إمامی. روی عنه عبد الله الحجال. الفائق فی رواة وأصحاب الإمام الصادق علیه السلام، الشبستری:1/431/ الرقم 871، المنقری.

5- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 112، کتاب الإیمان والکفر، باب الحلم/ ح7.

الباب الخامس: الحقد

فی الحقد

إعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفی فی الحال رجع إلی الباطن واحتقن فیه فصار حقداً، ومعنی الحقد أن یلزم قلبه استثقاله والبغضة له والتنفر عنه، وأن یدوم علی ذلک ویبقی، وقد قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: المؤمن لیس بحقود(1). والحقد ثمرة الغضب، والحقد یثمر ثمانیة أمور:

الأول: الحسد، وهو أن یحملک الحقد علی أن تتمنی زوال النعمة منه.

الثانی: أن تزید علی إضمار الحسد فی الباطن فتشمت بما یصیبه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتقطعه وإن أقبل علیک.

الرابع: أن تعرض عنه استصغاراً له.

الخامس: أن تتکلم فیه بما لا یحل من کذب وغیبة وإفشاء سر وهتک ستر وغیره.

1- منیة المرید، الشهید الثانی: 321، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما یتولد منها من مهلکات الأخلاق.

السادس: أن تحاكيه استهزاءً وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلک حرام.

وأقل درجات الحقد أن يحترز من الآفات الثمانية، ولكن تستثقله وتبغضه فی الباطن وتمتنع من البشاشة(1) والرفق والعناية.

والأولی أن يبقی علی حالته السابقة معه، وإن أمكنه أن يزيد فی الإحسان علی العفو مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلک مقام الصديقين(2)، وهو من أفضل أعمال المقربين(3)، فللحقود ثلاثة أحوال عند القدرة.

1- البشاشة: طلاقة الوجه. ورجل هش بش، أی: طلق الوجه طيب. الصحاح، الجوهری: 3/ 996، مادة "بشش".

2- الصديق: من يصدق بكل أمر الله والنبی (صلی الله عليه وآله وسلم) لا يتخالجه شک فی شیء. العين، الفراهيدی: 5/ 56، مادة "صدق".

3- المقربين، أی: السابقين. بحار الأنوار، العلامة المجلسی: 66/157، كتاب الإيمان والكفر، باب 32 درجات الإيمان وحقائقه. قال أبی الفرج البغدادی: أصل الموالاة القرب، وأصل المعاداة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياؤه المقربين قسمين: أحدهما من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلک فعل الواجبات، وترک المحرمات، لأن ذلک كله من فرائض الله التی افترضها علی عباده. والثانی: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل. جامع العلوم والحكم، أبی الفرج البغدادی: 361.

أحدها: أن يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان، وهو العدل.

والثانى: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، و((ذٰلِکَ هُوَ الْفَضْلُ))(1).

والثالث: أن يطلبه بما لا يستحقه، وذلک هو الجور(2).

وعلاـج الحقـد أن يعلم أنه مهمـا كـان فى قلبه حقـد فلاـ يزال مغموماً مهموماً مبتلى معـذباً فى الـدنيا والآخرة، وأن ينظر فى فضـيلة العفو والرفق(3).

قال تعالى:((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ))(4). وقال تعالى:((وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى))(5).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمک، وتصل من قطعک، والإحسان إلى من أساء إليک، وإعطاء من حرمک(6).

وعنه عليه السلام(7) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله(8).

1- سورة فاطر/ 32.

2- أنظر: الحقـايق فى محـاسن الأخلاـق، الفيض الكاشانى: 79 __ 80، الفصل الثالث الحقـد من نتائـج الغضب. إحياء علوم الـدين، الغزالى: 3/ 162 __ 163، القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق.

3- أنظر: جامع السعادات، النراقى: 1/ 347، الحقد.

4- سورة الأعراف/ 199.

5- سورة البقرة/ 237.

6- الكافى، الكلينى: 2/ 107، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح1.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- الكافى، الكلينى: 2/ 108، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح5.

وعن معتب(1) قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام فی حائط له يصرم(2)، فنظرت إلی غلام له قد أخذ كارة(3) من تمر فرمی بها وراء الحائط، فأتيته وأخـذته وذهبت به إليه. فقلت له: جعلت فـداک إنی وجـدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: فلان. قال: لبيک. قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدی. قال: فتعری؟ قال: لا سيدی. قال: فلأی شیء أخذت هذا؟ قال: اشتهيت ذلک، قال: إذهب فهی لک، وقال: خلوا عنه(4).

وعن الكاظم عليه السلام قال: الرفق نصف العيش(5).

1- معتب: مولی أبی عبد الله الصادق عليه السلام، ثقة. رجال العلامة، العلامة الحلی: 170، الباب الحادی عشر فی الآحاد/ الرقم 6.

2- صـرم الشـیء: قطعه. وصـرم الرجل: قطع كلامه. والانصرام: الانقطاع. والتصارم: التقاطع. والتصرم: التقطع. مختار الصحاح، الرازی : 192، مادة "صرم" .

3- الاكتيار: صـرع الشـیء بعضه علی بعض، وكور المتاع تكويرا: جمعه وشـده. وقيل: ألقی بعضه علی بعض، ومنه: الكارة. عكم الثياب، وكذا كارة القصار، لكونه يكور ثيابه فی ثوب واحد ويحملها، فيكون بعضها علی بعض. تاج العروس، الزبيدی: 3/ 531، مادة "كور".

4- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 108، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح7.

5- الكافی، الكلينی: 2/ 120، كتاب الإيمان و الكفر، باب الرفق/ ح11.

الباب السادس: الحسد

فی الحسد

وهو من نتائـج الحقـد کما سـبق، والحقـد من نتائج الغضب، فهو فرع فرع الغضب. وللحسد من الفروع الذمیمة ما لا یکاد یحصـی. قال الباقر علیه السلام: إن الحسد لیأکل الإیمان کما تأکل النار الحطب(1).

وقال الصادق علیه السلام: آفة الدین الحسد والعجب والفخر(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: قال الله تعالی لموسی(4): یا بن عمران لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضـلی، ولا تمدن عینیک إلی ذلک ولا تتبعه نفسک، فإن الحاسد ساخط لنعمی صادٌ لقسمی الذی قسمت بین عبادی، ومن یک کذلک فلست منه ولیس منی(5).

1- الکافی، الکلینی: 2/ 306، کتاب الإیمان والکفر، باب الحسد/ ذیل الحدیث 1.

2- منیة المرید، الشهید الثانی: 325، الباب الثالث فی المناظرة وشـروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما یتولـد منها من مهلکات الأخلاق.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- فی الکافی: "قال الله عزّوجل لموسی بن عمران علیه السلام".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 307، کتاب الإیمان والکفر، باب الحسد/ ح6.

وعنه علیه السلام(1) قال: اتقوا الله ولا یحسد بعضکم بعضاً ___ الحدیث(2).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: الحاسد مضر بنفسه قبل أن یضر بالمحسود، کإبلیس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء(3) والهدی والرفع إلی محل حقائق العهد والاصطفاء(4)، فکن محسوداً ولا تکن حاسداً، فإن میزان الحاسد أبداً خفیف یثقل میزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ینفع الحسد الحاسد وما یضر المحسود الحسد، والحسد أصله من عمی القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للکفر، وبالحسد وقع ابن آدم فی حسرة الأبد وهلک مهلکاً لا ینجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد لأنه مصر علیه معتقد به مطبوع فیه، یبدو بلا معارض به ولا سبب، والطبع لا یتغیر عن الأصل وإن عولج(5).

ثم اعلم أنه لا حسد إلا علی نعمة، فإذا أنعم الله علی أخیک بنعمة فلک فیها حالتان:

إحداهما: أن تکره تلک النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمی حسداً.

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 15/ 365، کتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 55 تحریم الحسد ووجوب اجتنابه دون الغبطة/ ح3.

3- اجتبی الرجل الرجل، إذا قربه، قال الله تعالی: ((فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ)) سورة القلم / 50، أی: قربه. کتاب العین، الفراهیدی: 6/ 192، مادة "جبی".

4- الاصطفاء: الاختیار، افتعال من الصفوة. والصفی: الخالص من کل شیء. واصطفاه: أخذه صفیا. لسان العرب، ابن منظور: 14/ 462، مادة "صفا".

5- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 104، الباب الثامن والأربعون فی الحسد.

والثانيـة: أن لاـ تحب زوالهـا ولا تكره وجودها ودوامها ولكنک تشـتهی لنفسک مثلها، وهـذه تسـمی غبطة(1) ومنافسـة، وقد يوضع أحد اللفظين بدل الآخر، ولا حجر فی الأسامی بعد فهم المعانی.

قال صلی الله عليه وآله وسلم: إن المؤمن يغبط والكافر يحسد(2)(3). وقال تعالی: ((وَ فِی ذٰلِکَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ))(4).

وقال صـلی الله عليه وآله وسـلم: لا حسد إلا فی اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسـلطه الله علی هلكته(5) فی الحق، ورجـل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس(6). فسمی الغبطة حسداً كما قد يسمی الحسد منافسة(7).

1- الاغتباط: شـكر الله علی ما أنعم وأفضل وأعطی. والغبطة: المسـرة. والغبطة أن تتمنی مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه وليس بحسد. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 359، مادة "غبط".

2- فی كشف الريبة: "والمنافق يحسد".

3- كشف الريبة، الشهيد الثانی: 57، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

4- سورة المطففين/ 26.

5- فی كشف الريبة: "فسلطه علی هلكته".

6- كشف الريبة، الشهيد الثانی: 57، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

7- قال الشـهيد الثانی: "وإذ قـد عرفت أنه لا حسـد إلا علی نعمـة فإذا أنعم الله علی أخيک بنعمة فلک فيها حالتان إحداهما: أن تكره تلک النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسـمی حسدا. والثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنک تشتهی لنفسک مثلها، وهذا يسـمی: غبطـة. وقد يخص باسم المنافسة، قال الله تعالی: ((وَفِی ذلِکَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ)) سورة القلم/ 50. وقد تسمی المنافسة حسدا والحسد منافسة". كشف الريبة، الشهيد الثانی: 56 ـــ 57، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

والحسد حرام على كل حال إلا فى نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا يضر كراهتها ومحبة زوالها من حيث هى آلة الفساد لا من حيث إنها نعمة، بحيث لو أمن فسادها لم يغمه تنعمه.

والحسد إنما يكثر بين أقوام تجمعهم روابط تتوارد على أغراضهم، فإذا خالف واحد صاحبه فى غرض من أغراضه نفر(1) طبعه وأبغضه وثبت الحقد فيه، وحيث لا رابطة بين شخصين فلا تحاسد بينهما، فلذلک يحسد العالم العالم دون العابد، والتاجر يحسد مثله ولا يحسد العالم، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسرية(2) زوجها أكثر مما تحسد أمّ الزوج وابنته، وذلک للتزاحم على المقاصد.

وأسباب الحسد المذموم:

العداوة: بأن يكره النعمة على المحسود لأنه عدوه، فلا يريد له الخير.

أو التعزز: وهو أن يعلم أن المحسود يتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه.

1- نفر ينفر نفورا ونفارا: إذا فر وذهب. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 5/ 92، مادة "نفر".

2- والسر: النكاح، لأنه يكتم. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 358، مادة "سرر". تَسَرَّى الجارية: من السُّرّيَّة، و قال يعقوب: أَصله تَسَرَّر من السُّرور، فأَبدلوا من إحدى الراءات ياء كما قالوا تقضَّى من تَقَضّضَ. لسان العرب، ابن منظور: 14/ 378، مادة "سرا".

أو الكبر: وهو أن يكون فى طبع الحاسد أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلک عليه بنعمة.

أو التعجب: وهو أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً، فيتعجب من فوز مثله بمثل تلک النعمة.

أو الخوف: من فوت المقاصد المحبوبة، وهو أن يخاف من فوت مقاصده بسبب نعمته، بأن يتوصل بها إلى مزاحمته فى أغراضه.

أو حب الرياسة: التى تبتنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها، أو خبث نفس وبخلها وشحها بالخير لعباد الله وإن كانت النعمة لا تثقل.

وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها فى شخص واحد فيعظم الحسد لذلک.

وعلاج الحسد علمى وعملى:

أما العلمى(1): فهو أن يعلم الحاسد أن للحسد ضرراً عليه فى الدنيا والدين، لأنه بالحسد سخط قضاء الله تعالى وكره نعمته التى قسمها لعباده وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته. وهذه جناية عظيمة على العدل الحكيم. على أن الحاسد فارق أولياء الله فى حبهم الخير لعباد الله، وشارک إبليس وسائر الكفار فى حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. قال تعالى: ((إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهٰا))(2) وقال تعالى: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ))(3).

1- فى المتن الأصلى: «ما العلمى»، والظاهر إنه محذوف الألف بسبب النسخ.

2- سورة آل عمران/ 120.

3- سورة البقرة/ 109.

وأما ضـرره فی الـدنیا فهو أن الحاسـد لا یزال متألماً بالحسـد مهموماً مغموماً معـذباً، لأن أعداءه، لا تزال نعم الله تتجدد علیهم یوماً فیوماً وساعـة فساعـة ولا تزول النعمـة عن المحسود بالحسـد، ولو کان کذلک لما بقیت نعمة علی المؤمنین لحسد الکفار إیاهم، ولا ضـرر علی المحسود أصلاً، لأن ما قدره الله تعالی له من النعم فلا حیلة فی دفعه، بل الضرر علی الحاسد کما عرفت.

والحسد ینفع المحسود فی الدنیا والآخرة:

أما فی الـدنیا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم(1) وشـقاوتهم وکونهم معذبین مغمومین، ولا عذاب أعظم مما فی الحاسد من ألم الحسد، وقد فعل الحاسد بنفسه ما هو مراد أعدائه.

وأما فی الـدین فلأن المحسود مظلوم من جهـة الحاسـد، لا سـیما إذا أخرجه الحسد إلی القول أو الفعل بالغیبة أو القدح(2) فیه وهتک(3) ستره وذکر مساوئه، فهذه هدایا یهدیها الحاسد إلی المحسود بانتقال حسـناته إلی دیوانه، حتی یلقاه مفلساً محروماً من الحسـنات، کما حرم من الراحة فی الدنیا فقد أضیف للمحسود نعمة إلی نعمة وإلی الحاسد شقاوة إلی شقاوة.

1- أمر غمة، أی: ملتبس. الصـحاح، الجوهری: 5/ 1998، مادة "غمم". الغم والغمـة: الکرب. لسان العرب، ابن منظور: 12/ 441، مادة "غمم".

2- قدح فی نسبه: طعن. مختار الصحاح، الرازی: 270، مادة "قدح".

3- هتک الستر: تمزیقه وخرقه. مجمع البحرین، الطریحی: 4/ 405، مادة "هتک".

وأما العلاج العملى: فهو أن يحكم الحسد وكل ما يتقاضاه من قول أو فعل، فينبغى أن يكلف نفسه بنقيضـها، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المـدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر ألزم نفسه التواضع والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الأنعام عنه ألزم نفسه الزيادة. ومهمـا فعـل ذلـک عن تكلف وعرفه المحسود طـاب قلبه وأحبه، ومهما أحبه عاد الحاسـد وأحبه وتولـدت بينهما الموافقـة التى تقطع مادة الحسد، ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر.

والأصل فى العلاج قمع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص كما يأتى إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الحاسد له فى أعدائه ثلاثة أحوال:

الأـولى: أن يحب مساءتهم بطبعه ولكنه يكره حبه لـذلک وميل قلبه إليه بعقله، ويمقت(1) نفسه عليه ويودُّ أن يكون له حيلـة فى إزالة ذلک الميل، وهذا القسم معفو عنه قطعاً لأنه غير داخل تحت الاختيار.

الثانية: أن يحب ذلک ويظهر الفرح بمساءته إما بلسانه أو بجوارحه، وهذا هو الحسد المحظور(2) قطعاً.

الثالثـة: وهى بين الطرفين أن يحسـد بـالقلب من غير مقته لنفسه على حسـده ومن غير إنكـار منه على قلبه، لكن يحفـظ جوارحه من طـاعة الحسد فى مقتضاها،

1- المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت. كتاب العين، الفراهيدى: 5/ 132، مادة "مقت".

2- الحظر: يطلق بمعنى المنع والقطع، ومنه قولهم: حظرت عليه كـذا، أى: منعته منه. والحظر: فهو خطـاب الشـارع بما فعله سـبب للـذم شرعا بوجه ما، من حيث هو فعله. ومن أسمائه أنه محرم ومعصية وذنب. الأحكام، الآمدى: 1/113، الفصل الثانى فى المحظور.

وهـذا محل خلاف بين العارفين: فقيل إنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلک الحب وضـعفه، لأنک وإن كفيت ظاهرک بالكلية إلا أنک بباطنک تحب زوال النعمة، وليس فى نفسک كراهة لهذه الحالة، فأنت أيضاً حسود عاصٍ لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل(1)، قال تعالى: ((وَ لا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا))(2) وقـال: ((وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمـا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً))(3)، والفعل ـــ كالغيبـة والوقيعة فى المحسود ـــ إنما هو عمل صادر عن الحسد لا عين الحسد.

وذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسـد على جوارحه، ويرشد إليه كثير من الأخبار: فروى من طرق العامة(4) بأسانيد عديدة عن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قال: وضع عن أمتى تسع خصال: الخطأ، والنسـيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة(5)، والوسوسة فى التفكير(6) فى الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد(7).

1- أنظر: الحقـايق فى محـاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى:80 ـــ 85، البـاب الثالث فى الغضب، الفصل 4 ـــ 7. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 167 ـــ 179، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته.

2- سورة الحشر/ 9.

3- سورة النساء/ 89.

4- العامة: تطلق الكلمة على جميع المذاهب من غير الشـيعة، والذين يطلق عليهم: الخاصة، وهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، الذين يعتقدون بولايته وخلافته وولاية وخلافة أبنائه المعصومين عليهم السلام. وقد مر سابقا ترجمة كلمة الخاصة فراجع.

5- الطيرة: بكسـر الطاء وفتـح الياء، وقـد تسـكن: هى التشاؤم بالشـىء. وهو مصـدر تطير. يقال: تطير طيرة، وتخير خيرة. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 3/ 152، حرف الطاء.

6- فى الكافى: "التفكر" بدل "التفكير".

7- الكافى، الكلينى: 2/ 463، كتاب الإيمان والكفر، باب ما رفع عن الأمة/ ح2.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن، والطيرة، والحسد. وسأحدثكم بالمخرج من ذلک: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ(1)(2).

وفی رواية أخرى: ثلاث لا ينجو منهن أحد وقلّ من ينجو منهن... إلى آخرها(3).

وفی رواية أخرى: ثلاثة فی المؤمن له منهن مخرج، ومخرجه من الحسد أن لا يبغی(4).

1- البغی: التعدی. وبغی عليه استطال، وبابه رمی، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذی هو حد الشیء فهو بغی. مختار الصحاح، الرازی: 38، مادة "بغی".

2- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 127، باب ما جاء فی الحسد.

3- المصدر السابق.

4- بحار الأنوار، المجلسی: 70/243، كتاب الإيمان والكفر، باب 131 الحسد/ بيان الحديث 1.

الباب السابع: الرياء

اشارة

فی الریاء وتحقیق الکلام فیه فی فصول

الفصل الأول: فی ذمه وحرمته

قال الله تعالی: ((وَیْلٌ(1) لِلْمُصَلِّینَ (4) الَّذِینَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ ساهُونَ (5) الَّذِینَ هُمْ یُراؤُنَ (6) وَیَمْنَعُونَ الْماعُونَ))(2) وقال تعالی: ((یُراؤُنَ النّاسَ وَلا یَذْکُرُونَ اللَّهَ إِلاّ قَلِیلاً))(3) وقال تعالی: ((کَالَّذِی یُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ))(4) وقال تعالی: ((فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا یُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))(5).

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إن أخوف ما أخاف علیکم الشرک الأصغر. قالوا: وما الشرک الأصغر یا رسول الله؟ قال: الریاء(6)، یقول

الله تعالی یوم القیامة إذا

1- فی النص القرآنی: "فویل".

2- سورة الماعون/ 4 ـــ 7.

3- سورة النساء/ 142.

4- سورة البقرة/ 264.

5- سورة الکهف/ 110.

6- فی المنیة: "هو الریاء".

جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم(1) فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء! (2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله تعالى: من عمل عملاً أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا منه برئ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أدنى الرياء شرك(5).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال الله تعالى(6): أنا خير شريک، من أشرک معى غيرى فى عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لى خالصاً(7).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال(8): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً فى الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب(9) لهم(10).

1- ليس فى المنية: "لهم".

2- منية المريد، الشهيد الثانى: 317 ـــ 318، الباب الثالث فى المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانى فى آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

3- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 140، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان ذم الرياء.

4- عدة الداعى، ابن فهد الحلى: 228، الباب الرابع فى كيفية الدعاء، القسم الثالث فى الآداب المتأخرة عن الدعاء. وفيه النص: "إن الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء".

5- عيون الحكم والمواعظ، الليثى: 141، الفصل الثانى عشر.

6- فى الكافى:"عن على بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله عزّوجل: ... الحديث".

7- الكافى، الكلينى: 2/ 295، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح 9.

8- فى الكافى: "عن أبى عبد الله عليه السلام، قال ... الحديث".

9- فى الكافى: "فلا يستجيب".

10- الكافى، الكلينى: 2/ 296، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح 14.

وعنه علیه السلام(1) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إن الملک یصعد بعمل العبد مبتهجاً(2) به، فإذا صعد بحسناته یقول الله(3): «اجعلوها فی سجین(4)، إنه لیس إیای أراد به»(5).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- بهج به، أی: فرح به وسر. الصحاح، الجوهری: 1/ 300، مادة "بهج".

3- فی المنیة والبحار: "الله عزّوجل".

4- سجین (فیه کتاب الفجار) وقال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما: ودواوینهم کما فی الصحاح، قال أبو عبیدة: وهو فعیل من السجن، کالفسیق من الفسق، ومنه قوله تعالی: ((کَلاّ إِنَّ کِتابَ الْفُجّارِ لَفِی سِجِّینٍ)) (سورة المطففین/7) وقال ابن عرفة: هو من سجنت، أی: هو محبوس علیهم کی یجازوا بما فیه (و) قیل (واد فی جهنم أعاذنا الله تعالی منها) وجزم البیضاوی فی هود، أنه: جهنم نفسها. وقال ابن الأثیر: هو اسم علم للنار. وقال الراغب: هو اسم لجهنم بإزاء علیین، وزید لفظه تنبیها علی زیادة معناه. (أو حجر فی الأرض السابعة) و به فسرت الآیة أیضا. وقال مجاهد: هو اسم الأرض السابعة. وقیل فی سجین، أی: فی حساب. وقیل معنی الآیة: کتابهم فی حبس لخساسة منزلتهم عند الله عزّوجل، وأما قول الخفاجی: سجین کتاب جامع لأعمال الکفرة، فذکر الراغب: أن کل شئ ذکره الله عزّوجل بقوله: وما أدراک. فسره، وکل ما ذکره بقوله وما یدریک ترکه مبهما. وفی هذا الموضع ذکر: ((وَما أَدْراکَ ما سِجِّینٌ)) (سورة المطففین/ 8) وکذا فی قوله عزّوجل: ((وَما أَدْراکَ ما عِلِّیُّونَ)) (سورة المطففین/ 19) ثم فسر الکتاب لا السجین والعلیین، قال: وفی هذه لطیفة موضعها الکتب المطولات (و) السجین (العلانیة) یقال فعل ذلک سجینا، أی: علانیة. تاج العروس، الزبیدی: 9/ 231، فصل السین.

5- منیة المرید، الشهید الثانی: 318، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة. بحار الأنوار، المجلسی: 69/ 303، کتاب الإیمان والکفر، باب 116 الریاء/ ح50.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث علامات للمرائى: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحب أن يحمد فى كل أموره(1)(2).

وقال عليه السلام(3): أخشوا الله خشية ليست بتقدير(4)، واعملوا فى غير رياء(5) ولا سمعة، فإنه من عمل لغير الله وكّله الله إلى عمله(6).

وقال الصادق عليه السلام: اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله(7).

وعنه عليه السلام(8): كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله(9).

وعنه عليه السلام(10) فى قول الله عزّوجل ((فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))(11) قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية الناس يشتهى أن يسمع به الناس، فهذا الذى

1- فى الكافى: "فى جميع أموره".

2- الكافى، الكلينى: 2/ 295، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح8.

3- أى: "أمير المؤمنين عليه السلام".

4- فى الكافى: "ليست بتعذير".

5- فى الكافى: "واعملوا لله فى غير رياء".

6- الكافى، الكلينى: 2/ 297، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح17.

7- الكافى، الكلينى: 2/ 293، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح2.

8- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

9- مشكاة الأنوار، الطبرسى: 311، الفصل الثالث فى الرياء.

10- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

11- سورة الكهف/ 110.

أشرک بعبادة ربه. ثم قال: ما من عبد سرّ(1) خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسـر شراً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شراً(2).

وعنه عليه السلام(3): ما يصـنع أحدكم إن يظهر حسناً ويسر سيئاً، أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلک ليس كذلک، والله تعالى(4) يقول: ((بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ))(5) إن السريرة إذا صحت قويت العلانية(6).

الفصل الثانى: فى حقيقة الرياء والفرق بينه وبين السمعة وأقسام الرياء

أصل الرياء من الرؤية: وهى طلب المنزلة فى قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير. والسمعة من السماع: وهى طلب المنزلة فى قلوب الناس بإسماعهم ما يوجب ذلک(7).

وحـدّ الرياء: هو إرادة المنزلـة بطاعة الله تعالى. والمرئى هو العابد. والرائى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة فى قلوبهم. والمراءى به هى الخصال التى قصد المرائى إظهارها. والرياء هو قصده إظهار ذلک.

1- فى الكافى: "أسر".

2- الكافى، الكلينى: 2/ 293 __ 294، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح4.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- فى الكافى: "والله عزّوجل".

5- سورة القيامة/ 14.

6- الكافى، الكلينى: 2/ 295، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح11.

7- أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 69/ 266، كتاب الإيمان والكفر، باب 116 الرياء/ بيان الحديث 1.

والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام، وهى: مجامع ما يتزين به العبد للناس البدن والزى، والقول، والعمل، والأتباع، والأشياء الخارجة.

وأهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون الرياء بالطاعات.

القسم الأول: الرياء فى الدين بالبدن بإظهار النحول والصفار، ليوهم بذلک شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وقلة الأكل وسهر الليل، ويقرب منه خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليوهم أنه مواظب على الصوم، ولهذا قال عيسى عليه السلام: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه(1). وذلک لخوف الرياء.

القسم الثانى: الرياء بالزى والهيئة، كتشعث(2) شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى المشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب وتشميرها وترقيع الثوب لإظهار أنه متابع للسنة غير مقبل على الدنيا.

القسم الثالث: الرياء بالقول، كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار وتحريک الشفتين بمحضر الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق ونحو ذلک.

الرابع: الرياء بالأعمال، كمراءاة المصلى بطول القيام والركوع والسجود وإطراق الرأس وترک الالتفات ونحو ذلک.

1- إحياء علوم الدين،الغزالى:3/263،كتاب ذم الجاه والرياء،بيان حقيقة الرياء وما يراءى به.

2- رجل أشعث شعث شعثان الرأس، وقد شعث شعثا وشعاثا وشعوثة وشعثته أنا تشعيثا، وهو المغبر الرأس، المتلبد الشعر جافا غير دهين. كتاب العين، الفراهيدى: 1/ 244، مادة "شعث".

الخـامس: المراءاة بالأصـحاب والزائرين والمخالطين، بأن يكثر التردد إلى العلماء والعباد والزهاد والفقراء والمساكين، أو يصـير سـبباً لكثرة ترددهم إليه ليقال إنه عظيم الرتبة فى الدين(1).

الفصل الثالث: فى درجات الرياء

إعلم أن الريـاء يتفـاوت فبعضه أشـد وأغلـظ من بعض، ويختلف باختلاف أركانه، وأركانه ثلاثـة: المراءى به، والمراءى لأجله، ونفس قصـد الرياء:

الركن الأول: نفس قصد الرياء وله درجات أربع:

«الأولى» ـــ وهى أغلظها ـــ أن لا يكون مراده الثواب أصلاً، كالذى يصلى بين أظهر الناس الفرض أو النفل ولو انفرد لم يصلِ.

«الثانية» أن يكون له قصد الثواب أيضاً قصداً ضعيفاً.

«الثالثة» أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل منهما خالياً من الآخر لم يبعثه على العمل.

«الرابعـة» أن يكون اطلاـع النـاس مرجحاً ومقوياً لنشاطه، ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة. والكل حرام ومبطل للعمل لما تقـدم من قوله تعالى فى الحديث القدسى: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك»(2)، وقوله تعالى: ((وَلا

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 263 ـــ 264، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان حقيقة الرياء وما يراءى به.

2- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد: 2/ 180، بيان الخطبة 32.

يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))(1). وقوله عليه السلام(2) فی علامة المرائی: یکسل فی الخلوة وینشط عند الناس(3).

الرکن الثانی: المراءی به وهو الطاعات، وهو ینقسم إلی: الریاء بأصول العبادات، وإلی الریاء بأوصافها:

القسم الأول: له درجات ثلاث:

«الأولی» الریاء بأصل الإیمان وهو أغلظ أبواب الریاء، وأصحابه من المنافقین المخلدین فی النار، وربما کان حال هذا أشد من الکافر حیث جمع بین کفر الباطن ونفاق الظاهر.

1- سورة الکهف/ 110.

2- أمیر المؤمنین علیه السلام.

3- الکافی، الکلینی: 2/ 295، کتاب الإیمان والکفر، باب الریاء/ ح8. وفیه النص: «ثَلاثُ عَلاماتٍ لِلْمُرائِی: یَنْشَطُ إِذَا رَأَی النّاسَ، وَیَکْسَلُ إِذَا کَانَ وَحْدَهُ، وَیُحِبُّ أَنْ یُحْمَدَ فِی جَمِیعِ أُمُورِهِ».

«الثانية» الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصول الدين. كالرياء بالصلاة والزكاة والحج والجهاد، وهذا أهون من الأول.

«الثالثة» الرياء بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكن يكسل عنها فى الخلوة وينشط عند الناس.

القسم الثانى: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهى أيضاً على ثلاث درجات:

«الأولى» أن يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة، كالذى يكون غرضه تخفيف القراءة والركوع والسجود فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود والقيام.

«الثانية» أن يرائى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التتمة والتكملة للعبادة، كالتطويل فى الركوع والسجود ومدّ القيام وتحسين الاعتدال وطول القراءة والتأنى فيها وفى الأذكار.

«الثالثة» أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل، كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول ويمين الإمام(1) ونحو ذلك.

الركن الثالث: المراءى لأجله وله درجات ثلاث:

«الأولى» وهى أشدها ـــ أن يكون مقصده التمكن من معصية، كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من أكل الشبهات، وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء والأوقاف والوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يودع الودائع فيجحدها.

«الثانية» أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة.

«الثالثة» أن يكون غرضه أن لا ينظر إليه بعين النقص وأن يعدّ من الخاصة والزهاد، كالذى يمشى مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كى لا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، أو يبدر منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن.

1- انظر: بحار الأنوار، المجلسى: 69/ 273، كتاب الإيمان والكفر، باب 116 الرياء/ بيان الحديث 1.

تقسيم آخر الرياء منه: جلى، وخفى، وأجلى، وأخفى:

فالجلى الذى يبعث على العمل ويحمل عليه.

وأخفى منه ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل، كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا دخل عليه الضيوف نشط.

وأخفى من ذلک أن يعرض بإظهار العمل بالشمائل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد.

وأخفى من ذلک أن يختفى بحيث لا يريد الإطلاع ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليه وينبسطوا فى قضاء حوائجه، ويوسعوا له فى المكان، وإن قصر فيه مقصر ثقل على قلبه، ولو لم تسبق منه تلک الطاعات والعبادات لما توقع ذلک.

وقد يكون العمل مخفياً قد قصد به وجه الله تعالى ولكن لما اتفق اطلاع غيره عليه استرّ بذلک، فإن كان قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم عليه وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له وإلطافه به، فيكون فرحه بجميل نظر الله لا ـ بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم، ولا بأس بذلک، قال تعالى: ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِکَ فَلْيَفْرَحُوا))(1)، وكذا إذا استدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا أنه كذلک يفعل به فى الآخرة، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما ستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر عليه فى الآخرة(2) فيكون الأول فرحاً بالقبول فى الحال.

1- سورة يونس/ 58.

2- عدة الداعى، ابن فهد الحلى: 224، الباب الرابع فى كيفية الدعاء، القسم الثالث فى الآداب المتأخرة عن الدعاء.

وهذا التفات إلى المستقبل، وكذا إذا كان سروره من حيث رغبة المطلعين على الاقتداء به فی الطاعة فيتضاعف بذلک أجره، فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخراً وأجر السر بما قصده أولاً ومن اقتدی به فی طاعة فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شیء(1).

وكذا إذا فرح بطاعتهم لله فی مدحهم إياه وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة، كما روی أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله أسرُّ العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد، فيطلع عليه فيسرنی؟ قال: لک أجران أجر السر وأجر العلانية(2).

وعن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الرجل يعمل الشیء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلک؟ قال: لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له فی الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلک لذلک(3).

وأما إذا كان فرحه وسروره من حيث قيام منزلته فی قلوب الناس حتی يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام فی مصادره وموارده فهو رياء مذموم(4).

ومن جملة أقسام الرياء ترجيحه العمل فی الملأ على الخلاء، وعدّ بعضهم عكسه أيضاً رياء، لأنه لو كان عمله خالصاً لله لما تفاوت عنده الخلاء والملاء.

1- عن إسماعيل الجعفری، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: من استن بسنة عدل فاتبع كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شی ء، و من استن بسنة جور فاتبع كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شی ء. المحاسن، البرقی:1/27، كتاب ثواب الأعمال، السادس ثواب من سن سنة عدل/ ح8.

2- بحار الأنوار،المجلسی:69/274،كتاب الإيمان والكفر،باب 116 الرياء/ بيان الحديث1.

3- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 297، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح 18.

4- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی:3/ 266 __ 271،كتاب ذم الجاه والرياء، بيان درجات الرياء.

ومن جملة أقسامه ترک العمل خوفاً من الوقوع فی الریاء، فإنه قد أراح الشیطان من الإفساد.

تقسیم آخر قد یکون الریاء بغیر العبادات، وهو قد یکون مستحباً وقد یکون واجباً، إذ یجب علی المؤمن صیانة عرضه وأن لا یفعل ما یعاب علیه، فلا یلیق بذوی المروءات أن یرتکبوا الأمور الخسیسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن جاز لهم فی الخلوة، ولهذا ورد الأمر بالتزین(1) وإظهار النعمة(2) وإظهار الغنی(3) وکتم الفقر(4) ونحو ذلک من الشریعة المقدسة.

وروی أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أراد یوماً أن یخرج علی أصحابه وکان ینظر فی جب(5) من الماء ویسوی عمامته وشعره، فقیل له، أو تفعل ذلک یا رسول الله؟ قال: نعم إن الله یحب من العبد أن یتزین لإخوانه إذا خرج إلیهم(6).

1- قال تعالی: ((یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَکُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ)) سورة الأعراف/31.

2- قال تعالی: ((یا أَیُّها الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَیْکُمْ)) سورة الأحزاب/ 9.

3- قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «إظهار الغنی من الشکر». غرر الحکم، الآمدی: 279، طریق الشکر/ ح1.

4- قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «یا علی إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه فمن ستره کان کالصائم القائم، و من أفشاه إلی من یقدر علی قضاء حاجته فلم یفعل فقد قتله، أما إنه ما قتله بسیف و لا رمح، و لکن بما أنکر من قلبه». جامع الأخبار، الشعیری: 112، الفصل الثامن والستون فی کتمان الفقر.

5- الجب: بئر غیر بعیدة القعر. کتاب العین، الفراهیدی: 6/ 25، مادة "جب".

6- أنظر:إحیاء علوم الدین،الغزالی:3/265،کتاب ذم الجاه والریاء،بیان حقیقة الریاء وما یراءی به.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب أن يراه فى أحسن الهيئة(1).

وقال الصادق عليه السلام: الثوب النقى يكبت العدو(2)... وكل ذلک رياء محبوب.

الفصل الرابع: فى سبب الرياء وعلاجه

إعلم أن الرياء بالعبادة إنما ينشأ من حب لـذة الحمـد، والفرار من ألم المذمـة، والطمع مما فى أيدى الناس، فالعلاج أن يعرف العبد مضـرة الرياء، وما يفوته من صلاح قلبه، وما يحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله، وما يتعرض له من العقاب والمقت(3) والخزى(4)، وما يفوته من ثواب الآخرة ورضاء الله وأنه قـد أتعب بـدنه وأحبط أجره، وقـد خسـر الـدنيا والآخرة لما يتعرض له فى الدنيا من تشـتت الهم بسـبب ملاحظـة قلوب الخلق، فإن رضاء الناس غاية لا تدرک(5)، وكلما يرضـى به فريق يسـخط به فريق، ورضاء بعضهم فى سخط بعض، ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليهم وأسخطهم عليه(6).

1- الكافى، الكلينى: 6/ 439 __ 440، كتاب الزى والتجمل والمروءة، باب التجمل وإظهار النعمة/ ح10.

2- الكافى، الكلينى: 6/ 441، كتاب الزى والتجمل والمروءة، باب اللباس/ ح1.

3- مقته مقتا: أبغضه. لسان العرب، ابن منظور: 2/ 90، مادة "مقت".

4- الخزى: ذل مع افتضاح، وقيل هو: الانقماع لقبح الفعل. الفروق اللغوية، العسكرى: 215/ الرقم 840.

5- أنظر:مجموعة ورام،ورام بن أبى فراس:1/ 192، بيان الرخصة فى كتمان الذنوب.

6- أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثانى: 1/ 153.

والأمور كلها والقلوب بيـد الله يقلبها كيف يشاء(1)، «ومن أصـلح فی ما بينه وبين الله أصلح الله فی ما بينه وبين الناس»(2)، ومن أسخط الله الـذی بيـده جميع الأمور برضاء الناس الذين ((لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرًّا))(3) ولاـ موتـاً ولا حياة ولا نشوراً(4) فهو أحمق سفيه(5)، وكيف يبعثه على العمل الطمع بما فی أيدی الناس وهو يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء.

ومهما تكن عند امرئ من خليقـــة

وإن خالها تخفی على الناس تعلم(6)

وربما كشف الله للناس خبث سـره فيمقتوه ويكرهوه ويخسر الدنيا والآخرة، ولا بد من كشف سره على رؤوس الأشهاد يوم حشر العباد، ولو أخلص لله عمله لكشف الله لهم إخلاـصه وحببه إليهم وسـخرهم له، وأطلق ألسـنتهم بحمـده والثنـاء عليه. هـذا كله مع أنه لاـ كمـال فی مدحهم ولا نقص فی ذمهم، ولو كان راغباً فی

1- عن حمران قـال سـمعت أبا جعفر عليه السـلام، يقول: «إذا كان الرجل على يمينک على رأی ثم تحول إلى يسارک فلا تقل إلا خيرا ولا تبرأ منه حتى تسـمع منه ما سـمعت وهو على يمينک فإن القلوب بين إصـبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ساعـة كـذا وساعة كذا وإن العبد ربما وفق للخير». علل الشرائع، الصدوق: 2/ 604، باب 385 نوادر العلل/ ح75.

2- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 4/ 396، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة / ذيل حديث 5845.

3- سورة الرعد/ 16.

4- إشارة إلى قوله تعالى: ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً)) سورة الفرقان/ الآية 3.

5- السفيه: الجاهل. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 498، مادة "سفه".

6- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحديد: 18/ 137. وفيه: قال زهير بن أبی سلمی: البيت.

المدح وخائفاً من الذم فليرغب فی مدح الملائكة المقربين، بل فی مدح رب العالمين، وليخش من ذمه وذمهم.

ثم ينبغی أن يعود نفسه إخفـاء العبـادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، ويجعل قلبه قانعاً بعلم الله واطلاعه على عبادته، ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله به، وإذا واظب على ذلک مدة سقط عنه ثقله(1).

وليسـتعن بالله ويجاهـد، «فمن العبـد المجاهدة ومن الله الهداية»(2) ((وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا))(3) و((اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))(4).

1- أنظر: الحقـايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 87 ـــ 88، البـاب الرابع فی الرياء والكبر والعجب وعلاجهم، الفصل الأول الرياء فی العبادة. إحياء علوم الدين، الغزالی: 3/ 274 ـــ 277، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه.

2- رسائل الشهيد، الشهيد الثانی: 156، أسرار الصلاة.

3- سورة العنكبوت/ 69.

4- سورة التوبة/ 120.

الباب الثامن: العجب

اشارة

فی العجب

وهو غالباً إنما یقع بعد تصفیة العمل من شوائب الریاء، والکلام فیه یقع فی فصول:

الفصل الأول: فی حقیقته وأقسامه والفرق بینه وبین الإدلال

العجب هو إعظام النعمة والرکون إلیها مع نسیان إضافتها إلی المنعم(1). وفی الکافی عن علی بن سوید(2) عن أبی الحسن علیه السلام(3) قال: سألته عن العجب الذی یفسد العمل؟ فقال: للعجب درجات: منها أن یزین للعبد سوء عمله فیراه حسناً ویحسب أنه یحسن صنعاً، ومنها أن یؤمن العبد بربه فیمنّ علی الله ولله علیه فیه المنّة(4).

1- الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 96، الفصل السادس فی العجب.

2- علی بن سوید: الظاهر من طریق السند وطبقته فی الحدیث أنه: علی بن سوید السائی الثقة. أنظر: رجال الطوسی، الشیخ الطوسی: 359، باب العین / الرقم 6. معجم رجال الحدیث، السید الخوئی: 13/ 56 ـــ 57/ الرقم 8199.

3- الإمام موسی بن جعفر علیه السلام.

4- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 313، کتاب الإیمان والکفر، باب العجب/ ح 3.

ثم إذا كان خائفاً على زوال تلك النعمة مشفقاً على تكدرها أو يكون فرحه بها من حيث إنها من الله فليس بمعجب، بل هو إعظام النعمة مع نسيان إضافتها إلى المنعم، وإذا انضاف إلى ذلک أن غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة له فى الدنيا، واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده فى ما يجرى على الفساق سمى هذا الإدلال بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة. وكذلک قد يعطى لغيره شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجباً، فإن استخدمه واقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه.

وآفات العجب كثيرة، فإنه يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه، ويتولد من الكبر الآفات الكثيرة، ويدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها لظنه أنه مستغنٍ عن تفقدها، ويدعو إلى استعظام العبادات والطاعات والمنة بها على الله، وكفى بذلک نقصاً. ويدعو إعجابه بها إلى التعامى عن آفاتها، والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون(1).

ويمنعه العجب عن الاستشارة والاستفادة والتعلم، فيبقى فى ذل الجهل.

وربما يعجب برأيه الخطأ فى الأصول والفروع فيهلک(2).

1- إشارة لقوله تعالى: ((أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ)) سورة الأعراف/99.

2- أنظر:الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 97 ـــ 98، الباب الرابع فى الرياء والكبر والعجب وعلاجهم، الفصل السابع آفات العجب. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 325 ـــ 326، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان آفة العجب.

الفصل الثانی: فی ما ورد فی ذمه

قال الله تعالی فی معرض الإنکار: ((وَیَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ))(1) وقال تعالی: ((وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللّهِ فَأَتاهُمُ اللّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا))(2) فرد علی الکفار فی إعجابهم بحصونهم وشوکتهم(3). وقال تعالی: ((الَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَهُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً))(4) وقال تعالی: ((أَفَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً))(5) وهو یرجع إلی العجب بالعمل(6).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: ثلاث مهلکات: شح مطاع، وهوی متبع، وإعجاب المرء بنفسه(7).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: لو لم تذنبوا لخشیت علیکم ما هو أکبر من ذلک: العجب العجب(8).

1- سورة التوبة/ 25.

2- سورة الحشر/ 2.

3- إحیاء علوم الدین،الغزالی: 3/ 325، کتاب ذم الکبر والعجب،بیان ذم العجب وآفاته.

4- سورة الکهف/ 104.

5- سورة فاطر/ 8.

6- إحیاء علوم الدین،الغزالی:3/325،کتاب ذم الکبر والعجب،بیان ذم العجب وآفاته.

7- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور: 1/ 273، الفصل العاشر فی أحادیث تتضمن شیئا من الآداب الدینیة/ ح96.

8- شرح أصول الکافی، المازندرانی: 8/200. بحار الأنوار، المجلسی: 69/329، کتاب الإیمان والکفر، باب 119 ذم الشکایة من الله وعدم الرضا بقسم الله / ح 12. وفی ذیل الحدیث: "العجب" مرة واحدة.

وقال الصادق علیه السلام: إن الله تعالی(1) علم أن الذنب خیر للمؤمن من العجب، ولولا ذلک ما ابتلی مؤمناً(2) بذنب أبداً(3).

وقال علیه السلام(4): من دخله العجب هلک(5).

وقال علیه السلام(6): إن الرجل لیذنب الذنب فیندم علیه ویعمل العمل فیسره ذلک فیتراخی عن حاله تلک، فلئن یکون علی حاله تلک خیر له مما دخل فیه(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: أتی عالم عابداً فقال له: کیف صلواتک؟ فقال: مثلی یسأل عن صلواته وأنا أعبد الله منذ کذا وکذا. قال: فکیف بکاؤک؟ قال: أبکی حتی تجری دموعی. فقال العالم: إن ضحکک وأنت خائف أفضل من بکائک وأنت مدلّ إن المدل لا یصعد من عمله شیء(9).

وعنه علیه السلام(10) قال:دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صدّیق والعابد فاسق، وذلک أنه یدخل العابد المسجد مدلاً(11) بعبادته

1- لیس فی الکافی: "تعالی".

2- فی الکافی: "مؤمن" بدل "مؤمنا".

3- الکافی، الکلینی: 2/ 313، کتاب الإیمان والکفر، باب العجب/ ح1.

4- الإمام الصادق علیه السلام.

5- الکافی، الکلینی: 2/ 313، کتاب الإیمان والکفر، باب العجب/ ح2.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- الکافی ، الکلینی : 2 / 313 ، کتاب الإیمان والکفر ، باب العجب/ح4.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 206.

10- فی الکافی: "عن أحدهما علیهما السلام" أی: "الإمام الباقر علیه السلامأو الإمام الصادق علیه السلام".

11- المدل، بکسر المیم: الرجل الخفی الشخص. الصحاح، الجوهری: 5/ 1818، مادة "مدل".

يدل بها فتكون فكرته فی ذلک، وتکون فکرة الفاسق فی الندم علی نفسه ویستغفر الله مما صنع من الذنوب(1).

وعنه علیه السلام(2) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: بینما موسی علیه السلام جالس إذ أقبل إبلیس وعلیه برنس ذو ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس وقام إلی موسی علیه السلام فسلم علیه. فقال له موسی: من أنت؟ فقال أنا إبلیس. قال: أنت فلا أقرب الله دارک. قال: إنی إنما جئت لأسلم علیک لمکانک من الله تعالی. قال: فقال له موسی علیه السلام: فما هذا البرنس؟ قال: أختطف به قلوب بنی آدم. فقال له موسی: فأخبرنی بالذنب الذی إذا أذنبه ابن آدم استحوذت علیه؟ فقال: إذا أعجبته نفسه واستکثر عمله وصغر فی عینه ذنبه. وعنه علیه السلام(3) قال: قال الله تعالی لداود علیه السلام(4): یا داود بشر المذنبین أنی أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وأنذر الصدیقین أن لا یعجبوا بأعمالهم، فإنه لیس عبد أنصبه للحساب إلا هلک(5).

1- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 314، کتاب الإیمان والکفر، باب العجب/ 6.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام" والحدیث متصل مع ما قبله.

4- نبی الله داود علیه السلام: هو داود بن یسی، وقیل: إیشا بن عوبید بن بوعز، وقیل: عامر، وقیل: یاعز بن سلمون بن أحشون، وقیل: نحشون بن عمینا داب، وقیل: عوینداب، من سلالة إسحاق بن إبراهیم الخلیل علیه السلام، ومعنی داود بالعبریة: الحبیب. ولد فی بیت لحم بفلسطین حوالی عام 1033 قبل میلاد المسیح علیه السلام، وقیل: قبل المیلاد ب_ 1071 سنة، وقیل: 1086 سنة قبل المیلاد. ولم یزل متصدرا للنبوة والملوکیة فی بنی إسرائیل أربعین سنة حتی توفی فجأة فی أورشلیم یوم السبت، وقیل: یوم الأربعاء، حدود عام 962، وقیل: عام 1015 قبل میلاد المسیح علیه السلام، بعد أن عمر 100 سنة، وقیل: 77 سنة، وقیل: 71 سنة، وقیل: 80 سنة، وقیل: 120 سنة، فدفنوه فی مدینة داود علی جبل صهیون بفلسطین. أعلام القرآن، عبد الحسین الشبستری : 361 __ 364، نبی الله داود علیه السلام.

5- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 314، کتاب الإیمان والکفر، باب العجب/ ح8.

وقال الصادق علیه السلام فی مصباح الشریعة: العجب کل العجب ممن یعجب بعمله وهو لا یدری بم یختم له، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعی ما لیس له، والمدعی من غیر حق کاذب وإن خفیت دعواه وطال دهره، فإنه أول ما یفعل بالمعجب نزع ما أعجب به لیعلم أنه عاجز فقیر، ویشهد علی نفسه لتکون الحجة علیه أوکد ـــ کما فعل بإبلیس.

والعجب نبات حبها الکفر وأرضها النفاق وماؤها البغی وأغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود فی النار، فمن اختار العجب فقد بذر الکفر وزرع النفاق، ولابد من أن یثمر(1).

الفصل الثالث: فی علاج العجب إجمالا

فحیث کانت علة العجب الجهل المحض فالعلاج هو العلم والمعرفة المضادة لذلک الجهل، فلیفرض العجب بفعل داخل تحت اختیار العبد کالعبادات، فإن العجب بها أبلغ من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا یدخل تحت الاختیار، فیقال له الورع والتقوی والعبادة.

والعمل الذی به یعجب إما أن یکون یعجب به من حیث إنه فیه وهو محله ومجراه، أو من حیث إنه منه وبسببه وقدرته وقوته، فإن کان الأول فهو جهل، لأن المحل مستخر وإنما یجری فیه وعلیه من جهة غیره، وهو لا مدخل له فی الإیجاد والتحصیل، فکیف یعجب بما لیس إلیه. وإن کان الثانی فینبغی أن یتأمل فی قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التی بها یتم عمله أنها من أین کانت له، فإن کان علم أن جمیع ذلک نعمة من الله إلیه من غیر حق سبق له فینبغی أن یکون إعجابه بجود الله تعالی وکرمه وفضله، إذ تفضّل علیه بما لا یستحقه.

1- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام:81، الباب السادس والثلاثون فی العجب.

وإن قال: وفقنی للعبادة لحبی له، فیقال له: ومن خلق الحب فی قلبک؟ فسیقول: هو، فیقال له: فالحب والعبادة کلاهما نعمتان من عنده ابتدأک بهما من غیر استحقاق من جهتک، إذ لا وسیلة لک ولا علاقة، فیکون الإعجاب بجوده تعالی إذ أنعم بوجودک ووجود صفاتک وأعمالک وأسباب أعمالک، فلا معنی لعجب العالم بعلمه والعابد بعبادته والجمیل بجماله والغنی بغنائه، لأن کل ذلک من فضل الله.

ومن العجائب أن تعجب بنفسک ولا تعجب بمن إلیه الأمر کله وبجوده وفضله وکرمه وإنعامه(1).

الفصل الرابع: فی أقسام العجب وتفصیل علاجه

إعلم أن الإنسان قد یعجب بالأسباب التی بها یتکبر وعلاجه ما یأتی فی التکبر، وقد یعجب بما لا یتکبر به کعجبه بالرأی الخطأ الذی تزین له بجهله وفی ما به العجب ثمانیة أقسام:

الأول: أن یعجب ببدنه فی جماله وهیئته وصحته وقوته وتناسب أشکاله وحسن صورته، وعلاجه التفکر فی أقذار باطنه وفی أول أمره وما إلیه یکون، وفی الوجوه الجمیلة والأبدان الناعمة کیف تمزقت فی التراب واستقذرها طباع أولی الألباب.

الثانی: القوة والبطش، کما حکی الله عن قوم قالوا ((مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً))(2) وعلاجه أن یعلم أن حمی یوم تضعف قوته، وأن البقة والذباب والشوکة تعجزه.

1- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 99 ـــ 100، الباب الرابع فی الریاء والکبر والعجب وعلاجهم، الفصل التاسع علاج العجب. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 325 ـــ 326، کتاب ذم الکبر والعجب، بیان آفة العجب.

2- سورة فصلت/ 15.

الثالث: العجب بالعقل والفطنة لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وعلاجه أن يشكر الله على ما رزقه من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يختل عقله بحيث يصير مضحكة للناس.

الرابع: العجب بالنسب الشريف كالهاشمى، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه لحق بهم قد جهل(1)، ويحق أن يقال له:

لئن فخرت بآباء ذوى نسب(2)

لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا(3)(4)

1- فى تفسير علىّ بن إبراهيم: حدّثنى أبى، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبى جعفرعليه السلام: إن صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها. فأقبلت. فقال لها عمر: غطّى قرطک! فإنّ قرابتک من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنفعک شيئا. فقالت له: هل رأيت لى قرطا يا بن اللّخناء!؟ ثمّ دخلت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. فأخبرته بذلک و بكت. فخرج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فنادى: الصّلاة جامعة! فاجتمع النّاس. فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتى لا تنفع!؟ لو قمت المقام المحمود، لشفعت فى أحوجكم. والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة. تفسير القمى، القمى: 1/ 188، تفسير سورة المائدة، أقسام الصوم. و فى مجمع البيان: و قال (صلى الله عليه وآله وسلم): كلّ حسب ونسب منقطع، إلاّ حسبى ونسبى. مجمع البيان، الطبرسى: 7/ 211، تفسير سورة المؤمنون. ونشير ههنا بإيجاز أننا أوضحنا منابع المؤلف السيد عبد الله شبر (قدس سره) فى كتابه هذا عن الفيض الكاشانى من مصنفاته، وهذا الأخير قد اعتمد بالأخذ على الغزالى وقد حدث مزج وخلط بين عقائد المدرستين حين النسخ دون الإشارة إلى ذلک، فأوجزنا الإشارة لعدم الإطالة.

2- فى البيت النص: "ذوى حسب".

3- البيت لابن الرومى.

4- ديوان ابن الرومى، ابن الرومى: 2/ 305، حرف الدال/ الرقم 660.

الخامس: العجب بنسب السلاطين والظلمة وأعوانهم دون نسب العلم والدين، وعلاجه أن يتفكر فی مخازيهم ومساوئهم وأنه ممقوتون عند الله وقد استحقوا النار وبئس القرار.

السادس: العجب بكثرة العـدد من الخدم والغلمان والولد والأقارب والعشائر والأنصار، كما قال الكافرون: ((نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً))(1) والعلاـج أن يتفكر فی ضـعفه وضـعفهم، وأنهم كلهم عبيـد وعجزة ((لاـ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِـهِمْ نَفْعاً وَلا ضَـرًّا))(2)، ((وَلاـ مَوْتًـا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا))(3) و((كَم مِن فِئَـةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ))(4)، وكيف يعجب بهم وسـيدفن فی قبره بعد نزول هادم اللذات ذليلاً مهيناً لا ينفعه ولـد ولاـ أهـل ولا صاحب ولا حميم، ويهربون منه ((يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ))(5).

السابع: العجب بالمال، كما قال من قال: ((أَنا أَكْثَرُ مِنکَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا))(6) وعلاجه التفكر فی آفات المال وغوائله وأنه غادٍ ورائح لا أصل له.

ومـــــا الـــــمـــال والأهـــــل ـون إلا ودی ـع ـــــة

ولاب ـــــــــد ی ـــوم ـــاً أن ت ـــــــــرد ال ـــــــــودائع(7)

1- سورة سبأ / 35.

2- سورة الرعد/ 16.

3- إشارة إلی قوله تعالی: ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَـيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِـهِمْ ضَـرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً)) سورة الفرقان/3.

4- سورة البقرة/ 249.

5- سورة عبس/ 34 ـــ 37.

6- سورة الكهف/ 34.

7- البيت للشاعر: لبيد بن ربيعة العامری، المتوفی 41 هـ، أحد أصـحاب المعلقات. ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة: 56، البيت ضمن قصيدة يرثی فيها أربدا أخاه.

وإلى أن فی الیهود والکفار من هو أکثر منه مالاً، فینبغی أن یکونوا أحسن منه.

الثامن: العجب بالرأی الخطأ(1)، کما قال تعالی: ((أَفَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً))(2) وقال تعالی: ((وَهُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعًا))(3) وعلاجه أن یکون متهماً لرأیه أبداً لا یغتر به إلا أن یشهد له قاطع من کتاب الله وسنة نبیه صلی الله علیه وآله وسلم، وعرض ذلک علی العلماء والعرفاء والصلحاء الماهرین(4).

1- أنظر: أسرار الصلاة، الشهید الثانی: 180 ـــ 182. جامع السعادات، النراقی: 1/ 371 ـــ 377، علاج العجب إجمالا وتفصیلا. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 329 ـــ 332، کتاب ذم الکبر والعجب، بیان أقسام ما به العجب و تفصیل علاجه.

2- سورة فاطر/ 8.

3- سورة الکهف/ 104.

4- مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِی یَعْفُورٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِی حُسَیْنُ بْنُ أَبِی الْعَلاءِ أَنَّهُ حَضَرَ ابْنَ أَبِی یَعْفُورٍ فِی هَذَا الْمَجْلِسِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ علیه السلام عَنِ اخْتِلافِ الْحَدِیثِ، یَرْوِیهِ مَنْ نَثِقُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا نَثِقُ بِهِ، قَالَ: إِذَا وَرَدَ عَلَیْکُمْ حَدِیثٌ فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِداً مِنْ کِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم وَإِلاّ فَالَّذِی جَاءَکُمْ بِهِ أَوْلَی بِهِ. الکافی،الکلینی:1/ 69،کتاب فضل العلم،باب الأخذ بالسنة وشواهد الکتاب/ح2.

الباب التاسع: التكبر

اشارة

فی التکبر

وهو الاسترواح والرکون إلی رؤیـة النفس فوق المتکبر علیه، وهو من نتائج العجب وبذلک یفترق عنه، فإن العجب لا یسـتدعی معجباً علیه والتکبر یستدعی متکبراً علیه(1)، والکلام فیه فی فصول:

الفصل الأول: فی ما ورد فی ذمه

قـال الله تعـالی: ((سَأَصْـرِفُ عَنْ آیاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ فِی الأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ))(2) وقـال تعـالی: ((کَذلِکَ یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قَلْبِ کُلِّ مُتَکَبِّرٍ جَبّارٍ))(3) وقال تعالی: ((وَاسْتَفْتَحُواْ وَخابَ کُلُّ جَبّارٍ عَنِیدٍ))(4) وقال تعالی: «إن الله لا یحب المتکبرین»(5).

1- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 303، کتاب ذم الکبر والعجب، بیان حقیقة الکبر وآفته.

2- سورة الأعراف/ 146.

3- سورة غافر/ 35. ونصها: ((کَذلِکَ یَطْبَعُ اللّهُ عَلی کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّارٍ)).

4- سورة إبراهیم/ 15.

5- لا توجد آیة بهذا النص، وهذا النص ورد ضمن حدیث فی الأمالی للشیخ الطوسی: 673، المجلس 36/ ذیل ح26.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار رجل فى قلبه مثقال حبة من إيمان(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً(2) منهما ألقيته فى جهنم»(3).

وفى الكافى عن الباقر عليه السلام قال: الكبر رداء الله، والمتكبر ينازع الله رداءه(4).

وعنه عليه السلام(5): العز رداء الله، والكبر رداؤه فمن تناول شيئاً منهما أكبه الله فى جهنم(6).

وعنه(7) عن الصادق عليه السلام قال: لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر(8).

وعن محمد بن مسلم(9) عن أحدهما(10) قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر. قال: فاسترجعت. فقال: ما لک تسترجع؟ قلت: لما سمعت منک. فقال: ليس حيث تذهب، إنما أعنى الجحود، إنما هو الجحود(11).

1- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 198، بيان ذم الكبر.

2- فى مجموعة ورام: "فى واحد".

3- مجموعة ورام، ورام ابن أبى فراس: 1/ 198، بيان ذم الكبر.

4- الكافى، الكلينى: 2/ 309: كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح4.

5- أى: «الإمام الباقر عليه السلام».

6- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: 221، كتاب عقاب الأعمال، عقاب المتكبر. وفيه النص: «العز رداء الله والكبرياء إزاره فمن تناول شيئا منه أكبه الله فى جهنم».

7- فى الكافى: "عن زرارة عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام".

8- الكافى، الكلينى: 2/ 310، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح6.

9- هو: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان، مولى ثقيف الأعور. وجه أصحابنا بالكوفة،فقيه،ورع،صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام،وروى عنهما،وكان من أوثق الناس. رجال النجاشى، النجاشى: 323 _ 324، محمد بن مسلم بن رباح/ الرقم 882.

10- أى: "الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام".

11- الكافى، الكلينى: 2/ 310، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح7.

وعن الصادق علیه السلام قال: الکبر أن تغمص الناس وتسفه الحق(1).

وعنه علیه السلام(2) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إن أعظم الکبر غمص(3) الخلق وسفه الحق. قال: قلت ما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: یجهل الحق ویطعن علی أهله، فمن فعل ذلک فقد نازع الله(4) رداءه(5).

وعنه علیه السلام(6) قال: إن فی جهنم لواد یاً للمتکبرین یقال له (سفرّ)(7) شکا إلی الله(8) شدة حره وسأله أن یأذن له أن یتنفس، فتنفس فأحرق جهنم(9).

1- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 16/ 6، کتاب الجهاد، باب 60 حد التکبر والتجبر المحرمین/ ح2.

2- أ ی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- غمص: غمصه وغمصه یغمصه غمصا واغتمصه: حقره واستصغره ولم یره شیئا. قال أبو عبیدة وغیره: غمص فلان الناس وغمطهم وهو الاحتقار لهم والازدراء بهم. اغتمصت فلانا اغتماص: احتقرته. وغمص علیه قولا قاله: عابه علیه. ورجل غمص علی النسب: عیاب. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 61، فصل الغین المعجمة، مادة "غمص".

4- فی منیة المرید: "الله عزّوجل".

5- منیة المرید، الشهید الثانی: 330، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما یتولد منها من مهلکات الأخلاق.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- فی الکافی: "سقر". سقر بالتحریک: واد فی جهنم شدید الحر سأل الله أن یتنفس فتنفس فأحرق جهنم، فهو من أسماء النار. مجمع البحرین، الطریحی: 2/ 385، مادة "سقر".

8- فی الکافی: "الله عزّوجل".

9- الکافی، الکلینی: 2/ 310، کتاب الإیمان والکفر، باب الکبر/ ح10.

وعنه علیه السلام(1) قال: إن المتکبرین یجعلون فی صور الذر یتواطؤهم(2) الناس حتی یفرغ الله من الحساب(3).

وعن عمر بن یزید(4) قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام إننی آکل(5) الطعام الطیب وأشم الرائحة الطیبة وأرکب الدابة الفارهة ویتبعنی الغلام، فتری فی هذا شیئاً من التجبر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله علیه السلام ثم قال: إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق. قال: فقلت له(6): أما الحق فلا أجهله والغمص لا أدری ما هو. قال: من حقر الناس وتجبر علیهم فذلک الجبار(7).

وعنه علیه السلام(8) قال: ما من أحد یتیه إلا من ذلة یجدها فی نفسه(9). وفی روایة أخری: ما من أحد(10) تکبر أو تجبر إلا لذلة وجدها فی نفسه(11).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی الوسائل: "تتوطؤهم".

3- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 15/ 375، کتاب الجهاد، باب 58 تحریم التکبر/ ح7.

4- الظاهر من کلام الکشی والطوسی عنه، وکلام النجاشی عن ابنه، أنه عمر بن یزید بیاع السابری: وهو مولی ثقیف، ثقة له کتاب. رجال الکشی،الکشی:331،ما روی فی عمر بن یزید بیاع السابری مولی ثقیف/الرقم605. رجال النجاشی، النجاشی: 364، محمد بن عمر بن یزید بیاع السابری/ الرقم 981. رجال الطوسی،الطوسی:339،باب العین، عمر بن یزید بیاع السابری/الرقم7.

5- فی منیة المرید: "إنی آکل".

6- فی منیة المرید: "قال عمر فقلت".

7- منیة المرید، الشهید الثانی: 330، الباب الثالث فی المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثانی فی آفات المناظرة وما یتولد منها من مهلکات الأخلاق.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 15/ 380، کتاب الجهاد، باب 59 تحریم التجبر والتیه والاختیال/ ح2.

10- فی الکافی: "رجل" بدل "أحد".

11- الکافی، الکلینی: 2/ 312، کتاب الإیمان والکفر، باب الکبر/ ذیل حدیث 17.

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: لا ینظر الله إلی رجل یجر إزاره بطراً(1).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: ما زاد الله عبداً یعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله(2).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم: إنه لیعجبنی أن یحمل الرجل الشیء فی یده فیکون مهنة لأهله(3) یدفع به الکبر عن نفسه(4).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال لأصحابه: ما لی لا أری علیکم حلاوة العبادة. قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع(5).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم قال: إذا رأیتم المتواضعین من أمتی فتواضعوا لهم، وإذا رأیتم المتکبرین فتکبروا علیهم، فإن ذلک لهم مذلة وصغار(6).

وعن الکاظم(7) علیه السلام قال: التواضع أن تعطی الناس ما تحب أن تعطاه(8).

الفصل الثانی: فی أقسام التکبر

للتکبر أقسام تنطبق علیه الأخبار السابقة، لأنه تارة یکون علی الحق، کما

1- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 199، بیان ذم الکبر.

2- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 200، بیان فضیلة التواضع.

3- فی مجموعة ورام: "یکون مهنئا لأهله".

4- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 201، بیان فضیلة التواضع.

5- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1 / 201، بیان فضیلة التواضع. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 6/ 222، کتاب ذم الکبر والعجب، بیان فضیلة التواضع.

6- المصدر السابق.

7- فی الکافی: "عن أبی الحسن الرضا علیه السلام".

8- الکافی، الکلینی: 2/ 124، کتاب الإیمان والکفر، باب التواضع/ ح13.

كان لنمرود(1)، فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء، وكما كان لمن يدعى الربوبية مثل فرعون حيث قال: ((أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى))(2)، إذ تكبر عن العبودية لله، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ))(3). ومن هذا القسم التكبر عن الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

وقد يكون على الخلق: إما على الأنبياء والرسل والأئمة من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس، كما حكى الله عن قوم قالوا: ((أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا))(4)، ((وإِنْ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا))(5)، ((وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ))(6)، وكما تكبر أئمة الجور عن الانقياد والإطاعة لأئمة الحق.

وإما أن يكون سائر الناس، بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فإذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله واشمأز(7) وجحده. ومن استعظم

1- نمرود: وقيل: نمروذ بن كنعان بن حام ابن نبى الله نوح عليه السلام، وقيل: نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل: هو نمرود بن كوش، وقيل: هو نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نبى الله نوح عليه السلام. أحد ملوك الكلدان فى بابل، وبعد أن ملك 67 سنة، وقيل: 400 سنة، وقيل: 1700 سنة، دخلت بعوضة فى أنفه فعذب بها 40 سنة، ثم هلك ببابل ودفن بها، وهناك ربوة بالقرب من بابل تعرف بقبر نمرود. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبسترى: 986 __ 987، نمرود.

2- سورة النازعات/ 24.

3- سورة غافر/ 60.

4- سورة المؤمنون/ 47.

5- سورة إبراهيم/ 10. ونصها: ((... قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا ...)).

6- سورة المؤمنون/ 34.

7- الشمز:نفور النفس من الشيء تكرهه. وقال قتادة:اشمأزت:استكبرت وكفرت ونفرت. لسان العرب، ابن منظور:5/ 362، مادة "شمز".

نفسه فقد اعتقد لها صفة من صفات الكمال، وذلک يرجع إلى كمال دينى أو دنيوى، والدينى هو العلم والعمل، والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار(1).

فإن كان تكبره بالعلم فعلاجه التفكر فى أنّ العلم قد دله على أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله تعالى، وقد أحب الله منه أن يتواضع، فلابد أن يكلف نفسه ما يحبه مولاه، وليعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد. وقال الصادق عليه السلام(2): يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد(3). فإن رأى أعلم منه فلا معنى للتكبر عليه، وإن رأى مساويه فكذلک، وإن رأى أدون منه فليعلم أن الحجة عليه أتم، وأن المدار على الخاتمة.

وكذلک الكلام فى العمل، فإذا رأى أنه أصلح وأورع وأتقى من غيره تيقّن أن المدار ليس على الأعمال بل على الخاتمة، فيقول: لعل هذا ينجو وأهلک أنا، ولعل لهذا خلق كريم فى ما بينه وبين الله أستحق به النجاة وأنا بالعكس. ومن جوز أن يكون عند الله شقياً فهو فى شغل شاغل عن التكبر.

ومن لم ينظر بعين الرضا إلى أعماله ويعتقد أن الله لو عامله بالعدل لاستحق العقاب على حسناته بزعمه فضلاً عن سيئاته، فما له سبيل إلى التكبر، كما قال سيد العابدين(4): إلهى من كانت محاسنه مساوئ كيف لا تكون مساوئه مساوئ(5).

1- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 70/ 196، كتاب الإيمان والكفر، باب 130الكبر.

2- فى الكافى: "عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قال: يا حفص".

3- الكافى، الكلينى: 1/47، كتاب فضل العلم، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه/ ح1.

4- فى الإقبال: "القول للإمام الحسين عليه السلام وليس للإمام سيد العابدين عليه السلام".

5- إقبال الأعمال، ابن طاووس: 348، مبدأ ذكر الأعمال للأشهر الثلاثة، الباب الثالث فيما يختص بفوائد من شهر ذى الحجة، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة. وفى نص الجملة:«إلهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لا يكون مساويه مساوى».

وقال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ))(1) أى يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها.

وإن كـان تكبره بـالنسب فهو تكبر بكمـال غيره، ولو كـان المنتسب إليه حياً لكان له أن يقول: الفضل لى وإنما أنت دودة خلقت من فضـل فضلتى.

وليعلم نسـبه الحقيقى، فإن أباه القريب نطفـة قـذرة، وجده البعيد تراب ذليل(2). وجعل بـدء خلق الإنسان من طين. ((ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ))(3).

وإن كـان كبره بالجمـال فعلاجه النظر إلى باطنه بعقله وفكره ليرى من الفضائـح ما يكـدر عليه التعزز بجماله، فإن الأقـذار فى جميع أجزائه والرجيع فى أمعائه والبول فى مثانته والمخاط فى أنفه والبصاق فى فيه والوسخ فى أذنه والدم فى عروقه والصديد(4) تحت بشرته والصنان(5) تحت إبطه يغسل الغائط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده ويتردد إلى الخلاء كل يوم مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً أن يمسه أو يشمه.

1- سورة المؤمنون/ 60.

2- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 70/ 226 ـــ 227، كتاب الإيمان والكفر، باب 130 الكبر.

3- سورة السجدة/ 8.

4- الصديد القيح الذى كأنه ماء وفيه شكلة. وقد أصد الجرح وصدد، أى صار فيه المدة. الصديد: ما يسيل الدم المختلط بالقيح فى الجرح. لسان العرب، ابن منظور: 3/ 246، مادة "صدد".

5- الصـنان:رائحـة معاطن الجسد إذا تغيرت،وهى من أصن اللحم إذا أنتن.والصـنان زفر الإبط. مجمع البحرين، الطريحى: 2/ 640، مادة "صنن".

وفی أول أمره خلق من الأقـذار الشـنيعة وتصور من النطفة وتغذی من دم الحيض وخرج من مجری البول إلی الرحم مفيض دم الحيض ثم مجری القـذر. ولو ترک نفسه فی حياته يوماً لم يتعهـده بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار، وسـيموت فيصـير جيفة أقذر من سائر الأقذار.

وإن كان تكبره بالقوة فعلاجه التفكر فی ما سـلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل، وأنه لو سـلبه الذباب شـيئاً لم يستنقذه منه، ولو دخلت بقة فی أنفه أو نملة فی أذنه لقتلته، ولو دخلت شوكة فی رجله لأعجزته، وأن حمی يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر فی مـدة. ثم إن اشـتدت قوته فلا تزيد علی قوة الحمار والفيل والجمل والبقر، وأی افتخار فی صـفة تشركه البهائم فيها.

وأما التكبر بالغنی وكثرة المال والأتباع فـذلک تكبر بمعنی خارج من ذات الإنسان لا كالجمال والقوة والعمل، وهـذا أقبح أنواع التكبر، فأف لشرف تسبقه اليهود والنصاری وسائر الكفار، وتف لشرف يأخذه السارق والسلطان.

هـذا كله مضافاً إلی ما سـلط عليه من الأمراض العظيمة والأسـقام الجسـيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والـدم، ليهـدم البعض من أجزائه البعض، شـاء أم أبی، رضـی أم سـخط، فيجوع كرهـاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً، لا يملک لنفسه نفعاً ولا ضراً(1) ولا خيراً ولا شـراً، يريد أن يعلم الشـیء فيجهله ويريد أن يذكر الشـیء فينساه ويريد أن ينسی الشیء ويغفل عنه فلا ينسـاه، ويريـد أن ينصـرف قلبه إلی مـا يهمه فيجول فی غيره فلا يملک قلبه ولا نفسه، يشـتهی الشـیء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشـیء وتكون حياته

1- إشارة إلی قوله تعالی فی سورة الأعراف/ الآية: 188،ونصها: ((قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَلا ضَرًّا)).

فیه، یستلذ الأطعمة فتهلکه وتردیه، ویستبشع الأدویة وهی تنفعه وتحییه، لا یأمن فی لحظة من لیله أو نهاره أن یسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته، وتفلج(1) أعضاؤه ویختلس(2) عقله وتختطف روحه ویسلب جمیع ما یهواه فی دنیاه، وهو مضطر ذلیل، إن ترک لم یبق وإن اختطف یفنی، عبد مملوک لا یقدر علی شیء.

فأین هو من التکبر والتجبر وهذا حاله بالفعل، وقد کان نطفة قذرة وسیکون جیفة منتنة یستقذره کل إنسان ویعود إلی ما کان، ولیته ترک تراباً، بل یحیا ویعاد لیقاسی الشدائد والآلام، ویحاسب ویعاقب علی ما سلف من الأیام، ویخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ویخرج إلی أهوال القیامة فینظر إلی قیامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وأرض مبدلة وجبال مسیرة ونجوم منکدرة وشمس منکسفة وأحوال مظلمة وملائکة غلاظ شداد وجحیم تزفر وجنة ینظر إلیها المجرم فیتحسر، ویری صحائف منشورة کتب فیها ما نطق به وعمل من قلیل وکثیر ونقیر(3) وقطمیر(4)، وقد أشار الله تعالی إلی مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه وأواسط أحواله بقوله:((قُتِلَ الإِنسٰانُ مٰا أَکْفَرَهُ (17) مِنْ أَیّ شَیْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ))(5).

1- الفلج فی الرجلین: تباعد ما بین القدمین آخرا. الأفلج: الذی فی یدیه اعوجاج. کتاب العین، الفراهیدی: 6/ 127 __ 128، مادة "فلج".

2- خلس الشیء من باب ضرب،واختلسه وتخلسه،أی: استلبه،والاسم الخلسة بالضم. مختار الصحاح، الرازی: 103، مادة "خلس".

3- تمت ترجمته سابقا.

4- قیل هی الجلدة الرقیقة علی ظهر النواة تنبت منها النخلة. مجمع البحرین، الطریحی: 3/ 527، مادة "قطمر".

5- سورة عبس/ 17 __ 21.

هذا كله العلاج العلمی وأما العملی فهو التواضع بالفعل لله تعالی ولسائر الخلق بالمواظبة علی أفعال المتواضعین(1) وأخلاقهم، فقد روی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه(2) کان یأکل علی الأرض ویقول: إنما أنا عبد آکل کما یأکل العبد(3).

وقیل لسلمان(4): لِمَ لا تلبس ثوباً جدیداً؟ فقال: إنما أنا عبد فإذا أعتقت یوماً لبست. أشار به إلی العتق فی الآخرة(5).

ولا یتم التواضع ـــ بعد المعرفة ـــ إلا بالعمل، ولذلک أمر العرب الذین تکبروا علی الله ورسوله بالإیمان والصلاة معاً. وفی الصلاة أسرار لأجلها کانت عمود الدین(6)، ومن جملة أسرارها المثول قائماً وراکعاً وساجداً، وقد کانت العرب قدیماً یأنفون من الانحناء، فکان ربما یسقط من ید أحد سوطه فلا ینحنی لأخذه، وینقطع شراک نعله فلا ینکس رأسه لإصلاحه(7)، فلذلک أمروا بالرکوع والسجود(8).

1- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 91 ـــ 95، الباب الرابع فی الریاء والکبر و العجب وعلاجهما.

2- فی مجموعة ورام: "حتی إن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان یأکل ... الخبر".

3- مجموعة ورام،ورام بن أبی فراس:1/208،بیان الطریق فی معالجة الکبر واکتساب التواضع.

4- سلمان الفارسی: مولی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، یکنی أبا عبد الله، أول الأرکان الأربعة، حاله عظیم جدا مشکور، لم یرتد. رجال العلامة، العلامة الحلی: 84، الباب العاشر فی الآحاد/ الرقم1.

5- مجموعة ورام،ورام بن أبی فراس:1/ 208،بیان الطریق ومعالجة الکبر واکتساب التواضع.

6- عن أبی جعفر محمد بن علی علیه السلام، قال: الصلاة عمود الدین مثلها کمثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود یثبت الأوتاد والأطناب وإذا مال العمود وانکسر لم یثبت وتد ولا طنب. المحاسن، البرقی: 1/ 44 ـــ 45، کتاب ثواب الأعمال، ثواب الصلاة/ ح60.

7- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 208، بیان الطریق فی معالجة الکبر واکتساب التواضع.

8- أنظر: بحار الأنوار، المجلسی: 70/ 227، کتاب الإیمان والکفر، باب 130 الکبر.

الفصل الثالث: فى الميزان والمعيار الذى يعرف به الإنسان نفسه هل هو متواضع أو متكبر

وإلا فقد يزعم الإنسان أنه متواضع وليس فيه كبر مع أنه متكبر عند الله وقد ضل سعيه، والامتحانات لذلک فى الموازين، وهى خمسة:

الأول: أن يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شىء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه فـذلک يـدل على أن فيه كبراً وترفعـاً، فليتق الله وليشـتغل بعلاـجه بالعلم بخبث نفسه وخطر عاقبته، والعمل بأن يكلف نفسه ما يثقل عليه من الاعتراف بالحق وإطلاق اللسان بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة.

الثانى: أن يجتمع مع الأقران والأمثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويجلس فى الصدر تحتهم، فإن ثقل ذلک عليه فهو متكبر، فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله، وههنا للشيطان مكيدة، وهى أن يجلس فى صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال، فيظن أن ذلـک تواضع وهو عين الكبر، فإن ذلک يخف على نفوس المتكبرين، إذ يوهمون أنهم إنما تركوا مكانهم بالاسـتحقار والتفضـيل، فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضاً.

الثالث: أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق فى حاجة الرفقاء والأقارب، فإن ثقل ذلک عليه فهو كبر.

الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، فإن أبت نفسه ذلک فهو كبر ورياء.

الخـامس: أن لاـ يبـالى بلبس الثياب البذلـة، فإن نفور النفس من ذلک فى الملأ رياء وفى الخلوة كبر. وفى هـذه الثلاثـة يشترط الاعتياد فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

واعلم أن المحمود من التواضع أن يتواضع فى غير مذلـة ومن غير تخاسـس(1) فإن كلا الطرفين مذموم و«خير الأمور أوسـطها»(2)، فمن تقـدم على أمثـاله فهو متكبر ومن تـأخر عنهم فهو متواضع ، وأمـا إذا تواضع العالـم للإسـكاف(3) وأجلسه مكـانه وسـوى نعله فهو ملق(4) وتذلل و تخاسس(5).

1- الخسيس: الدنىء. الصحاح، الجوهرى: 3/ 922، مادة "خسس". شىء خسيس وخساس ومخسوس: تافه. لسان العرب، ابن منظور: 6/ 64، مادة "خسس".

2- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور: 1/ 296، الفصل العاشر فى أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية / ح199.

3- الإسـكاف: كـل صـانع سوى الخفاف فإنه الأسـكف، أو الإسـكاف: النجار، وكل صانع بحديـدة. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 3/ 153، فصل السين.

4- الملق: الود واللطف الشديد. ورجل ملق: يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه. الصحاح، الجوهرى: 4 / 1556، مادة " ملق".

5- أنظر: المحجـة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 211 ـــ 272. كتاب ذم الكبر والعجب. جامع السـعادات، النراقى: 1/ 379 ـــ 393، الكبر. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 303 ـــ 325، كتاب ذم الكبر والعجب.

الباب العاشر: الدنيا والآخرة

اشارة

فی الدنیا والآخرة وفیه فصول

الفصل الأول: فی معرفة الدنیا والآخرة

إعلم أن معرفة الدنیا والآخرة صعب شدید قد تحیّر فیه الفحول وتاه فیه أولو العقول: زعم قوم أن الدنیا عبارة عن المال، والحال أنه قد ورد مدحه فی الکتاب والسنة کثیراً، وقال صلی الله علیه وآله وسلم: نعم العون علی طاعة(1) الله المال(2).

وزعم قوم أن الدنیا هی الحیاة الدنیا، مع أنه بها یتوصل إلی السعادات الأبدیة ویتخلص من الشقاوة السرمدیة(3)، وقد قال صلی الله علیه وآله وسلم: نعم العون علی الآخرة الدنیا(4).

1- فی الکنز: "تقوی" بدل "طاعة".

2- کنز العمال، المتقی الهندی: 3/ 239، فی فوائد المال والدنیا المحمودة/ ح6342.

3- السرمد: الدائم الذی لا ینقطع. لسان العرب، ابن منظور: 3/ 212، مادة "سرمد".

4- الکافی، الکلینی: 5/ 72، کتاب المعیشة، باب الاستعانة بالدنیا علی الآخرة/ ح9.

وزعم آخرون أن الـدنيا المذمومـة عبارة عن المآكل اللذيذة والمطاعم الجيدة والثياب الفاخرة والديار العامرة والخدم والحشم والأصـحاب والأعوان مع أن بعض الأنبياء والأولياء كانوا كذلک ـــ كيوسف وسليمان ـــ.

والتحقيق أن من كان مشـغولاً بالعلم والعبادة والحـج والجهاد والصـدقات وأداء الزكوات وقضاء الحوائـج وزيارة الإخوان وعيادة المرضـى وتشـييع الجنائز وحضور الجمعـة والجماعـة والمواظبة على النوافل وسائر الطاعات قد يكون فى بحبحة(1) الـدنيا، ويصدق عليه أنه طالب الـدنيا وأنه ملعون وأعماله ملعونـة مردودة غير مقبولـة، حيث لم يقصـد بها وجه الله تعالى، ورب رجل كثير المال والخدم والحشم حسـن المطعم والمشرب جيد الزى والملبس ذى ديار وسيعة وعمارات عالية ونساء جميلة ومراكب حسنة و((سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمٰارِقُ(2) مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرٰابِيُّ(3) مَبْثُوثَةٌ(4))) (5)، وهو من أهل الآخرة وأعماله مقبولة وسعيه مشكور، حيث قصد بجميع ذلک التوصل إلى رضاء الله تعالى.

1- بحبوحـة الـدار: وسـطها. يقال: تبحبـح، إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام. النهايـة فى غريب الحديث، ابن الأثير: 1/99، باب الباء مع الحاء.

2- الفراء فى قوله تعـالى: "ونمارق مصـفوفة" سورة الغاشـية/ 15. هى: الوسائـد، واحـدتها: نمرقة، قال: وسـمعت بعض كلب يقول: نمرقة، بالكسـر. وفى الحـديث: اشتريت نمرقـة، أى: وسـادة، وهى بضم النون والراء وبكسـرهما وبغير هـاء، وجمعهـا: نمارق. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 361، مادة "نمرق".

3- قال الفراء: الزرابى: الطنافس. وقال أبو عبيدة، هى: البسط. غريب الحديث، ابن قتيبة: 2/ 171.

4- مبثوثة: مفرقة فى مجالسهم بكثرة. مجمع البحرين، الطريحى: 2/ 273، مادة "زرب".

5- سورة الغاشية/ 13 ـــ 16.

فحينئذ الدنيا عبارة عن كل شـيء يوجب البعد عن الله وإن كان صلاة وصوماً وحجاً وجهاداً وإنفاقاً وزهداً وقناعة، والآخرة كل شيء يوجب القرب من الله تعالى وإن كان مالاً ونساءً وخدماً وحشماً.

نعم فى أغلب الأوقات وأكثر الأشخاص لا يتمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى والإخلاص له إلاّ بترک المباحات فضلاً عن الشبهات والمحرمات، ولذلک حث الأنبياء الناس على ترک ما يوجب الميل إلى الدنيا وإن كان يمكن أن يتوصل به إلى الآخرة، لأن النفوس ضـعيفة والشيطان قوى.

وبتقرير آخر نقول: الـدنيا والآـخرة عبارتان عن حالتين من أحوال قلبک، والقريب الـدانى منهما يسـمى دنياً لـدنوه، وهو كل ما قبل الموت، والمتراخى المتأخر يسـمى آخرة، وهو ما بعـد الموت، فكل ما لک فيه حظ وغرض ونصـيب وشـهوة ولـذة فى عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقک، إلا أن جميع ما لک إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم، بل هو على ثلاثة أقسام:

الأـول: مـا يصـحبک فى الـدنيا وتبقى معک ثمرته بعـد الموت، وهو العلم بالله وصـفاته وأفعاله، ((وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ))(1) وشرائعه وأحكامه والعمل الخالص لوجه الله، وقد يلتذ الإنسان فى الدنيا بالعلم والعبادة ويكونان عنده ألذ الأشـياء، ولذلک قال صـلى الله عليه وآله وسلم: حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء وقرة عينى فى الصلاة(2). فجعل الصلاة من جملة الدنيا لدخولها فى عالم الحس(3)

1- سورة البقرة/ 285.

2- معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكى: 31، باب ذكر ما جاء فى ثلاثة.

3- قال حميـد الـدين: "كان عالم العقل والنفس سابقا فى الإبداعيـة على عالم الحس الـذى هو الـدنيا". مصابيـح الإمامـة، حميـد الـدين الكرمانى: 42، المصـباح الرابع فى إثبـات صورة السـياسة الربانيـة التى هى دار الجزاء ووجوبهـا، وأن دارها غير دار الـدنيا التى هى العالم الطبيعى.

والشـهادة مع أنها من أفضل القربات، وهذا ونحوه وإن أطلق عليه لفظ الدنيا لدنوه ولكنه من الدنيا الممدوحة التى هى العون على الآخرة لا المذمومة.

الثـانى: نقيض الأـول، وهو كـل ما فيه حظ عاجل وليس له ثمرة فى الآخرة، كالتلـذذ بالمعاصـى بل المباحات الزائـدة على قـدر الضـرورة والتنعم بالقناطير(1) المقنطرة(2) من الذهب والفضة والخيل المسومة(3)(4) وهذه هى الدنيا المذمومة.

1- قال أبو عبيـدة: القناطير: واحدها قنطار، ولا تجد العرب تعرف وزنه، ولا واحد للقنطار من لفظه. وقال ثعلب: المعمول عليه عند العرب الأـكثر أنه أربعـة آلاـف دينار، فإذا قالوا قناطير مقنطرة، فهى اثنا عشـر ألف دينار. وقيل: إن القنطار ملء جلـد ثور ذهبا. و قيل: ثمانون ألفا. وقيل: هو جملة كثيرة مجهولة من المال. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 4/ 113.

2- المقنطرة: المكملة، كما تقول بدرة مبدرة، وألف مؤلف، أى تام. وعن الفراء: المقنطرة المضـعفة ككون القناطير ثلاثة والمقنطرة تسـعة. مجمع البحرين، الطريحى: 3/ 523، مادة "قطر".

3- السومـة، بالضـم: العلامـة تجعل على الشاة، وفى الحرب أيضا، تقول: منه تسوم. وقوله تعالى: ((حِجارَةً مِن طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً)) سورة الذاريات/ 33 ـــ 34، أى: عليها أمثال الخواتيم. الصحاح، الجوهرى: 5/ 1955، مادة "سوم". لسان العرب، ابن منظور: 12/ 312، مادة "سوم".

4- إشارة إلى قوله تعالى: ((زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الـذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَـةِ وَالأَنْعامِ وَالْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)) سورة آل عمران/ الآية 14.

الثـالث: وهو متوسـط بين الطرفين، وهو كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة، وهو ما لابـد منه للإنسان بحسب زيه وزمانه ومكانه من المأكول والملبوس والمشـروب، فإذا تناوله الإنسان بقصد الاسـتعانة على العلم والعمل والطاعات والعبادات وحفظ الحياة وصيانة العرض ونحو ذلک مما أمر الشارع به فى الشـريعة المقدسة، فليس من الدنيا المذمومة فى شىء وإن قصد به الترفه والتلذذ(1) والتنعم، أو استعان به على المعاصـى فهو من الـدنيا، ولهذا ورد الحث على طلب الحلال وتحصـيل المال للكفاف(2)، فقال النبى صـلى الله عليه وآله وسلم: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ملعون من ألقى كله على الناس(4).

وقال السجاد عليه السلام: الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة(5).

وقال الباقر عليه السـلام: من طلب الرزق فى الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً(6) على أهله وتعطفاً على جاره لقى الله عزّوجل(7) ووجهه مثل القمر ليلة البدر(8).

1- لعله خطأ الناسخ وما يناسب سياق الجملة: «التلذذ».

2- أنظر: جامع السعادات، النراقى: 2/ 25 ـــ 46. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 191 ـــ 196، كتاب ذم الدنيا.

3- تهذيب الأحكام،الشيخ الطوسى:6/324،كتاب المكاسب،باب 93 المكاسب/ح12.

4- تحف العقول، ابن شعبة الحرانى: 37، ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قصار المعانى.

5- الكافى، الكلينى: 2/ 131، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ذيل الحديث 11.

6- فى الكافى: "وتوسيعا".

7- فى الكافى: "لقى الله عزّوجل يوم القيامة".

8- الكافى،الكلينى:5/78، كتاب المعيشة،باب الحث على الطلب والتعرض للرزق/ح5.

وقال الصادق علیه السلام: الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل الله(1).

وقال علیه السلام(2) فی رجل قال: لأقعدن فی بیتی ولأصلین ولأصومنَّ ولأعبدن ربی فأما رزقی فسیأتی قال: هذا أحد الثلاثة الذین لا یستجاب لهم(3).

وقال علیه السلام(4): إن الله(5) لیحب الاغتراب فی طلب الرزق(6).

وقال له رجل(7): والله إنا لنطلب الدنیا ونحب أن نؤتاها. فقال: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها علی نفسی وعیالی وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر. فقال علیه السلام: لیس هذا طلب الدنیا هذا طلب الآخرة(8).

وقال علیه السلام(9): لیس منا من ترک دنیاه لآخرته(10).

1- الکافی، الکلینی: 5/ 88، کتاب المعیشة، باب من کد علی عیاله/ ح1.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- أنظر: مستطرفات السرائر، ابن إدریس الحلی: 634.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- فی الفقیه: "الله تبارک وتعالی".

6- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 3/ 156، کتاب المعیشة، باب المعایش والمکاسب والفوائد والصناعات/ ح6.

7- فی الکافی: "عن عبد الله بن أبی یعفور، قال: قال رجل لأبی عبد الله علیه السلام: ... الحدیث".

8- الکافی، الکلینی: 5/ 72، کتاب المعیشة، باب الاستعانة بالدنیا علی الآخرة/ ح10.

9- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

10- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 3/ 156، کتاب المعیشة، باب المعایش والمکاسب والفوائد والصناعات/ ح 3. نص الحدیث: "لیس منا من ترک دنیاه لآخرته ولا آخرته لدنیاه".

الفصل الثانی: فی ما ورد فی ذم الدنیا

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: الدنیا سجن المؤمن وجنة الکافر(1).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: لو کانت الدنیا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقی کافراً منها شربة ماء(2).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الدنیا ملعونة، ملعون ما فیها إلا ما کان لله منها(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: من أحب دنیاه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنیاه فآثروا ما یبقی علی ما یفنی(4).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: حب الدنیا رأس کل خطیئة(5).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: یا عجباً کل العجب للمصدق بدار الخلود وهو یسعی لدار الغرور(6).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: من أصبح والدنیا أکبر همه فلیس من الله فی شیء، وألزم الله قلبه أربع خصال: هماً لا ینقطع عنه أبداً، وشغلاً لا یتفرغ منه أبداً، وفقراً لا ینال غناه أبداً، وأملاً لا یبلغ منتهاه أبداً(7).

1- جامع الأخبار، الشعیری: 85، الفصل الحادی والأربعون فی معرفة المؤمن وعلاماته.

2- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی: 4/ 81، الجملة الثانیة فی الأحادیث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله/ ح85.

3- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید:19/330، نبذ مما قیل فی حال الدنیا وهوانها واغترار الناس بها.

4- مجموعة ورام، ورام ابن أبی فراس: 1/ 128، باب ذم الدنیا.

5- التحصین، ابن فهد الحلی: 27، القطب الثالث فی فوائدها.

6- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید:19/330، نبذ مما قیل فی حال الدنیا وهوانها واغترار الناس بها.

7- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 355، کتاب ذم الدنیا، بیان ذم الدنیا.

وروى أن عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوماً، فجعل يطلب بيتاً يلجأ إليه، فرفعت إليه خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده على رأسه وقال: إلهى جعلت لكل شىء مأوى ولم تجعل لى مأوى. فأوحى الله إليه: مأواك فى مستقر من رحمتى لأزوجنک يوم القيامة ألف حوراء خلقتها بيدى، ولأطعمن فى عرسک أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادى: أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم(1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما لى والدنيا(3)، إنما مثلى ومثلها كمثل راكب(4) رفعت له شجرة فى يوم صائف فقال(5) تحتها ثم راح وتركها(6).

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لک من دار من صح فيها ما أمن(7)، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب(8).

1- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 5/ 357 __ 358، كتاب ذم الدنيا، بيان ذم الدنيا.

2- الكافى، الكلينى:2/129، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها / قطعة من الحديث 8.

3- فى الكافى: "وللدنيا".

4- فى الكافى: "الراكب".

5- القائلة: الظهيرة. يقال: أتانا عند القائلة، وقد يكون بمعنى القيلولة أيضا، وهى: النوم فى الظهيرة. تقول: قال يقيل قيلولة، وقيلا، ومقيلا، وهو شاذ، فهو قائل وقوم قيل، مثل: صاحب وصحب. الصحاح، الجوهرى: 5/1808، مادة "قيل".

6- الكافى، الكلينى: 2/ 134، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ح19.

7- فى مجموعة ورام:"من صح فيها أمن".

8- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 137، باب ذم الدنيا.

وقال علیه السلام(1): إنما هی ستة أشیاء مطعوم ومشروب وملبوس ومرکوب ومنکوح ومشموم: فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة(2) ذباب، وأشرف المشروبات الماء یستوی فیه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحریر وهو نسج دودة، وأشرف المرکوبات الفرس وعلیه یقتل الرجال، وأشرف المنکوحات المرأة وهی مبال(3) فی مبال، والله إن المرأة لتزین(4) أحسن شیء منها ویراد أقبح شیء منها، وأشرف المشمومات المسک وهو دم حیوان(5).

وقال الصادق علیه السلام: ما أعجب رسول الله(6) لشیء(7) من الدنیا إلا أن یکون فیها جائعاً خائفاً(8).

وقال لقمان لابنه: یا بنی بع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعاً، ولا تبع آخرتک بدنیاک فتخسرهما(9) جمیعاً(10).

1- أی: "الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام".

2- المذق: المزج والخلط. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: 4/ 311، مادة "مذق".

3- المبال: الفرج. تاج العروس: الزبیدی: 7/ 237.

4- فی المحجة: "لیزین".

5- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 5/ 362، کتاب ذم الدنیا، بیان ذم الدنیا.

6- فی الکافی: "رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم".

7- فی الکافی: "شیء".

8- الکافی، الکلینی : 2/ 129، کتاب الإیمان والکفر، باب ذم الدنیا والزهد فیها/ ح7.

9- فی مجموعة ورام: "تخسرهما".

10- مجموعة ورام، ورام ابن أبی فراس: 1/ 137، باب ذم الدنیا.

الفصل الثالث: فی ما ورد عن الأنبیاء والأوصیاء والحکماء فی أمثلة الدنیا

کان الحسن بن علی علیه السلام یقول(1):

ی ـــــا أه ـــــــــل ل ـــــذات دن ـــی ـــا الا ب ـــــق ـــاء لها

إن اغ ـــت ـــــراراً ب ـــظ ـل زائ ـــــــل ح ـــــم ـــــــــق(2)

مثلها بالظلّ من حیث إنه متحرک فی الحقیقة ساکن فی الظاهر، ولا تدرک.

ومثلها النبی صلی الله علیه وآله وسلم من حیث الاغترار بخیالاتها والإفلاس منها بقوله صلی الله علیه وآله وسلم:«الدنیا حلم وأهلها علیها مجازون معاقبون»(3) ومن حیث تلطفها لأهلها أولاً وإهلاکهم آخراً.

روی أن عیسی علیه السلام کوشف بالدنیا فرآها فی صورة عجوز هتماء(4) علیها من کل زینة، فقال لها: کم تزوجت؟ قالت: لا أحصیهم. قال: فکلهم مات عنک أو کلهم طلقک؟ قالت: بل کلهم قتلت. فقال علیه السلام: بؤساً لأزواجک الباقین کیف لا یعتبرون بالماضین، کیف تهلکینهم واحداً بعد واحد ولا یکونون منک علی حذر(5).

1- فی الأعلام: "یتمثل" بدل "یقول".

2- أعلام الدین، الدیلمی: 241، فیما أنزل الله علی عیسی ابن مریم علیه السلام من الوعظ.

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 145، باب ذم الدنیا.

4- : رجل أثرم، وامرأة ثرماء، وفیها الهتم، وهو: أن یسقط مقدم الأسنان، یقال: رجل أهتم، وامرأة هتماء، ویقال: ضربه فهتم فاه. الکنز اللغوی، ابن السکیت: 192.

5- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 146، باب ذم الدنیا.

ومن حيث إنها خلقت للاعتبار لا للعمار ورد فيها «إنها جسر(1)فاعبروها ولا تعمروها»(2).

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة(3) فاعبروها ولا تعمروها(4). وذلک لأن الميل الأول الذى هو على رأس القنطرة المهد، والميل الثانى اللحد، وبينهما مسافة محدودة، منهم من قطع ثلثها ونصفها وثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة، وهذا محتمل لكل أحد.

ومن زينها بأنواع الزينة واتخذها موطناً وهو عابر عليها بسرعة فهو فى غاية من الحمق والجهل.

ومن حيث حسن منظرها وقبح مخبرها قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام فى ما كتب إلى سلمان: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبک منها لقلة ما يصحبک منها، وضع عنک همومها لما أيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون منها أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن بها إلى سرور أشخصته عنه مكرهاً ___ والسلام(5).

ومن حيث تعذر الخلاص عن تبعاتها بعد الخوض فيها قال فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء، هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لا تبتل قدماه(6).

1- فى التفسير: "معبر" بدل "جسر".

2- تفسير البحر المحيط، أبى حيان الأندلسى: 8/ 68، تفسير سورة الأحقاف.

3- القنطرة، معروفة: الجسر. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 118، مادة "قنطر".

4- التحصين، ابن فهد الحلى: 30، القطب الثالث.

5- أنظر: الإرشاد، الشيخ المفيد: 1/233،باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام، فصل ومن كلامه عليه السلام فى صفة الدنيا و التحذير منها.

6- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 12، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة.

ومن حيث قلة الباقى منها بالإضافة إلى الماضى قال صلى الله عليه وآله وسلم: مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخرة فبقى بخيط فى آخره، فيوشک ذلک الخيط أن ينقطع(1).

ومن حيث أدائها إلى إهلاک طالبها قال فيها عيسى عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب البحر(2) كلما ازداد عطشاً حتى تقتله(3).(4)

ومن حيث نسبتها إلى الآخرة قال فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل(5) ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم(6) فلينظر بم يرجع»(7) إليه من الأصل.

وقال الكاظم عليه السلام: إن لقمان قال لابنه: يا بنى إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتک فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل وقيمتها(8) العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر(9).

وقال الباقر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد له من الخروج حتى تموت غماً(10).

1- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب: 3/ 1526، الفصل الثالث.

2- فى مجموعة ورام: "مثل شارب ماء البحر".

3- فى مجموعة ورام: "يقتله".

4- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 149، باب ذم الدنيا.

5- فى المشكاة: "إلا مثل".

6- اليم: البحر الذى لا يدرک قعره، ولا شطاه. كتاب العين، الفراهيدى: 8/ 431، مادة "يم".

7- مشكاة الأنوار، الطبرسى: 268، الفصل السابع فى ذم الدنيا.

8- فى التحف: "وقيمها".

9- تحف العقول، ابن شعبة الحرانى: 386، وصية الإمام الكاظم عليه السلاملهشام بن الحكم/ قطعة من الحديث.

10- الكافى، الكلينى: 2/134، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ح20.

ومن أحسن ما يمثل به حال الإنسان فى الدنيا بحال رجل يمشى فى صحراء وسيعة، فإذا بأسد عظيم ذى خلق جسيم مقبل عليه ليفترسه، فبقى هذا الضعيف المهان متحيراً مدهوشاً لا يدرى ما الحيلة وليس له سلاح يدفعه به ولا ملجأ يتحصن به ، فنظر إلى بئر هناك فولج (1) فيها ((خائِفاً يَتَرَقَّبُ))(2)، فمنذ وصل إلى وسطها رأى حشيشاً نابتاً فى وسطها على الحائط، فتشبث به وهو يعلم أنه لا يفيده ولكن الغريق يتشبث بالحشيش، فنظر إلى فوقه فرأى الأسد منتظراً لخروجه حتى يفترسه، فنظر إلى قعر البئر فرأى أفاعى أربعاً فاتحة فاها لالتقامه بعد السقوط، فبينما هو فى هذه الأهوال الجسيمة والأحوال العظيمة لا يمكنه الصعود من الأسد والهبوط من الأفاعى والحشيش لا يحتمله إذ قد خرج من الحائط جرذان أسود وأبيض وشرعا يقترضان ذلك الحشيش آناً فآناً، فبينما هو فى هذه الأحوال إذ رأى قليلاً من العسل ممزوجاً ببعض التراب القذر قد اجتمع عليه الزنابير والذباب، فشرع فى مخاصمتهم والأكل معهم وقد صرف جميع باله وخاطره إلى ذلك العسل ونسى ما هو فيه من البلاء، فهذا مثل الإنسان فى انهماكه بلذات الدنيا.

فالأسد هو الموت الذى لا محيص منه ولا مفر عنه ((أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ))(3) والأفاعى الأربع الأخلاط الأربعة(4) أيها

1- ولج يلج ولوجا ولجة: دخل. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 1/ 211، مادة "ولج".

2- سورة القصص/ 18.

3- سورة النساء/ 78.

4- رأى ديمقريطيس وشيعته: يقول فى المبدع الأول: إنه ليس هو العنصر فقط، ولا العقل فقط، بل الأخلاط الأربعة، وهى: الأسطقسات، أوائل الموجودات كلها. الملل والنحل، الشهرستانى: 171، الفصل الثانى الحكماء الأصول، الرقم 4 رأى ديمقريطيس وشيعته. الطبائع، أى: الأخلاط الأربعة، أو الأمزجة الأربعة، من الحار والبارد والرطب واليابس، أو الأربعة المركبة من الحار اليابس والحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب. تحب ما يشاكلها،أى: تطلب ما يوافقها فصاحب المزاج الحار يطلب البارد والرطب يطلب اليابس، وهكذا. فاغتذ فى بعض النسخ بالغين والذال المعجمتين، أى: اجعل غذاءک، وفى بعضها بالمهملتين من الاعتياد لم يغذه، يقال: غذوت الصبى اللبن فضمير لم يغذه، إما راجع إلى الطعام، أى: لم يجعل الطعام غذاء لجسده، أو إلى الجسد، وعلى التقديرين أحد المفعولين مقدر، والحاصل أنک إذا تناولت من الغذاء أكثر من قدر الحاجة يصير ثقلا على المعدة، وتعجز الطبيعة عن التصرف فيه، ولا ينضج، ولا يصير جزء البدن، ويتولد منه الأمراض، ويصير سببا للضعف، وكذلک الماء، أى: ينبغى أن تشرب من الماء أيضا قدر الحاجة. بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 59/ 331، كتاب السماء والعالم، باب 90 الرسالة الذهبية، ذكر فصول السنة.

غلب قتل الإنسان والبئر هو الـدنيا، والحبل هو العمر، والجرذان الليل والنهار يقرضان العمر، والعسل المخلوط بقـذر التراب لـذات الـدنيا الممزوجة بالكدورات، والزنابير والذباب هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها(1).

1- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 9 ـــ 18، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة. جامع السعادات، النراقى: 2/ 41 ـــ 42، تذنيب تشبيهات الدنيا وأهلها. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 191 ـــ 195، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة.

الباب الحادی عشر: المال

فی المال

إعلم أنه قد ورد من الشرع مدح المال وذمه، وقد تقدم من الأخبار ما یدل علی مدحه، وجمیع ما دل علی الحث علی الحج والزکاة والخمس والتصدق والهبة والعطیة والإحسان والإنعام والإطعام مما لا یتم إلا بالمال فهو مدح له، وقد سماه الله تعالی خیراً فی مواضع، فقال تعالی:((إِنْ تَرَکَ خَیْراً الْوَصِیَّةُ لِلْوالِدَیْنِ))(1)(2). وقال صلی الله علیه وآله وسلم:نعم المال الصالح للرجل الصالح(3).

وورد ذمه أیضاً فقال تعالی:((إِنَّمٰا أَمْوالُکُمْ وَأَوْلادُکُمْ فِتْنَةٌ))(4) وقال تعالی:((لا تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَلا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ وَمَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ

1- سورة البقرة/ 180.

2- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 158، بیان مدح المال.

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 158، بیان مدح المال.

4- سورة التغابن/ 15.

هُمُ الْخاسِرُونَ))(1). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل(2). ونحوه كثير(3).

والسر فى ذلک أن المال ذو وجهتين: نافعة، ومضرة، ومثاله مثال الحية فيها سم وترياق(4)، ففوائدها ترياقها وغوائلها(5) سمومها. والمال إن صرف فى طاعة الله ومرضاته كان من الآخرة، وإلا كان من الدنيا.

والمال فيه فوائد وغوائل، من عرفها وأخذ الفوائد واجتنب عن الغوائل نجا.

وفوائد المال الدنيوية معلومة ولهذا تهالک أهل الدنيا عليها، وأما الدينية فهى ثلاثة أنواع:

الأول: ما ينفقه على نفسه فى عبادة أو الاستعانة عليها.

والثانى: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام:

1- سورة المنافقون/ 9.

2- منية المريد، الشهيد الثانى: 156، الباب الأول فى آداب المعلم والمتعلم، النوع الأول آداب اشتركا فيها، القسم الأول آدابهما فى أنفسهما، الأمر الثانى استعمال ما يعلمه كل منهما، الفصل الثانى فى الغرور فى طلب العلم و المغترين من أهل العلم.

3- أنظر فى حب المال: كتاب الزهد، الأهوازى: 58، باب 10 باب التواضع والكبر. الأمالى، الطوسى: 532، المجلس 19/ ح 1. معدن الجواهر، الكراجكى: 53، باب ذكر ما جاء فى ستة. غرر الحكم، الآمدى: 368، حب المال/ ح 8315. شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد: 7/253، الخطبة 113. أعلام الدين، الديلمى: 195، وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر.

4- الترياق: لغة فى الدرياق، وهو: دواء. كتاب العين، الفراهيدى: 5/ 127، مادة "ترق".

5- الغائلة: الحقد الباطن. الغوائل: الدواهى. فلان قليل الغائلة والمغالة، أى: الشر. لسان العرب، ابن منظور: 11/512، مادة "غيل".

أما الصدقة فقد حث الشارع عليها ورغب فيها بالثواب وقال إنها تطفئ غضب الرب(1).

وأما المروة وهى صرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة وإطعام الطعام، وهذا أيضاً مما رغب الشارع فيه ووعد عليه الثواب.

وأما وقاية العرض وهو بذل المال لدفع هجو(2) الشعراء وثلب(3) السفهاء ودفع شر الأشرار، فمع تنجز فائدته فى الدنيا حث الشارع عليه أيضاً، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ما وقى المرء به(4) عرضه فهو له صدقة(5).

وأما الاستخدام فى الأعمال التى اضطر إليها الإنسان من المأكول والمشروب والملبس ونحوها فهو ضرورى لولاه لتعذر عليه سبيل الآخرة، ولو تولاها بنفسه لضاعت أوقاته وتعذر عليه الفكر والذكر.

النوع الثالث: ما لا يصرفه الإنسان إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام، كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب فى الطرق وغير ذلک. هذا كله مضافاً إلى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، ولكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء.

1- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "صدقة السر تطفئ غضب الرب". الكافى، الكلينى: 4/ 7، أبواب الصدقة، باب فضل صدقة السر/ ح1.

2- هجا يهجو هجاء، ممدود: الوقيعة فى الأشعار. كتاب العين، الفراهيدى: 4/ 65، مادة "هجو".

3- ثلبه ثلبا: إذا صرح بالعيب وتنقصه. الصحاح، الجوهرى: 1/ 94، مادة "ثلب".

4- فى مجموعة ورام: "ما وقى به المرء".

5- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 160، بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم.

وأما الآفات فدينية ودنيوية، أما الدينية فثلاثة أنواع:

الأول: إنه يجر إلى المعاصى، فإن الشهوات متقاضية(1) والعجز يحول بين المرء والمعصية، ومن العصمة أن لا تقدر.

الثانى: أن يجر إلى التنعم فى المباحات، وربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى المراء والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق المردية لتحصيل مطلوبه ليتيسر له التنعم.

الثالث: وهو الذى لا ينفك عنه أحد، وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه السلام: فى المال ثلاث آفات إن(2) يأخذه من غير حله. فقيل: إن أخذه من حله؟ قال: يضعه فى غير حقه. فقيل له(3): إن وضعه فى حقه؟ فقال: يشغله إصلاحه عن الله(4).

ومن أراد أن ينجو من غائلة المال فعليه بأمور:

الأول: أن يعرف المقصود من المال، وأنه لماذا خلق، وأنه لِمَ يحتاج إليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثانى: أن يراعى جهة دخل المال، فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروة.

1- انقضى الشىء وتقضى، أى: فنى وذهب. كتاب العين، الفراهيدى: 5/ 185، مادة "قضى".

2- فى المحجة: "أن".

3- ليس فى المحجة: "له".

4- المحجة البيضاء،الفيض الكاشانى:6/49،كتاب ذم المال،بيان تفصيل آفات المال وفوائده.

الثـالث: أن يراعى جهـة الخرج ويقتصـد فى الإنفاق غير مبـذر ولا مقتر، قال تعالى:((وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِکَ قَواماً))(1).

الرابع: أن يضع ما اكتسبه من حله وحقه ولا يضعه فى غير حقه، فإن الإثم فى الأخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء.

والخامس: أن يصـلح نيته فى الأخذ والترک والإنفاق والإمساک فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادات والطاعات، ويترک ما يترک زهداً فيه واستحقاراً له، وإذا فعل ذلک لم يضره وجود المال(2).

وقـال أمير المؤمنين عليه السـلام: لو أن رجلاً أخـذ جميع ما فى الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهـد، ولو أنه ترک الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد(3).

وقال عليه السلام(4): الزهـد كله بين كلمتين من القرآن(5):((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ))(6) ومن لم يـأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه(7).

1- سورة الفرقان/ 67.

2- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشانى: 6/ 40 ـــ 59، كتـاب ذم المال. جامع السـعادات، النراقى: 2/ 46 ـــ 57. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 206 ـــ 215، كتاب ذم البخل و ذم حب المال.

3- الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى:119، الفصل الرابع النجاة من غائلة المال.

4- أى: "الإمام أمير المؤمنين عليه السلام".

5- فى النهج: "قال الله سبحانه" قبل الآية.

6- سورة الحديد/ 23.

7- نهج البلاغة، الشريف الرضى: 553 ـــ 554، فصل نذكر فيه شيئا من غريب كلامه المحتاج إلى التفسير/ ح439.

الباب الثانی عشر: الفقر

فی الفقر

وقـد ورد مـدحه وذمه أيضاً، وخلاصـة الكلام فيه أن الفقر إما أن يكون إلى الله فقط لا إلى سواه ـــ بأن يكون متعففاً عن الناس غنى النفس ـــ هذا فی أعلى مراتب الكمال، وهو الذی قال فيه النبی صلى الله عليه وآله وسلم: الفقر فخری(1).

ومدح الله أهله بقوله:((يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِيٰاء مِنَ التَّعَفُّفِ))(2).

وإمـا أن يكون إلى الناس، بأن يكون دائماً مظهراً للشـكوى والحاجـة متحملاً لـذل السؤال والطمع بما فی أيـدی الناس فهو فی أدنى مراتب النقص، وهو الذی قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: الفقر سواد الوجه فی الدارين(3). لأن صاحبه يكون ممقوتاً(4) عند الله وعند الناس، وصاحبه يخسر الدنيا والآخرة(5).

1- جامع الأخبار، تاج الدين الشعيری: 111، الفصل السابع والستون فی الفقراء.

2- سورة البقرة/ 273.

3- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی:1/40، الفصل الرابع فی ذكر أحاديث/ح41.

4- المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت. ومقته الناس مقتا فهو ممقوت. كتاب العين، الفراهيدی: 5/ 132، مادة "مقت".

5- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 6/ 46 ـــ 49، كتاب ذم المال، بيان تفصيل آفات المال و فوائده.

وإما أن يكون إلى الله مرة وإلى الناس أخرى، وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: كاد الفقر أن يكون كفراً(1). لأنه شبيه بالشرک.

وينبغى للفقير أن يكون قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما فى أيديهم، ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلک إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل، إذ لو كان حريصاً طماعاً لجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات(2). قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد غنى ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتى قوتاً فى الدنيا(3).(4)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا معاشر(5) الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا(6) بثواب فقركم وإلاّ فلا(7).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيک فإن أيسر ما فيها يكفيک، وإن كنت تريد(8) ما لا يكفيک فإن كل ما فيها لا يكفيک(9).

1- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 158، بيان مدح المال.

2- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 212، كتاب ذم البخل و ذم حب المال، بيان ذم الحرص والطمع.

3- فى الروضة: "أنه كان فى الدنيا أوتى قوتا".

4- روضة الواعظين، الفتال النيسابورى: 2/ 456، مجلس فى ذكر فضل الفقر والقوت.

5- فى الكنز: "يا معشر".

6- فى الكنز: «تظفروا».

7- كنز العمال، المتقى الهندى: 6/ 485، الإكمال من فرع فى لواحق الفقر/ ح16655.

8- فى الكافى: "وإن كنت إنما تريد".

9- الكافى، الكلينى: 2/ 138 ـــ 139، كتاب الإيمان والكفر، باب القناعة/ ح6.

وقال الباقر عليه السلام: إياک أن تطمع بصرک إلى من هو فوقک، وكفى بما قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَلا(1) تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ))(2). وقال: ((وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنيا))(3) فإن دخلک من ذلک شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجد(4).

1- فى النص القرآنى: "فلا" بدل "ولا".

2- سورة التوبة/ 55.

3- سورة طه/ 131.

4- الكافى، الكلينى: 2/ 137 __ 138، كتاب الإيمان والكفر، باب القناعة/ ح1. وفيه النص: «عَنْ عَمْرِو بْنِ هِلالٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِيَّاکَ أَنْ تُطْمِحَ بَصَرَکَ إِلَى مَنْ فَوْقَکَ فَكَفَى بِمَا قَالَ اللَّهُ عزّوجل لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ((فَلا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ)) سورة التوبة/ 55. وَقَالَ: ((وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا)) سورة طه/ 131. فَإِنْ دَخَلَکَ مِنْ ذَلِکَ شَيْ ءٌ فَاذْكُرْ عَيْشَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَإِنَّمَا كَانَ قُوتُهُ الشَّعِيرَ وَحَلْوَاهُ التَّمْرَ وَوَقُودُهُ السَّعَفَ إِذَا وَجَدَهُ».

الباب الثالث عشر: الجاه

اشارة

فی الجاه

وهو انتشار الصیت(1) والاشتهار، وحبه مذموم فی القرآن والأخبار، وهو آفة عظیمة فی الدین، والمحمود هو حب الخمول إلا من شهره الله من غیر تکلف طلب للشهرة.

قال الله تعالی:((تِلْکَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوّاً فِی الأَرْضِ وَلا فَسٰاداً وَالْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِینَ))(2).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: حب الجاه والمال ینبتان النفاق فی القلب کما ینبت الماء البقل(3).

1- الصیت: الذکر الجمیل الذی ینتشر فی الناس. لسان العرب، ابن منظور: 2/ 58، مادة "صوت".

2- سورة القصص/83.

3- کشف الریبة، الشهید الثانی: 51، الفصل الرابع.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الجاه والمال(1).(2)

وقال عليه السلام(3): إنما هلک الناس باتباع الهوى وحب الثناء(4).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل لا تشهر ولا ترفع شخصک لتذکر بعلم، واکتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار(5).

وقال الصادق عليه السلام: إياکم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلک وأهلک(6).

وقال عليه السلام(7): ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدث بها نفسه(8).

وقال عليه السلام(9): رب ذى طمرين(10) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره(11).

وتحقيق الكلام فى الجاه فى فصول:

1- فى المحجة: "من حب الجاه والمال والشرف فى دين الرجل المسلم".

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 112، کتاب ذم الجاه والرياء، بيان ذم حب الجاه.

3- فى المحجة: "قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام".

4- المصدر السابق.

5- الإختصاص، الشيخ المفيد: 232، حديث فى زيارة المؤمن لله. وفيه النص: «قال أمير المؤمنينعليه السلام: تبذل لا تشهر، ووار شخصک لا تذکر، وتعلم، واکتم، و اصمت تسلم، قال: وأومأ بيده إلى صدره، فقال: يسر الأبرار ويغيظ الفجار».

6- الکافى، الکلينى: 2/ 297، کتاب الإيمان والکفر، باب طلب الرئاسة/ ح3.

7- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

8- الکافى، الکلينى: 2/ 298، کتاب الإيمان والکفر، باب طلب الرئاسة/ ح4.

9- فى مجموعة ورام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

10- فى مجموعة ورام: "رب أشعث أغبر ذى طمرين".

11- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 182، بيان ذم الاشتهار وفضيلة الخمول.

الفصل الأول: فی سبب حب الجاه

إعلم أن المـال ملـک الأعیان المنتفع بها، ومعنی الجاه ملک القلوب المطلوبـة تعظیمها وطاعتها، والسـبب فی حب المال هو السـبب فی حب الجاه وزیادة، لأن ملک القلوب یتبعه ملک الأعیان، ویرجح الجاه علی المال من وجوه ثلاثة:

الأـول: إن التواصـل بالجاه إلی المال أیسـر من التوصل بالمال إلی الجاه، إذ العالم والعابـد الـذی یریـد حصول الجاه فی القلوب لو قصـد اکتساب المال تیسـر له، فإن أموال أرباب القلوب مسـخرة للقلوب ومبذولـة لمن اعتقـد فیه الکمال، وأما الرجل الخسـیس الذی لا یتصـف بصفة کمال إذا وجد کنزاً ولم یکن له جاه یحفظ ماله وأراد أن یتوصل بالمال إلی الجاه لم یتیسر له.

الثانی: إن المال معرض للتلف بالغضب والسـرقة والقلوب سالمـة من ذلک، وإنما تغضب القلوب بقبـح الحال وتغیر الاعتقاد، وذلک مما یهون دفعه.

الثالث: إن ملک القلوب ینمو ویسـری ویتزایـد من غیر حاجـة إلی تعب لأن القلوب إذا أذعنت لشـخص واعتقـدت کماله نطقت وانطلقت الألسـنة لا محالة بما فیها، وانتشر ذلک فی الأقطار والأمصار، ولا یزال فی زیادة اقتناص القلوب والنمو، والمال لا یمکن استنماؤه إلا بتعب شدید.

ولکن الجاه لیس بمـذموم مطلقاً، بل هو کالمال ممـدوح من جهة ومذموم من أخری، وکما أنه لابد للإنسان من أدنی مال لضـرورة المطعم والملبس فلابـد له من أدنی جاه لضـرورة المعیشة مع الخلق کما یحتاج الإنسان إلی طعام یتناوله ویجوز أن یحب الطعام والمال الذی یباع به الطعام، وکذلک لا یخلو عن الحاجة إلی خادم یخدمه ورفیق یعینه وسلطان یحرسه ویدفع عنه ظلم الأشرار، فحبه لأن یکون له فی قلب

خادمه من المحل ما يـدعوه إلى الخدمـة ليس بمذموم، وكذا حبه لأن يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته، وكذا حبه لأن يكون له فى قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به، وأن يكون له من المحل فى قلب السلطان ما يحثُه على دفع الشر عنه، فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال(1).

الفصل الثانى: فى علاج حب الجاه

إعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشـغوفاً بالتودد إليهم، وابتلى بالرياء والسمعة والنفاق والمداهنة والتساهل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحو ذلک، وعلاجه العلم والعمل:

أما العلم: أن يعلم أن السـبب الـذى لأجله أحب الجاه ـــ وهو كمال القدرة على أشـخاص الناس وعلى قلوبهم ـــ إن صـفا وسـلم فأخره الموت ولا ينفعه فى الآخرة لو لـم يضـره، ولو سـجد له كل من على وجه الأرض فعن قريب لا يبقى الساجـد ولا المسـجود له(2)، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له ، ولمثل هذا لا ينبغى أن يترک الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها.

والكمـال الحقيقى الـذى يقرب صـاحبه من الله ويبقى كمالاً ـ للنفس بعـد الموت ليس إلاـ العلم بـالله وبصـفاته وأفعاله، ثم الحريـة وهى الخلاص من أسر الشهوات. هذا هو الكمال الباقى بعد الموت والباقيات الصالحات التى تبقى كمالاً للنفس.

1- أنظر: الحقـايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 128 ـــ 129، الفصل الثانى. جامع السعادات، النراقى: 2/ 352 ـــ 354، الجاه أحب من المال. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/248 ـــ 249، كتاب ذم الجاه و الرياء، بيان سبب كون الجاه محبوبا.

2- تنبيه: المقصود بالمسجود له، هو: من غلب على قلبه حب الجاه، وابتلى بالرياء، كما هو موضح أعلاه.

والمال والجاه هو الذى ينقضى سريعاً، وهو كما مثله الله تعالى:((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ))(1)، وكل ((تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ))(2) بالموت فهو ((زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))(3) وكل ما لا يقطعه الموت فهو من ((الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ))(4).

فمن عرف الكمال الحقيقى صغر الجاه فى عينه، إلا أن ذلک إنما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها، ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده.

وأبصار أكثر الخلق ضعيفة تؤثر الدنيا على الآخرة، كما قال تعالى: ((بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))(5) وقال تعالى: ((بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ))(6).

ومن كان كذلک فينبغى له العلاج بالعلم بالآفات العاجلة لصاحب الجاه، فإن صاحب الجاه مخاطر على نفسه وماله، ومحمود مقصود بالإيذاء، مبتلى بالناس خص بالبلاء، من عرفته الناس يقاسى الشدائد العظيمة، ولأجلها يتمنى الخمول.

ولا يزال ذو الجاه خائفاً على جاهه ومحترزاً من زوال منزلته عن القلوب والقلوب أشد تغييراً من القدر فى غليانه، وهى مرددة بين الإقبال والإعراض، وما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر، فإنه لا ثبات له.

1- سورة يونس/ 24.

2- سورة الكهف/ 45.

3- سورة طه/ 131.

4- سورة الكهف/ 46.

5- سورة الأعلى/ 16 __ 17.

6- سورة القيامة/ 20 __ 21.

والاشـتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيـد الحساد ومنع أذى الأعـداء اشـتغال عن الله وتعرض لمقته فى العاجل والآجل. وجميع ذلک غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه الموهومة فضلاً عما يفوت فى الآخرة. هذا هو العلاج العلمى.

وأما العملى: فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال عن الناس والهجرة إلى مواضع الخمول، فإن المعتزل فى بيته فى البلـدة التى هو بها مشـهور لا يخلو عن حب المنزلـة التى ترسخ له فى القلوب بسـبب عزلته، ومن قنع اسـتغنى عن الناس وانقطع طمعه عنهم، وإذا اسـتغنى عنهم لم يكن لقيام منزلته فى قلوبهم عنده وزن، ويستعين على ذلک بالأخبار الواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول(1).

الفصل الثالث: فى حب المدح والثناء

وسببه شعور النفس بالكمال والدلالة على أن الممدوح قد ملک قلب المادح وسخره، وملک القلوب أحب من ملک الأموال ـــ كما تقدم.

ولهذين السـببين يكره الذم ويتألم به القلب، والسـبب الثالث أن ثناء المثنى ومدح المادح سـبب لاصطياد قلب كل من يسمعه، لاسيما إذا كان ذلک ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بشأنه، وهذا يختص بثناء يقع على الملأ.

والرابع من المدح يدل على حشـمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما طوعاً أو قهراً، والحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة، وقد تجتمع هذه الأسباب فيعظم الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بأن

1- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 128 ـــ 131، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان علاج حب الجاه. جامع السعادات، النراقى: 2/ 364 ـــ 366، فصل علاج حب الجاه. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 254 ـــ 256، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان علاج حب الجاه.

يعلم الممـدوح أنه غير صادق فى مـدحه، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقـد ما يقوله بطلت اللـذة الثابتـة ـــ وهو استيلاؤه على قلبه ـــ وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة.

وحب المدح والثناء كحب الجاه حرمة وإباحة ونفعاً وضراً، وعلاجه علاجه، وعلمه بأن الصفة الممدوح بها إن فقدت فاستهزاء وإن وجدت فالدنيوية كمال وهمى والدينية موقوفة على الخاتمة.

وعلاج كراهـة الذم العلم بأن الصـفة المذموم بها إن وجدت فتبصـير للعيوب، وفيه الفرح والشـغل بالإزالة، وإن فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشـكر لله والترحم للـذام حيث أهلـك نفسه، كمـا قـال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لمـا كسـروا رباعيته: اللهم إهـد قومى فإنهم لا يعلمون(1).

والإنسان يفرح ممن يـذم عـدوه وهو عـدو نفسه، فينبغى أن يفرح إذا سـمع ذمها ويشـكر الـذام عليها ويعتقـد ذكاءه، وفطنته لما وقف على عيوبها، فيكون ذلک كالتشـفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة أوضع فى أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه، وإذا سـبقت إليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبراً لعيوبه التى هو عاجز عن إماطتها.

ولو جاهد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة ـــ وهى أن يستوى عند ذامه ومادحه ـــ لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره.

وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحدى تلک العقبات، ولا يقطع شىء منها إلا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل(2).

1- أنظر: إيمان أبى طالب، السيد فخار بن معد الموسوى: 155، الفصل الثانى.

2- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 129 ـــ 132، الفصل 2 ـــ 3. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/ 131 ـــ 138، كتاب ذم الجاه والرياء. جامع السعادات، النراقى: 2/ 368 ـــ 372.

الباب الرابع عشر: الغرور

اشارة

فی الغرور وفیه فصول

الفصل الأول: فی حقیقته وذمه

إعلم أن مفتاح السعادة التیقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، والغرور هو سکون النفس إلی ما یوافق الهوی ویمیل إلیه الطبع عن شبهة وخدعة من الشیطان، فمن اعتقد أنه علی خیر إما فی العاجل أو فی الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور(1)، قال الله تعالی:((لا(2) تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا وَلا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))(3)، وقال تعالی:((وَلکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَکُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْکُمُ الأَمانِیُّ حَتَّی جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))(4).

1- ((وَلا یَغُرَّنَّکُم بِاللّهِ الْغَرُورُ)) سورة لقمان/ 33. الغرور، بالفتح: الشیطان، وکل من غر فهو غرور، وسمی الشیطان غرورا لأنه یحمل الإنسان علی محابه ووراء ذلک ما یسوؤه. قال ابن السکیت: والغرور أیضا: ما رأیت له ظاهرا تحبه وفیه باطن مکروه ومجهول. والغرور بضم المعجمة: الباطل، مصدر غررت وما اغتر به من متاع الدنیا. مجمع البحرین، الشیخ الطریحی: 3 / 301، مادة "غرر".

2- فی النص القرآنی: "فلا".

3- سورة لقمان/ 33.

4- سورة الحدید/ 14.

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: حبذا نوم الأکیاس وفطرهم کیف یغبنون سهر الحمقی واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوی ویقین أفضل من ملء الأرض من المغترین.

وکل ما ورد فی فضل العلم وذم الجهل فهو دلیل ذم الغرور، لأن الغرور(1) نوع من الجهل، والذین غرتهم الحیاة الدنیا بعض الکفار والعصاة الذین آثروا الحیاة الدنیا علی الآخرة قائلین: إن الدنیا نقد والآخرة نسیئة(2) والنقد خیر من النسیئة، ولذات الدنیا یقین والآخرة شک والیقین خیر من الشک.

وهذا عین الجهل، لأن الدنیا لو کانت ذهباً فانیاً والآخرة خزفاً باقیاً لکان الخزف الباقی خیراً من الذهب الفانی، فکیف والدنیا خزف فانٍ والآخرة ذهب باقٍ، کما قال تعالی:((ما عِنْدَکُمْ یَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ))(3) وقال تعالی: ((وَلَلآخِرَةُ خَیْرٌ وَأَبْقی))(4) وقال تعالی: ((وَما الْحَیاةُ الدُّنْیا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ))(5).

وکون النقد خیراً من النسیئة مطلقاً ممنوع، فإن النسیئة العظیمة الکثیرة خیر من النقد القلیل الحقیر، وفعل هذا المغرور حجة علیه، فإنه یعطی خمسة دراهم نقداً لیأخذ عشرة نسیئة، ویترک لذائذ الأطعمة بتحذیر الطبیب نقداً خوفاً من ألم المرض النسیئة، ویتحمل المشاق والأسفار وقطع البحار نقداً لتوهم النفع نسیئة، وکذا التاجر فی سعیه وتصدیعه(6) علی یقین وفی ربحه علی شک، وکذا المتفقه فی

1- إحیاء علوم الدین،الغزالی:3/335،کتاب ذم الغرور،بیان ذم الغرور وحقیقته وأمثلته.

2- النسیئة: التأخیر. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 147، مادة "کلأ".

3- سورة النحل/ 96.

4- سورة الأعلی/ 17. ونصها: "والآخرة خیر وأبقی".

5- سورة آل عمران/ 185.

6- الرجل یصدع بالحق: یتکلم به جهارا. صدعتهم فتصدعوا، أی: فرقتهم فتفرقوا. کتاب العین، الفراهیدی: 1/ 291 _ 292، مادة "صدع".

اجتهاده شک وفی تعبه یقین، والمریض من مرارة الدواء علی یقین ومن الشفاء علی شک، فکون الیقین خیراً من الشک مطلقاً ممنوع، بل إذا کان مثله فالذی له شک فی الآخرة یجب علیه بحکم الحزم أن یقول: الصبر أیاماً قلائل فی هذا العمر القصیر قلیل بالإضافة إلی ما یقال من أمر الآخرة، فإن کان ما یقال فی الآخرة کذباً فما فاتنی إلا نعم حقیرة فانیة، وإن کان صدقاً خلدت فی النار أبد الآبدین وهذا لا یطاق.

هذا کله مع قطع النظر عن کون الآخرة یقیناً یحکم بها العقل السلیم والفهم المستقیم، وأخبر بها الأنبیاء والمرسلون والأولیاء والصالحون.

وأما الغرور بالله فمثل قول بعضهم: فإن کان لله معاد فنحن أحق به من غیرنا وأوفر حظاً وأسعد حالاً، کما أخبر الله تعالی من قول الرجلین المتحاورین. إذ قال: ((وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلی رَبِّی لأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْها مُنْقَلَباً))(1).

وذلک لأنهم تارة ینظرون إلی نعم الله علیهم فی الدنیا فیقیسون علیها نعم الآخرة، وینظرون إلی تأخیر الله العذاب عنهم، فیقیسون علیه عذاب الآخرة، کما قال تعالی: ((وَیَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْلا یُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ))(2).

وینظرون تارة إلی المؤمنین وهم فقراء شعث غبر، فیقولون: ((أَهؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنْ بَیْنِنا))(3) ویقولون: ((لَوْ کانَ خَیْراً ما سَبَقُونا إِلَیْهِ))(4)، ویقولون:

1- سورة الکهف/ 36.

2- سورة المجادلة/ 8.

3- سورة الأنعام/ 53.

4- سورة الأحقاف/ 11.

قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا، وكل محسن محب، والمحب يحسن فی المستقبل أيضاً، ولم يعلموا أن نعيم الدنيا ولذاتها والاستدراج فيها يدل على الهوان، وأن هذه اللذات سموم قاتلات، وأن الله يحمی المؤمن من الدنيا كما يحمی الطبيب المريض عن الطعام.

ولو كانت الدنيا لها قدر عند الله لما سقی الكافر منها شربة ماء، وقال تعالى: ((أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ (55) نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ))(1) وقال تعالى:((سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ))(2) وقال تعالى:((فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَیْ ءٍ حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ))(3).

ومنشأ هـذا الغرور الجهل بالله وصـفاته، فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغير به بأمثال هذه الخيالات، وينظر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الأـرض كيـف أحسـن اللـه إليهـم ثـم دمرهم تـدميراً ((وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ))(4)، ((وَلا ـ يَأْمَنُ(5) مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ ـ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ)) (6).(7)

1- سورة المؤمنون/ 55 ـ 56.

2- سورة الأعراف/ 182.

3- سورة الأنعام/ 44.

4- سورة آل عمران/ 54.

5- فی النص القرآنی: "فلا يأمن".

6- سورة الأعراف/ 99.

7- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشانی: 6/ 291 ـ 302، كتـاب ذم الغرور، بيـان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته. جامع السـعادات، النراقی: 3/ 6 ـ 12. إحياء علوم الدين، الغزالی: 3/ 335 ـ 339، كتاب ذم الغرور، بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته.

الفصل الثانی: فی بیان فرق المغترین وجهات غرورهم

اشارة

وهم کثیرون وجهات غرورهم مختلفة:

فمنهم: عصاة المؤمنین، یقولون إن الله کریم رحیم ونرجو رحمته وکرمه، وإن ((رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْ ءٍ))(1)، وأین معاصی العباد من رحمته، والرجاء مقام محمود. ووجه غرورهم ما یأتی إن شاء الله تعالی فی الرجاء من أن هذا تمنٍ علی الله وغرة به، فإن «من رجا شیئاً طلبه ومن خاف شیئاً(2)، هرب منه»(3)، وکما أن الـذی یرجو ولـداً ولم یتزوج أو تزوج ولم یجامع أو جامع ولم ینزل فهو أحمق، فکذا من رجا رحمـة ربه ولم یعمل الصالحات ولم یترک السـیئات، وقد قال تعالی: ((إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ))(4) وقال تعالی:((إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَالَّذِینَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أُولئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ))(5) یعنی أن الرجاء إنما یلیق بمثلهم(6).

ومنهم: العلویـة والهاشـمیة، حیث اغتروا بالنسب وصـلاح الآباء وعلو رتبتهم، وغفلوا عن کونهم مخالفین سـیرة آبائهم فی التقوی والورع، وأنهم لیسوا بأکرم علی الله من آبائهم، وآباؤهم مع غایة التقوی والورع کانوا خائفین

1- سورة الأعراف/ 156.

2- فی الکافی: "من شیء" بدل "شیئا".

3- الکافی، الکلینی:2/68، کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ ذیل الحدیث5.

4- سورة الأعراف/ 56.

5- سورة البقرة/ 218.

6- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/215، بیان آفة العجب. وفیه النص: "یعنی الرجاء الذی یلیق بهم".

باكين(1)، وهم مع غاية المعاصى والمساوئ قد أصبحوا راجين آمنين(2). وربما سول الشيطان لهم أن إنساناً إذا أحب أحداً أحب أولاده تبعاً، وأن الله يحب آباءكم فهو يحبكم تبعاً، فلا يحتاج فى بذل الجهد فى الطاعات وترک المعاصى. وغفلوا عن أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، وأن الله إنما يحب المطيع ويبغض العاصى، وقد قال نوح: رب إن ابنى من أهلى فقال تعالى: ((إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ))(3) وإن إبراهيم استغفر لأبيه فلم ينفعه ذلک(4).

1- فى تفسير علىّ بن إبراهيم: حدّثنى أبى، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبى جعفر عليه السلام: إن صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها. فأقبلت. فقال لها عمر: غطّى قرطک! فإنّ قرابتک من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنفعک شيئا. فقالت له: هل رأيت لى قرطا يا بن اللّخناء!؟ ثمّ دخلت على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم). فأخبرته بذلک و بكت. فخرج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فنادى: الصّلاة جامعة! فاجتمع النّاس. فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتى لا تنفع!؟ لو قد قربت المقام المحمود، لشفعت فى أحوجكم. و الحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة. تفسير القمى، القمى: 1/ 188، تفسير سورة المائدة، أقسام الصوم. وفى مجمع البيان: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): كلّ حسب ونسب منقطع، إلا حسبى ونسبى. مجمع البيان، الطبرسى: 7/211، تفسير سورة المؤمنون. ونشير ههنا بإيجاز أننا أوضحنا منابع المؤلف السيد عبد الله شبر (قدس سره) فى كتابه هذا عن الفيض الكاشانى من مصنفاته، وهذا الأخير قد اعتمد بالأخذ عن الغزالى وقد حدث مزج وخلط بين عقائد المدرستين حين النسخ دون الإشارة إلى ذلک، فأوجزنا الإشارة لعدم الإطالة.

2- إن هذا الكلام مخالف لعقائد الخاصة تماما حيث فيه الإشارة إلى أن آباء العلويين، أى: الأئمة عليهم السلام يصدر منهم الذنب، وهذا مناف للعصمة، لذا ننوه أن الكلام مأخوذ عن العامة فتأمل، والظن بعيد أن يكون رأى السيد المؤلف (قدس سره) أعلاه على ما هو عليه من الورع كما هو مذكور.

3- سورة هود / 46.

4- قال القمى: قال إبراهيم لأبيه إن لم تعبد الأصنام استغفرت لک فلما لم يدع الأصنام تبرأ منه إبراهيم. تفسير القمى، القمى: 1/ 306، مسجد ضرار.

ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه فهو كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالماً بعلم أبيه، ويصل إلى الكعبة ويراها بمسعى أبيه.

فصل: فى غرور أهل العلم

وهم فرق: فمنهم من أحكم العلوم العقلية والشرعية وتعمق فيها وغفل عن تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى وإلزامها الطاعات، وغفل عن أن العلم إذا لم يعمل به كان وزراً ووبالاً ولم يزدد من الله إلا بعداً، و«أن العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»(1)، وأن «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه(2)»(3).

ومنهم: من أحكم العلم والعمل وواظب على الطاعات وترك المعاصى الظاهرة من الجوارح وأهمل تفقد الرئيس ليمحو عنه المعاصى المهلكة والسموم القاتلة التى تفوت حياة الأبد، كالحسد والرياء والحقد والكبر والعجب وحب الجاه ونحوها، وربما لم يعرف حقائق هذه الأمور وأقسامها فضلاً عن علاجها ومعالجتها، وقد أكب على الفضول وترك الفرض، وهو لم يتصف بحقيقة الإنسانية، ويظن أنه قد بلغ من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثله، بل يقبل فى الخلق شفاعته وأنه لا يطالبه بذنوبه لكرامته عند الله.

1- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور الأحسائى: 4 / 66 ـــ 67، الجملة الثانية فى الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه/26.

2- فى المنية: "لم ينفعه علمه".

3- منية المريد، الشهيد الثانى: 135، الباب الأول فى آداب المعلم والمتعلم، القسم الأول آدابهما فى أنفسهما، الأمر الأول.

ومنهم: من علموا هـذه الأخلاـق الباطنـة وعلموا آفاتهـا وكيفياتها إلا أنهم للعجب بأنفسـهم يظنون أنهم منفكون عن الأخلاق المذمومـة، وأنهم أرفع عنـد الله من أن يبتليهم بها وإنما يبتلى بها العوام، ثم إذا ظهر على أحـدهم مخائل الكبر والرئاسة وطلب العلو والشـرف قال: ما هذا كبر وإنما هذا طلب عز الدين وإظهار شـرف العلم ونصـرة دين الله وإرغام أنف المخالفين. ومهما انطلق اللسان بالحسد فى أقرانه وفى من رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلک حسداً، ولكن قال: إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عداوته وظلمه.

ثم لو طعن عليه غيره من أهل العلم لم يكن غضـبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به، وإذا خطر له خاطر الرياء قال: هيهات إنما غرضى من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا إلى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله.

ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان.

وربما يتذكر هذا المعنى فلا يخليه الشـيطان أيضاً، بل يقول: إنما ذاک لأنهم إذا اهتدوا بى كان الأجر والثواب لى، وإنما فرحى بثواب الله لا بقول الخلق.

هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سـريرته، وقد ((زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً))(1) وضل سـعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً(2).

ومنهم: قوم اقتصـروا على علم الفتـاوى والحكومات والخصومات وتفاصـيل المعاملات الدنيويـة الجاريـة بين الخلق لمصالـح المعائش، وصرفوا أعمارهم فى معرفة دقائق السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات الدعاوى والبينات والحيض

1- سورة فاطر/ 8.

2- إشارة إلى قوله تعالى: ((الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)) سورة الكهف/ 104.

والاستحاضة، وضيعوا الأعمال المظاهرة والباطنة، ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى إلى السلاطين، ولم يعالجوا أمراض قلوبهم بالكبر والرياء والحقد والعجب والحسد وسائر المهلكات مما هو من الواجبات العينية، واشتغل بفرض الكفاية والاشتغال بالكفائى(1) قبل الفراغ من العينى(2) معصية.

ومثالهم مثال من به علة البواسير(3) والسرسام(4)، وهو مشرف على الهلاک محتاج إلى تعلم الدواء واستعماله، فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلک ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحيض، ولكن يقول: ربما وقعت الاستحاضة أو الحيض لامرأة تسألنى. وذلک غاية الغرور. وكذلک المتفقه المسكين الذى تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافى فيلقى الله وهو عليه غضبان(5).

1- الواجب الكفائى: الواجب الذى لو قام به البعض بحد الكفاية (أى: بالعدد الكافى) سقط عن الآخرين، كغسل الميت. معجم ألفاظ الفقه الجعفرى، د. أحمد فتح الله: 439.

2- الواجب العينى: ما يكلف به أعيان المكلفين ولا يسقط بفعل بعضهم له عن الباقين، أى: هو الواجب على كل فرد مكلف، كالصلاة. معجم ألفاظ الفقه الجعفرى، د. أحمد فتح الله: 438.

3- الباسور واحد البواسير: وهى كالدماميل فى المقعدة. مجمع البحرين، الشيخ الطريحى: 1/ 198، مادة "بسر".

4- السرسام: حمى دائمة مع صداع وثقل فى الرأس والعين وحمرة فيها شديدة وكراهية الضوء. مفاتيح العلوم، الخوارزمى: 1/ 96، الفصل الثانى فى الأمراض والأدواء.

5- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من تزين للناس بما يحب الله و بارز الله فى السر بما يكره الله لقى الله و هو عليه غضبان و له ماقت. قرب الإسناد، الحميرى: 45.

ومنهم: من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة فی الأهواء والرد علی المخالفین وتتبع مناقضاتهم، واعتقدوا أنه لا یکون للعبد عمل إلا بالإیمان ولا یصلح الإیمان إلا بأن یتعلم جدلهم وما یسمونه أدلة عقائدهم، وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وصفاته منهم، وأنه لا إیمان لمن لا یعتقد مذهبهم ولم یتعلم علمهم، ودعا کل فرقة منهم إلی نفسه، وهم فرق کثیرة یکفّر بعضهم بعضاً ویلعن بعضهم بعضاً، فیهم الأشاعرة(1) والمعتزلة(2) والخوارج(3) والنواصب(4)، وهؤلاء مغرورون.

أما الفرقة الضالة منهم فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة، وأما الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حیث إنها ظنت أن الجدل أهم الأمور وأفضل القربات، وقد ورد فی الحدیث النبوی: «ما ضل قوم قط بعد هدی إلا أوتوا الجدل وحرموا العمل»(5).

1- الأشاعرة: أصحاب أبی الحسن علی بن إسماعیل الأشعری، من أحفاد أبو موسی الأشعری. موسوعة الفرق والجماعات، د. عبد المنعم الحفنی: 82/ الرقم59 الأشعریة.

2- المعتزلة: مدرسة فکریة عقلیة أعطت للعقل القسط الأوفر، ومؤسس المذهب هو واصل بن عطاء تلمیذ الحسن البصری. وللمعتزلة ألقابا: العدلیة، الموحدة، أهل الحق، القدریة. الملل والنحل، جعفر السبحانی: 92 __ 93/ الرقم 11 المعتزلة.

3- الخوارج: هم الذین خرجوا علی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب(علیه السلام)فی صفین بعد قبول التحکیم، ویقال للخوارج: الحروریة أیضا، و النواصب، و الشراة. موسوعة الفرق والجماعات، د.عبد المنعم الحفنی: 348 _ 349/ الرقم 374 الخوارج.

4- النواصب: جمع ناصبی، وهو الغالی فی بغض علی (علیه السلام). موسوعة الفرق والجماعات، د.عبد المنعم الحفنی: 349/ الرقم 374 الخوارج.

5- أنظر: منیة المرید، الشهید الثانی: 171، الباب الأول فی آداب المعلم والمتعلم، النوع الأول آداب اشترکا فیها، الثانی أن لا یسأل أحدا تعنتا وتعجیزا. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 6/ 321، کتاب ذم الغرور.

ومنهم: من اشتغل بالوعظ، وأعلاهم رتبة من يتكلم فى أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرها، ويظن بنفسه أنه إذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق إليها صار موصوفاً بها، وهو منفک عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفک عنه عوام المسلمين، والأكياس يمتحنون أنفسهم فى هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة، ولا يقنعون منها بالتزويق.

ومنهم: من قنع بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم، فهو حافظ للكلمات جاهل بالمعانى غير متصف بما يقول.

ومنهم: من استغرق أوقاته فى علم الحديث(1) وسماعه وطلب الأسانيد

1- الخبرُ والحديثُ: بمعنى: هو كلامٌ يكون لِنسبَته خارجٌ فى أحدِ الأزمنةِ تُطابِقُه أولا. وهو أعمُّ من أن يكون قولَ الرسولِ والإمام والصحابى والتابعى وغيرِهم. وفى معناه فعلُهم وتقريرُهم. وقد يُخَصُّ الثانى بما جاء عن المعصومِ،والأوّلُ بما جاء عن غيرِه،أو يُجعل الثانى أعمَّ مطلقاً. والأثرُ: أعمُّ مطلقاَ. والمتنُ: لفظُ الحديثِ الذى يَتَقَوَّمُ بِه المعنى. والسندُ: طريقُ المتنِ. وقيل: الإخبارُ عن طَرِيقه. والإسنادُ: رَفعُ الحديثِ إلى قائِله. والأولى ردُّ المعنى الثانى إليه أيضاً. ثمّ الخبرُ، مُنحصِرٌ فى الصدقِ والكذبِ فى الأصحِّ؛ لأنّه إن طابَقَ الواقعُ المحكىَّ فالأوّلُ، وإلاّ فالثانى، سواءٌ وافَقَ اعتقادَ المُخبِرِ أم لا، وسواء قصد الخبرَ أم لا. ثمّ قد يُعلم صِدقُه قطعاً ضرورةً، كالمتواتر، وما عُلِمَ وجودُ مخبَرِه كذلک. أو كَسْباً، كخبر الله تعالى، والرسولِ، والإمامِ، والأُمةِ، والمتواترِ معنى، والمحتفِّ بالقرائن، وما عُلِمَ وجودُ مُخبَرِه بالنظر. وقد يُعلم كذبُه كذلک بالمقايسةِ. وقد يحتمل الأمرين، كأكثرِ الأخبارِ. وينقسم مطلقاً إلى متواترٍ، وهو ما بَلَغَتْ رُواتُه فى الكثرةِ مَبْلَغاً أحالَت العادةُ تواطُؤهم على الكَذبِ، واستمرَّ ذلک فى الطبقاتِ حيث تتعدّد، فيكون أوّلُه كآخِره، ووسطُه كَطَرَفَيْه. ولا يَنْحَصِرُ ذلک فى عددٍ خاصٍّ. وشرطُ العِلم به انتفاؤه اضطراراً عن السامعِ، وأن لا تَسْبِقَ شُبهةٌ إلى السامعِ أو تقليدٌ ينافى موجبَ خَبَرِه، واستنادُ المُخْبِرين إلى إحساسٍ. وهو مُتَحَقِّقٌ فى أصولِ الشرائعِ كثيراً، وقليلٌ فى الأحاديث الخاصّةِ وإن تَواتر مدلولُها، حتى قيل: مَن سُئل عن إبرازِ مثال لذلک أعياه طلبُه. وحديثُ (إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ) ليس منه وإن نقله عددُ التواترِ وأكثرُ؛ لأنّ ذلک طَرَأ فى وَسَطِ إسناده. وأكثرُ ما ادّعى تواترهُ من هذا القبيلِ. نعم، حديثُ: «مَن كذب علىّ متعمّداً فَلْيَتَبَوّأ مقعدَه من النارِ» نَقَلَه مِن الصّحابَة الجمُّ الغفيرُ. قيل: أربعون. وقيل: نَيِّفٌ وستّون، ولم يَزَل العددُ فى ازديادٍ. وآحاد، وهو ما لم يَنْتَه إلى المتواترِ منه. ثمّ هو مستفيضٌ إن زادتْ رُواتُه عن ثلاثةٍ،أو اثنين. ويقال له:المشهور أيضاً.وقد يُغايَر بينهما. وغريبٌ إن انفردَ به واحدٌ. وغيرُهما، وهو ما عدا ذلک. فمنه العزيزُ، ومنه المقبولُ، والمردودُ، والمُشْتَبَهُ. والأخبارُ مطلقاً غيرُ منحصرةٍ. ومَن بالغ فى تتبُّعها وحَصْرَها فى عددٍ فَبِحَسَبِ ما وَصَلَ إليه. واعلم أنّ متنَ الحديث نفسه لا مَدْخلَ له فى الاعتبار إلاّ نادراً، بل يَكتَسِبُ صفةً من القوّةِ والضعفِ وغيرِهما بِحَسَبِ أوصافِ الرواةِ مِنَ العَدالَةِ وعَدَمِها، أو الإسنادِ، مِن الاتّصالِ والانقطاعِ والإرسالِ وغيرِها. وتحريرُ البحث عن ذلک ينجرُّ إلى بيان أنواعه من الصحَّةِ وأضدادها، وإلى الجَرْحِ والتعديلِ. والنظرُ إلى كيفيّةِ أخذِه، وطُرقَ تحمُّلِه والبحثِ عن أسماء الرواة وأنسابِهم، ونحوِ ذلک. الرعاية لحال البداية فى علم الدراية، الشهيد الثانى:28_29، المقدمة فى بيان أصوله واصطلاحاته.

الغريبة العالية، وغفل عن التدبر فى دقائق معانيه.

ومنهم: من لم يغفل عن ذلک إلا أنه غفل عما هو أهم منه كما تقدم.

ومنهم: من اشتغل بعلم النحو(1) واللغة(2) والشعر(3) وغريب اللغة(4)، زاعماً أنه من علماء الأمـة المغفور لهم، إذ قوام الدين بالكتاب والسـنة وقوام الكتاب والسـنة بعلم اللغـة والنحو، فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق العربيـة وغريب اللغـة، ومثالهم كمن يفنى عمره فى تعلم الخط وتصـحيح الحروف وتحسـينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابـة فلابـد من تعلمها، ولو عقل لعلم أنه يكفيه أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زائد على الكفاية. بل مثالهم مثال من ضـيع العمر فى تصـحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصـر عليه، وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعانى(5).

1- علم النحو: علم بـأصول تعرف بهـا أحوال أواخر الكلم الثلاث من حيث الإعراب والبناء وكيفيـة تركيب بعضـها مع بعض. الهدايـة فى النحو، المركز العالمى للدراسات الإسلامية: 16، الدرس الأول.

2- قال ابن سيده اللغة:اللسن وحدها أنها:(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) وقال غيره:هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وهى فعلـة من لغوت، أى: تكلمت أصـلها لغوة ككرة وقلـة وثبـة لاماتها كلها واوات، وقال: الجوهر أصـلها لغى أو لغو والهاء عوض زاد أبو البقاء ومصـدره اللغو، وهو الطرح. فالكلام لكثرة الحاجـة إليه يرمى به وحـذفت الواو تخفيفا (ج لغات) قال الجوهرى: وقال بعضـهم: سـمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التى يوقف عليها بالهاء انتهى. تاج العروس، الزبيدى: 10/ 328، مادة "اللغة".

3- الشـعر: كلاـم منظوم بـان عن المنثور الـذى يسـتعمله النـاس فى مخاطباتهم بما خص به من النظم الـذى إن عـدل به عن جهته مجته الأسـماع وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التى هى ميزانه، ومن اضـطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق بها. كتاب عيار الشعر، ابن طباطبا العلوى : 5 ـــ 6، مفهوم الشعر.

4- الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس. غريب الحديث، ابن سلام: 1/1.

5- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشانى: 6/ 302 ـــ 336، كتـاب ذم الغرور. جامع السـعادات، النراقى: 13 ـــ 24. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/ 339 ـــ 353، كتاب ذم الغرور.

فصل: فی غرور أرباب العبادة والعمل

فمنهم: فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل، وربما تعمقوا بالفضائل حتی خرجوا إلی العدوان والسرف، کالذی یغلب علیه الوسوسة(1) فی الوضوء فیبالغ فیه ولا یرتضی الماء المحکوم بطهارته فی فتوی الشرع، ویقدر الاحتمالات البعیدة فی النجاسة قریبة، وإذا آل الأمر إلی أکل الحلال قدر الاحتمالات القریبة بعیدة، وقد یطول الأمر فی وسواسه فی الوضوء والتطهیر حتی تضیع الصلاة ویخرجها عن وقتها.

ومنهم: من غلب علیه الوسوسة فی نیة الصلاة، فتفوته الجماعة ویخرج الوقت، وإن کبر ففی قلبه تردد فی صحّة نیته، ویفوته الحضور والخضوع والخشوع.

ومنهم: من یغلب علیه الوسوسة فی إخراج الحروف فلا یزال یعالجها حتی یذهل عن معانی القرآن.

ومنهم: من اغتر بقراءة القرآن فیهذُّه هذّاً(2)، وربما یختم فی الیوم واللیلة مرة ولسانه یجری به وقلبه یتردد فی أودیة الأمانی، والله تعالی یقول: ((لَوْ أَنْزَلْنا هذَا

1- الوسوسة: حدیث النفس. مختار الصحاح، الرازی: 369، مادة "وسوس". الوسوسة: الکلام الخفی فی اختلاط. وهی: حدیث النفس والأفکار. لسان العرب، ابن منظور: 6/255، مادة "وسس".

2- الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة. لسان العرب، ابن منظور: 3/ 517، مادة "هذذ".

الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ))(1) وقلبه لا يخشى، ولو قرأ قليلاً مع تدبر وتفكر وآداب لكان خيراً من الكثير بدونه.

ومنهم: من اغتر بالمواظبة على الصوم، وعنى نفسه بالجوع والعطش ولم يحفظ لسانه من الغيبة وقلبه من الصفات الخبيثة، فقد أهمل الفرض وطلب النفل(2).

ومنهم: من اغتر بالحج وزيارات المشاهد، فيخرج إلى الحج والزيارة من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال، ويضيع فى الطريق الصلاة، ويعجز عن طهارة الثوب والبدن.

ومنهم: من يتقلد إمامة مسجد أو أذانه ويظن أنه على خير، ولو أمَّ غيره أو أذَّن فى وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان أورع منه وأعلم.

ومنهم: من يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر وينسى نفسه، وإذا أمر عنف وطلب الرئاسة والعز، وإذا ردّ عليه إذا باشر منكراً غضب وقال: أنا المحتسب فكيف ينكر على، وإنما غرضه الرئاسة.

ومنهم: من جاور فى الحرمين أو المشاهد واغتر بذلك ولم يطهر ظاهره وباطنه من الآثام والخبائث، ولم يزل قلبه وعيناه ممتدة إلى أوساخ أموال الناس، وغفل عن أن مجاورته لحب الحمد، ولو لم يعلم أحد بمجاورته لما هانت عليه المجاورة.

ومنهم: من تزهد فى المأكل والملبس والمسكن وظن أنه من الزاهدين فى الدنيا، والله يعلم منه الرغبة فى الرئاسة والجاه والمنزلة فى قلوب الناس الذى هو أعظم لذات الدنيا.

1- سورة الحشر/ 21.

2- الأصل فى النفل: ما تطوع به المعطى مما لا يجب عليه، ومنه قيل لصلاة التطوع: نافلة. غريب الحديث، ابن قتيبة: 1/46، النفل.

ومنهم: من يحرص على التغافل لصلاة الليل وسائر الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة إليها فى أول الوقت.

ومنهم: من أشار إليهم بعض العارفين: قوم تسموا بأهل الذكر والتصوف(1) والمسمون يدعون البراءة من التصنع والتكلف، يلبسون خرقاً ويجلسون حلقاً، يخترعون الأذكار ويتغنون بالأشعار ويعلنون بالتهليل وليس لهم إلى العلم والمعرفة سبيل، ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً(2) واخترعوا رقصاً وتصفيقاً، قد خاضوا الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن، رفعوا أصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء.

ومنهم: من يدعى علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاورة المقام المحمود والملازمة فى عين الشهود، ولا يعرف من هذه الأمور إلا الأسماء، ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها لدى الأغبياء كأنه يتكلم عن الوحى أو يخبر عن السماء، ينظر إلى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول فى العباد إنهم أجراء

1- أصحاب التصوف، وهم: أصحاب الإباحة والقول بالحلول، وكان الحلاج يتخصص بإظهار التشيع، وإن كان ظاهر أمره التصوف، وهم قوم ملحدة وزنادقة، يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم، ويدعون للحلاج الأباطيل، ويجرون فى ذلک مجرى المجوس فى دعواهم لزردشت المعجزات، ومجرى النصارى فى دعواهم لرهبانهم الآيات والبينات، والمجوس والنصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم، و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النصارى والمجوس. بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 25/ 345، كتاب الإمامة، أبواب علامات الإمام وصفاته وشرائطه، باب 10 نفى الغلو فى النبى والأئمة صلوات الله عليه وعليهم وبيان معنى التفويض وما لا ينبغى أن ينسب إليهم، فصل فى بيان معنى التفويض ومعانيه.

2- نهاق الحمار: صوته. وقد نهق ينهق وينهق نهيقا ونهاقا. الصحاح، الجوهرى: 4/ 1562، مادة "نهق". النهيق: صوت الحمار. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 361، مادة "نهق".

متعبون وفی العلمـاء إنهم بالحـدیث عن الله لمحجوبون، ویـدعی لنفسه من الکرامـات ما لا یـدعیه ملک مقرب، لا علماً أحکم ولا عملاً هـذَّب، یأتی إلیه الجمع الرعاع الهمـج من کل فـج أکثر من إتیانهم مکـة للحـج، یزدحم إلیه الجمع ویلقون إلیه السـمع، وربما یخرون له سجوداً کأنهم اتخـذوا معبوداً، یقبلون یـدیه ویتهافتون علی قدمیه، یأذن لهم فی الشـهوات ویرخص لهم فی الشـبهات، یأکل ویأکلون کما تأکـل الأنعـام ولا یبالون من حلال أصابوا أم من حرام، وهو لحلوائهم هاضم ولـدینه وأدیانهم حاطم، ((لِیَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ کامِلَـةً یَوْمَ الْقِیامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ)) (1).(2)

فصل: فی غرور أرباب الأموال

فمنهم: من یحرص علی بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما یظهر للناس کافة ویکتبون أسـماءهم بالآجر علیها لیتخلد ذکرهم ویبقی بعد الموت أثرهم، ویظنون أنهم قد استحقوا المغفرة وهم مغرورون لوجهین:

أحدهما: إنهم اکتسبوها من الشبهات إن خلصوا من الحرام.

والثانی: إن الریاء قد غلب علیهم، إذ لو کلف أحدهم أن ینفق دیناراً ولا یکتب اسـمه علی الموضع أو لا یعرف لم تسـمح نفسه بذلک والله مطلع علیه کتب اسـمه أو لم یکتب، فلولا أنه یرید وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلی ذلک، وربما یکون فی جوار أحدهم أو فی بلده فقیر وصرف المال إلیه أهم من الصرف إلی المساجد وزینتها.

1- سورة النحل/ 25.

2- انظر: المحجـة البیضاء، الفیض الکاشانی: 6/ 337 ـــ 344، کتاب ذم الغرور. جامع السعادات، النراقی: 3/ 25 ـــ 31. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 353 ـــ 359، کتاب ذم الغرور.

ومنهم: من ينفق الأـموال فی الصـدقات وعلی الفقراء والمساکین ولکن یطلب به المحافل الجامعـة ومن الفقراء من عادته الشـکر والإفشاء للمعروف، ویکرهون التصدق فی السر أو صرفه إلی غیر أولئک أو إلی غیر أصدقائهم والمترددین إلیهم مع کونهم أهم. وبعضهم یری إخفاء الفقیر لما أخذ منه جنایة عظیمة وکفراناً.

ومنهم: من یحرص علی إنفاق ماله فی الحج والزیارات، وربما یترکون أرحامهم وجیرانهم جائعین.

ومنهم: من یحفـظ ماله ویمسـکه بحکم البخل ثم یشـتغل بالعبادات البدنیـة التی لا یحتاج فیها إلی نفقـة کصـیام النهار وقیام اللیل وختم القرآن وهو یظن أنه علی خیر لأـن البخل المهلک قـد اسـتولی علی باطنه، وهم أحوج إلی قمعه بإخراج المال من طلب الفضائل. ومثالهم مثال من دخل فی ثوبه حیة وقد أشرف علی الهلاک وهو مشغول بصنع المبردات لیسکن به الصفراء.

ومنهم: من غلب علیه البخل، فلا تسـمح نفسه إلا بأداء الزکاة فقط ثم یخرجها من المال الخبیث الردیء الـذی یرغب عنه، ویخص بها من الفقراء من یخدمه ویتردد فی حوائجه ویظن أنه أداها لله(1).

وأصناف الغرور لا تحصی فلیتحذر منها. وفی مصباح الشریعة قال الصادق علیه السلام: المغرور فی الدنیا مسکین وفی الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنی.

ولا تعجب من نفسک حیث ربما اغتررت بمالک وصحة جسمک لعلک تبقی وربما اغتررت بطول عمرک وأولادک وأصحابک لعلک تنجو بهم، وربما اغتررت بحالک ومنیتک وإصابتک مأمولک وهواک وظننت أنک صادق ومصیب، وربما

1- أنظر: المحجـة البیضاء، الفیض الکاشانی: 6/ 344 ـــ 348، کتاب ذم الغرور. جامع السعادات، النراقی:3/ 31 ـــ 33. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 3/ 359 ـــ 362 ، کتاب ذم الغرور.

اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرک فی العبادة ولعل الله یعلم من قلبک بخلاف ذلک، وربما أقمت نفسک علی العبادة متکلفاً والله یرید الإخلاص، وربما افتخرت بعلمک ونسبک وأنت غافل عن مضمرات ما فی علم الله، وربما توهمت أنک تدعو الله وأنت تدعو سواه، وربما حسبت أنک ناصح للخلق وأنت تریدهم لنفسک أن یمیلوا إلیک، وربما ذممت نفسک وأنت تمدحها فی الحقیقة.

واعلم أنک لن تخرج من ظلمات الغرور والتمنی إلا بصدق الإنابة إلی الله والإخبات له ومعرفة عیوب أحوالک من حیث لا یوافق العقل والعلم ولا یحتمله الدین والشریعة وسنن القدوة وأئمة الهدی، وإن کنت راضیاً بما أنت فیه فما أحد أشقی بعلمک منک وأضیع عمراً، فأورثت حسرة یوم القیامة(1).

1- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 142 ـــ 143، الباب السابع والستون فی الغرور. وفیه النص: «قال الصادق علیه السلام: المغرور فی الدنیا مسکین و فی الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنی ولا تعجب من نفسک فربما اغتررت بمالک وصحة جسدک لعلک أن تبقی و ربما اغتررت بطول عمرک وأولادک و أصحابک لعلک تنجو بهم و ربما اغتررت بجمالک ومنبتک وإصابتک مأمولک وهواک فظننت أنک صادق ومصیب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم علی تقصیرک فی العبادة ولعل الله تعالی یعلم من قلبک بخلاف ذلک وربما أقمت نفسک علی العبادة متکلفا والله یرید الإخلاص وربما توهمت أنک تدعو الله وأنت تدعو سواه وربما حسبت أنک ناصح للخلق وأنت تریدهم لنفسک أن یمیلوا إلیک وربما ذممت نفسک وأنت تمدحها علی الحقیقة واعلم أنک لن تخرج من ظلمات الغرور والتمنی إلا بصدق الإنابة إلی الله تعالی والإخبار له ومعرفة عیوب أحوالک من حیث لا یوافق العقل والعلم و لا یحتمله الدین والشریعة وسنن القدوة وأئمة الهدی وإن کنت راضیا بما أنت فیه فما أحد أشقی بعلمه وعمله منک وأضیع عمرا فأورثت حسرة یوم القیامة». أوردنا النص لأهمیته ولاعتماد السید المؤلف علیه من مصباح الشریعة للإمام الصادق علیه السلام، وقد نسخ الحدیث فی المتن باختلاف فی ألفاظه فذکرناه لإتمام الفائدة.

الركن الرابع: فى المنجيات وفيه أبواب

اشارة

الباب الأول: التوبة

اشارة

فی التوبة وفیه فصول

الفصل الأول: فی حقیقة التوبة

وهی عبارة عن معنی ینتظم من ثلاثـة أمور مترتبة: أولها العلم، وثانیها الحال، وثالثها الفعل. والأول موجب للثانی، والثانی موجب للثالث. والمراد بالعلم معرفة ضرر الذنوب وأنها السمومات المهلکة للدین المفوتة لحیاة الأبد، الحاجبة للعبد عن محبوبه من السعادة الأبدیة.

ثم یحصل من هذا العلم حال، وهو أن یثور من هذه المعرفة تألم القلب بسـبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، وینبعث من هـذا الألم فی القلب حالـة أخری تسـمی إرادة وقصداً إلی فعل له تعلق بالحال بترک الذنب الذی کان له ملابساً، وبالاسـتقبال بالعزم علی ترک الذنب المفوت للمحبوب إلی آخر العمر، وبالماضی بتلافی ما فات بالجبر والقضاء إن کان قابلاً للجبر.

والعلم الأول هو مطلع هذه الخيرات، وهو عبارة عن الإيمان والتصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، وإذا أشرق على القلب ثار الندم الباعث على ما تقدم. وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترک كالثمرة والتابع، وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وآله وسلم: الندم توبة(1). إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه.

الفصل الثانی: فی وجوبها وفضلها

لا ريب فی وجوب الإحتراز عن الأمراض والمهالک المفوتة لحياة الجسد عقلاً وشرعاً، فوجوب الاحتراز عن أمراض الذنوب ومهلكات الخطايا المفوتة لحياة الأبد بطريق أولی، وقال تعالی: ((تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))(2) وقال تعالی: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ))(3) والنصوح الخالص لله الخالی عن الشوائب. وقال تعالی: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ(4))(5).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنبه له(6).

1- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق:4/380، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم/ ح49.

2- سورة النور/ 31.

3- سورة التحريم/ 8.

4- فی النص القرآنی: "المتطهرين".

5- سورة البقرة/ 222.

6- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 7/7، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها. إحياء علوم الدين، الغزالی:4/5، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها.

وقال الباقر علیه السلام: الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده فی لیلة ظلماء فوجدها، فالله تعالی أشد فرحاً لتوبة عبده من ذلک الرجل براحلته حین وجدها(1).

وقال الصادق علیه السلام: إن الله(2) یفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب کما یفرح أحدکم بضالته إذا وجدها(3).

وعنه علیه السلام(4) فی قوله تعالی: ((تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً))(5) قال: هو الذنب الذی لا یعود فیه أبداً. قیل: وأینا لم یعد؟ قال: یا فلان إن الله یحب من عباده المفتن التواب ـــ یعنی کثیر الذنب کثیر التوبة(6).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم(7): إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر علیه. قیل: وکیف یستر علیه؟ قال: یُنسی ملکیه ما کانا یکتبان علیه، ویوحی الله إلی جوارحه وإلی بقاع الأرض أن اکتمی علیه ذنوبه، فیلقی الله تعالی حین یلقاه ولیس شیء یشهد علیه بشیء من الذنوب(8).

وقال الباقر علیه السلام: التائب من الذنب کمن لا ذنب له، والمقیم علی الذنب وهو یستغفر(9) منه کالمستهزئ(10).

1- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/435، کتاب الإیمان والکفر، باب التوبة/ح8.

2- فی الکافی: "إن الله عزّوجل".

3- الکافی، الکلینی: 2/ 436، کتاب الإیمان والکفر، باب التوبة / ح13.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- سورة التحریم/ 8.

6- أنظر: الزهد، الأهوازی: 72، باب 12 التوبة والاستغفار والندم والإقرار/ ح191.

7- فی الکافی الحدیث یرویه معاویة بن وهب عن الإمام الصادق علیه السلام.

8- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/436، کتاب الإیمان والکفر، باب التوبة/ ح12.

9- فی الکافی: "مستغفر".

10- الکافی، الکلینی: 2/ 435، کتاب الإیمان والکفر، باب التوبة/ ح10.

الفصل الثالث: فی فوریتها

أما فوریتها فلا ریب فیها، لأن دفع ضرر الذنوب فوری وجوبه، علی أن أصل التوبة هو معرفة کون المعاصی مهلکات، وهذا العلم من نفس الإیمان، وهو واجب فوری.

والعلم بضرر الذنوب إنما أرید لیکون باعثاً علی ترکها، فمن لم یترکها فهو فاقد لهذا الجزء من الإیمان، وهو المراد بقوله صلی الله علیه وآله وسلم: «لا یزنی الزانی حین یزنی وهو مؤمن»(1). إذ لیس المراد نفی الإیمان بالله وصفاته وکتبه ورسله وملائکته، بل نفی الإیمان بکون الزنا مبعداً عن الله وموجباً للمقت، کما إذا قال الطبیب هذا سم فلا تتناوله، فإذا تناوله یقال تناول وهو غیر مؤمن، أی بقوله إنه سم مهلک، لا إنه غیر مؤمن بوجود الطبیب، لأن العالم بالسم لا یتناوله أصلاً، فالعاصی بالضرورة ناقص الإیمان.

ولیس الإیمان باباً واحداً، بل هو نیف وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذی عن الطریق. ومثله قول القائل: لیس الإنسان موجوداً واحداً بل هو نیف وسبعون موجوداً أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذی عن البشرة، بأن یکون مقصوص الشارب مقلم الأظفار نقی البشرة عن الخبث، حتی یتمیز عن البهائم المتلوثة بأرواثها المستکرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها.

فالإیمان کالإنسان، وفقد شهادة التوحید یوجب البطلان بالکلیة کفقد الروح والذی لیس له إلا شهادة التوحید والرسالة کالإنسان مقطوع الأطراف مفقود العینین فاقد لجمیع أجزائه الظاهرة والباطنة إلا أصل الروح.

1- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 4/ 22، باب ما جاء فی الزنا / ح11.

وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التى تخلف عنها الأعضاء التى تمدها وتقويها، فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان، وهو مقصر فى الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدر منها الرياح العاصفة المحركة للإيمان فى مقدمة قدوم ملك الموت وورود، فكل إيمان لم يثبت فى النفس أصله ولم تنتشر فى الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقى بماء الطاعات على توالى الأيام والساعات حتى رسخ وثبت.

وإنما انقطعت نياط(1) العارفين خوفاً من دواهى(2) الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها إلا الأقلون، فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيه اختيار الأطباء ولا ينفع بعده الاحتماء، فلا ينفع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين، ويحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين(3).

الفصل الرابع: فى عمومها

إعلم أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال، فلا ينفك أحد عنه البتة، قال تعالى: ((وتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً))(4) فعمم الخطاب، وكل إنسان لا يخلو

1- النيط: نياط القلب، وهو العرق الذى القلب معلق به. النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير: 5/141، مادة "نيط".

2- الداهية: الأمر العظيم، ودواهى الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه. ويقال: دهته داهية دهواء ودهياء، وهو: توكيد لها، ويقال: ما دهاك، أى: ما أصابك. مختار الصحاح، الرازى: 118، مادة "دهى".

3- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7 / 5 __ 15، كتاب التوبة. جامع السعادات، النراقى: 3 / 51 __ 60. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4 / 4 __ 8، كتاب التوبة.

4- سورة النور/ 31.

عن معصـية بجوارحه، فإن خلا فی بعض الأحوال عن معصـية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، فإن خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشـيطان بـإيراد الخواطر المتفرقـة المذهلـة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن الغفلـة والقصور فی العلم بالله وصـفاته وآثاره بحسب طاقته، وكل ذلک نقص وله أسباب وترک أسبابه بتشاغل أضدادها رجوع عن طريق إلی ضده.

والمراد بالتوبة الرجوع، ولا يتصور الخلو فی حق الآدمی عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون فی المقادير، وأما الأصل فلا بد منه.

إلا أن الأنبياء والأوصـياء ذنوبهم ليست كذنوبنا(1)، فإنما هی ترک دوام الذكر والاشـتغال بالمباحات وحرمانهم زيادة الأجر بسـبب ذلک، ولهذا ورد: إن «حسنات الأبرار سيئات المقربين»(2) وقال الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلی الله ويستغفره فی كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب(3) ـــ أی كذنوبنا، فإن ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله.

وهذا باب شريف ينفتح منه معانی اعتراف الأنبياء والأئمة عليهم السلام بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم(4).

1- أنظر: الحديث التالی لتستبين أن ليس للمعصومين عليهم السلام من ذنب.

2- كشف الغمة، الأربلی : 2/ 254 .

3- الكافی، الكلينی: 2/ 450، كتاب الإيمان والكفر، باب نادر/ ح2.

4- هـذا مشابه لبحث النسب الآنف الذكر، وهو مما اختلط بين عقائد المدرستين حينما تم الإعتماد من قبل السـيد المؤلف (قدس سـره) علی منابع العامة فی أصل فكرة البحث، وهذا القول مخالف لعقائد الخاصة ومخالف للعصمة، لذا نوهنا عنه.

ثم اعلم أنه لا يكفى فى تدارک الشـهوات ترکها فى المستقبل، بل لابد من محو آثارها التى انطبعت فى القلب بنور الطاعات، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أتبع السيئة بالحسنة تمحها(1).

وينبغى أن تكون الحسـنة الماحية للسـيئة مناسـبة لتلک السيئة، فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وحضور المجالس التى يذکر الله فيها وأنبياؤه وخلفاؤه(2)، ويكفر القعود بالمسجد جنباً(3) بالعبادة فيه ونحو ذلک، وليس ذلک شرطاً.

روى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى عالجت امرأة فأصبت منها کل شىء إلا المسيس فاقض على بحکم الله. فقال: أما صليت معنا؟ فقال: بلى. فقال: إن الحسنات يذهبن السيئات(4).

1- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 89 ـــ 90، باب العتاب. وفيه: "اتبع السيئة الحسنة تمحها".

2- المقصود بهم الأئمة عليهم السلام وليس سواهم.

3- الأصل فى المساجـد مع المجنب قوله تعالى: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُـكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلاَّ عـابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِـلُوا...الآية)) سورة النساء/ 43، وعن أبى جعفر عليه السـلام فى الآيـة قـال: أن معناه لا تقربوا مواضع الصـلاة من المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين. وسائل الشيعة، الحر العاملى: 2/10، کتاب الطهارة، باب 15 جواز مرور الجنب والحائظ فى المساجد إلا المسـجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ ح20. وأمـا القعود فهو منهى عنه فى المساجـد على جنب، وحيث الأخذ عن الغزالى فقد مزج القول ههنا بين عقائد الخاصة والعامة، وإلى هذا أشرنا للتنبيه مکررا.

4- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الکاشانى: 7/ 85، کتاب التوبـة، بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 42، کتاب التوبة، بيان ما ينبغى إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحکم الاتفاق.

وينبغى أن يكون عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، قال الله تعالى: ((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ... (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ))(1). قال الصادق عليه السلام: ذلك إذا عاين أمر الآخرة(2)، وذلك أن التوبة مقبولة قبل أن يعاين(3).

وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم(4) قال: من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين: أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى حتى يصير ريناً(5) وطبعاً فلا يقبل المحو. والثانى أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو(6). ولذلك ورد فى الخبر: «إن أكثر صياح أهل النار التسويف(7)»(8).

1- سورة النساء/ 17 ـــ 18. والنص فى القرآن الكريم: ((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلئِکَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ أُوْلئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)).

2- تفسير الأصفى، الفيض الكاشانى: 1/ 200، تفسير سورة النساء. تفسير كنز الدقائق، المشهدى: 2/ 395، تفسير سورة النساء.

3- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/ 440، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عزّوجل آدم عليه السلام وقت التوبة/ ح2.

4- فى الإحياء ورد النص عن النبى لقمان عليه السلام من مواعظه لابنه.

5- الرين: الطبع على القلب، ران يرين على قلبه، أى: طبع. كتاب العين، الفراهيدى: 8/ 277، مادة "رين".

6- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 11 ـــ 12، كتاب التوبة، بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفک عنه أحد البتة.

7- فى الإحياء: "من التسويف".

8- إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 12، كتاب التوبة، بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفک عنه أحد البتة.

الفصل الخامس: فی قبول التوبة

قال فی الإحیاء(1): إعلم أنک إذا فهمت معنی القبول لم تشک فی أن کل توبة صحیحة فهی مقبولة، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن کل قلب سلیم مقبول عند الله ومتنعم فی الآخرة فی جوار الله، ومستعد لأن ینظر بعینه الباقیة إلی وجه الله، وعلموا أن القلب خلق سلیماً فی الأصل، فکل مولود یولد علی الفطرة(2) وإنما تفوته السلامة بکدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها.

وعلموا أن نار الندم تحرق تلک الغبرة، وأن نور الحسنة تمحو عن وجه القلب ظلمة السیئة، وأنه لا طاقة لظلام المعاصی مع نور الحسنات کما لا طاقة لظلام اللیالی مع نور النهار، بل کما لا طاقة لکدورة الوسخ مع بیاض الصابون، فکما أن الثوب الوسخ لا یقبله الملک لأن یکون لبسه، فالقلب المظلم لا یقبله الله تعالی لأن یکون فی جواره، وکما أن استعمال الثوب فی الأعمال الخسیسة یوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ینظفه لا محالة فاستعمال القلب فی الشهوات یوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم تنظفه وتطهره وتزکیه.

وکل قلب زکی طاهر فهو مقبول، فعلی الإنسان التزکیة والتطهیر وعلی الله القبول، إلا أن یغوص الوسخ لطول تراکمه فی تجاویف الثوب وخلله، فلا یقوی الصابون علی قلعه. ومثال ذلک أن تتراکم الذنوب حتی یصیر طبعاً وریناً علی القلب، فمثل هذا القلب لا یرجع ولا یتوب.

1- کتاب إحیاء علوم الدین للغزالی.

2- قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «کل مولود یولد علی الفطرة». الکافی،الکلینی:2/13،کتاب الإیمان والکفر،باب فطرة الخلق علی التوحید/ذیل الحدیث4.

نعم قد يقول باللسان تبت، فيكون ذلک كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب، وذلک لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه(1)، قال الله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِی يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ))(2) وقال: ((غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ))(3).

أقول: من طريق الخاصة(4) فی الكافی(5) عن الصادق أو الباقر عليه السلام: إن الله

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/ 12، كتاب التوبة، بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهی مقبولة.

2- سورة الشورى/ 25.

3- سورة غافر/ 3.

4- قال الفاضل الهندی: الخاصة، أی:الإمامية،فإنهم خواص الناس بالله ورسولهصلی الله عليه وآله وسلم والأئمةعليهم السلام. كشف اللثام، الفاضل الهندی: 1/ 110. ولعل الفاضل الهندی اعتمد فی تعريفه علی منقولة عمار بن ياسر والتی فيها أن الشيعة هم الخاصة، ونصها: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى،عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى،عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلاّرٍ أَبِی عَمْرَةَ،عَنْ أَبِی مَرْيَمَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله عليه وآله وسلم إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الشِّيعَةَ الْخَاصَّةَ الْخَالِصَةَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرِّفْنَاهُمْ حَتَّى نَعْرِفَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله عليه وآله وسلم: مَا قُلْتُ لَكُمْ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله عليه وآله وسلم: أَنَا الدَّلِيلُ عَلَى اللَّهِ عزّوجل وَعَلِيٌّ نَصْرُ الدِّينِ وَ مَنَارُهُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الَّذِينَ يُسْتَضَاءُ بِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُوَافِقاً لِهَذَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله عليه وآله وسلم مَا وُضِعَ الْقَلْبُ فِی ذَلِکَ الْمَوْضِعِ إِلاَّ لِيُوَافِقَ أَوْ لِيُخَالِفَ فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُوَافِقاً لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ كَانَ نَاجِياً وَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُخَالِفاً لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ كَانَ هَالِكاً». الكافی، الكلينی: 8/ 333، كتاب الروضة، حديث الفقهاء والعلماء/ ح 518.

5- كتاب الكافی، للشيخ محمد بن يعقوب الكلينی، قيل فيه: قال الشيخ المفيد، 413 هـ: "وهو من أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة". وقال الشهيد محمد بن مكی، 786 هـ، فی إجازته لابن الخازن: "كتاب الكافی فی الحديث الذی لم يعمل الإمامية مثله". وقال المولی محمد أمين، 1036هـ: "سمعنا من مشايخنا وعلمائنا انه لم يصنف فی الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه". قال الفيض: "الكافی .. أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها،لاشتماله علی الأصول من بينها وخلوه من الفضول وشينها". الشيخ الكلينی البغدادی وكتابه الكافی، ثامر العميدی: 154 ـــ 155، المبحث الثانی شهرة الكتاب.

عزّوجـل قال لآدم عليه السـلام: جعلت لک أن من عمل من ذريتک سـيئة ثم اسـتغفر غفرت له. قال: يا رب زدنی. قال: جعلت لهم التوبة حتی تبلغ النفس هذه. قال: يا رب حسبی(1).

وعن الباقر عليه السلام قال: إذا بلغت النفس هذه ــ وأومأ(2) بيده إلی حلقه ــ لم يكن للعالم توبة وكان للجاهل توبة(3).

وعن الصادق عليه السـلام قال: قال رسول الله صـلی الله عليه وآله وسلم: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثير من تاب قبل موته بشـهر قبل الله توبته ثم قال: إن الشـهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: وإن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته(4).

1- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 440، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطی الله عز و جل آدمعليه السلام وقت التوبة/ح1.

2- فی الكافی: "وأهوی".

3- الكافی، الكلينی: 2/440، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطی الله عزّوجل آدم عليه السلام وقت التوبة/ ح3.

4- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 440، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطی الله عزّوجل آدمعليه السلام وقت التوبة/ ح2.

وزاد فی روایة الصدوق(1): من تاب قبل موته بساعـة تاب الله علیه، ثم قال: وإن الساعـة لکثیر من تاب وقد بلغت نفسه هنا ___ وأشار بیده إلی حلقه ___ تاب الله علیه(2).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: لو عملتم الخطایا حتی تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله علیکم(3).

وقال الباقر علیه السلام لمحمد بن مسلم(4): ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فلیعمل المؤمن لما یسـتأنف بعـد التوبة والمغفرة، أما والله إنها لیست إلا لأهل الإیمان. قلت: فإن عاد بعـد التوبة والاسـتغفار فی الذنوب وعاد فی التوبة؟ فقال علیه السـلام: أتری العبد المؤمن یندم علی ذنبه ویستغفر الله منه ویتوب ثم لا یقبل الله توبته. قلت: فإنه فعل ذلک مراراً یذنب ثم یتوب ویستغفر؟ فقال: کلما عاد المؤمن

1- محمـد بن علی بن الحسـین بن موسـی بن بابویه القمی، أبو جعفر، نزیل الری، شـیخنا وفقیهنا ووجه الطائفـة بخراسان. ورد بغداد سـنة خمس وخمسـین وثلاثمائة، وسـمع منه شیوخ الطائفة وهو حدث السن، کان جلیلا حافظا للأحادیث، بصیرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم یر فی القمیین مثله فی حفظه وکثرة علمه، له نحو من ثلاثمائـة مصـنف، ذکرنا أکثرها فی کتابنا الکبیر، مات رضـی الله عنه بالری سـنة إحـدی وثمانین وثلاثمائة. خلاصة الأقوال، العلامة الحلی: 248/ الرقم 45.

2- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 133، باب غسل المیت/ ح9.

3- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 13، کتاب التوبة، بیان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهی مقبولة لا محالة.

4- محمـد بن مسـلم بن رباح: أبو جعفر الأوقص الطحان، مولی ثقیف الأعور وجه من أصـحابنا بالکوفة، ورع، فقیه، صاحب أبا جعفر وأبا عبد الله علیهما السـلام، وروی عنهما، وکان من أوثق الناس. رجال العلامة، العلامة الحلی: 149، القسم الأول فیمن أعتمد علیه. الفصل الثالث والعشرون، الباب الأول محمد/ الرقم 59.

بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، ((وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))(1) يقبل التوبة ويعفو عن السيئات(2).(3)

وقال الصادق عليه السلام: إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة. قيل(4): يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال: نعم، إنه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة(5).

الفصل السادس: فى تقسيم الذنوب التى يثاب منها

وتنحصر جميع الذنوب فى أربع صفات: صفات ربوبية، وشيطانية، وبهيمية، وسبعية.. لكون طينة الإنسان معجونة من أخلاط مختلفة(6) يقتضى كل منها أثراً:

1- سورة المائدة / 98.

2- إشارة إلى قوله تعالى:((وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ)) سورة الشورى/25.

3- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/ 434، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة/ ح6.

4- فى الكافى: "قلت" بدل "قيل".

5- الكافى، الكلينى: 2/ 426، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب/ ح3.

6- رأى ديمقريطيس وشيعته: يقول فى المبدع الأول: إنه ليس هو العنصر فقط، ولا العقل فقط، بل الأخلاط الأربعة، وهى: الأسطقسات، أوائل الموجودات كلها. الملل والنحل، الشهرستانى:171، الفصل الثانى الحكماء الأصول،الرقم 4 رأى ديمقريطيس وشيعته. الطبائع، أى: الأخلاط الأربعة، أو الأمزجة الأربعة، من الحار والبارد والرطب واليابس، أو الأربعة المركبة من الحار اليابس والحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب. تحب ما يشاكلها، أى: تطلب ما يوافقها فصاحب المزاج الحار يطلب البارد والرطب يطلب اليابس، وهكذا. بحار الأنوار، العلامة المجلسى: 59/331، كتاب السماء والعالم، باب 90 الرسالة الذهبية، ذكر فصول السنة.

فالربوبية كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها، وهذه أم المهلكات.

والشيطانية كالحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة.

والبهيمية كالشره والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام ونحوها.

والسبعية يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها.

ثم هذه أمهات الذنوب ومنابعها، وتنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها فى القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن.

وتنقسم قسمة ثانية إلى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد: فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم ونحوهما، وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم العرض.

وتنقسم قسمة ثالثة إلى كبائر وصغائر، قال الله تعالى: ((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ))(1) وقال تعالى: ((والَّذِينَ(2) يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ))(3).

1- سورة النساء/31.

2- فى النص القرآنى: "الذين" بلا "واو".

3- سورة النجم/ 32.

وقد اختلفت الأقوال والأخبار فی تعیین الکبائر، والأشـهر أنها ما توعد الله علیه النار. فعن الصادق علیه السـلام فی قوله تعالی: ((إِن تَجْتَنِبُواْ کَبَآئِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ))(1) قال: الکبائر التی أوجب الله علیها النار(2).

وفی الصحیح(3) عن أبی جعفر الثانی(4) قال: سمعت أبی(5) یقول: سمعت أبی موسی بن جعفر یقول: دخل عمرو بن عبید(6) علی أبی عبد الله علیه السلام، فلما

1- سورة النساء/ 31.

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 276، کتاب الإیمان والکفر، باب الکبائر/ ح1.

3- تم بیان معنی الصحیح فیما تقدم.

4- قـال الطبرسـی فی ذکر الإمـام التقی أبی جعفر محمـد بن علی علیه السـلام: «لقبه التقی والمنتجب والجواد والمرتضـی، ویقال له: أبو جعفر الثانی». إعلام الوری، الطبرسی: 345، الرکن الثالث فی ذکر الأئمة من أبناء أمیر المؤمنین علیهم السلام، الباب الثامن فی ذکر الإمام التقی أبی جعفر محمد بن علی علیه السلام، الفصل الأول فی تاریخ مولده ومبلغ سنه ووقت وفاته.

5- أی: "الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام".

6- هو: عمرو بن عبید البصـری کما ذکره: من لا یحضـره الفقیه، الشـیخ الصدوق: 3/563، باب معرفة الکبائر/ ح2. علل الشرائع، الشیخ الصدوق: 2/ 391، باب 131 العلـة التی من أجلها حرم الله تعالی الکبائر/ح1. عیون أخبار الرضا علیه السـلام، الشیخ الصدوق: 1/285 __ 286، باب 28 فیمـا جاء عن الإمام علی بن موسـی الرضا علیه السـلام/ ح33. عده الشـیخ من أصـحاب الإمام الصادق علیه السلام. رجال الطوسی، الشیخ الطوسی: 250، باب العین/ الرقم 412. قال القمی: کان من أصـحاب أبی الحسن البصری وتلامیذه. قیل: کان أبوه شرطیـا، وکان عمرو متزهـدا فکانا إذا اجتازا معا علی الناس قالوا: هـذا شـر الناس أبو خیر الناس. مات عمرو فی سـنة 144، وهو ابن أربع وستین سنة. واحتجاج هشام بن الحکم علیه فی مسجد البصرة فی سؤاله: ألک عین؟ الخ مشهور. الکنی والألقاب، الشیخ عباس القمی: 1/ 155 __ 156، أبو مروان.

سلم وجلس تلا هـذه الآية ((الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ))(1) ثم أمسک، فقال له عليه السـلام ما أسكتک؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراک بالله يقول الله ((مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ))(2)، وبعده اليأس من روح الله لأـن الله يقول: ((إِنَّهُ لاـ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ))(3)، ثم الأـمن من مكر الله لأن الله تعالى يقول: ((فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ))(4)، ومنهـا عقوق الوالـدين لأـن الله جعل العاق جباراً شـقياً وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق لأن الله تعـالى يقول: ((فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا))(5) الآيـة، وقـذف المحصـنة لأـن الله تعـالى يقول: ((لُعِنُوا فِى الـدُّنْيَا وَالآـخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))(6)، وأكـل مـال اليتيم لأـن الله يقول: ((إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً))(7)، والفرار من الزحـف لأـن الله يقول: ((وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))(8)، وأكل الربا لأن الله يقول: ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ))(9)، والسحر لأن الله يقول:((وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ

1- سورة النجم/32.

2- سورة المائدة/ 72.

3- سورة يوسف/ 87.

4- سورة الأعراف/ 99.

5- سورة النساء/ 93.

6- سورة النور / 23 .

7- سورة النساء/ 10.

8- سورة الأنفال/ 16.

9- سورة البقرة/ 275.

مِنْ خَلاقٍ))(1)،والزنا لأن الله يقول:((وَمَن يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ أَثامًا (68) يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً))(2)، واليمين الغموس الفاجرة لأن الله يقول: ((الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِی الآخِرَةِ))(3)، والغلول لأن الله يقول: ((وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ به(4) يَوْمَ الْقِيامَةِ))(5)، ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول: ((فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ))(6)، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة لأن الله يقول: ((وَمَن يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ))(7)، وشرب الخمر لأن الله تعالى نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترک الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«من ترک الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله»، ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله يقول: ((لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ))(8). قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه، وهو يقول: هلک من قال برأيه ونازعكم فی الفضل والعلم(9).

فإن قيل: كيف ورد الشرع بما لم يبين حده، والكبائر مبهمة قد اختلفت فی الأخبار؟.

1- سورة البقرة/ 102.

2- سورة الفرقان/ 68 __ 69.

3- سورة آل عمران/ 77.

4- ليس فی النص القرآنی: "به".

5- سورة آل عمران/ 161. ونصها:((وَما كانَ لِنَبِیٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)).

6- سورة التوبة/ 35.

7- سورة البقرة/ 283.

8- سورة الرعد/ 25.

9- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 285 __ 287،كتاب الإيمان والكفر،باب الكبائر/ح24.

فـالجواب: إن كـل ما لا يتعلق به حكم فى الـدنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام، والكبيرة على الخصوص لا حكم لها فى الـدنيا من حيث إنها كبيرة، فإن موجبات الحـدود معلومة بأساميها، وإنما حكم الكبيرة أن اجتنابها يكفر الصـغائر(1) وأن الصـلوات الخمس لا تكفرها، كما فى الحديث النبوى: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنب الكبائر»(2).

وهـذا أمر يتعلق بالآـخرة والإبهام به أليق حتى يكون الناس على حـذر ووجل، فلا يتجرأون على الصـغائر اعتماداً على الصـلوات الخمس واجتناب الكبائر، ثم اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة(3).

1- قال الشـيخ الطوسـى: فعلى مـذهب المعتزلـة: من اجتنب الكبائر، وواقع الصـغائر، فان الله يكفر الصـغائر عنه، ولا يحسن مع اجتناب الكبائر عندهم المؤاخذة بالصـغائر، ومتى آخذه بها كان ظالما. وعندنا: أنه يحسن من الله تعالى أن يؤاخذ العاصـى بأى معصـية فعلها، ولا يجب عليه إسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو أكبر منها. التبيان، الشيخ الطوسى: 3/183، تفسير سورة النساء.

2- المغنى عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقى: 2/ 987، كتاب التوبة/ ح3602. أورد الحديث باختلاف يسير علماء العامة فى كتبهم، منهم: أحمد بن حنبل فى المسـند: 2 / 400. مسـلم بن الحجاج النيسابورى فى الصحيح: 1/ 144، كتاب الطهارة. ابن ماجه فى سـننه: 1/196. الترمذى فى سننه: 1/ 138. ولم يـذكره الخاصـة فى كتبهم، وهو عائد إلى ما قبله، أنظر الهامش السابق. وهذا إنما أورده المؤلف (قدس سـره) عن الفيض الكاشانى، والذى أخذه بدوره عن الغزالى، وقد أوضـحنا ذلک دون تفصـيل لبيان وجه الإشكال، وعدم الخلط بين عقائد المدرستين حين مراجعة كتابنا هذا وعدم رؤية تعليق يوضح ذلک.

3- أنظر: المحجـة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7 / 28 ـــ 32، كتاب التوبـة، الركن الثانى فيما عنه وهى الذنوب صـغائرها وكبائرها. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 15 ـــ 18، كتاب التوبة، الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صـغائرها وكبائرها، بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد.

الفصل السابع: فی بیان ما تعظم به الصغائر

إعلم أن الصغیرة تکبر بأسباب:

الأول: الإصرار والمواظبة(1)، ففی الکافی عن الصادق علیه السلام قال: لا صغیرة مع الإصرار ولا کبیرة مع الاستغفار(2).

وعنه علیه السلام(3) قال: لا والله لا یقبل(4) شیئاً من طاعته علی الإصرار علی شیء من معاصیه(5).

وقال الباقر علیه السلام فی قوله تعالی: ((وَلَمْ یُصِرُّواْ عَلی ما فَعَلُواْ وَهُمْ یَعْلَمُونَ))(6) قال: الإصرار أن یذنب الذنب فلا یستغفر ولا یحدث نفسه بتوبة فذلک الإصرار(7).

وقد مثلوا ذلک بقطرات من الماء تقع علی الحجر علی توالی فتؤثر فیه، وذلک القدر من الماء لو صب علیه دفعة لم یؤثر، ولذلک قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: خیر الأعمال أدومها وإن قلَّ(8).

1- وظب یظب وظوبا، وهو: المواظبة علی الشیء و المداومة والتعاهد. کتاب العین، الفراهیدی: 8/ 170، مادة "وظب". المواظبة: المثابرة علی الشیء، والمداومة علیه. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 798، مادة "وظب".

2- الکافی، الکلینی:2/ 288،کتاب الإیمان والکفر، باب الإصرار علی الذنب/ح1.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- فی الوسائل: "لا یقبل الله".

5- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 15/ 337، کتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 48 تحریم الإصرار علی الذنب/ ح1.

6- سورة آل عمران/ 135.

7- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 58 ـــ 59، کتاب التوبة، بیان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

8- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 58، کتاب التوبة، بیان ما تعظم به الصغائر من الذنوب. المغنی عن حمل الأسفار،أبو الفضل العراقی:2/998،کتاب التوبة/ح3627.

والأشياء تُستبان بأضدادها(1)، فإذا كان النافع من العمل هو الدائم و إن قلَّ فكذلک القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره فی ظلام القلب.

ومنها: أن يستصغر الذنب، فإن العبد کل ما استعظمه من نفسه صغر عند الله وکل ما استصغره کبر عند الله لأن استعظامه يصدر نفور القلب عنه وکراهته له، وذلک النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلک يوجب شدة الأثر فی القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلک لا يؤاخذ بما يجری عليه فی الغفلة.

وقد جاء فی الحديث: إن(2) المؤمن يری ذنبه کالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يری ذنبه کذباب مرّ علی أنفه فأطاره(3).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم(4): اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر. قيل(5): وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبی لی لو لم يکن(6) غير ذلک(7).

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسی: 64/ 139، کتاب الإيمان والکفر، باب 4 فطرة الله سبحانه وصبغته، تفسير.

2- ليس فی المحجة والإحياء: "إن".

3- المحجة البيضاء، الفيض الکاشانی: 7/ 59، کتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب. إحياء علوم الدين، الغزالی:4/29،کتاب التوبة،بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

4- فی الکافی: الحديث يرويه الإمام الصادق عليه السلام وليس فی الإسناد قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم.

5- فی الکافی: "قلت".

6- فی الکافی: "لو لم يکن لی".

7- الکافی، الکلينی: 2/ 287، کتاب الإيمان والکفر، باب استصغار الذنب/ ح1.

وعن الكاظم علیه السلام قال: لا تستکثروا کثیر الخیر ولا تستقلوا قلیل الذنوب، فإن قلیل الذنوب یجتمع حتی یکون کثیراً، وخافوا الله فی السر حتی تعطوا من أنفسکم النصف(1).

ومنها: السرور بالصغیرة والفرح والتبجح بها، واعتداد التمکن من ذلک نعمة والغفلة عن کونه سبب الشقاوة، وکلما غلبت حلاوة الصغیرة عند الکبر کبرت الصغیرة وعظم أثرها فی تسوید قلبه، حتی إن من المذنبین من یتمدح بذنبه ویتبجح، ویقول المناظر فی مناظرته أما رأیتنی کیف فضحته.

والذنوب مهلکات، وینبغی أن یکون مرتکبها فی حزن وتأسف بسبب غلبة عدوه الشیطان علیه، والمریض الذی یفرح بأن ینکسر إناؤه الذی فیه دواؤه حتی یتخلص من ألم شربه لا یرجی شفاؤه.

ومنها: أن یتهاون بستر الله علیه وحلمه عنه وإمهاله إیاه، ولا یدری أنه إنما یمهل مقتاً لیزداد بالإمهال إثماً(2)، فیظن أن تمکنه من المعاصی عنایة من الله تعالی به، فیکون ذلک لأمنه من مکر الله وجهله بمکامن(3) الغرور، کما قال تعالی: ((وَیَقُولُونَ فِی أَنفُسِهِمْ لَوْلا یُعَذِّبُنا اللّهُ بِما نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَها وَبِئْسَ(4) الْمَصِیرُ))(5).

1- الکافی، الکلینی: 2/ 287، کتاب الإیمان والکفر، باب استصغار الذنب/ ح2.

2- إشارة إلی قوله تعالی: ((إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُواْ إِثْماً)) سورة آل عمران/ 178.

3- کمن فلان یکمن کمونا، أی: اختفی فی مکمن لا یفطن له. کتاب العین، الفراهیدی: 5/ 386، مادة "کمن".

4- فی النص القرآنی: "فبئس".

5- سورة المجادلة/ 8.

ومنها: أن يأتى بالذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتى به فى مشهد غيره، فإن ذلک جناية منه على ستر الله الذى أسدله عليه، وتحريک لرغبة الشر فى من أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلک الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر. وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتک الستر(1)، فالإظهار كفران لهذه النعمة.

وفى الكافى عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المستتر بالحسنة تعدل(2) سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له(3).

وقال الصادق عليه السلام: من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه. ومن جاءنا يبدى عورة قد سترها الله عليه(4) فنحوه(5).

ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلک منه كبر ذنبه، كلبس العالم الإبريسم(6) والذهب، وأخذه مال الشبهة من أموال

1- إشارة إلى دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم المروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ يَا مَنْ لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ وَلَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ... الخبر». تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسى: 3/84 ـــ 85، كتاب الصلاة، باب 5 الدعاء بين الركعات، الدعاء فى الزيادة تمام المائة ركعة/ ح12.

2- فى الكافى: "يعدل".

3- الكافى، الكلينى: 2/ 428، كتاب الإيمان والكفر، باب ستر الذنوب/ ح2. وقد ورد الحديث كما جاء فى النص أعلاه فى: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 60، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

4- ليس فى الكافى: "عليه".

5- الكافى، الكلينى: 2/ 442، كتاب الإيمان والكفر، باب اللمم/ ح4.

6- الإبريسم: حرير. عَنْ أَبِي عُيَيْنَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَلْبَسَ وَهِيَ مُحْرِمَةٌ؟ قَالَ: الثِّيَابُ كُلُّهَا مَا خَلا الْقُفَّازَيْنِ وَالْبُرْقُعَ وَالْحَرِيرَ قُلْتُ تَلْبَسُ الْخَزَّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَإِنَّ سَدَاهُ الإِبْرِيسَمُ وَهُوَ حَرِيرٌ قَالَ مَا لَمْ يَكُنْ حَرِيراً خَالِصاً فَلا بَأْسَ. الكافى، الكلينى: 4/ 345، كتاب الحج، باب ما يجوز للمحرمة أن تلبسه من الثياب والحلى وما يكره لها من ذلک/ح 6.

السلاطين، ودخوله على السلاطين وتودده إليهم، ومساعدته إياهم بترک الإنکار عليهم، وإطلاقه اللسان فی الغيبة والأعراض وتعديه باللسان فی المناظرة وقصده الاستخفاف ونحو ذلک، فهذه الذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقی ((شَرُّهُ مُسْتَطِيراً))(1) فی العالم مدداً متطاولة. فطوبی لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه.

وفی الخبر: من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شیء(2)، قال تعالی: ((وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ))(3) والآثار ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل، ولهذا قيل: «مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها»(4).(5)

1- سورة الإنسان/ 7.

2- أنظر: الفصول المختارة، الشيخ المفيد: 136. وفيه النص: «قال النبی صلی الله عليه وآله وسلم: من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلی يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلی يوم القيامة».

3- سورة يس/ 12.

4- غرر الحكم، الآمدی: 47، القسم الأول، باب الأول المعرفة، الفصل الثالث فی العالم، زلة العالم تفسد العوالم/ح233.وفيه النص: "زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها".

5- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 298 ـــ 300، المقالة السادسة فی ساير الأعمال الصالحة، الباب الأول فی التوبة، الفصل الخامس الذنوب الصغيرة بوابة الذنوب الكبيرة. جامع السعادات، النراقی: 3 / 76 ـــ 80، فصل الصغائر قد تكون كبائر. إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/ 29 ـــ 30، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

الفصل الثامن: فى تجزئة التوبة

وملخص الكلام فيها أن التوبة عن بعض الذنوب إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة:

أما الأول: فهو ممكن للعلم بأن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخطه ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليه، وقد كثر التائبون ولم يكن أحد منهم معصوماً، فلا تستدعى التوبة العصمة. والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً ويحذره السكر تحذيراً أخف منه على وجه يظهر منه عدم ظهور أثره.

وأما القسم الثانى: فهو ممكن أيضاً لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله، كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بأن ديوان العباد لا يترك، وما بينه وبين الله يسرع العفو إليه.

الثالث: أن يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة، كالذى يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر، وهو ممكن إذ ما من مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندماً إما ضعيفاً وإما قوياً، ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية أقوى من ألم قلبه فى الخوف منها، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة، فيكون الندم موجوداً ولكن لا يكون العزم قوياً عليه.

ويقول: لله على أمران ولى على المخالفة فيه عقوبتان، وأنا ملى فى أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر فأقهره فى ما أقدر عليه، وأرجوه بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى ما عجزت عنه بفرط شهوتى.

وهذا حال كل مسلم، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الندم توبة»(1) ولم يشترط الندم عن كل ذنب، وقال عليه السلام(2): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»(3) ولم يقل التائب من الذنوب كلها.

الفصل التاسع: فى أقسام العباد فى التوبة

وهم طبقات:

الطبقة الأولى: أن يتوب العاصى ويستقيم إلى آخر عمره، فيتدارک ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه، إلا الزلات التى لا ينفک البشر عنها فى العادة، وهى التوبة النصوح.

الطبقة الثانية: تائب سلک طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفک عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى أحواله، من غير أن يقدم عزماً على الإقدام عليها ولكنه إذا أقدم لام نفسه وندم وجدد عزمه على عدم العود. وهذه رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الأولى ، وهى أغلب أحوال التائبين، لأن الشر معجون بطينة الآدمى قلما ينفک عنه، قال تعالى: ((الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ))(4) وقال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُواْ فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ

1- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: 4/ 380، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة/ ح49.

2- فى العيون: «عن على بن أبى طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... الحديث».

3- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: 2/ 74، باب 31 فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة/ ح347.

4- سورة النجم/ 32.

فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ))(1). وفی الحدیث. «خیارکم کل مفتن تواب»(2). وفی الروایة: «المؤمن کالسنبلة تفیء أحیاناً وتمیل أحیاناً»(3).

الطبقة الثالثة: أن یتوب ویستمر علی الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته فی بعض الذنوب فیقدم علیها عن قصد وصدق شهوة بعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلک مواظب علی الطاعات وتارک جملة من السیئات مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان، وهو یودُّ قمعها ویقول: لیتنی لم افعل وسأتوب، ولکنه یسوّف نفسه فی التوبة یوماً بعد یوم، قال تعالی: ((وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صالِحًا وَآخَرَ سَيِّئاً))(4) فهو مرجو عسی الله أن یتوب علیه إذا تاب(5).

الطبقة الرابعة: أن یتوب ویستقیم مدة ثم یعود إلی مقارفة الذنب من غیر أن یحدث نفسه بالتوبة ومن غیر أن یتأسف علی فعله، بل ینهمک(6) انهماک الغافل فی إتباع الشهوات، فهذا أقبح حال التائبین وأمر فی مشیئة الله.

1- سورة آل عمران/ 135.

2- کنز العمال، المتقی الهندی: 4/213، کتاب التوبة، الفصل الأول فی فضلها والترغیب فیها/ح10210.

3- المغنی عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقی: 2/ 1001، کتاب التوبة/ 3643.

4- سورة التوبة/ 102.

5- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ علیه السلام: ((الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً)) سورة التوبة/ 102. فَأُولَئِکَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ يُحَدِّثُونَ فِی إِيمَانِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِی يَعِيبُهَا الْمُؤْمِنُونَ وَيَكْرَهُونَهَا فَأُولَئِکَ ((عَسَی اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)) سورة التوبة/ 102. الکافی، الکلینی: 2/ 408، کتاب الإیمان والکفر، باب أصحاب الأعراف/ ح2.

6- انهمک فلان فی کذا، إذا لج وتمادی فیه. کتاب العین، الفراهیدی: 3/ 382، مادة "همک". انهمک الرجل فی الأمر، أی: جد ولج. الصحاح، الجوهری: 4/ 1617، مادة "همک".

الفصل العاشر: فی العلاج للإقبال علی التوبة

وهی أربعة أمور:

الأول: أن ینظر إلی الآیات والأخبار المخوفة للمذنبین والعاصین وما فیها من التهدید والوعید علی العقاب الشدید والعذاب الأکید، ففی بعض الأخبار من طرق الجمهور عنه صلی الله علیه وآله وسلم قال: ما من یوم طلع فجره ولا لیلة غاب شفقها إلا وملکان یتجاویان بأربعة أصوات: یقول أحدهما یا لیت هذا الخلق لم یخلقوا، ویقول الآخر یا لیتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا، فیقول الآخر ویا لیتهم إذ لم یعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا فیقول الآخر ویا لیتهم إذ لم یعملوا بما علموا ترکوا الخوض فی ما لم یعلموا(1).

وفی روایة: تجالسوا فتذاکروا ما علموا، فیقول الآخر ویا لیتهم إذ لم یعملوا بما علموا تابوا عما عملوا(2).

وقال بعض العارفین(3): ما من عبد یعصی إلا استأذن مکانه من الأرض أن یخسف به، واستأذن سقفه من السماء أن یسقط علیه کسفاً، فیقول الله للأرض وللسماء، کفا عن عبدی وأمهلاه، فإنکما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، لعله یتوب إلی فأغفر له، لعله یستبدل صالحاً فأبدله له حسنات، فذلک معنی قوله

1- ذکر صدر الحدیث أبو الفضل العراقی، فی المغنی عن حمل الأسفار: 2/ 1005، کتاب التوبة. وذکره باختلاف یسیر الفیض الکاشانی، فی المحجة البیضاء: 7/ 93 __ 94، کتاب التوبة، الرکن الرابع فی دواء التوبة.

2- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 46، کتاب التوبة، الرکن الرابع فی دواء التوبة وطریق العلاج.

3- قال الغزالی قبل إیراد الحدیث: "قال بعض السلف".

تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ))(1).

الثانى: حكايات المذنبين التائبين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم.

الثالث: أن يتصور المذنب أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنب، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب بسبب جناية صدرت منه، قال تعالى: ((وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ))(2).

وقال الصادق عليه السلام فى هذه الآية(3): ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدشة(4) عود إلا بذنب.(5)

وفى روايـة أخرى: أما إنه ليس من عرق يضـرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلک قول الله عزّوجل فى كتابه: ((ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ))(6) قال(7): وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به(8).

وقال عليه السلام(9): إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع فى صاحبه من السكين فى اللحم(10).

1- سورة فاطر/ 41.

2- سورة الشورى/ 30.

3- سورة الشورى/ 30.

4- فى الكافى: "ولا خدش".

5- الكافى، الكلينى: 2/ 445، كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل عقوبة الذنب/ ح6.

6- سورة الشورى/ 30.

7- فى الكافى: "قال: ثم قال".

8- الكافى، الكلينى: 2/ 269، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح3.

9- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

10- الكافى، الكلينى: 2/ 272، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح16.

الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد، وهو مما لا يمكن حصره(1). وفی الحديث يقول الله تعالى: «أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتی أن أحرمه لذيذ مناجاتی»(2).

وقال عليه السلام(3): من همّ بالسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد سيئة(4) فيراه الرب تبارک وتعالى فيقول: وعزتی(5) لا أغفر لک بعد ذلک أبداً(6).

وقال الكاظم عليه السلام: حق على الله أن لا يعصى فی دار إلا أضحاها للشمس حتى يطهرها(7).(8)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه فی الجنة يتنعمن(9).

1- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 7/ 93 _ 97، كتاب التوبة، الركن الرابع فی دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار. جامع السعادات، النراقی:3/ 89 ، فصل علاج الإصرار على الذنوب. إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/ 46 ___ 48، كتاب التوبة، الركن الرابع فی دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار.

2- إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/ 48، كتاب التوبة، الركن الرابع فی دواء التوبة.

3- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- فی الوسائل: "السيئة".

5- فی الوسائل: "وعزتی وجلالی".

6- وسائل الشيعة، الحر العاملی: 15/ 303، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 40 وجوب اجتناب الخطايا والذنوب/ح15.

7- فی الكافی: "تطهرها".

8- الكافی، الكلينی: 2/ 272، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح18.

9- الكافی، الكلينی: 2/ 272، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح19.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لقائل بحضرته: أستغفر الله: ثكلتک أمک، أتدری ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العلیین، وهو اسم واقع علی ستة معانٍ: أولها الندم علی ما مضی، والثانی العزم علی ترک العود إلیه أبداً، والثالث أن تؤدی إلی المخلوقین حقوقهم حتی تلقی الله أملس لیس علیک تبعة، والرابع أن تعمد إلی کل فریضة علیک ضیعتها تؤدی حقها، والخامس أن تعمد إلی اللحم الذی نبت علی السحت فتذیبه بالأحزان حتی یلصق الجلد بالعظم وینشأ بینهما لحم جدید، والسادس أن تذیق الجسم ألم الطاعة کما أذقته حلاوة المعصیة، فعند ذلک تقول: أستغفر الله(1).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنایته، ولابد للعبد من مداومة التوبة علی کل حال، فتوبة الأنبیاء من اضطراب السر، وتوبة الأولیاء من تلوین الخطرات، وتوبة الأصفیاء من التنفیس، وتوبة الخلص من الاشتغال بغیر الله، وتوبة العالم من الذنوب.

ولکل واحد منهم معرفة وعلم فی أصل توبته ومنتهی أمره، وذلک یطول شرحه هنا.

فأما توبة العالم فأن یغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنایته دائماً، واعتقاد الندم علی ما مضی والخوف علی ما بقی من عمره، ولا یستصغر ذنوبه فیحمله ذلک إلی الکسل، ویدیم البکاء والأسف علی ما فاته من طاعة الله، ویحبس نفسه عن الشهوات، ویستغیث إلی الله لیحفظه علی وفاء توبته، ویعصمه من العود إلی ما سلف، ویروض نفسه فی میدان الجهاد والعباد، ویقضی الفوائت

1- أنظر: نهج البلاغة، الشریف الرضی: 549 ـــ 550، فصل نذکر فیه شیئا من غریب کلامه المحتاج إلی التفسیر/ الحکمة رقم417.

من الفرائض، ویرد المظالم، ویعتزل قرناء السوء، ویسهر لیله ویظمأ نهاره، ویتفکر دائماً فی عاقبته، ویستعین بالله سائلاً منه الاستقامة فی سرائه وضرائه، ویثبت عند المحن والبلاء کی لا یسقط عن درجة التوابین، فإن ذلک طهارة من ذنوبه وزیادة فی عمله ورفعة فی درجاته قال الله عزّوجل: ((وَلَیَعْلَمَنَّ(1) اللّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ))(2).(3)

1- فی النص القرآنی : " فلیعلمن ".

2- سورة العنکبوت/ 3.

3- مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 97 ـــ 98، الباب الرابع والأربعون فی التوبة. وفیه النص: «التوبة حبل الله و مدد عنایته ولا بد للعبد من مداومة التوبة علی کل حال وکل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الأنبیاء من اضطراب السر وتوبة الأولیاء من تلوین الخطرات وتوبة الأصفیاء من التنفیس وتوبة الخاص من الاشتغال بغیر الله تعالی وتوبة العام من الذنوب ولکل واحد منهم معرفة وعلم فی أصل توبته ومنتهی أمره وذلک یطول شرحه هاهنا فأما توبة العام فأن یغسل باطنه بماء الحسرة والاعتراف بجنایته دائما واعتقاد الندم علی ما مضی والخوف علی ما بقی من عمره ولا یستصغر ذنوبه فیحمله ذلک إلی الکسل ویدیم البکاء والأسف علی ما فاته من طاعة الله ویحبس نفسه عن الشهوات ویستغیث إلی الله تعالی لیحفظه علی وفاء توبته ویعصمه عن العود إلی ما أسلف ویراوض نفسه فی میدان الجهل والعبادة ویقضی عن الفوائت من الفرائض ویرد المظالم ویعتزل قرناء السوء ویسهر لیله ویظمأ نهاره ویتفکر دائما فی عاقبته ویستعین بالله سائلا منه الاستقامة وسراءه وضراءه وثبت عند المحن والبلاء کیلا یسقط عن درجة التوابین فإن فی ذلک طهارة من ذنوبه وزیادة فی علمه ورفعة فی درجاته قال الله تعالی شأنه العزیز ((فَلَیَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ)) سورة العنکبوت/ 3. وقد أوردنا النص لأهمیته، ولاعتماد المؤلف "قدس سره" علی نسخة مصباح الشریعة، وبسبب وجود اختلافات فی الألفاظ تغیر جوهر المعنی حتی فی ذیل الحدیث عند ذکر الآیة الکریمة، لذا أوردنا النص من المصدر لإتمام الفائدة.

الباب الثانی: الصبر

اشارة

فی الصبر وفیه فصول

الفصل الأول: فی فضله

قال الله تعالی: ((إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ))(1) وقال تعالی: ((أُولئِکَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا))(2) وقال تعالی: ((وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ))(3) وقال تعالی: ((وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّکَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا))(4) وقال تعالی: ((وَجَعَلْناهُمْ(5) أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا))(6).

1- سورة الزمر/ 10.

2- سورة القصص/ 54.

3- سورة النحل/ 96.

4- سورة الأعراف/ 137.

5- فی النص القرآنی: "وجعلنا منهم".

6- سورة السجدة/ 24.

وما من طاعة إلا وأجرها بحساب إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر(1) قال تعالى: «الصوم لی وأنا أجزی به»(2).

ووعد الصابرين بأنه معهم فقال: ((وَاصْبِرِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ))(3).

وعلق النصرة على الصبر فقال: ((بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ))(4).

وجمع للصابرين أموراً لم يجمعها لغيرهم فقال: ((أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ))(5).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر نصف الإيمان(6).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار(7).

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال: الصبر والسماحة(8).

1- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 7/ 106، كتاب الصبر والشكر، الشطر الأول فی الصبر.

2- من لا يحضره الفقيه،الشيخ الصدوق:2/75، كتاب الصوم، باب فضل الصيام/ صدر الحديث 4.

3- سورة الأنفال/ 46. ونصها : ((وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)).

4- سورة آل عمران/ 125.

5- سورة البقرة/ 157.

6- مسكن الفؤاد، الشهيد الثانی: 41، الباب الثانی فی الصبر وما يلحق به. وفيه جميع الشرح أعلاه من بداية الباب الثانی مع نصوص الآيات الكريمة.

7- مسكن الفؤاد، الشهيد الثانی: 41، الباب الثانی فی الصبر وما يلحق به. مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 2/ 425، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما يناسبه، باب 64 استحباب الصبر على البلاء/ صدر الحديث 23.

8- شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحديد: 1/322، باب الخطب والأوامر، الخطبة رقم 23، فصل فی مدح الصبر وانتظار الفرج.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر كنز من كنوز الجنة(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس(2).

وقيل: أوحى الله إلى داود: تخلق بأخلاقى، أنا الصبور(3).

وقال الصادق عليه السلام: إذا دخل المؤمن قبره(4) كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مظل عليه(5)، ويتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه(6).

وعنه عليه السلام(7): من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد(8).

وعنه عليه السلام(9) قال: إن الله تعالى أنعم(10) على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة(11).

1- مستدرک الوسائل، المحدث النورى: 2/425، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما يناسبه، باب 64 استحباب الصبر على البلاء.

2- مسكن الفؤاد، الشهيد الثانى: 42، الباب الثانى فى الصبر وما يلحق به.

3- أنظر:إرشاد القلوب،الديلمى:1/127، الحكم والمواعظ، الباب الثامن والثلاثون فى الصبر.

4- فى الكافى: "فى قبره".

5- فى الكافى: "مطل عليه".

6- الكافى، الكلينى: 2/ 90، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح 8.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- مشكاة الأنوار، الطبرسى: 26، الباب الأول فى الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما, الفصل الخامس فى الصبر.

9- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

10- فى مجموعة ورام: "إن الله أنعم".

11- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 2/ 187.

وعنه عن أبيه عليه السلام قال(1): من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز(2).

وعن الباقر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر. فمن صبر على المكاره فى الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار(3).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: بنى الإيمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر والجهاد، والعدل(4).

الفصل الثانى: فى حقيقته وأساميه وأقسامه

إعلم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى، والحرب بينهما على ساق، ومحل المعركة قلب المؤمن، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله، ومدد باعث الشهوة والهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة.

ثم إنه ضربان(5): بدنى كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه، وهو إما بالفعل كتعاطى الأعمال الشاقة من العبادات، وإما بالاحتمال كالصبر على

1- فى الكافى: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن عبدالرحمن بن سيابة، عن أبى النعمان، عن أبى عبدالله أو أبى جعفر عليهما السلام، قال: ... الحديث.

2- الكافى، الكلينى: 2/ 93، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح24.

3- الكافى، الكلينى: 2/ 89، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح7.

4- بحار الأنوار، ألمجلسى: 79 / 137، كتاب الطهارة، الجنائز ومقدماتها ولواحقها، باب 18 فضل التعزى والصبر عند المصائب والمكاره.

5- الضرب: النحو والصنف، يقال: هذا ضرب ذاك، و ضريب ذاك، أى: مثله. كتاب العين، الفراهيدى: 7/ 31، مادة "ضرب".

الضـرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة، ونفسـی وهو الصبر عن مشـتهيات الطبع ومقتضـيات الهوی، وهو إن كان عن شـهوة البطن والفرج سمی عفة، وإن كان علی احتمال مكروه فإن كان فی مصيبة اقتصر علی اسم الصبر.

وضده حال يسمی الجزع(1) والهلع(2)، وهو إطلاق داعی الهوی ليسترسل فی رفع الصوت وضرب الخدود وشق(3) الجيوب(4) وغيرها.

وإن كان فی احتمال الغنی سمی ضبط النفس،ويضاده حالة تسمی البطر(5).

وإن كان فی الحرب سمی شجاعة، ويضاده الجبن.

وإن كان فی كظم الغيظ والغضب سمی حلماً،ويضاده التذمر(6) والغضب.

وإن كان فی نائبة من نوائب الزمان مضجرة(7) سمی سعة الصدر، ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر.

1- الجزع بالتحريک: نقيض الصبر. الصحاح، الجوهری: 3/ 1196، مادة "جزع".

2- الهلاع: الجزع وأهلعنی: أجزعنی. كتاب العين، الفراهيدی: 1/ 107، مادة "هلع".

3- الشق: الفصل فی الشیء. لسان العرب، ابن منظور: 10/ 183، مادة "شقق".

4- الجيب: جيب القميص والدرع، والجمع جيوب. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 288، مادة "جيب".

5- البطر: قيل: التبختر، وقيل: قلة احتمال النعمة، وقيل: البطر الطغيان فی النعمة. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 68، مادة "بطر".

6- تذمر إذا تغضب،يقال:سمعت له تذمر،أی:تغضبا،وظل فلان يتذمر عليه، إذا تنكر عليه وأوعده. تاج العروس، الزبيدی: 3/229.

7- الضجر: القلق من الغم، وتضجر: تبرم. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 481، مادة "ضجر".

وإن كان فی إخفاء كلام سمی كتماناً وصاحبه كتوماً، وضده الإذاعة.

وإن كان فی فضول العیش سمی زهداً، ویضاده الحرص.

وإن كان صبراً علی قدر یسیر من الحظوظ سمی قناعة، ویضاده الشره.

فالصبر جامع لأكثر أخلاق الإیمان، وهو الرئیس الأعظم والإمام الأقوم فلذلک لما سئل صلی الله علیه وآله وسلم عن الإیمان(1) قال: الصبر(2).

ثم إن العبد لا یستغنی عن الصبر فی جمیع الأحوال، لأن ما یلقاه العبد فی الدنیا إما یوافق هواه وإما یكرهه، وحاله غیر خارج عن هذین القسمین، وهو محتاج إلی الصبر فی كل منهما:

أما النوع الأول: كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشیرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجمیع ملاذ الدنیا، فما أحوج العبد إلی الصبر فی هذه الأمور، لأنه إن لم یضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلیها والانهماک فی ملاذها المباحة أخرجه ذلک إلی البطر والطغیان، فإن ((الإِْنْسانَ لَیَطْغی (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی))(3)، ولذا قال بعض العارفین: «البلاء یصبر علیه المؤمن، والعوافی لا یصبر علیها إلا صدیق»(4) لأنه مقرون بالقدرة، ومن العصمة أن لا تقدر.

1- فی المستدرک: "ما الإیمان".

2- مستدرک الوسائل، المحدث النوری: 2/425، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما یناسبه، باب 64 استحباب الصبر علی البلاء.

3- سورة العلق/ 6 ـــ 7.

4- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 60، كتاب الصبر والشكر، بیان مضان الحاجة إلی الصبر وأن العبد لا یستغنی عنه فی حال من الأحوال.

ولـذا حذر الله تعالى عباده عن فتنة المال والزوج والولد، فقال: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ))(1) وقال: ((إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّ لَكُمْ))(2) وقال: ((أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ))(3).

وأمـا النوع الثـانى: وهو مـا لاـ يوافق الهوى ـــ فهو إمـا الـذى يرتبط باختيار العبـد كالطاعات والمعاصـى أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب، أو لا يرتبط أوله باختياره ولكن له اختيار فى إزالته كالتشفى من المؤذى والانتقام منه.

والقسم الأول: هو سائر أفعاله التى توصف كونها طاعـة أو معصـية، أما الطاعـة فالعبـد يحتاج إلى الصبر عليها، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية.

ثم من الطاعات ما يكره بسـبب الكسل كالصـلاة، ومنها ما يكره بسـبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما معاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد، ويحتاج فيه إلى ثلاثة أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلک فى تصـحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ومكائد النفس، وهو شديد ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما الأعمال بالنيات(4). وقال تعالى: ((وَما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))(5) وقـال تعالى: ((إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ))(6).

1- سورة المنافقين/ 9.

2- سورة التغابن/14. ونصها:((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّ لَكُمْ)).

3- سورة الأنفال/ 28.

4- تقريب المعارف، أبو الصلاح: 128، القسم الأول من تقريب المعارف فى الكلام.

5- سورة البينة/ 5.

6- سورة هود/ 11.

الثانية: الصبر حالة العمل كى لا يغفل عن الله فى أثناء عمله، ويلازم الصبر عن دواعى الفتور إلى الفراغ، وهو أيضاً شديد.

الثالثة: الصبر بعد الفراغ من العمل عن إفشائه للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن جميع المبطلات، قال تعالى: ((وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ))(1) وقال: ((وَ(2)لا تُبْطِلُواْ صَدَقاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذى))(3).

والضرب الثانى المعاصى، وما أحوج العبد إلى الصبر عنها، وأشدها المعاصى المألوفة بالعادة، سيما إذا سهل فعله كالغيبة والكذب والرياء والثناء لأن العادة طبيعة ثابتة فإذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله.

والقسم الثانى: ما لا ـ يرتبط هجومه باختياره وله اختيار فى دفعه، كما لو أوذى بقول أو فعل أو جنى عليه فى نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة، ولذا قال تعالى: ((وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا))(4) وقال تعالى: ((وَدَعْ أَذاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ))(5) وقال تعالى: ((فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً))(6) وقال تعالى: ((وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ))(7). وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: صل من قطعك وأعط من حرمك وأعف عمن ظلمك(8).

1- سورة محمد/ 33.

2- ليس فى النص القرآنى "الواو".

3- سورة البقرة/ 264.

4- سورة إبراهيم/ 12. ونصها: ((وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا)).

5- سورة الأحزاب/ 48.

6- سورة المزمل/ 10. ونصها: ((وَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)).

7- سورة آل عمران/ 186.

8- أنظر:كنز الفوائد، الكراجكى:2/31،فصل من عيون الحكم والنكت من جواهر الكلام.

القسم الثالث: ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره، كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاک الأموال وزوال الصحة بالمرض وسائر أنواع البلاء، وهذا صبر مستنده اليقين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أسألک من اليقين ما يهون(1) به علیّ مصائب الدنيا(2). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى(3): «إذا وجهت على عبد(4) من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلک بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً»(5).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: انتظار الفرج بالصبر عبادة(6).

وقال عليه السلام(7): ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى «إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيراً منها» إلا فعل الله ذلک(8).(9)

1- فى المحجة: "ما تهون".

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 126، كتاب الصبر والشكر، بيان مظان الحاجة إلى الصبر.

3- فى الدعوات: "يقول الله عزّوجل".

4- فى الدعوات: "إذا وجهت إلى عبد".

5- الدعوات، الراوندى: 172، الباب الثالث فى ذكر المرض ومنافعه العاجلة والآجلة وما يجرى مجراها، فصل فى صلاة المريض وصلاحه وأدبه ودعائه عند المرض/ ح35.

6- الدعوات، الراوندى: 41، الباب الأول، الفصل الثانى فى كيفية الدعاء وآدابه وأوقات استجاباته/ ح77.

7- أى: "النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم".

8- فى المحجة: "ذلک به".

9- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 126، كتاب الصبر والشكر، بيان مظان الحاجة إلى الصبر، القسم الثالث.

وفی الکافی عن علی علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: الصبر ثلاثة: صبر عند المصیبة، وصبر علی الطاعة، وصبر عن المعصیة، فمن صبر علی المصیبة حتی یردها بحسن عزائها کتب الله له ثلاثمائة درجة ما بین الدرجة إلی الدرجة کما بین السماء والأرض، ومن صبر علی الطاعة کتب الله له ستمائة درجه ما بین الدرجة إلی الدرجة کما بین تخوم الأرض إلی العرش، ومن صبر علی المعصیة کتب الله له تسعمائة درجة ما بین الدرجة إلی الدرجة کما بین تخوم الأرض إلی منتهی العرش(1).

وقال الباقر علیه السلام: الصبر صبران: صبر علی البلاء حسن جمیل، و(2) أفضل الصبرین الورع عن محارم الله(3).

واعلم أن الإنسان إنما یخرج من مقام الصابرین بالجزع وشق الجیوب وضرب الخدود والمبالغة فی الشکوی، وهذه الأمور داخلة تحت الاختیار، فینبغی أن یجتنب جمیعها ویظهر الرضا بالقضاء، لا أنه لا یکره المصیبة فی نفسه لأن ذلک غیر مختار فلا یخرجه ذلک عن حد الصابرین ولا توجع القلب وفیضان العین، ولذلک لما مات إبراهیم ولد النبی صلی الله علیه وآله وسلم فاضت عیناه، فقیل له: أما نهیتنا عن هذا؟ قال: إن هذا رحمة وإنما یرحم الله من عباده الرحماء(4) وقال صلی الله علیه وآله وسلم: تدمع العین ویحزن القلب ولا نقول ما یسخط الرب(5).

1- الکافی، الکلینی: 2/ 91، کتاب الإیمان والکفر، باب الصبر/ ح15.

2- لیس فی مجموعة ورام: حرف "الواو".

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 16.

4- أنظر: مسکن الفؤاد، الشهید الثانی: 105 ـــ 106، الباب الرابع فی البکاء.

5- أنظر: تحف العقول، الحرانی: 37، ما روی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وروی عنه صلی الله علیه وآله وسلم فی قصار هذه المعانی.

بـل ذلک أیضاً لا یخرج عن مقام الرضا، فإن المقـدم علی الفصـد(1) والحجامـة راض به وهو متألم بسـببه لا محالـة. نعم من کمال الصبر کتمـان المرض والفقر وسائر المصائب(2)، فعن البـاقر علیه السـلام قـال: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: قال الله تعالی: «من مرض فلم یشک إلی عواد أبدلته لحماً خیراً من لحمه ودماً خیراً من دمه، فإن عافیته عافیته ولا ذنب له، وإن قبضـته قبضـته إلی رحمتی»(3). وفُسّر التبدیل بأن یبدله لحماً ودماً وبشـرة لم یذنب فیها، وفسـرت الشـکایة بأن یقول: ابتلیت بما لـم یبتل به أحد وأصابنی ما لـم یصب أحداً وقال علیه السلام(4): ولیس الشکوی أن یقول: سهرت البارحة وحممت الیوم ونحو هذا(5).

وسـئل البـاقر علیه السـلام عن الصبر الجمیـل فقال: ذاک صبر لیس فیه شـکوی، وأما الشـکایة إلی الله تعالی فلا بأس بها کما قال یعقوب: ((إِنَّما أَشْکُو بَثِّی وَحُزْنِی إِلَی اللّهِ))(6).(7)

1- الفصد قطع العروق. وافتصد فلان: قطع عرقه ففصد. کتاب العین، الفراهیدی: 7/ 102، مادة "فصد".

2- أنظر: الحقـایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 142 _ 148، المقالة الرابعة فی مکارم الأخلاق وتحصـیلها، الباب الأول فی فضیلة الصبر. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 54 __ 66، کتاب الصبر والشکر.

3- أنظر: الکافی، الکلینی: 3/ 115،کتاب الجنائز، باب آخر منه/ ح1.

4- الإمام الصادق علیه السلام.

5- مشکاة الأنوار،الطبرسی:279، البـاب السابع فی ذکر المصائب والشدائـد والبلایا وما وعـد الله من الثواب وذکر الموت،الفصل الأول فیما جاء فی الصبر علی المصائب/ذیل الحدیث.

6- سورة یوسف/ 86.

7- أنظر: التمحیص، الإسکافی: 63، باب 8 مدح الصبر وترک الشکوی والیقین والرضا بالبلوی/ ح22.

الفصل الثالث: فی دواء الصبر وعلاجه

إعلم أن «الذی أنزل الداء أنزل الدواء»(1) ووعد الشفاء، فالصبر وإن کان شاقاً ولکن یمکن تحصیله بمعجون العلم والعمل، بتقویة باعث الدین، وتضعیف باعث الهوی بالمجاهدة والریاضة وذکر قلة قدر الشدة ودقتها، وإضرار الجزع وقبحه، وأن یکثر فکره فی ما ورد فی فضل الصبر وحسن عواقبه فی الدنیا والآخرة(2) وأن یعلم أن ثواب الصبر علی المصیبة أکثر مما فات(3)، وأنه بسبب ذلک مغبوط بالمصیبة، إذ فاته ما لا یبقی معه إلا مدة الحیاة الدنیا وحصل له ما یبقی بعد موته أبد الدهر.

ومن أسلم خسیساً(4) فی نفیس(5) فلا ینبغی أن یحزن لفوات الخیس(6) فی

1- الدعوات، الراوندی: 180 ـــ 181، فصل فی التداوی بتربة مولانا وسیدنا أبی عبد الله الحسینعلیه السلام/ ح1.

2- نذکر ههنا بعض المصادر التی وضعت للصبر أبوابا، منها: الکافی، الکلینی: 2/ 87، کتاب الإیمان والکفر، باب الصبر. وسائل الشیعة، الحر العاملی: 3/ 255، باب 76 استحباب الصبر. ارشاد القلوب، الدیلمی: 1/ 126، الباب الثامن والثلاثون فی الصبر.

3- أنظر: غرر الحکم ودرر الکلم، الآمدی: 282، الباب الثانی النفس وما حولها، الفصل السابع فی الصبر والحلم والاستقامة، الصبر علی البلیة.

4- الخسیس: الدنیء. وخس الشیء یخس ویخس خسة و خساسة، فهو خسیس: رذل. لسان العرب، ابن منظور: 6/ 64، مادة "خسس".

5- النفیس والمنفس المال له قدر وخطر، ثم عم فقال: کل شیء له خطر وقدر فهو نفیس ومنفس. لسان العرب، ابن منظور: 6/ 238، مادة "نفس".

6- الإنسان یخیس فی المخیس حتی یبلغ منه شدة الغم والأذی ویذل ویهان. کتاب العین، الفراهیدی: 4/288، مادة "خیس".

الحال، وأن يعوّد هـذا الباعث مصارعـة باعث الهوى تـدريجاً حتى يـدرک لـذة الظفر بها فيسـتجرئ عليها ويقوى منته فى مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلک الأعمال، ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.

ثم إن كـان ذلـک بتعب قوى فتصبّر وإن كـان بيسـير فصبر، وإن كان بجهـد ففرض وإن كان بتلـذذ فشـكر، وهو بالغيبـة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التميز بين الألـم واللذة(1).

1- أنظر: جامع السـعادات، النراقى: 3/ 299 ـــ 300، فصل طريق تحصـيل الصبر. إحياء علوم الـدين، الغزالى: 4/ 66 ـــ 70، كتاب الصبر والشكر، بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه.

الباب الثالث: الرضا بالقضاء

فی الرضا بالقضاء

وهو ترک الاعتراض والسخط، قال الله تعالی: ((رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ))(1).

وقال الصادق علیه السلام: رأس طاعة الله الصبر، والرضا فی ما أحب العبد أو کره، ولا یرضی عبد عن الله فی ما أحب أو کره إلاّ کان خیراً له فی ما أحب أو کره(2).

وقال علیه السلام(3): إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله(4).

وقال الکاظم علیه السلام: ینبغی لمن عقل عن الله أن لا یستبطئه فی رزقه ولا یتهمه فی قضائه(5).

1- سورة المائدة/ 119.

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 60، کتاب الإیمان والکفر، باب الرضا بالقضاء/ ح1.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 33، الباب الأول فی الإیمان والإسلام وما یتعلق به، الفصل السابع فی الرضا.

5- تحف العقول، الحرانی: 408، وروی عن الإمام الکاظم الأمین أبی إبراهیم ویکنی أبا الحسن موسی بن جعفر علیه السلام فی طوال هذه المعانی، وروی عنه علیه السلام فی قصار هذه المعانی.

وقال الصادق علیه السلام: قال الله عزّوجل: عبدی المؤمن لا أصرفه فی شیء إلا جعلت له خیراً(1)، فلیرض بقضائی ولیصبر علی بلائی ولیشکر نعمائی أکتبه یا محمد من الصدیقین عندی(2).

وقال علیه السلام(3): إن فی ما أوحی الله عزّوجل إلی موسی بن عمران: ما خلقت خلقاً أحب إلی من عبدی المؤمن، وإنی إنما أبتلیه لما هو خیر له، وأزوی عنه لما هو خیر له، وأعافیه لما هو خیر له، وأنا أعلم بما یصلح علیه عبدی فلیصبر علی بلائی ولیشکر نعمائی ولیرض بقضائی أکتبه فی الصدیقین عندی إذا عمل برضای وأطاع أمری(4).

وقال علیه السلام(5): عجبت للمرء المسلم لا ـ یقضی الله عزّوجل له قضاء إلا کان خیراً له، وإن قرض(6) بالمقاریض(7) کان خیراً له، وإن ملک مشارق الأرض ومغاربها کان خیراً له(8).

1- فی الکافی: "جعلته خیرا له".

2- الکافی، الکلینی: 2/ 61، کتاب الإیمان والکفر، باب الرضا والقضاء/ ح6.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

4- أنظر: مسکن الفؤاد، الشهید الثانی: 88، الباب الثالث فی الرضا.

5- الإمام الصادق علیه السلام.

6- القرض: القطع. قرضه یقرضه، بالکسر، قرضا وقرضه: قطعه. لسان العرب، ابن منظور: 7 / 216، مادة "قرض".

7- المقراض واحد المقاریض التی یقرض بها. مجمع البحرین، الطریحی: 3 / 488، مادة "قرض". المقراض: هو ما قصصت به. تاج العروس، الزبیدی: 4/ 422.

8- الکافی، الکلینی: 2/ 62، کتاب الإیمان والکفر، باب الرضا بالقضاء/ ح8.

وقال الباقر علیه السلام: أحق خلق الله أن یسلم لما قضی الله عزّوجل، من عرف الله عزّوجل ومن رضی بالقضاء أتی علیه القضاء وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء مضی علیه القضاء فأحبط(1) الله أجره(2).

وقال السجاد علیه السلام: الزهد عشرة أجزاء، أعلی درجة الزهد أدنی درجة الورع، وأعلی درجة الورع أدنی درجة الیقین، وأعلی درجة الیقین أدنی درجة الرضا.(3)

وعن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه سأل طائفة من أصحابه فقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامة إیمانکم؟ فقالوا: نصبر عند البلاء ونشکر عند الرخاء ونرضی بمواقع القضاء. فقال صلی الله علیه وآله وسلم: مؤمنون ورب الکعبة(4). وفی روایة: حکماء علماء کادوا من فقههم أن یکونوا أنبیاء(5).

وههنا کلام، وهو أنه کیف یتصور الرضا بأنواع البلاء والابتلاء وما یخالف الهوی والطبع، وإنما یتصور الصبر فی هذه الأمور دون الرضا؟

فاعلم أن الرضا فرح الحب، فإذا حصلت المحبة حصل الرضا، ولذلک مرتبتان علیا وسفلی:

أما العلیا: فهو أن یبطل الإحساس بالألم حتی یجری علیه المؤلم ولا یحس وتصیبه الجراحة ولا یدرک ألمها، وشاهده فی عالم الأجسام الرجل المحارب، فإنه فی حال غضبه أو خوفه قد تصیبه جراحات عظیمة ولا یحس بها ولا بألمها، فإذا

1- فی مجموعة ورام: "وأحبط".

2- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 185.

3- مسکن الفؤاد، الشهید الثانی: 86، الباب الثالث فی الرضا.

4- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 229 ___ 230، بیان الحب لله ولرسوله.

5- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 230، بیان الحب لله ولرسوله. السیرة النبویة، ابن کثیر: 4/ 181، وفد کندة.

رأى الـدم اسـتدل به على الجراحـة، وكـذلک الذى يعدو فى شـغل أو حاجة قد تصـيبه شوكة فى قدمه ولا يحس بالألم لاشـتغال قلبه، وإذا اشـتغل القلب صار مسـتغرقاً بأمر من الأمور لم يـدرک ما عداه، وكذا العاشق والمحب إذا أصابه ألم ـــ سـيما من المحبوب ـــ لا يدركه لاستيلاء الحب عليه.

وأما المرتبـة السـفلى: فهو أن يحس به ويـدرک ألمه ولكن يكون راضـياً به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وإن كان كارهاً له بطبعه نظراً إلى ثوابه الذى أعد له. ونظيره فى عالم الأجسام الذى يلتمس من الفصاد الفصد(1) ومن الحجام الحجامة ومن الطبيب الدواء المر. فإنه يدرک ألمه إلا أنه راض به راغب فيه متقلد فيه المنة لما يعلم من العاقبة.

وقد حكى أن امرأة عثرت فانقطع ظفرها وسال الدم فضحكت، فقيل لها: أما تألمت؟ فقالت: لذة الأجر أنستنى الألم(2).

ويروى أن أهل مصر كانوا إذا جاعوا نظروا الى وجه يوسف عليه السلام فيشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع(3).

وفى القرآن ما هو أبلغ من ذلک، وهو قطع النسوة أيديهن ولم يحسن بذلک لما نظرن إلى جماله عليه السلام(4).

1- الفصـد بالفتـح فالسـكون: قطع العرق، يقـال فصـد فصـدا من باب ضـرب، والاسم الفصاد. مجمع البحرين، الطريحى: 3/404، مادة "فصد".

2- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 303، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة الرضا وتصوره.

3- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشـانى: 8/ 92، كتـاب المحبـة والشوق والرضـا والأنس، بيان حقيقـة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى.

4- إشارة إلى قوله تعالى: ((فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ مَلَکٌ كَرِيمٌ)) سورة يوسف/31.

واعلم أن الـدعاء غير مناقض للرضا، لأنه عبادة تعبـدنا الله بها وجعل من لم يـدعه مسـتكبراً عليه مسـتحقاً للعذاب، فقال تعالى: ((ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ))(1).

وكذا تعبدنا الله بإنكار المعاصـی وكراهتها، فروی أن من شهد منكراً ورضی به فكأنه قد فعله(2). وفی آخر: لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضی بقتله آخر بالمغرب كان شريكه فی قتله(3).

واعلم أن فائـدة الرضا فی الحال فراغ القلب للعبادة والراحـة من الهموم وفی المال رضوان الله والنجاة من غضـبه، فقـد قال سـبحانه: من لم يرض بقضائی ولم يصبر علی بلائی فليطلب رباً سوائی(4).

والطريق إلی تحصيله أن يعلم أن ما قضی الله سبحانه له فهو الأصلح بحاله وإن لم يبلغ علمه بسره وحكمته، ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به، فإن ما قدر لا محالة يكون وما لم يقدر لا يكون، وما أحسن ما قيل(5):

مـــــا لا ی ـــک ـــــــون ف ـــلا ی ـــک ـــون ب ـــح ـــيل ـــــة

أب ـداً وم ـــا ه ـــــو ک ـــــائ ـــــن س ـــــــی ـــــــک ـــــــون(6)

1- سورة غافر/ 60.

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی: 8/ 95، كتاب المحبة والشوق والرضا، بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا.

3- أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوری:2/ 461، مجلس فی ذكر قتل النفس والزنی.

4- أنظر: كنز الفوائد، الكراجكی: 1/ 360، فصل من القول فی القضاء والقدر.

5- القائل: الإمام علی بن أبی طالب عليه السلام.

6- ديوان الإمام علی عليه السلام، الإمام علی عليه السلام: 451.

وحسرة الماضى وتدبير الآتى يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة وتبقى تبعة السخط عليه، بل ينبغى أن يدهشه الحب عن الإحساس بالألم كالعاشق والحريص، وأن يهون عليه العلم بجزيل الثواب وعظيم الأجر كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر، فيفوض أمره إلى الله ((إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ))(1).(2)

1- سورة غافر/ 44.

2- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 150 ـــ 153، الباب الثانى فى الرضا وطريق تحصيله. جامع السعادات، النراقى: 3/ 208 ـــ 214. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 302 ـــ 308، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى.

الباب الرابع: الشكر

اشارة

فی الشکر والکلام فیه فی فصول

الفصل الأول: فی فضله

إعلم أن الله تعالی قرن الشکر مع الذکر(1) فی قوله: ((وَلَذِکْرُ اللّهِ أَکْبَرُ))(2) فقال: ((اذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَاشْکُرُواْ لِی وَلا تَکْفُرُونِ))(3) وقال تعالی: ((ما یَفْعَلُ اللّهُ بِعَذابِکُمْ إِن شَکَرْتُمْ وَآمَنتُمْ))(4) وقال تعالی: ((وَسَنَجْزِی الشّاکِرِینَ))(5) وقال تعالی: ((لَئِن شَکَرْتُمْ لأَزِیدَنَّکُمْ وَلَئِن کَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِی لَشَدِیدٌ))(6)، وقال تعالی: ((وَقَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ))(7).

1- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 141، کتاب الصبر والشکر، بیان فضیلة الشکر.

2- سورة العنکبوت/ 45.

3- سورة البقرة/ 152. ونصها: ((فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَاشْکُرُوا لِی وَلا تَکْفُرُونِ)).

4- سورة النساء/ 147.

5- سورة آل عمران/ 145.

6- سورة إبراهیم/ 7.

7- سورة سبأ/ 13.

وفی الکافی عن الصادق علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: الطاعم الشاکر له من الأجر کأجر الصائم المحتسب والمعافی الشاکر له من الأجر کأجر المحروم القانع(1).

وعنه علیه السلام(2) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: ما فتح الله علی عبد باب شکر فخزن عنه باب الزیادة(3).

وعنه علیه السلام(4) قال: من أعطی الشکر أعطی الزیادة، قال الله تعالی(5): ((لَئِن شَکَرْتُمْ لأَزِیدَنَّکُمْ))(6).(7)

وعنه علیه السلام(8) قال: ما أنعم الله علی عبد بنعمة(9) فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم کلامه حتی یؤمر له بالمزید(10).

وعن الباقر علیه السلام قال: کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عند عائشة لیلتها فقالت: یا رسول الله لم تتعب نفسک وقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر؟(11) فقال: یا عائشة ألا أکون عبداً شکوراً. قال: وکان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقوم علی أصابع

1- الکافی، الکلینی: 2/ 94، کتاب الإیمان والکفر، باب الشکر/ ح1.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- وسائل الشیعة، الحر العاملی: 16 / 311، کتاب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، أبواب فعل المعروف، باب 8 تحریم کفر المعروف من الله کان أو من الناس/ ح5.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- فی الکافی: "یقول الله عزّوجل".

6- سورة إبراهیم/ 7.

7- الکافی، الکلینی: 2/ 95، کتاب الإیمان والکفر، باب الشکر/ ح8.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- فی المحجة: "من نعمة".

10- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 144، کتاب الصبر والشکر، بیان فضیلة الشکر.

11- إشارة الی قوله تعذالی فی سورة الفتح / الآیة 2: ((لِیَغْفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِکَ وَما تَأَخَّرَ...الآیة)).

رجليه(1)، فأنزل الله سبحانه(2): ((طه (1) ما أَنزَلْنا عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی))(3).(4)

وعن الصادق عليه السلام قال مكتوب فی التوراة: أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة فی النعم وأمان من الغير(5).

وسئل عليه السلام(6) عن قوله تعالى: ((وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ))(7)؟ قال: الذی أنعم الله عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن عليك. ثم قال: فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه(8).

وقال عليه السلام(9): ثلاث لا يضر معهن شیء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة(10).

وقال عليه السلام(11): شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل ((الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)) (12).(13)

1- فی الكافی: "على أطراف أصابع رجليه".

2- فی الكافی: "سبحانه وتعالى".

3- سورة طه/ 1 __ 2.

4- الكافی، الكلينی: 2/ 95، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح6.

5- الكافی، الكلينی: 2/ 94، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح3.

6- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

7- سورة الضحى/ 11.

8- أنظر: الكافی، الكلينی: 2/ 94، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح5.

9- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

10- الكافی، الكلينی: 2/ 95، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح7.

11- أی: "الإمام الصادق عليه السلام".

12- سورة الفاتحة/ 2.

13- الكافی، الكلينی: 2/ 95، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح10.

وقال علیه السلام(1): شکر کل نعمة و إن عظمت أن یحمد(2) الله عزّوجل(3).

وقال علیه السلام(4): ما أنعم الله علی عبد بنعمة صغرت أو کبرت فقال: ((الْحَمْدُ للّهِ))(5) إلاّ أدی شکرها(6).

وقال علیه السلام(7): إن الرجل منکم لیشرب الشربة من الماء فیوجب الله بها الجنة، ثم قال علیه السلام: إنه لیأخذ الإناء فیضعه علی فیه فیسمی، ثم یشرب فینحیه وهو یشتهیه فیحمد الله، ثم یعود فیشرب ثم ینحیه فیحمد الله، فیوجب الله عزّوجل بها له الجنة(8).

وقال الکاظم علیه السلام: من حمد الله علی نعمة(9) فقد شکره، وکان الحمد أفضل من تلک النعمة(10).

وعن عمر بن یزید(11) قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام:إنی سألت الله عزّوجل أن

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی الخصال: "أن تحمد".

3- الخصال، الشیخ الصدوق: 1/ 21، باب الواحد، شکر کل نعمة خصلة/ ح73.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- سورة الفاتحة/ 2.

6- الکافی، الکلینی: 2/ 96، کتاب الإیمان والکفر، باب الشکر/ ح14.

7- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

8- أنظر: جامع الأخبار، الشعیری: 127، الفصل الخامس والثمانون فی الشکر.

9- فی الکافی: "علی النعمة".

10- الکافی، الکلینی: 2/ 96، کتاب الإیمان والکفر، باب الشکر/ ح13.

11- الظاهر من کلام الکشی والطوسی عنه، وکلام النجاشی عن ابنه، أنه عمر بن یزید بیاع السابری: وهو مولی ثقیف، ثقة له کتاب. رجال الکشی، الکشی: 331، ما روی فی عمر بن یزید بیاع السابری مولی ثقیف/ الرقم 605. رجال النجاشی، النجاشی: 364، محمد بن عمر بن یزید بیاع السابری/ الرقم 981. رجال الطوسی،الطوسی:339، باب العین،عمر بن یزید بیاع السابری/ الرقم7.

يرزقنى مالاً فرزقنى، وإنى سألت الله أن يرزقنى ولـداً فرزقنى، وسألته أن يرزقنى داراً فرزقنى، وقد خفت أن يكون ذلک اسـتدراجاً. فقال: أما والله مع الحمد فلا.(1)

وعنه عليه السلام(2) أنه خرج من المسـجد وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردها الله على لأشكرن الله حق شكره، فما لبث أن أوتى بها فقال: الحمد لله. فقيل له: جعلت فداک أليس قلت لأشكرن الله حق شكره؟ فقال عليه السلام: ألم تسمعنى قلت ((الْحَمْدُ للّهِ))(3).(4)

وعنه عليه السلام(5) قال: كان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم إذا ورد عليه أمر يسره قال:«الحمد لله على هذه النعمة»، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: «الحمد لله على كل حال».(6)

وعنه عليه السلام(7) قـال: تقول ثلاـث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسـمعه «الحمـد لله الـذى عافـانى بمـا ابتلاک به ولو شاء لفعل»(8) من قال(9) ذلک لم يصبه ذلک البلاء أبداً(10).

1- الكافى، الكلينى: 2/ 97، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح17.

2- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

3- سورة الفاتحة/ 2.

4- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/ 97، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح18.

5- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

6- الحقـايق فى محـاسن الأخلاـق، الفيض الكاشانى: 155، البـاب الثـانى فى الرضا وطريق تحصـيله،الفصل الثالث فى الشـكر وطريق تحصيله.

7- الإمام الباقر عليه السلام.

8- فى الكافى: "ولو شاء فعل".

9- فى الكافى: «قال: من قال».

10- الكافى، الكلينى: 2/ 97، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح20.

الفصل الثانی: فی حده وحقیقته

إعلم أن الشکر من أفضل الأعمال، وهو ینتظم من علم وحال وعمل. فالعلم هو الأصل فیورث الحال، والحال یورث العمل، والعلم هو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القیام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ویتعلق ذلک العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان.

وینبغی لمن أراد شکر الله أن یعلم بأن النعم کلها من الله تعالی، والوسائط مسخرون سخرهم لک برحمته وألقی فی قلوبهم من الاعتقاد والرأفة ما صاروا به مضطرین إلی الإیصال إلیک، وهذا هو الشکر بالقلب.

وأما الفرح بالنعم مع هیئة الخضوع والتواضع فهو أیضاً فی نفسه شکر علی حدة، کما أن المعرفة شکر، فإن کان فرحک بالنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالإنعام بل من حیث إنک تقدر النعمة علی التوصل إلی القرب من المنعم فهو المرتبة العلیا من الشکر، وإمارته أن لا تفرح بنعم الدنیا إلا من حیث أنها مزرعة الآخرة ومعینة علیها، وتفرح بهذا المقدار وتحزن بکل نعمة تلهیک عن ذکر الله، وهذا أیضاً شکر بالقلب.

وأما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو یتعلق بالقلب واللسان والجوارح: أما بالقلب فقصد الخیر وإضماره لکافة الخلق، وأما باللسان فبإظهار الشکر لله بالتحمیدات الدالة علیه،وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله فی طاعته والتوقی من الاستعانة بها علی معصیته، حتی إن شکر العینین أن یستر کل عیب یراه بمسلم، وشکر الأذنین أن یستر کل عیب یسمعه لمسلم، فیدخل هذا وأمثاله فی جملة شکر نعمة هذه الأعضاء(1).

1- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 153 ـــ 154، الباب الثانی فی الرضا وطریق تحصیله، الفصل الثالث فی الشکر وطریق تحصیله. المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 144ـــ 149، کتاب الصبر والشکر، بیان حد الشکر وحقیقته. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 72 ـــ 74، کتاب الصبر والشکر، بیان حد الشکر وحقیقته.

بل قال أرباب المعرفة(1): إن من كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس أيضاً، إذ الإبصار إنما يتم بها، وإنما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فی دينه ودنياه ويتقی بهما ما يضره فيهما، بل المراد من الخلق الأرض والسماء وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله، ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به فی الدنيا والتجافی عن غرورها(2)، ولا أنس إلا بدوام الذكر، ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر(3)، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا ببقاء البدن، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء، ولا يتم ذلک إلا بخلق الأرض والسماء وخلق سائر الأعضاء، وكل ذلک لأجل البدن، والبدن مطية(4) النفس، والراجع إلى الله هی المطمئنة(5) بطول العبادة والمعرفة، فكل من استعمل شيئاً فی غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فی جميع الأسباب التی لابد منها لإقدامه على تلک المعصية، ولذا كان الشاكر الحقيقی قليلاً، قال تعالى: ((وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّكُورُ)).(6)

1- القائل هو: محمد بن مرتضى المشهور بالملا محسن الفيض الكاشانی.

2- غرت: استغفلت. وغرته الدنيا غرورا من باب قعد: خدعته بزينتها. مجمع البحرين، الطريحی: 3/ 303، مادة "غرر".

3- قال أمير المؤمنين عليه السلام: "الفكر إحدى الهدايتين". غرر الحكم، الآمدی: 1/ 56 / ح541.

4- المطا وزن عسى: الظهر، والجمع أمطاء، ومنه قيل: البعير "مطية". مجمع البحرين، الطريحی: 4/ 211، مادة "مطو".

5- إشارة إلى قوله تعالى: ((يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ)) سورة الفجر/ 27.

6- سورة سبأ/ 13.

الفصل الثالث: فی بیان معنی الشکر فی حقه تعالی

لعلک تقول: إن الشکر إنما یعقل فی حق منعم هو صاحب حظ فی الشکر، فإنا نشکر الملوک إما بالثناء لیزید محلهم فی القلوب ویظهر کرمهم عند الناس فیزید صیتهم(1) وجاههم، أو بالخدمة التی هی إعانة لهم علی بعض أغراضهم، أو بالمثول(2) بین أیدیهم فی صورة الخدم لتکثیر سوادهم وزیادة جاههم، وهذا کله محال فی حقه تعالی لوجهین.

أحدهما: إنه تعالی منزه عن الحظوظ والأغراض والحاجة ونشر الجاه والحشمة(3) وتکثیر السواد ونحو ذلک.

الثانی: إن جمیع ما نتعاطاه باختیارنا فهو نعمة أخری علینا من نعم الله، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعیتنا وسائر الأمور التی هی أسباب حرکتنا ونفس حرکتنا من خلق الله تعالی ونعمته، فکیف نشکر نعمته بنعمته؟.

ولو أعطانا الملک مرکوباً فأخذنا مرکوباً آخر له ورکبناه، وأعطانا مرکوباً آخر لم یکن الثانی شکراً للأول منا بل کان الثانی یحتاج إلی شکر کما یحتاج الأول، ثم لا یمکن شکر الشکر إلا بنعمة أخری فیؤدی ذلک إلی أن یکون الشکر محالاً فی حقه تعالی، وقد ورد الشرع به فکیف طریق الجمع بینهما؟.

1- الصیت: الذکر الجمیل الذی ینتشر فی الناس، دون القبیح. یقال ذهب صیته فی الناس. لسان العرب، ابن منظور: 2/ 58، مادة "صوت".

2- المثول: الانتصاب قائما، والفعل مثل یمثل. کتاب العین، الفراهیدی: 8/ 229، باب الثاء واللام والمیم معهما، مادة "مثل".

3- حشمة الرجل وحشمه محرکتین وأحشامه: خاصته الذین یغضبون له من أهل وعبید أو جیرة. والحشم محرکة للواحد والجمع: وهو العیال والقرابة أیضا. والحشمة بالکسر: الحیاء والانقباض. القاموس المحیط، الفیروز آبادی: 4/ 96، مادة "الحشمة".

فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود(1) أو لموسى(2) على اختلاف الروايتين ففی الکافی عن الصادق علیه السلام قال: أوحی الله عزّوجل إلی موسی: یا موسی أشکرنی حق شکری. فقال: یا رب وکیف أشکرک حق شکرک ولیس من شکر أشرکک به إلا وأنت أنعمت به علی. قال: یا موسی الآن شکرتنی حیث علمت أن ذلک منی(3).

وفی حدیث آخر: وشکری لک نعمة أخری منک توجب الشکر لک. فقال تعالی: إذا عرفت أن النعم منی رضیت منک بذلک شکراً(4).

1- نبی الله داود علیه السلام: هو داود بن یسی، وقیل : إیشا بن عوبید بن بوعز، وقیل: عامر، وقیل: یاعز بن سلمون بن أحشون، وقیل: نحشون بن عمینا داب، وقیل: عوینداب، من سلالة إسحاق بن إبراهیم الخلیل علیه السلام، ومعنی داود بالعبریة: الحبیب. ولد فی بیت لحم بفلسطین حوالی عام 1033 قبل میلاد المسیح علیه السلام، وقیل: قبل المیلاد ب_ 1071 سنة، وقیل: 1086 سنة قبل المیلاد. توفی فجأة فی أورشلیم یوم السبت، وقیل: یوم الأربعاء، حدود عام 962، وقیل: عام 1015 قبل میلاد المسیح علیه السلام بعد أن عمر 100 سنة، وقیل: 77 سنة، وقیل: 71 سنة، وقیل: 80 سنة، وقیل: 120 سنة، فدفنوه فی مدینة داود علی جبل صهیون بفلسطین. أعلام القرآن، عبد الحسین الشبستری: 361 __ 364، نبی الله داود علیه السلام.

2- موسی بن عمران علیه السلام: هو موسی، وبالعبریة: موشی بن عمران، أو عمرام، أو عمرم بن قاهث بن لاوی ابن نبی الله یعقوب علیه السلام. ولد موسی علیه السلام، وذلک بین سنتی 1605 و1645 قبل المیلاد. توفی علی جبل نبو، وقیل: نبا بالقرب من جبل طور سیناء حدود سنة 1525 قبل المیلاد أیام التیه، ودفن هناک، ویدعی الیهود أن فلسطین قبرا لموسی علیه السلام یقصدونه فی کل سنة. توفی موسی علیه السلام وعمره 240 سنة، وقیل 120 سنة، وقیل 126 سنة، وقیل 137 سنة. أعلام القرآن، عبد الحسین الشبستری: 937 __ 944، موسی بن عمران علیه السلام.

3- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 98، کتاب الإیمان والکفر، باب الشکر/ ح27.

4- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 151 __ 152، کتاب الصبر والشکر، بیان کشف الغطاء عن الشکر فی حق الله سبحانه.

وعن السجاد عليه السلام أنه كان إذا قرأ هذه الآية ((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها))(1) قال: سبحان من لم يجعل فى أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل فى أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه(2).

والجواب عن الأول: إن طلب الله من عباده الشكر كسائر التكاليف يرجع نفعه إليهم لا إليه.

وإن أردت إيضاح ذلک فاعلم أن ملكاً من الملوک لو أرسل إلى عبد قد بعد عنه مركوباً وملبوساً ونقداً لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملک، فذلک الملک يتصور له حالتان: الأولى أن يكون قصده من إحضار عبده القيام ببعض مهماته والحظ بخدمته، والثانية أن لا يكون له حظ فى حضوره أبداً ولا يزيد حضوره فى ملكه مثقال ذرة، ولكنه قصد بذلک أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته ليرجع النفع إلى العبد نفسه لا إلى الملک، وإرادة الله الشكر من عباده مثال الحالة الثانية.

الفصل الرابع: فى طريق تحصيل الشكر

وهو مركب من العلم والعمل، بأن يعرف الله ويتفكر فى مصنوعاته وينظر إلى الأدنى فى الدنيا فيشكر الله، وإلى الأعلى فى الدين فيجتهد فى الوصول إلى مرتبته، ويشكر فى المصائب على أنه لم يصب بأكبر منها، وأنها لم تكن مصيبة دينية بل دنيوية، وأنه قد عجلت عقوبتها ولم تدخر للآخرة وأن ثوابها خير له، وأنها تنقص من القلب حب الدنيا، بل ربما بغضت الدنيا التى حبها رأس كل

1- سورة النحل/ 18.

2- أنظر: تحف العقول، الحرانى: 283، وروى عن الإمام سيد العابدين عليه السلام فى قصار هذه المعانى.

خطیئة إلیه، فهی فی الحقیقة نعم یجب الشکر علیها، إذ لا تخلو مصیبة عن تکفیر خطیئة أو ریاضة نفس أو رفع درجة(1).

ولیسأل الله العافیة فإنها خیر من البلاء(2)، فکان النبی والأئمة علیهم السلام یستعیضون بالله من بلاء الدنیا وبلاء الآخرة(3)، وکانوا یقولون: ((رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً وَفِی الآخِرَةِ حَسَنَةً))(4) وکانوا یستعیذون من شماتة الأعداء ومن سوء القضاء ومن حلول البلاء(5)، وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: سلوا الله العافیة، فما أعطی(6) عبد أفضل من العافیة إلا الیقین(7). وأشار بالیقین إلی عافیة القلب من مرض الجهل(8).

1- قال الإمام علی علیه السلام: صبرک علی المصیبة یخفف الرزیة ویجزل المثوبة. غرر الحکم، الآمدی: 283، الصبر علی البلیة/ ح24.

2- ورد فی الخصال عن أمیر المؤمنینعلیه السلام: «سلوا الله العافیة من جهد البلاء فإن جهد البلاء ذهاب الدین». الخصال، الشیخ الصدوق: 2/620، علم أمیر المؤمنین علیه السلام أصحابه فی مجلس واحد أربعمائة باب.

3- ورد فی مهج الدعوات : «وأعوذ بک من الجهل والهزل ومن شر القول والفعل ومن سقم یشغلنی ومن صحة تلهینی وأعوذ بک من التعب والنصب والوصب والضیق والضنک والضلالة والغائلة والذلة والمسکنة والریاء والسمعة والندامة والحزن والخشوع والبغی والفتن ومن جمیع الآفات والسیئات وبلاء الدنیا والآخرة وأعوذ بک من الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأعوذ بک من وسوسة الأنفس مما تحب من القول والفعل والعمل». مهج الدعوات، ابن طاووس: 101، دعاء أمیر المؤمنین علیه السلام.

4- سورة البقرة/ 206.

5- ورد فی مصباح الکفعمی: "أعذنی من شماتة الأعداء ومن حلول البلاء ومن الذل والعناء". مصباح الکفعمی، الکفعمی: 679، الفصل الثامن والأربعون فیما یعمل فی ذی الحجة.

6- فی المحجة: "أعطی" بدل "أعطی".

7- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی:7/235،کتاب الصبر والشکر،بیان فضل النعمة علی البلاء.

8- أنظر: جامع السعادات، النراقی: 3/ 273 ـــ 276، فصل طریق تحصیل الشکر. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 75 ـــ 79، کتاب الصبر والشکر، بیان طریق کشف الغطاء عن الشکر فی حق الله تعالی.

الباب الخامس: الرجاء والخوف

اشارة

فی الرجاء والخوف

وهما جناحان یطیر بهما المقربون إلی کل مقام محمود، ومطیتان بهما یقطع من طرق الآخرة کل عقبة کؤود، وتحقیقهما فی فصول:

الفصل الأول

الرجاء هو ارتیاح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولکن ذلک المحبوب متوقع لابد وأن یکون له سبب، فإن کان انتظاره لأجل حصول أکثر أسبابه فاسم الرجاء علیه صادق، وإن کان ذلک انتظاراً مع انخرام(1) أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق علیه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تکن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنی أصدق علی انتظاره من اسم الرجاء.

وأیما کان فلا یطلق اسم الرجاء والخوف إلا علی ما یتردد فیه، أما ما یقطع به فلا، فلا یقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، ویقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه.

1- ما خرم منه شیئا، أی: ما نقص وما قطع. مختار الصحاح، الرازی: 98، مادة "خرم".

وقـد علم أرباب القلوب والعرفان بالبيان والوجـدان والعيان أن «الـدنيا مزرعة الآخرة»(1) والقلب كالأرض والإيمان كالبـذر فيه والطاعات جاريـة مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى الأنهار وسـياق الماء إليها، والقلب المحب للـدنيا كالأرض السـبخة(2) التى لاـ ينمو فيها البـذر، ويوم القيامـة يوم الحصـاد، ولاـ يحصـد أحـد إلاـ ما زرع، ولا ينمى زرع إلا من بـذر الإيمان، وقلما ينفع الإيمان مع خبث القلب بالأخلاق الرديئة، كما لا ينمى زرع فى أرض سبخة فليقس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع.

فكل من طلب أرضاً طيبـة وألقى فيها بـذراً جيـداً وأمـده بما يحتاج إليه من سوق الماء فى أوقاته ونقى الأرض عن الشوک والحشـيش وسائر الموانع وجلس منتظراً من فضل الله دفع الصواعق المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سـمى انتظاره رجاءً، وإن بث البذر فى أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حمقاً وغروراً.

فينبغى للعبد أن يبث بذر الإيمان فى القلب ويسقيه بماء الطاعات ويطهر القلب عن شوک الأخلاق الرديئة وينتظر من فضل الله تثبيته على ذلـک إلى الموت وحسن الخاتمـة المفضـية إلى المغفرة، فإذا فعل ذلک كان انتظاره رجاءً محموداً، وإن قطع عن بـذر الإيمان تعهـده بماء الطاعات أو ترک القلب مشحوناً

1- عوالى اللئالى، ابن أبى جمهور الأحسائى: 1/ 267، الفصل العاشر فى أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح66.

2- السـباخ: جمع سـبخة، وهى الأـرض التى تعلوهـا الملوحـة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشـجر. النهايـة فى غريب الحـديث، ابن الأثير: 2/333، باب السين مع الباء، مادة "سبخ".

برذائل الأخلاق وانتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور لا رجاء، ولهـذا قال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: الـدنیا مزرعة الآخرة(1). وقال صلی الله علیه وآله وسـلم: الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنی علی الله تعالی(2). وقال تعالی: ((إِنَّ الَّذِینَ آمَنُواْ وَالَّذِینَ هاجَرُواْ وَجاهَدُواْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أُوْلئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ))(3) أی أولئک ینبغی لهم أن یرجوا لا سواهم.

وقال تعالی: ((فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْکِتابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هذا الأدْنَی وَیَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنا))(4).

وعن الصادق علیه السلام أنه قیل له: إن قوماً من موالیک یلمون بالمعاصی ویقولون: نرجو. فقال: کذبوا لیسوا لنا بموال، أولئک قوم ترجّحت بهم الأمانی: من رجا شیئاً عمل له، ومن خاف شیئاً هرب منه(5).

وقال علیه السلام(6): لا یکون المؤمن مؤمناً حتی یکون خائفاً راجیاً، ولا یکون خائفاً راجیاً حتی یکون عاملاً لما یخاف ویرجو(7).

1- عوالی اللئالی،ابن أبی جمهور الأحسائی: 1/ 267، المقدمة، الفصل العاشر فی أحادیث تتضمن شیئا من الآداب الدینیة/ ح66.

2- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 215، بیان آفة العجب. ونص الحدیث: «الکیس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنی علی الله».

3- سورة البقرة/ 218.

4- سورة الأعراف/ 169.

5- أنظر:الکافی،الکلینی:2/68 ـــ 69،کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ح6.

6- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

7- الکافی، الکلینی: 2/ 71، کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ ح11.

وقال حكيم(1): من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه(2).

وقال آخر(3): من أعظم الاغترار التمادى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله عزّ وجل بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصى، وانتظار الجزاء بغير عمل(4).

واعلم أن الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات فى جميع الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف فى التملق له، فإن هذه الأحوال تظهر على من يرجو مثله من العبيد فكيف لا تظهر فى حق الله. ومن ذلک يعلم أن جلّ رجائنا بل كله حمق وغرور، فالمستعان بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله(5).

1- أبو القاسم الحكيم: إسحاق القاضى أبو قاسم الحكيم، الفقيه الحنفى، توفى 197، سبع وتسعون ومائة، له مختصر فى الحيض. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادى: 1/ 196.

2- إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 136، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف. وفيه: قال أبوالقاسم الحكيم.

3- هو: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير فى وقته. من أهل الرى. أقام ببلخ، ومات فى نيسابور. توفى سنة 258 مـ. الأعلام، الزركلى: 8/ 172.

4- إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 125، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الرجاء.

5- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 158 ـــ 160، الباب الثالث فى الرجاء والخوف. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 249 ـــ 252، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الرجاء. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 124 ـــ 126، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الرجاء.

الفصل الثانی: فی فضل الرجاء وترجیحه علی الخوف

إعلم أن العمل علی الرجاء أعلی منه علی الخوف، لأن أقرب العباد إلی الله أحبهم إلیه، والحب یغلب بالرجاء. واعتبر ذلک بملکین یخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاءً لثوابه، ولذلک ورد فی الرجاء وحسن الظن رغائب، ولاسیما وقت الموت، قال الله تعالی: ((قُلْ یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ))(1) وقال تعالی: ((إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ))(2).

وعیّر الله قوماً فقال: ((وَذلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنتُم بِرَبِّکُمْ أَرْداکُمْ))(3) وقال: ((وظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَکُنتُمْ قَوْمًا بُورًا))(4).

وفی أخبار یعقوب(5):إن الله تعالی أوحی إلیه:أتدری لِمَ فرقت بینک وبین یوسف(6)؟

1- سورة الزمر/ 53.

2- سورة الرعد/ 6.

3- سورة فصلت/ 23.

4- سورة الفتح/ 12.

5- یعقوب بن إسحاق بن إبراهیم الخلیل علیه السلام، وکان یعرف بإسرائیل، وهی کلمة عبریة، معناها: عبد الله، ویعقوب: اسم أعجمی. کان توأما مع أخیه عیص، أو عیصو، وأمه رفقة بنت بتوئیل أخی إبراهیم علیه السلام. وبعد أن أقام فی مصر 17 سنة لبی نداء ربه وتوفی بها عن عمر ناهز 147 سنة، ودفن عند جبل المعظم، ثم حمل رفاته إلی فلسطین ودفن بها فی بیت المقدس عند مرقد أبیه إسحاق علیه السلام وذلک حسب وصیته. أعلام القرآن، عبد الحسین الشبستری: 1055 ـــ 1056، نبی الله یعقوب علیه السلام.

6- هو یوسف بن یعقوب بن إسحاق بن إبراهیم الخلیل علیه السلام وأمه راحیل، أحد أنبیاء بنی إسرائیل، وکان راسخ الإیمان صدیقا تقیا عفیفا صابرا، آیة فی الجمال، ومن أحسن الناس وجها، ولد فی فدان آرام فی العراق، ونشأ فی الشام تحت رعایة وتربیة أبیه یعقوب علیه السلام. توفی بمصر عن عمر قارب 120 سنة، وقیل: 110 سنوات، وأوصی بأن یحمل جثمانه إلی فلسطین، ویدفن عند آبائه. أعلام القرآن، عبد الحسین الشبستری: 1071 ـــ 1076، نبی الله یوسف علیه السلام.

لقولک: ((إِنِّی أَخافُ أَن یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ))(1) لِمَ خفت الذئب ولم ترجنی؟ ولِمَ نظرت إلی غفلة إخوته ولم تنظر إلی حفظی له؟(2).

وقال علیه السلام(3): لا یموتن أحدکم إلا وهو یحسن الظن بالله(4).

وقال علیه السلام(5): یقول الله أنا عند ظن عبدی بی، فلیظنّ بی ما شاء(6).

ودخل علیه السلام(7) علی رجل وهو فی النزع(8) فقال: کیف تجدک؟ قال: أجدنی أخاف ذنوبی وأرجو رحمة ربی. فقال علیه السلام: ما اجتمعا فی قلب عبد فی هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما یخاف(9).

1- سورة یوسف/ 13. ونصها: ((وَأَخافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ)).

2- فیض القدیر، المناوی: 2/ 332.

3- النبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

4- روضة الواعظین،الفتال النیسابوری:2/503،مجلس فی ذکر الرجاء وسعة رحمة الله تعالی.

5- أی: "النبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم".

6- أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 10/ 155، خطبة 186 له علیه السلام، ذکر الخوف وما ورد فیه من الآثار.

7- أی: "النبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم".

8- قولهم فلان فی النزع:أی فی قلع الحیاة. یقال:فلان ینزع نزعا إذا کان فی السیاق عند الموت. لسان العرب، ابن منظور: 8/349، فصل النون، مادة "نزع".

9- أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 10/ 155، خطبة 186 له علیه السلام، ذکر الخوف وما ورد فیه من الآثار.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله يقول للعبد يوم القيامة: ما منعک إذ رأيت المنکر أن تنکر فإن لقنه الله حجته، قال: يا رب رجوتک وخفت الناس. قال: فيقول الله تعالى: قد غفرت لک(1).

وقال الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: «لا يتكل العاملون على أعمالهم التى يعملونها لثوابى، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم فى عبادتى كانوا مقصرين غير بالغين فى عبادتهم كنه عبادتى فى ما يطلبون عندى من كرامتى والنعيم فى جناتى ورفيع الدرجات العلى فى جوارى، ولكن برحمتى فليثقوا وفضلى فليرجوا وإلى حسن الظن بى فليطمئنوا، فإن رحمتى عند ذلک تدركهم، فإنى أنا الله الرحمان الرحيم وبذلک تسميت»(2).

وعنه عليه السلام(3) قال: وجدنا فى كتاب على عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو على منبره: والذى لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذى لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذى لا إله إلا هو لا يحسن ظن مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات يستحى أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخالف ظنه ورجاه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه(4).

وقال الصادق عليه السلام: حسن الظن بالله أن لا ترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبک(5).

1- أنظر: مسند أحمد، ابن حنبل: 3/ 27، مسند أبى سعيد الخدرى.

2- أنظر: أعلام الدين، الديلمى: 42 __ 43، فصل فى السؤال والبيان.

3- أى: "الإمام الباقر عليه السلام".

4- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/71 __72، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظن بالله عزّوجل/ ح2.

5- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 2/ 185.

الفصل الثالث: فی دواء الرجاء وسبب حصوله

إعلم أن هذا الدواء یحتاج إلیه أحد رجلین: إما رجل غلب علیه الیأس فیترک العبادة، وإما رجل غلب علیه الخوف فأسرف فی المواظبة علی العبادة حتی أضر بنفسه وأهله، وهما مائلان عن الاعتدال إلی طرفی الإفراط والتفریط فیحتاجان إلی علاج ودواء یردهما إلی الاعتدال.

وأما العاصی المغرور المتمنی علی الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصی فالرجاء فی حقه سم قاتل، بل دواؤه الخوف والأسباب المهیجة له، ودواء الرجاء أمران: الاعتبار، والآیات والأخبار:

أما الاعتبار: فالتدبر فی کثرة نعم الله علی العبد فی الدنیا. وسوابق فضل الله من دون شفیع، وما وعد من جزیل ثوابه من دون استحقاق، وما أنعم بما یمد فی الدارین من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب، وأنه أرحم من الأم الشفیقة بأولادها الصغار، ورحمته فی الآخرة أوسع منها فی الدنیا کما ورد(1)، فهو لا محالة یرحمهم فی الآخرة کما رحمهم فی الدنیا.

والثانی: استقراء الآیات والأخبار الواردة فی فضل الرجاء(2)، سیما فی ما ورد فی أدعیة أئمة الهدی، ففی ما ورد عنهم علیهم السلام: إلهی أمرتنا أن نعفو عمن

1- إن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بین الإنس والجن والبهائم والهوام فیها یتعاطفون وبها یتراحمون وبها یعطف الوحش علی ولدها فأخر الله تسعا وتسعین رحمة یرحم بها عباده یوم القیامة. نجم الحق، الحلی: 374، إیضاح خرافة الجبر.

2- أنظر: المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/ 256 ـــ 257، کتاب الخوف والرجاء، بیان دواء الرجاء والسبب الذی یحصل منه حال الرجاء ویغلب. إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 127 ـــ 128، کتاب الخوف والرجاء، بیان دواء الرجاء والسبیل الذی یحصل منه حال الرجاء ویغلب.

ظلمنا وقـد ظلمنا أنفسـنا فاعف عنا فإنک أولی بـذلک منا، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقـد جئناک سؤالاً فلا تردنا، وأمرتنا أن نعتق من مماليکنا من قـد شاب فی ملکنا وقد شـبنا فی ملکک فأعتق رقابنا من النار، وأمرتنا بالإحسان إلی ما ملکت أيماننا ونحن أرقاؤک فأعتقنا من النار، وأمرتنا أن نتصدق علی فقرائنا ونحن فقراؤک فتصدق علينا(1).

وفيها: اللهم إنک قلت لنبيک صلی الله عليه وآله وسلم: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضی))(2) اللهم إن نبيک لا يرضی بأن تعذب أحداً من أمته فی النار(3).

وهذا المضمون فی کلماتهم عليهم السلام کثير(4).

الفصل الرابع: فی الخوف

الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مکروه فی الاستقبال وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل:

أما العلم: فهو العلم بالسـبب المفضـی إلی المکروه، کمن جنی علی ملک ثم وقع فی يده وهو يخاف القتل ويجوز العفو والإفلات، ولکن يکون تألم قلبه

1- أنظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: 76، فصل فيما نذکره من أدعية تتکرر (متکررة) کل ليلة منه وقت السحر.

2- سورة الضحی/ 5.

3- أنظر: مفتاح الفلاح، الشيخ البهائی: 132، الباب الأول فيما يعمل ما بين طلوع الفجر إلی طلوع الشمس.

4- أنظر: إقبـال الأعمـال، ابن طاووس: 106، البـاب الخـامس فيما نـذکره من سـياقة عمل الصائم فی نهاره، فصل فيما نـذکره من الأدعية والتسبيح والصلاة علی النبی صلی الله عليه وآله وسلم المتکررة کل يوم من شهر رمضان.

بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش جنايته وكون الملک فی نفسه غضوباً منتقماً، وكون هذا الجانی عاطلاً عن كل حسنة تمحو أثر جنايته عند الملک، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، ولسبب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف.

فهذا العلم سبب لاحتراق القلب وتألمه وخوفه وهو الحال، وهذا الحال يثمر فعلاً بالاستعداد والتهيؤ لما يصلح للعفو.

والخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وتارة يكون بكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصی، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه(1)، ولذلک قال صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أخوفكم لله(2). ولذا قال تعالى: ((إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماء))(3).

ثم إذا كملت تلک المعرفة وأورثت حال الخوف واحتراق القلب افضى أثر الحرقة من القلب على القلب وعلى البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات:

أما فی البدن فبالنحول والصفار والبكاء ونحو ذلک.

وأما فی الجوارح فبكفها عن المعاصی وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل، ولذلک قيل: ليس الخائف من يبكی ويمسح عينيه بل من يترک ما يخاف بأن يعاقب عليه(4).

1- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه». روضة الواعظين،الفتال النيسابوری:1/20،مجلس فی معرفة الله،باب الكلام فی النظر وما يؤدی إليه.

2- المحجة البيضاء،الفيض الكاشانی:7/270،كتاب الخوف والرجاء،بيان حقيقة الخوف.

3- سورة فاطر/ 28.

4- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 132. إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/ 136، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف.

وأما الصفات فهو أن يقمع الشهوات بالخوف ويؤدب الجوارح ويكدر اللذات، فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهمة بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرق لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره.

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال الامتناع من المحظورات(1)، ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعاً، فإن زادت قوته وكف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيسمى ذلک تقوى، إذ التقوى أن يترک ما يريبه(2) إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترک ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق فى التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً.

ويدخل فى الصدق التقوى، وفى التقوى الورع، وفى الورع العفة، فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة، فإذا الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والإقدام(3).

1- الحظر:هو خلاف الإباحة. المحظور: المحرم. لسان العرب، ابن منظور: 4/ 202، مادة "حظر".

2- الريب: الشک. والريب: ما رابک من أمر، والاسم الريبة بالكسر، وهى التهمة والشک. الصحاح، الجوهرى: 1/141، مادة "ريب".

3- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 160 ـــ 161، الباب الثالث فى الرجاء والخوف، الفصل الأول حال من غلب عليه الخوف. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 269 ـــ 271، كتاب الخوف والرجاء، بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 136 ـــ 137، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف.

الفصل الخامس: فی فضیلة الخوف وسببه والترغیب فیه

قال الله تعالی: ((إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماء))(1) وقال تعالی: ((رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِکَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ))(2) وقال تعالی: ((وَخافُونِ إِن کُنتُم مُؤْمِنِینَ))(3) وقال تعالی: ((سَیَذَّکَّرُ مَن یَخْشی))(4) وقال تعالی: ((فَلْیَضْحَکُواْ قَلِیلاً وَلْیَبْکُواْ کَثِیرًا))(5).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم:ما من مؤمن تخرج من عینیه دمعة وإن کانت مثل رأس الذباب من خشیة الله ثم تصیب شیئا من حر وجهه إلا حرمه الله علی النار(6).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: إذا اقشعر(7) قلب المؤمن(8) من خشیة الله تحاتت عنه خطایاه کما یتحات(9) من الشجر ورقها(10).

1- سورة فاطر/ 28.

2- سورة البینة/ 8.

3- سورة آل عمران/ 175.

4- سورة الأعلی/ 10.

5- سورة التوبة/ 82.

6- أنظر: أعلام الدین، الدیلمی: 274، من کلام سیدنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

7- القشعریرة: اقشعر الجلد من فزع ونحوه. وکل شیء تغیر فهو مقشعر. کتاب العین، الفراهیدی: 2/ 287، مادة "قشعر".

8- فی الإحیاء: "قلب مؤمن".

9- الحت والإنحتات والتحات والتحتحت: سقوط الورق عن الغصن وغیره. تحاتت عنه ذنوبه، أی: سقطت. تاج العروس، الزبیدی: 1/ 536، فصل الحاء.

10- إحیاء علوم الدین،الغزالی:4/142،کتاب الخوف والرجاء،بیان فضیلة الخوف والترغیب فیه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يلج(1) النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع(2).(3)

وقال الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار(4): يا إسحاق خف الله كأنک تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراک، وإن كنت ترى أنه لا يراک فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراک ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليک(5)(6).

وعنه عليه السلام(7) قال: من خاف الله خاف منه(8) كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء(9).

1- ولج يلج بالكسر ولوجا، أى: دخل، وأولجه غيره:أدخله. مختار الصحاح، الرازى: 375، باب الواو، مادة "ولج".

2- الضرة: أصل الضرع الذى لا يخلو من اللبن، أو لا يكاد يخلو منه. والضرة: أصل الثدى. لسان العرب، ابن منظور:4/487، مادة "ضرر".

3- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/ 280، كتاب الخوف والرجاء، بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه.

4- قال النجاشى: شيخ من أصحابنا ثقة. رجال النجاشى، النجاشى: 71، إسحاق بن عمار بن حيان مولى بنى تغلب أبو يعقوب الصيرفى/ الرقم 169. معجم رجال الحديث، السيد الخوئى: 3/ 49 _ 61، إسحاق بن عمار/الرقم 1158.

5- فى الكافى: "أهون الناظرين عليک".

6- الكافى، الكلينى: 2/ 68، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح2.

7- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

8- فى المشكاة: "أخاف الله منه".

9- مشكاة الأنوار، الطبرسى: 117، الباب الثالث فى محاسن الأفعال وشرف الخصال وما يشبههما، الفصل الرابع فى الخوف والرجاء.

وعنه علیه السلام(1): من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت(2) نفسه عن الدنیا(3).

وعنه علیه السلام(4): إن من العبادة شدة الخوف من الله، قال تعالی: ((إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماء))(5)، وقال تعالی: ((فَلا تَخْشَوُاْ النّاسَ وَاخْشَوْنِ))(6) وقال تعالی: ((وَمَن یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا))(7). وقال علیه السلام(8): إن حبّ الشرف والذکر لا یکونان فی قلب الخائف الراهب(9).

وقال علیه السلام(10): المؤمن بین مخافتین: ذنب قد مضی لا یدری ما صنع الله فیه، وعمر قد بقی لا یدری ما یکتسب فیه من المهالک، فهو لا یصبح إلا خائفاً ولا یصلحه إلا الخوف(11).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- سخیت نفسی وبنفسی عن الشیء: إذ ترکته، ولم تنازعک نفسک إلیه. کتاب العین، الفراهیدی: 4/ 289، مادة "سخو".

3- تحف العقول، الحرانی: 362، وروی عن الإمام الصادق أبی عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله علیه فی طوال هذه المعانی.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- سورة فاطر/ 28.

6- سورة المائدة/ 44.

7- سورة الطلاق/ 2.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 69، کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ ح7.

10- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

11- الکافی، الکلینی: 2/ 71، کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ ح12.

وعنه عليه السلام(1): لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو(2).

والخوف يحصل من الإيمان بالله وبرسوله، وبما جاء به الرسول من الحساب والعذاب والعقاب، ولحصول الخوف طريقان أحدهما أعلى من الآخر.

ومثال ذلک أن الصبی إذا کان فی بیت فدخل علیه سبع أو حیة ربما کان لا یخاف، بل ربما مد یده إلی الحیة لیأخذها ویلعب بها ولکن إذا کان معه أبوه ورآه الصبی قد ارتعدت فرائصه وهو یحتال فی الهرب وقد غلب علیه الخوف، حصل له الخوف من ذلک، لعلمه بأنه لا یخاف إلا من سبب مخوف فی نفسه، فخوف الأب عن بصیرة ومعرفة بصفة الحیة وسمها وسطوة السبع وبطشه، وخوف الولد إنما کان بمجرد التقلید، لأنه یحسن الظن بأبیه ویعلم أنه لا یخاف إلا من سبب مخوف، فیعلم أن السبع والحیة مخوفان ولا یعرف وجههما، وخوف الأنبیاء والأوصیاء والعلماء من القسم الأول وخوف عموم الخلق من المؤمنین من القسم الثانی.

ویکفی فی الخوف التفکیر فی الآیات القرآنیة، فإن أکثرها تخویفات وتهدیدات لمن تدبر، ولو لم یکن إلا قوله تعالی: ((سَنَفْرُغُ لَکُمْ أَیُّهَا الثَّقَلانِ))(3) وقوله تعالی: ((وَإِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا ثُمَّ اهْتَدَی))(4) حیث علق المغفرة علی أربعة شروط یعجز العبد عن أحدها(5).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- الأمالی، الشیخ المفید: 195، المجلس الثالث والعشرون/ ح27.

3- سورة الرحمن/ 31.

4- سورة طه/ 82.

5- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 149، کتاب الخوف والرجاء، بیان الدواء الذی به یستجلب حال الخوف. وفیه: "عن آحادها" بدل "عن أحدها".

وقوله تعـالى: ((فَأَمّـا مَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَعَسـى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ))(1) وقوله تعالى:((لِيَسْـئَلَ الصّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ))(2) وقوله تعالى: ((أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ))(3) وقوله تعالى: ((وَإِن مِنكُمْ إِلاّ وارِدُها))(4) وقوله تعالى: ((اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ))(5) وقوله تعالى: ((وَقَدِمْنا إِلى مـا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا))(6) وقوله تعالى: ((وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإِنسانَ لَفِى خُسْرٍ(2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ))(7) حيث شرط أربعة شروط للخلاص من الخسران(8)، لكان فيها الكفاية.

وروى أن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كان إذا هبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد فى الحجرة ويدخل ويخرج خوفاً من عذاب الله(9).

وقرأ صلى الله عليه وآله وسلم آية فى سورة الحاقة فصعق(10). وقال تعالى:((فَخَرَّ موسى صَعِقًا))(11).

1- سورة القصص/ 67.

2- سورة الأحزاب/ 8.

3- سورة الأعراف/ 99.

4- سورة مريم/ 71.

5- سورة فصلت/ 40.

6- سورة الفرقان/ 23.

7- سورة العصر/ 1__3.

8- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/290، كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذى به يستجلب حال الخوف.

9- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/305، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.

10- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/305، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.

إحياء علوم الدين: 4/158، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.

11- سورة الأعراف/143.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل(1).

وروى أن داود عليه السلام كان يقول فى مناجاته: إلهى إذا ذكرت خطيئتى ضاقت علىّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتک ارتدت إلى روحى، سبحانک إلهى أتيت أطباء عبادک ليداووا خطيئتى فكلهم عليک يدلنى،فبؤساً للقانطين من رحمتک(2).

وقيل إنه عليه السلام(3) ذكر ما صدر منه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال، فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم إنما أريد كل بكّاء على خطيئته، فلا يستقبلنى إلا البكّاء(4).

وكان يعاتب فى كثرة البكاء فيقول: دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام(5) واشتعال الحشا، وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون(6).

1- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/305، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
إحياء علوم الدين، الغزالى 4/158، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/306، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/159، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
3- نبى الله داود عليه أفضل الصلاة والسلام.
4- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/306، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/159، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.
5- فى المحجة: "قبل تخريق العظام".
6- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/306، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.

وحکی أنه علیه السلام(1) کـان إذا أراد أن ینوح مکث قبل ذلک سـبعاً لا یأکل الطعام ولا یشـرب الشـراب ولا یقرب النساء، فإذا کان قبل ذلک بیوم أخرج له إلی البریة منبراً، فیأمر سـلیمان أن ینادی بصوت یسـتقرئ البلاد وما حولها من الغیاض(2) والآکام(3) والجبال والبراری والصوامع(4) والبیع(5) فینادی: ألا من أراد أن یسمع نوح داود علی نفسه فلیأت. قال: فتأتی الوحوش من البراری والآکام وتأتی السباع من الغیاض وتأتی الهوام من الجبال وتأتی العـذاری من خـدورهن ویجتمع الناس لذلک الیوم، ویأتی داود حتی یرقی علی المنبر ویحیط به بنو إسـرائیل وکل صـنف علی حدة یحیطون به وسـلیمان علیه السـلام قائم علی رأسه، فیأخذ فی الثناء علی ربه، فیضجون بالبکاء والصراخ، ثم یأخـذ فی ذکر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والناس والسـباع، ثم یأخذ فی أهوال القیامة، وفی النیاحة علی نفسه فیموت من کـل نوع طائفـة، فإذا رأی سـلیمان کثرة الموتی قال: یا أبتاه قـد مزقت المسـتمعین کل ممزق وماتت طوائف من بنی إسـرائیل ومن الوحوش والهوام فیأخذ فی الدعاء، فبینا هو کذلک إذ ناداه بعض عباد بنی إسرائیل: یا داود

1- أی: "داود علیه أفضل الصلاة والسلام".

2- الغیاض: جمع غیضـة. وهی: الشـجر الملتف، لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فیها فتمکن منهم العدو. لسان العرب، ابن منظور: 7/202، مادة "غیض".

3- آکام کجبل و أجبال. الأکمة: تل من القف وهو حجر واحد. لسان العرب، ابن منظور: 12/20، مادة "أکم".

4- الصوامع جمع صومعة النصاری، دقیقة الرأس. مجمع البحرین، الطریحی: 2/635، مادة "صمع".

5- البیعة: کنیسة النصاری، وجمعها بیع. کتاب العین، الفراهیدی: 2/265، مادة "بیع".

أعجلت بطلب الجزاء على ربک؟ فيخر مغشياً عليه، فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادى: ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار، فكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول: يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله. ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود. ولا يزال يناجى فيأتى سليمان عليه السلام: فيقف على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير ويقول: يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلک القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم(1).

ويحكى أن إبراهيم(2) عليه السلام كان إذا ذكر ما صدر منه يغشى عليه ويسمع

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/160، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فى الخوف.

2- أبو الضيفان إبراهيم، وقيل: إبراهام، أو إبراهم، أو إبرهم، أو إبراهوم بن تارح، وقيل: تارخ بن ناحور بن سروج، وقيل: ساروغ بن رعو، وقيل: أرعو، وقيل: راغو بن فالج، وقيل: فالغ بن عابر بن شالح، وقيل: شالخ بن أرفخشد، وقيل: أرفكشاذ بن سالم ابن نبى الله نوح عليه السلام، الملقب بخليل الله، وأمه أميلة، وقيل: عوشاء، وقيل: بونابنت كريتابن كرثى. هو أبو الأنبياء، وأحد الأنبياء أولى العزم، أصحاب الشرائع العامة، وجد العبرانيين، والعرب المستعربة من ابنه اسماعيل عليه السلام. ولد فى غار بقرية كوثى، وقيل: كوثار من أرض بابل، وقيل: ولد بغدان آرام من قرى الكوفة، وقيل: بمدينة أور من بلاد الكلدانيين، وقيل: بالسوس، وقيل: ولادته فى برزة شرقى دمشق سنة (1996) قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ولد إبراهيم عليه السلام وعمر أبيه 75 سنة. عاش 175 سنة، وقيل: 200 سنة، وقيل: 120 سنة، وقيل: 190 سنة، توفى بفلسطين فى أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحادى والعشرين قبل ميلاد المسيح، فدفنه ولداه إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام بمغارة المكفيلة فى حقل عفرون، وقيل: دفن فى قرية أربع أو المربعة قرب بيت المقدس عند زوجته سارة. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبسترى: 22 ___ 24، إبراهيم الخليل.

اضـطراب قلبه ميلاًـ فی ميل، فيأتيه جبرئيل فيقول له: الجبار يقرئک السـلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جبرئيل إنی إذا ذكرت خطيئتی نسيت خلتی(1).

وكان يسمع أزيز(2) قلبه عليه السلام(3) إذا كان فی الصلاة مسيرة ميل خوفاً من ربه(4).

ويكفيک فی ذلک بكاء الأئمـة الطاهرين عليه السـلام وخوفهم ومناجاتهم(5) فما بالنا لا نخاف ألكثرة طاعاتنا أم لقلـة معاصـينا أم لغفلتنا وقسوتنا؟! فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خوف سوء الخاتمة يزعجنا(6).

1- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/160، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فی الخوف.

2- قوله: أزيز، يعنی: غليان جوفه بالبكاء. غريب الحديث، ابن سلام: 1/221.

3- أی: "النبی إبراهيم عليه السلام".

4- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالی: 4/159، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فی الخوف.

5- أنظر: الحقـايق فی محـاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 167، البـاب الثـالث فی الرجـاء والخوف، الفصل الرابع الخوف من الله علی مقامين. جامع السعادات، النراقی: 1/261، فصل الخوف من الله أفضل الفضائل.

6- أنظر: كتاب تنزيه الأنبياء، السيد المرتضی علم الهدی، وفيه بيان تفصيلی حول عصمة وتنزيه الأنبياء وكذلک الأئمة عليهم السلام، وأما ما يصدر عنهم من البكاء والمناجاة فهو ليس لذنب صدر منهم بل لمعرفتهم بالجنة والنار والأهوال وأنواع العذاب وما يجری علی المذنبين خاصـة من أممهم ويسـتغفروا لهم رجاءً لعتقهم من الله الرحيم وهكـذا بكاء الحقيقة والمعرفة والشوق والخوف من البعد عن منازل القرب التی لا تكون إلا للخواص ممن يصطفيهم كحبيبه المصطفی صلی الله عليه وآله وسلم ووصيه المرتضی صلوات الله عليه.

الفصل السادس

قد تحصل من ملاحظة ما سبق أن الخوف من الله على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه، وهو خوف عموم الخلق المؤمنين بالجنة والنار، وإذا ضعف هذا الخوف فسببه ضعف الإيمان والغفلة، ويقوى بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر فى أهوال القيامة(1) وأصناف العذاب(2) والنظر فى أحوال الخائفين.

والثانى: وهو الأعلى ـــ أن يكون الله تعالى هو المخوف، بأن يخاف البعد والحجاب عنه، ويرجو القرب منه وهو خوف من عرفه من الأنبياء والأوصياء والعلماء ممن عرفوا من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى : ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ))(3).

ثم إن الخوف لا ـ يتحقق إلا ـ بانتظار مكروه: والمكروه إما أن يكون مكروهاً فى ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضى إلى المكروه، كما تكره المعاصى لأدائها إلى العذاب.

1- من الأهوال التى أشير إليها فى القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً)) سورة الإسراء/97.

2- من أصناف العذاب التى ذكرت فى القرآن الكريم:((يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) سورة الشعراء/ 157.

3- سورة آل عمران/ 28.

والخـائفون من القسم الثـانى منهم من يغلب عليه خوف الموت قبـل التوبـة، أو خوف نقض التوبـة، أو خوف ضـعف القوة عن الوفـاء بتمام حقوق الله، أو خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله إلى حسـناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشـتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاسـتدراج بتواتر النعم، أو خوف انكشاف غوائل(1) طاعاته حتى يبـدو له من الله ما لـم يكن يحتسب،أو خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش وإضـمار السوء، أو خوف ما لا يدرى أن يحدث فى بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف(2) الـدنيا، أو خوف خاتمة السوء، أو خوف اطلاع الله على سـريرته فى حال غفلته، أو خوف السابقة التى سبقت له فى الأزل.

وهذه كلها مخاوف العارفين، ولكل منها خصوص فائدة، وهو سـلوك سبيل الحذر عما يفضى إلى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فليواظب على الفطام عن العادة، والذى يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه... وهكذا.

وأما الخائفون من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليهم سكرات الموت(3)

1- الغوائل: الـدواهى. وأتى غولا غائلـة: أمرا داهيا منكرا. والغائلة الحقد الباطن والشـر كالمغالة. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 4/27، مادة "غول".

2- الزخرف: الزينة، وبيت مزخرف. وتزخرف الرجل: تزين. كتاب العين، الفراهيدى: 4/ 338، مادة "زخرف".

3- إشارة إلى قوله تعالى:((وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِکَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)) سورة ق/19.

وشدته أو سؤال منكر ونكير(1) أو عذاب القبر أو هول المطلع(2) أو هيبة الموقف بين يدى الله تعالى أو الحياء من كشف الستر أو السؤال عن النقير(3) والقطمير(4) أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها(5) وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة أو النعيم فى الملک المقيم أو من نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله، وهو أعلاها رتبة، وهو خوف العارفين من الأنبياء والعلماء والصالحين(6).

1- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يَجِی ءُ الْمَلَکَانِ مُنْکَرٌ وَنَکِيرٌ إِلَی الْمَيِّتِ حِينَ يُدْفَنُ أَصْوَاتُهُمَا کَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا کَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ يَخُطَّانِ الأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا وَيَطَئَانِ فِی شُعُورِهِمَا فَيَسْأَلانِ الْمَيِّتَ مَنْ رَبُّکَ ... الحديث». الكافى، الكلينى: 3/236 __ 237، كتاب الجنائز، باب المسألة فى القبر ومن يسأل/ ح7.

2- عن النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود». الدعوات، الراوندى: 122، فصل فى فنون شتى من حالات العافية/ ح297.

3- النقير: النكتة فى ظهر النواة. تاج العروس، الزبيدى: 3/580.

4- القطمير: وهى القشرة الدقيقة التى على النواة، بين النواة والتمر. لسان العرب، ابن منظور: 5/108، مادة "قطمر".

5- الأصفاد: الأغلال. غريب الحديث، الحربى: 2/707، باب صفد.

6- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 168 __ 170، الباب الثالث فى الرجاء والخوف، الفصل الخامس فى الخائفين. جامع السعادات، النراقى: 1 / 254 __ 257، فصل بم يتحقق الخوف. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 138 _ 140، كتاب الخوف والرجاء، بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه.

الفصل السابع

قد عرفت توارد الأخبار فی فضیلة الخوف والرجاء، وربما یعتری الناظر الشک فی کون أیهما أفضل؟

فاعلم أن ذلک یضاهی قول القائل «الخبز أفضل أم الماء»(1).

وجوابه: إن الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان، وإن اجتمعا نظر إلی الأغلب: فإن کان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن کان العطش أغلب فالماء أفضل، وإن استویا فهما متساویان.

وکذا إن کان الغالب علی القلب داء الأمن من مکر الله والاغترار به فالخوف أفضل، وإن کان الأغلب هو الیأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل.

وأما بالنسبة إلی المؤمن المتقی الذی ترک ظاهر الإثم وباطنه وخفیه وجلیه(2) فالأصلح به أن یعتدل خوفه ورجاؤه، کما ورد فی الأخبار، ففی الکافی عن الصادق علیه السلام وقد قیل له: ما کان فی وصیة لقمان؟ فقال: کان فیها الأعاجیب وکان أعجب ما کان فیها أن قال لابنه: خف الله خیفة لو جئته ببر الثقلین لعذبک، وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلین لرحمک. ثم قال علیه السلام(3): کان أبی یقول: إنه لیس من عبد مؤمن إلا وفی قلبه نوران نور خیفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم یزد علی هذا، ولو وزن هذا لم یزد علی هذا(4).

1- أنظر: بحار الأنوار، مجلسی: 84 / 10، کتاب الصلاة، باب 47: ما ینبغی أن یقرأ کل یوم ولیلة / بیان الحدیث 16.

2- أمر جلی: واضح. أجل لنا هذا الأمر، أی: أوضحه. کتاب العین، الفراهیدی: 6/180، مادة "جلو".

3- الإمام الصادق علیه السلام.

4- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 67، کتاب الإیمان والکفر، باب الخوف والرجاء/ ح1.

ويرشد إلى ذلک أيضاً قوله تعالى فى وصف من أثنى عليهم: ((وَيَدْعُونَنَا رَهَبًا وَرَغَبًا))(1) وقوله تعالى: ((يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا))(2).

وغلبـة الرجاء فى غالب الناس مسـتندها الاغترار وقلـة المعرفـة، والأصـلح لهم قبل الإشـراف على الموت غلبـة الخوف، وعند الموت غلبة الرجاء وحسن الظن كما ورد فى الأخبار(3)، والسـر فى ذلک أن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل، وقد انقضى وقت العمل، وهو لا يطيق هناک أسـباب الخوف لأنها تقطع نياط(4) قلبه وتعين على تعجيـل موته. وروح الرجـاء يقوى قلبه ويحبب إليه ربه الـذى إليه رجاؤه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(5).

واعلم أن الرجاء محمود إلى حـد، فإن تجاوز إلى الأمن فهو خسـران، قال تعالى: ((وَلا يَأْمَنُ(6) مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ))(7)، وكذا الخوف محمود إلى حـد فإن جاوز إلى القنوط فهو ضـلال ((وَمَن يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّآلُّونَ))(8)، أو إلى اليأس فهو كفر و((لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ))(9).

1- سورة الأنبياء/90. ونصها: ((وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً)).

2- سورة السجدة/ 16.

3- أنظر: الكافى، الكلينى: كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء. جامع الأخبار، الشـعيرى: الفصل 54 فى الخوف والفصل 55 فى حسن الظن.

4- النياط: عرق غليظ قد علق به القلب من الوتدين. كتاب العين، الفراهيدى: 7/456، مادة "نوط".

5- أنظر: الحقـايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 164 _ 165، البـاب الثالث فى الرجاء والخوف، الفصل الرابع الخوف من الله على مقامين.

6- فى النص القرآنى: "فلا يأمن".

7- سورة آل عمران/54.

8- سورة الحجر/ 56.

9- سورة يوسف/ 87.

الباب السادس: الزهد

اشارة

فی الزهد والکلام فیه فی فصول

الفصل الأول

قال تعالی: ((مَن کانَ یُرِیدُ حَرْثَ الدُّنْیا نُؤتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِی الآخِرَةِ مِن نَصِیبٍ))(1) وقال تعالی: ((وَلا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَیاةِ الدُّنیا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَرِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَأَبْقی))(2).

وفی الحدیث: أوحی الله إلی الدنیا أن اخدمی من خدمنی، ونغصی وکدری عیش من خدمک(3).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم(4): من أصبح وهمه الدنیا شتت(5) الله علیه أمره، وفرق

1- سورة الشوری/ 20.

2- سورة طه/ 131.

3- أنظر:العدد القویة،رضی الدین الحلی:150،الیوم السابع عشر،نبذة من أحوال الإمام الصادقعلیه السلام.

4- فی الزهد: "عن الإمام الصادق علیه السلام".

5- شتت الأمر شتا وشتاتا: تفرق. الصحاح، الجوهری: 1/254، مادة "شتت".

علیه ضیعته(1)، وجعل فقره بین عینیه، ولم یأته من الـدنیا إلا ما کتب له، ومن أصـبح وهمه الآخرة جمع الله له همه، وحفظ علیه ضـیعته، وجعل غناه فی قلبه، وأتته الدنیا وهی راغمة(2).(3)

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: إذا رأیتم العبد قد أعطی صمتاً وزهداً فی الدنیا فاقربوا(4) منه، فإنه یلقی الحکمة، وقد قال الله تعالی: ((وَمَن یُؤْتَ الْحِکْمَةَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرًا کَثِیرًا))(5).(6)

وعنه علیه السلام(7): ازهد فی الدنیا یحبک الله، وازهد فی ما أیدی الناس یحبک الناس(8).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم: من أراد أن یؤتیه الله علماً بغیر تعلم وهدی بغیر هدایة فلیزهد فی الدنیا(9).

1- ضیعة الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وکسبه. یقال: ما ضیعتک؟ أی: ما حرفتک. لسان العرب، ابن منظور: 8/230، مادة "ضیع".

2- أرغمته: حملته علی ما لا یمتنع منه. کتاب العین، الفراهیدی: 4/417، مادة "رغم".

3- أنظر: الزهد، الأهوازی: 49، باب 8 ما جاء فی الدنیا ومن طلبها/ ح12.

4- فی المحجة: "فاقتربوا".

5- سورة البقرة/ 269.

6- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 7/351، کتاب الزهد والفقر، بیان فضیلة الزهد.

7- أی: "النبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم".

8- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4 / 195، کتاب الفقر والزهد، الشطر الثانی من الکتاب فی الزهد.

9- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/196، کتاب الفقر والزهد، الشطر الثانی من الکتاب فی الزهد، بیان حقیقة الزهد.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من زهد فى الدنيا أحل الله(1) الحكمة فى قلبه فأنطق بها(2) لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه سالماً إلى دار السلام(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: همّ لا يفارق قلبه أبداً، وفقر لا يستغنى معه أبداً، وحرص لا يشبع معه أبداً(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى يكون قلة الشىء أحب إليه من كثرته(5).

الفصل الثانى: فى حقيقته

الزهد هو صرف الرغبة عن الدنيا وعدم إرادتها بقلبه إلا بقدر ضرورة بدنه، وقد تقدم تحقيق معنى الدنيا، ومنه يعلم أن الزهد فى الدنيا لا ينافى كثرة المال والخدم ونحوهما إلا إذا كان محباً لها بقلبه وراغباً فيها وتشغله عن ذكر الله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه(6): ((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ))(7). ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه(8).

1- فى المحجة: "أدخل الله".

2- فى المحجة: "به" بدل "بها".

3- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/353، كتاب الفقر والزهد، بيان فضيلة الزهد.

4- المحجة البيضاء،الفيض الكاشانى:7/354 ـــ 355،كتاب الفقر والزهد،بيان فضيلة الزهد.

5- إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/195، كتاب الفقر والزهد، الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد، بيان حقيقة الزهد.

6- فى نهج البلاغة: "قال الله سبحانه".

7- سورة الحديد/ 23.

8- نهج البلاغة، الشريف الرضى: 553 ـــ 554، حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال علیه السلام(1): الزهد فی الدنیا قصر الأمل، وشکر کل نعمة، والورع عن کل ما حرم الله عزّوجل(2).

وقال الصادق علیه السلام: لیس الزهد فی الدنیا بإضاعة المال ولا تحریم الحلال، بل الزهد فی الدنیا أن لا تکون بما فی یدک أوثق منک بما عند الله(3).

نعم لما کان جمع المال ونحوه بالنسبة إلی حال أکثر الناس لضعف نفوسهم یحرک الرغبة فی الدنیا فزهدهم إنما یکون فی ترکه، کما ورد فی خبر آخر عن الصادق علیه السلام حیث سئل عن الزهد فقال: الذی یترک حلالها مخافة حسابه، ویترک حرامها مخافة عقابه(4).

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو ترکک کل شیء یشغلک عن الله من غیر تأسف علی فوتها ولا إعجاب فی ترکها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة علیها ولا عوض لها، بل تری فوتها راحة وکونها آفة، وتکون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة. والزاهد الذی یختار الآخرة علی الدنیا والذل علی العز والجهد علی الراحة والجوع علی الشبع وعافیة الآجل علی محبة العاجل والذکر علی الغفلة، وتکون نفسه فی الدنیا وقلبه فی الآخرة(5).

1- أی: "أمیر المؤمنین علیه السلام".

2- الکافی، الکلینی: 5/71، کتاب المعیشة، باب معنی الزهد/ح3.

3- أنظر: التهذیب، الشیخ الطوسی:6/327، کتاب المکاسب، باب 93 المکاسب/ح20.

4- أنظر: روضة الواعظین، الفتال النیسابوری: 2/433، مجلس فی الزهد والتقوی.

5- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 137، الباب الرابع والستون فی الزهد.

الفصل الثالث: فی أقسام الزهد ومراتبه

إعلم أن الزهد فی نفسه علی ثلاث درجات:

الأولی: وهی السفلی أن یزهد فی الدنیا وهو لها مشتهٍ وقلبه إلیها مائل ونفسه إلیها ملتفتة ولکنه یجاهدها ویکفها، وهی الدرجة الأولی من الزهد.

الثانیة: أن یترک الدنیا طوعاً لاستحقاره إیاها بالإضافة الی الآخرة المرغوب فیها، کالذی یترک درهماً لأجل درهمین، فإنه لا یشق علیه ذلک، وهو یظن بنفسه أنه ترک شیئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه.

الثالثة: وهی العلیا أن یزهد طوعاً ویزهد فی زهده فلا یری زهده، إذ لا یری أنه ترک شیئاً، حیث عرف أن الدنیا لا شیء، فیکون کمن ترک نواة وأخذ جوهرة، فلا یری ذلک معاوضة(1)، وهذا کمال الزهد.

ومثله مثل من منعه من باب الملک کلب علی بابه، فألقی إلیه لقمة خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملک حتی نفذ أمره فی جمیع مملکته، أفتری أنه یری لنفسه یداً عند الملک بلقمة خبز ألقاها إلی الکلب فی مقابلة ما ناله، فالشیطان کلب علی باب الله یمنع الناس من الدخول والدنیا کلقمة خبز یأکلها، فلذتها حال المضغ وتنقضی علی القرب بالابتلاع، ثم یبقی ثفله(2) فی المعدة، ثم ینتهی إلی النتن والقذر ویحتاج إلی إخراج الثفل، فمن یترکها لینال قرب الملک کیف یلتفت إلیها؟!.

وینقسم الزهد قسمة أخری بالإضافة إلی المرغوب فیه إلی ثلاث درجات:

1- العوض کعنب واحد الأعواض کأعناب،وأعاضنی،العوض وهو البدل.وإعتاض:أخذ العوض. مجمع البحرین، الطریحی: 3/278، مادة "عوض".

2- الثفل: ما رسب خثارته وعلا صفوه من الأشیاء کلها. لسان العرب، ابن منظور: 11/84، مادة "ثفل".

أسفلها: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام، كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط، وهذا زهد الخائفين.

وأوسطها: أن يزهد رغبة فی ثواب الله ونعمته واللذات الموعودة فی جنته، وهذا زهد الراجين.

وأعلاها: أن لا يكون له رغبة إلا فی الله ولقائه، فلا يلتفت قلبه إلی الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلی اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله، وهو الذی أصبح وهمه هم واحد، فهو لا يطلب غير الله لأن من طلب غير الله فقد عبده، وكل مطلوب معبود وكل عبد بالإضافة إلی مطلوبه، وهذا زهد المحبين والعارفين.

وينقسم أيضاً الی فرض ونفل وسلامة: فالفرض هو الزهد فی الحرام، والنفل هو الزهد فی الحلال، والسلامة هو الزهد فی الشبهات.

واعلم أن للزاهد الحقيقی ثلاث علامات:

الأولی: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن علی مفقود، كما أشار إليه أمير المؤمنين فی الاستنباط من قوله تعالی: ((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلی ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ))(1) وهذا علامة الزهد فی المال(2).

والثانية: أن يستوی عنده مادحه وذامه، وهو علامة الزهد فی الجاه.

والثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالی والغالب علی قلبه حلاوة الطاعة.

1- سورة الحديد/ 23.

2- قال الباقر عليه السلام فی حديث: «ألا و إن الزهد فی آية من كتاب الله عزّوجل: ((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلی ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ))» سورة الحديد/ 23. معانی الأخبار، الشيخ الصدوق: 252، باب معنی الزهد/ ح4.

الفصل الرابع

ليعلم أن من ثمرة الزهـد السـخاء ومن ثمرة الرغبـة فى الـدنيا البخل، فالمال إن كان مفقوداً فالأليق بحال الإنسان القناعة، وإن كان موجوداً فالأليق بحال صاحبه السخاء والبذل لأهله واصطناع المعروف.

والسخاء من أخلاق الأنبياء وأصول النجاة، والسخى حبيب الله.

وقال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: السـخاء شـجرة من شـجر الجنة أغصانها متدلية على الأرض(1)، فمن أخـذ منها غصـناً قاده ذلک الغصن إلى الجنة(2).

وقال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: قال جبرئيل: قال الله تعالى: «إن هذا دين ارتضـيته لنفسـى، ولن يصلحه إلاّ السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم»(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: تجافوا عن ذنب السخى، فإن الله أخذ بيده كلما عثر أقاله(5).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء(6).

1- فى المحجة: "إلى الأرض".

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/59، كتاب ذم المال، بيان فضيلة السخاء.

3- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/170، بيان فضيلة السخاء.

4- أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/217، كتاب ذم البخل وذم حب المال، بيان فضيلة السخاء.

5- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/171، بيان فضيلة السخاء.

6- طب النبى، المستغفرى: 21.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل(1).(2)

واعلم أن أرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، قال الله تعالى فى معرض المدح: ((وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ))(3). وقال تعالى: ((وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا))(4).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أيما امرئ اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له(5).

وينبغى للفقير أن لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، فإن ذلک جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى(6).

1- فى المحجة والإحياء: "من عالم بخيل وأدوء الداء البخل".

2- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 6/62، كتاب ذم المال، بيان فضيلة السخاء. إحياء علوم الدين، الغزالى: 3/219، كتاب ذم البخل وذم حب المال، بيان فضيلة السخاء.

3- سورة الحشر/ 9.

4- سورة الإنسان/ 8.

5- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/172، بيان الإيثار.

6- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 120 __ 123، الفصل 5 __ 6. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 7/357 __ 364، كتاب الفقر والزهد، بيان درجات الزهد وأقسامه. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 197 __ 201، كتاب الفقر والزهد، بيان درجات الزهد وأقسامه.

الباب السابع: محبة الله تعالى والأنس به

اشارة

فى محبة الله تعالى والأنس به وفيه فصول

الفصل الأول: فى حقيقتها

إعلم أن الحب للشـىء عبارة عن الميل إليه والالتذاذ به، وهو فرع معرفة ذلک الشـىء، ومعرفته قد تكون بالحواس وقد تكون بالقلب، وكلما كانت المعرفة به أقوى واللذة أشد وأكثر كان الحب أقوى.

ولا ريب أن البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة الإلهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى، فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلم يتجاوز إدراكه الحواس.

وكما أن الإنسان يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه كـذلک قـد يحب غيره لـذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق به.

وإن احتجت إلى شاهد على ذلک فی عالم الدنیا فانظر إلى الطباع السلیمة کیف تراها تستلذ بالنظر إلى الأنوار والأزهار والأطیار الحسنة والألوان المملیحة، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر إلیها لا لطلب حظ وراء النظر.

وکان رسول الله صلى الله علیه وآله وسلم یعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاری(1)، فالخضرة والماء الجاری محبوبان لا لشرب الماء وأکل الخضرة.

ثم الحسن والجمال لیسا مقصورین على مدرکات البصر ولا على تناسب الخلقة، إذ یقال: هذا صوت حسن، وهذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سیرة حسنة، ولیس شیء من هذه الصفات یدرک بالبصر. بل لیس الحسن والجمال مقصوراً على مدرکات الحواس، إذ کثیر منها یدرک بالبصیرة الباطنة، ولذا ترى الطباع السلیمة مجبولة(2) على حب الأنبیاء والأئمة علیهم السلام مع أنهم لم یشاهدوهم.

ولما تواتر وصف أمیر المؤمنین بالشجاعة وحاتماً بالسخاء أحبتهما القلوب حباً ضرورییاً بدون نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ یناله المحب منهما.

ومن کانت البصیرة الباطنة أغلب علیه من الحواس الظاهرة کان حبه للمعانی الباطنة أکثر من حبة للمعانی الظاهرة.

ثم کل محب إما أن یحب نفسه أو یحب غیره، ومحبة الغیر إما لحسنه وجماله أو لإحسانه وکماله أو لمجانسة(3) بینه وبین المحب:

1- کنز العمال، المتقی الهندی: 7/150، أخلاق متفرقة/ ح18461.

2- الجبل: الخلق، جبلهم الله، فهم مجبولون. جبلة الإنسان على هذا الأمر، أی: طبع علیه. کتاب العین، الفراهیدی: 6/137، مادة "جبل".

3- الجنس: الضرب من کل شیء. والجنس اعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنیس. ویقال: هذا یجانس هذا، أی: یشاکله. لسان العرب، ابن منظور: 6/43، مادة "جنس".

أما محبة النفس فهی أشد وأقوی، لأن المحبة إنما تکون بقدر الملاءمة والمعرفة، ولا شیء أشد ملاءمة لأحد من نفسه، ولا هو لشیء أقوی معرفة منه بنفسه، ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحاً لمعرفة ربه، ووجود کل أحد فرع لوجود ربه، فمحبة نفسه ترجع إلی محبة ربه وإن لم یشعر المحب به.

وأما محبة الغیر لحسنه وجماله أو تقربه من الله وکماله فذلک لأن الجمال محبوب لذاته، سواء کان ذلک الجمال ظاهریاً صوریاً أو باطناً معنویاً، وکذا الکمال، والله تعالی هو الجمیل لذاته والکامل بذاته، وکل ملیح حسنه من جماله، وکل کامل فکماله فرع کماله، فما أحب أحد غیر خالقه ولکنه احتجب عنه تحت وجوه الأحباب وأستار الأسباب.

وکذا الکلام فی محبة الغیر للإحسان، فإن الإحسان أیضاً محبوب لذاته، سواء کان متعدیاً إلی المحب أم لا، ولا إحسان إلا من الله ولا محسن سوی الله جل شأنه، فإنه خالق الإحسان وذویه وجاعل أسبابه ودواعیه، وکل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله، وقطرة من بحار کماله وأفضاله.

وأما محبة الغیر المجانسة فذلک لأن الجنس یمیل إلی الجنس، سواء کانت المجانسة لمعنی ظاهر کما أن الصبی یمیل إلی الصبی لصباه، أو لمعنی خفی کما یتفق بین شخصین من غیر ملاحظة جمال ولا طمع فی جاه أو مال، فإن «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناکر منها اختلف»(1)، وهذه المحبة فرع لمحبة النفس، فترجع إلی محبة الله کما عرفت.

1- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 4/380، کتاب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم الموجزة التی لم یسبق إلیها/ ح56.

فعلى كـل وجه ما متعلق المحبـة إلا الله، إلا أنه لا يعرف ذلک إلا أولياؤه وأحباؤه، كما أشار إليه سـيد الشـهداء عليه السـلام فى دعاء عرفة بقوله: وأنت الـذى أزلت الأغيـار عن قلوب أحبائـک حتى لـم يحبوا سواک ولـم يلتجئوا إلى غيرک، فسـبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جمـاله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سـبقت له منه الحسـنى الـذين هم عن نور الحجاب مبعـدون، وترک الخاسـرين فى ظلمات العمى يتيهون، وفى مسـارح المحسوسـات وشـهوات البهـائم يترددون، ((يَعْلَمُونَ ظـاهِرًا مِنَ الْحَيـاةِ الـدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ غافِلُونَ(1)))(3).(2)

إذا عرفت هذا علمت فساد مقالة الزاعمين أن المحبة لا تكون إلا مع الجنس والمثل، ومحبة الله حقيقة ممتنعة.

الفصل الثانى: فى الشواهد على محبة الله تعالى وفضلها

قال الله تعالى فى وصف أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين: ((سَوْفَ(4) يَأْتِى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ))(5) وقال تعالى: ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ))(6) وقال

1- فى النص القرآنى: "عن الآخرة هم غافلون".

2- سورة الروم/7.

3- أنظر: الحقـايق فى محـاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 178 ـــ 180، الباب الرابع فى المحبـة والأنس، الفصل الأول المحبـة بعد المعرفـة والإدراک. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 8 ـــ 16، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان حقيقة المحبة وأسـبابها. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 259 ـــ 263، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى.

4- فى النص القرآنى: "فسوف".

5- سورة المائدة/ 54.

6- سورة البقرة/ 165.

تعالى: ((قُلْ إِن كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ))(1) الى قوله تعالى: ((أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ))(2) ـــ الآية.

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى دعائه: اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك وحب ما يقربنى الى حبك، واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد(4).

وفى الخبر المشهور(5) أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذا جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال يا ملك الموت الآن فاقبض(6).

وفى ما ناجى الله به موسى بن عمران: يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبنى، فإذا جنه الليل نام عنى، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ هأنذا(7) يا بن عمران مطلع على أحبائى، إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلى من قلوبهم، ومثلت عقوبتى بين أعينهم يخاطبوننى عن المشاهدة ويكلموننى عن الحضور. يا بن

1- سورة التوبة/ 24.

2- سورة التوبة/ 24.

3- مسكن الفؤاد، الشهيد الثانى: 17.

4- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 5 ـــ 6، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس.

5- الخبر المشهور: وهو ما شاع عند أهل الحديث خاصة دون غيرهم بأن نقله منهم رواة كثيرون ولا يعلم هذا القسم إلا أهل الصناعة.أو عندهم وعند غيرهم،كحديث «إنما الأعمال بالنيات» وأمره واضح،وهو بهذا المعنى أعم من الصحيح.أو عند غيرهم خاصة ولا أصل له عندهم وهو كثير. الرعاية لحال البداية فى علم الدراية، الشهيد الثانى: 80، المشهور.

6- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 223، بيان الحب لله ولرسوله(صلى الله عليه وآله وسلم).

7- فى الأمالى: «ها أناذا».

عمران هب لی من قلبک الخشوع ومن بدنک الخضوع ومن عینیک الدموع فی ظلم اللیل فإنک تجدنی قریباً(1).

وروی أن عیسی علیه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغیرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذی بلغ بکم ما أری؟ فقالوا: الخوف من النار. فقال: حق علی الله أن یؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلی ثلاثة أُخر فإذا هم أشد نحولاً وتغیراً فقال: ما الذی بلغ بکم ما أری؟ قالوا: الشوق إلی الجنة. قال: حق علی الله أن یعطیکم ما ترجون. ثم جاوزهم إلی ثلاثة أُخر فإذا هم أشد نحولاً وتغیراً کأن علی وجوههم المرایا من النور، فقال: ما الذی بلغ بکم ما أری؟ قالوا: حب الله عزّوجل: فقال ثلاثاً: أنتم المقربون أنتم المقربون(2).

وروی الصدوق(3) فی علل الشرائع عن نبینا صلی الله علیه وآله وسلم أن شعیباً بکی من حب الله عزّوجل حتی عمی فرد الله علیه بصره، ثم بکی حتی عمی فرد الله علیه بصره، ثم بکی حتی عمی فرد الله علیه بصره، فلما کانت الرابعة أوحی الله إلیه: یا شعیب الی متی یکون هذا أبداً منک؟ إن یکن هذا خوفاً من النار فقد أجرتک وإن یکن شوقاً الی الجنة فقد ابحتک. فقال: إلهی وسیدی أنت تعلم أنی بکیت لا خوفاً

1- أنظر: الأمالی: الصدوق: 356 ـــ 357، المجلس السابع والخمسون/ ح1.

2- أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 10/ 156، من الخطبة رقم 186 له علیه السلام، ذکر الخوف وما ورد فیه من الآثار.

3- محمد بن علی بن الحسین بن بابویه: أبو جعفر، جلیل القدر، حفظة، بصیر بالفقه والأخبار، شیخ الطائفة وفقیهها ووجهها بخراسان، کان ورد بغداد سنة خمس وخمسین وثلاثمائة، سمع منه شیوخ الطائفة وهو حدیث السن، له مصنفات کثیرة لم یر فی القمیین مثله فی الحفظ وفی کثرة علمه، له نحو ثلاثمائة مصنف، مات بالری سنة إحدی وثمانین وثلاثمائة. رجال ابن داود، ابن داود: 179/ الرقم 1455.

من نارک ولا شوقاً الی جنتک ولکن عقد حبک علی قلبی فلست أصبر وأراک. فأوحی الله جل جلاله: أما إذا کان هذا هکذا فمن أجل هذا سأخدمک کلیمی موسی بن عمران(1).

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام فی دعاء کمیل: فهبنی یا إلهی وسیدی ومولای وربی صبرت علی عذابک فکیف أصبر علی فراقک(2).

وقال ابنه سید الشهداء فی دعاء عرفة: أنت الذی أزلت الأغیار عن قلوب أحبائک حتی لم یحبوا سواک ولم یلجأوا إلی غیرک(3).

وقال علیه السلام(4): یا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بین یدیه متملقین(5).

وفی المناجاة الإنجیلیة(6) المنسوبة إلی السجاد علیه السلام: وعزتک لقد أحببتک محبة استقرت فی قلبی حلاوتها وأنست نفسی بمباشرتها(7)، ومحال فی عدل أقضیتک أن تسد أسباب رحمتک عن معتقدی محبتک(8).

1- أنظر: علل الشرائع، الشیخ الصدوق: 1/ 57، باب 51 العلة التی من اجلها جعل الله عزّوجل موسی خادما لشعیب علیه السلام/ ح1.

2- إقبال الأعمال، ابن طاووس الحلی: 708، الباب التاسع فیما نذکره من فضل شهر شعبان وفوائده وکمال موائده وموارده.

3- إقبال الأعمال، ابن طاووس الحلی: 349، الباب الثالث فیما یختص بفوائد من شهر ذی الحجة وموائد للسالکین صوب المحجة، فصل فیما نذکره من أدعیة یوم عرفة.

4- أی: "الإمام الحسین بن علی علیهما السلام".

5- المصدر السابق.

6- قال الشیخ النمازی فی مستدرک البحار:المناجاة الإنجیلیة فیها جوامع العلوم والمعارف الحقة الإلهیة. مستدرک سفینة البحار، الشیخ النمازی:9/ 567، أدعیة المناجاة.

7- فی البحار: "نفسی ببشارتها".

8- بحار الأنوار، المجلسی: 91/ 169، کتاب الذکر والدعاء، باب 32 أدعیة المناجاة/ قطعة من المناجاة.

وفی مناجاته الأخری: إلهی فاجعلنا من الـذین ترسـخت أشـجار(1) الشوق إلیک فی حـدائق صـدورهم، وأخـذت لوعة محبتک بمجامع قلوبهم(2).

وقال علیه السلام(3): وألحقنا بعبادک الـذین هم بالبدار إلیک یسارعون، وببابک علی الدوام یطرقون، وإیاک فی اللیل والنهار یعبدون، وهم من هیبتک مشفقون، الذین صفیت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب(4).

وقال علیه السلام(5): وملأت حفائرهم من حبک، ورویتهم من صافی شـراب ودک، فبک إلی لذیذ مناجاتک وصـلوا، ومنک علی أقصـی مقاصـدهم حصـلوا. ثم قال علیه السـلام: فقد انقطعت إلیک همتی وانصـرفت نحوک رغبتی، فأنت لا غیرک مرادی ولک لا سواک سـهری وسـهادی، ولقـاؤک قرة عینی، ووصـلک منی نفسـی، وإلیـک شوقی، وفی محبتـک ولهی، وإلی هواک صـبابتی، ورضـاک بغیتی، ورؤیتک حاجتی، وجوارک طلبتی، وقربک غایة مسألتی، وفی مناجاتک روحی وراحتی، وعندک دواء علتی وشـفاء غلتی وبرد لوعتی وکشف کربتی. ثم قال: ولا تقطعنی عنک یا نعیمی وجنتی ویا دنیای وآخرتی(6).

1- فی البحار: "توشحت أشجار".

2- بحار الأنوار، المجلسی: 91/ 150، کتاب الذکر والدعاء، باب 32 أدعیة المناجاة، المناجاة الثانیة عشـر مناجاة العارفین لیوم الثلاثاء/ قطعة من المناجاة.

3- أی: "الإمام السجاد علیه السلام".

4- الصحیفة السجادیة، الإمام زین العابدین علیه السلام : 412 ، فی مناجاة المریدین. قطعة من المناجاة.

5- أی: "الإمام السجاد علیه السلام".

6- أنظر: الصحیفة السجادیة، الإمام زین العابدین علیه السلام : 413 ، فی مناجاة المریدین لیوم الجمعة.

وقال علیه السلام(1) أیضاً: إلهی من ذا الذی ذاق حلاوة محبتک فرام منک بدلاً، ومن ذا الذی آنس بقربک فابتغی عنک حولا. إلهی فاجعلنی ممن اصطفیته لقربک وولایتک، وأخلصته لودک ومحبتک، وشوقته إلی لقائک، وأرضیته بقضائک، ومنحته النظر إلی وجهک، وحبوته برضاک وأعذته من هجرک وقلاک. ثم قال علیه السلام(2): وهیمت قلبه لإرداتک، واجتبیته لمشاهدتک، وأخلیت وجهه لک، وفرغت فؤاده لحبک. ثم قال علیه السلام(3): اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتیاح إلیک والحنین، ودیدنهم الزفرة والأنین، وجباههم ساجدة لعظمتک، ودموعهم سائلة من خشیتک، وقلوبهم معلقة بمحبتک، وأفئدتهم منخلعة من هیبتک. یا من أنوار قدسه لا تزال شارقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفیه شائقة، یا منتهی قلوب المشتاقین، ویا غایة آمال المحبین، أسألک حبک وحب من یحبک وحب کل عمل یوصل إلی قربک وأن تجعلک أحب إلی ممن سواک(4).

وقال أیضاً(5): إلهی ما ألذ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب، وما أحلی المسیر إلیک فی مسالک العیوب، وما أطیب حبک، وما أعذب شرب قربک.(6) إلی أن قال(7): وغلتی لا یبردها إلاّ وصلک، ولوعتی لا یطفئها إلا لقاؤک، وشوقی

1- أی: "الإمام زین العابدین علیه السلام".

2- أی: "الإمام زین العابدین علیه السلام".

3- أی: "الإمام زین العابدین علیه السلام".

4- أنظر:الصحیفة السجادیة،الإمام زین العابدین علیه السلام:413 __ 414،فی مناجاة المحبین لیوم السبت.

5- أی: "الإمام السجاد علیه السلام".

6- أنظر: الصحیفة السجادیة، الإمام زین العابدین علیه السلام: 418، فی مناجاة العارفین لیوم الثلاثاء/ ذیل المناجاة.

7- أی: "الإمام زین العابدین علیه السلام".

إليک لا يبله إلا النظر إلى وجهک، وقراری لا يقر دون دنوی منک، ولهفتی لا يردها إلا روحک، وسقمی لا يشفيه إلا طبک، وغمی لا يزيله إلا قربک، وجرحی لا يبرئه إلا صفحک، وصدأ قلبی(1) لا يجلوه إلا عفوک، ووسواس صدری لا يزيحه إلا منّک(2).

الفصل الثالث: فی معنی محبة الله سبحانه لعبده

يرجع معناها إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه، وإلى تمكينه إياه من القرب إليه، وإلى إرادته ذلک به، وإلى تطهير باطنه من حب غيره وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع إلا بالحق ومن الحق ولا يبصره إلا به ولا ينطق إلا به، كما ورد فی الحديث القدسی: لا يزال العبد يتقرب إلی بالنوافل حتی أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذی يسمع به وبصره الذی يبصر به ولسانه الذی ينطق به(3).

فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فی درجة القرب من ربه، وكل ذلک من فضل الله ولطفه به، قال تعالى: ((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ))(4) وقال: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِی سَبِيلِهِ صَفًّا))(5) وقال: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))(6).

1- فی الصحيفة السجادية: "ورين قلبی".

2- الصحيفة السجادية،الإمام زين العابدين:415، فی مناجاة المفتقرين/ قطعة من المناجاة.

3- أنظر: الكافی، الكلينی:2/352، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذی المسلمين واحتقرهم/ح7.

4- سورة المائدة/ 54.

5- سورة الصف/ 4.

6- سورة البقرة/ 222.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الإيمان إلاّ من يحب(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن رضى اصطفاه(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه(3).

وأخص علاماته حبه لله، فإن ذلک يدل على حب الله عزّوجل له.

وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله أمره ظاهره وباطنه سره وجهره، فيكون هو المشير عليه والمدبر لأموره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هماً واحداً، والمبغض للدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته.

ثم اعلم أن الطريق إلى تحصيل المحبة وتقويتها تطهير القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها والتبتل إلى الله بالذكر والفكر، ثم إخراج حب غير الله منه، فإن القلب مثل الإناء الذى لا يسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء، و((ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ))(4).

1- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 63 ـــ 64، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان محبة الله عزّوجل للعبد ومعناها.

2- أنظر: مسكن الفؤاد، الشهيد الثانى: 84، الباب الثالث فى الرضا.

3- المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 67، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان محبة الله عزّوجل للعبد ومعناها.

4- سورة الأحزاب/ 4.

وكمال الحب فی أن يحب الله بكل قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره فزاويـة من قلبه مشـغولة لغيره، فبقـدر ما يشـتغل بغير الله ينقص منه حب الله، إلا أن يكون التفاته الى الغير من حيث إنه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر أسماء الله.

وبالجملة أن يحبه لله وفی الله كحب الأنبياء المرسلين والأئمة الطاهرين والأولياء والصالحين.

اللهم ارزقنا حبک وحب من يحبک وحب ما يقرب الى حبک، وهيئ لنا أسباب حبک حتى نحبک ونحب من يحبک بمحمد وآله(1).

1- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشانی: 8 / 43 ـــ 50، كتاب المحبـة والشوق والرضا والأنس، بيان الأسـباب المقويـة لحب الله تعالى.

الباب الثامن: اليقين

اشارة

فی الیقین وفیه فصلان

الفصل الأول: فی فضله

قال الله تعالی: ((وَبِالآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ))(1).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: من(2) أقل ما أوتیتم الیقین وعزیمة الصبر، ومن أوتی حظه منهما لم یبال ما فاته من صیام النهار وقیام اللیل(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم لما قیل له: رجل حسن الیقین کثیر الذنوب، ورجل مجتهد فی العبادة قلیل الیقین؟ فقال صلی الله علیه وآله وسلم: ما آدمی إلا وله ذنوب، ولکن من کان غریزته العقل وسجیته الیقین لم تضره الذنوب، لأنه کلما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم، فیکفّر ذنوبه ویبقی له فضل یدخل به الجنة(4).

1- سورة البقرة/ 4.

2- لیس فی جامع السعادات: "من".

3- جامع السعادات، النراقی: 1/ 154، الیقین.

4- أنظر: إحیاء علوم الدین، الغزالی: 1/ 72، کتاب العلم، الباب السادس فی آفات العلم وبیان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اليقين الإيمان كله(1).

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام قال: ليس شىء إلا وله حد. قيل له: جعلت فداک فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قيل: فما حد اليقين؟ قال: ألا يخاف مع الله شيئاً(2).

وقال عليه السلام(3): من صحة يقين المسلم أن لا يُرضى الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال عليه السلام(4): إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة فى اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن فى الشک والسخط(5).

أراد عليه السلام(6) بقوله: «ولا يلومهم على ما لم يؤته الله» أن لا يشكوهم على ترک صلتهم إياه بالمال ونحوه، فإن ذلک شىء لم يقدره الله له ولم يرزقه إياه، ومن كان من أهل اليقين عرف أن ذلک كذلک فلا يلوم أحداً بذلک، وعرف أن ذلک مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما أوجبته حكمة الله فى أمره(7).

وقال عليه السلام(8): إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين(9).

1- إرشاد القلوب، الديلمى: 1/ 127، الباب الثامن والثلاثون فى الصبر.

2- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/ 57، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح1.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

4- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

5- أنظر: الكافى، الكلينى: 2/ 57، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح2.

6- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

7- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: 67/ 143، كتاب الإيمان والكفر، باب 52 اليقين والصبر على الشدائد/ بيان العلامة المجلسى على الحديث 7.

8- أى: "الإمام الصادق عليه السلام".

9- الكافى، الكلينى: 2/ 57، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح3.

وقال علیه السلام(1): قال أمیر المؤمنین علیه السلام علی المنبر: لا یجد أحدکم طعم الإیمان حتی یعلم أن ما أصابه لم یکن لیخطئه،وأن ما أخطأه(2) لم یکن لیصیبه(3).

وقال علیه السلام(4): إن أمیر المؤمنین جلس إلی حائط مائل یقضی بین الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور، فقال علیه السلام(5): حرس امرئ أجله، فلما قام علیه السلام سقط الحائط. قال: وکان علیه السلام مما یفعل هذا وأشباهه، وهذا الیقین(6).

وعن صفوان الجمال(7) قال: سألت الصادق علیه السلام(8) عن قول الله عزّوجل: ((وَأَمَّا الْجِدارُ فَکانَ لِغُلامَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَةِ وَکانَ تَحْتَهُ کَنزٌ لَهُما))(9) فقال: أما إنه ما کان ذهباً ولا فضة، وإنما کان أربع کلمات: لا إله إلا أنا من أیقن بالموت لم یضحک سنه، ومن أیقن بالحساب لم یفرح قلبه، ومن أیقن بالقدر لم یخش إلا الله(10).

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی مجموعة ورام: "وما أخطأه".

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 184.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام.

6- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 58، کتاب الإیمان والکفر، باب فضل الیقین/ ح5.

7- صفوان بن مهران بن المغیرة الأسدی، مولاهم ثم مولی بنی کاهل منهم، کوفی، ثقة، یکنی أبا محمد، کان یسکن بنی حرام بالکوفة. روی عن أبی عبد الله علیه السلام، وکان صفوان جمالا، له کتاب یرویه جماعة. رجال النجاشی، النجاشی: 198، باب الصاد/ الرقم 525.

8- فی الکافی: "سألت أبا عبد الله علیه السلام".

9- سورة الکهف/ 82.

10- الکافی، الکلینی: 2/ 58، باب الإیمان والکفر، باب فضل الیقین/ ح6.

هکذا رواه الکافی، ولعله سقط من النساخ شیء، وتأتی الکلمة الرابعة فی روایة أخری(1).

وعنه علیه السلام(2) قال: کان أمیر المؤمنین یقول: لا یجد عبد طعم الإیمان حتی یعلم أن ما أصابه لم یکن لیخطئه وأن ما أخطأه لم یکن لیصیبه، وأن الضار النافع هو الله عزّوجل(3).

وعن سعید بن قیس الهمدانی(4) قال: نظرت یوماً فی الحرب إلی رجل علیه ثوبان، فحرکت فرسی فإذا هو أمیر المؤمنین علیه السلام فقلت: یا أمیر المؤمنین فی مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم یا سعید إنه لیس من عبد إلا وله من الله عزّوجل حافظة واقیة معه ملکان یحفظانه من أن یسقط من رأس جبل أو یقع فی بئر، فإذا نزل القضاء خلیا بینه وبین کل شیء(5).

1- عن العالم علیه السلام أنه سئل عن قول الله تبارک وتعالی : ((وَکانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما)) سورة الکهف/82. فقال: والله ما کان ذهبا ولا فضة ولکنه کان لوحا مکتوبا علیه أربعة أحرف: أنا الله لا إله إلا أنا من أیقن بالموت لم یضحک سنه، و من أیقن بالحساب لم یفرح قلبه، ومن أیقن بالقدر علم أنه لا یصیبه إلا ما قدر علیه. فقه الرضا، الإمام الرضا علیه السلام: 370 __ 371، باب 102 التواضع والزهد.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 184.

4- سعید بن قیس الهمدانی الصائدی الکوفی. قال الفضل بن شاذان ومن التابعین الکبار ورؤسائهم وزهادهم فعد جماعة منهم سعید بن قیس. جامع الرواة، الأردبیلی: 1/ 361، باب السین.

5- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 59، کتاب الإیمان والکفر، باب فضل الیقین/ ح8.

وعن الرضا علیه السلام قال: کان فی الکنز الذی قال الله عزّوجل: ((وَکانَ تَحْتَهُ کَنزٌ لَهُما))(1) فیه بسم الله الرحمن الرحیم: عجبت لمن أیقن بالموت کیف یفرح، وعجبت لمن أیقن بالقدر کیف یحزن، وعجبت لمن رأی الدنیا وتقلبها کیف یرکن إلیها، وینبغی لمن عقل عن الله أن لا یتهمه فی قضائه ولا یستبطئه فی رزقه(2).

وعن الصادق علیه السلام قال: کان قنبر(3) غلام علی یحب علیاً علیه السلام حباً شدیداً، فإذا خرج علی خرج علی أثره بالسیف، فرآه ذات لیلة فقال له: یا قنبیر ما لک؟ فقال: جئت لأمشی خلفک یا أمیر المؤمنین. فقال: ویحک أمن أهل السماء تحرسنی أم من أهل الأرض؟ فقال: لا بل من أهل الأرض. فقال: إن أهل الأرض لا یستطیعون لی شیئاً إلا بإذن الله فارجع، فرجع(4).

وروی عنه(5) أنه قیل للرضا علیه السلام: إنک تتکلم بهذا الکلام والسیف یقطر دماً؟ فقال علیه السلام: إن لله وادیاً من ذهب حماه بأضعف خلقه وهو النمل، فلو رامه النجاشی لم یصله إلیه(6).

1- سورة الکهف/ 82.

2- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/ 59، کتاب الإیمان والکفر، باب فضل الیقین/ ح9.

3- قنبر مولی أمیر المؤمنین علیه السلام، قتله الحجاج علی حبه. رجال ابن داود، ابن داود الحلی: 278، باب القاف/الرقم 1206.

4- أنظر: مشکاة الأنوار، الطبرسی: 13، الباب الأول فی الإیمان والإسلام وما یتعلق بهما، الفصل الثالث فی الیقین.

5- أنظر: سند الحدیث ونصه فی الهامش الآتی.

6- الکافی، الکلینی: 2/ 59، کتاب الإیمان والکفر، باب فضل الیقین/ ح11. وفیه النص: «عَلِیُّ بْنُ إِبْراهِیمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی، عَنْ یُونُسَ، عَمَّنْ ذَکَرَهُ، قالَ: قِیلَ لِلرِّضا علیه السلام:إِنَّکَ تَتَکَلَّمُ بِهَذَا الْکَلامِ وَالسَّیْفُ یَقْطُرُ دَماً، فَقَالَ:إِنَّ لِلَّهِ وَادِیاً مِنْ ذَهَبٍ حَمَاهُ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمْلِ فَلَوْ رَامَهُ الْبَخَاتِیُّ لَمْ تَصِلْ إِلَیْهِ».

الفصل الثانی: فی حقیقة الیقین

الیقین أن یری الأشیاء کلها بقضیها وقضیضها من مسبب الأسباب ومالک الرقاب، ولا یلتفت إلی الوسائط بل یری الوسائط کلها مسخرة لأمر الله وحکمه، وإذا علم ذلک وتحقق ما هنالک حصل له الوثوق بضمان الله للرزق فیقطع طمع قلبه عما فی أیدی الناس، ویعلم أن ما قدر له سیساق إلیه ثم أن یغلب علی قلبه أن من ((یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ (7) وَمَن یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ))(1)، ثم المعرفة بأن الله مطلع علیه فی کل حال عالم بسرائره وخبیر بضمائره، ومشاهد لهواجس(2) ضمیره وخفایا خواطره، فیکون متأدباً فی جمیع أحواله وأعماله مع الله تعالی، ویعبد الله کأنه یراه ویعلم بأنه یراه(3)، وتکون مبالغته فی عمارة باطنه وتطهیره وتزیینه لعین الله الکالئة(4) اشد من مبالغته فی تزیین ظاهره لسائر الناس(5).

1- سورة الزلزلة/ 7 __ 8.

2- الهجس: أن یحدث نفسه فی صدره مثل الوسواس. وهجس فی صدری شیء یهجس، أی: حدس. تاج العروس، الزبیدی: 4/271، مادة "الهجس".

3- قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی وصیة له لأبی ذر: «یا أبا ذر أعبد الله کأنک تراه، فإن کنت لا تراه فإنه عزوجل یراک». الأمالی، الطوسی: 526، المجلس 19.

4- کلأه یکلؤه کلأ وکلاء و کلاءة، بالکسر: حرسه وحفظه. لسان العرب، ابن منظور: 1/ 146، مادة "کلأ".

5- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 193، الباب الخامس فی الیقین والتوکل، الفصل الأول عظم شأن الیقین ودرجاته.

وفی مصباح الشریعة: قال الصادق علیه السلام: الیقین یوصل العبد إلی کل حال سنیٍّ ومقام عجیب، کذلک أخبر رسول الله عن عظم شأن الیقین حین ذکر عنده أن عیسی بن مریم علیه السلام کان یمشی علی الماء، فقال: لو زاد یقینه لمشی فی الهواء، فدل بهذا علی أن الأنبیاء مع جلالة محلهم من الله کانوا یتفاضلون علی حقیقة الیقین لا غیر، ولا نهایة لزیادة الیقین علی الأبد.

والمؤمنون أیضاً متفاوتون فی قوة الیقین وضعفه: فمن قوی منهم یقینه فعلامته التبری من الحول والقوة إلا بالله، والاستقامة علی أمر الله، وعبادته ظاهراً وباطناً، قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزیادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل، لأنه یری کلها من عین واحدة.

ومن ضعف یقینه تعلق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلک، واتبع العادات وأقاویل الناس لغیر حقیقة، والسعی فی أمور الدنیا وجمعها وإمساکها مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطی إلا الله، وأن العبد لا یصیبه إلا ما رزق وقسم له، والجهد لا یزید فی الرزق وینکر ذلک بفعله وقلبه(1)، قال الله تعالی: ((یَقُولُونَ بِأَفْواهِهِم ما لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِما یَکْتُمُونَ))(2).

وإنما عطف الله لعباده حیث أذن لهم فی الکسب والحرکات فی باب العیش ما لم یتعدوا حدوده ولا یترکوا من فرائضه وسنن نبیه فی جمیع حرکاتهم ولا یعدلوا عن محجة التوکل ولا یقفوا فی میدان الحرص، وأما إذا أبوا ذلک فارتبطوا بخلاف ما حدّ لهم کانوا من الهالکین الذین لیس معهم فی الحاصل إلا الدعاوی الکاذبة.

1- أنظر: الحقایق فی محاسن الأخلاق، الفیض الکاشانی: 193 ـــ 194، الباب الخامس فی الیقین والتوکل، الفصل الأول عظم شأن الیقین ودرجاته.

2- سورة آل عمران/ 167.

وكل مكتسب لا يكون متوكلاً فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراماً وشبهة، وعلامته أن يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق فی سبيل الدين ولا يمسک، والمأذون بالكسب من كان بنفسه مكتسباً وبقلبه متوكلاً، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالماً بأن كون ذلک وفوته سواء، وإن أمسک أمسک لله وإن أنفق أنفق فی ما أمره الله عزّوجل، ويكون منعه وعطاؤه فی الله(1).

1- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 177 ـــ 179، الباب الرابع والثمانون فی اليقين.

الباب التاسع: التوكل

اشارة

فی التوکل والکلام فیه فی فصول

الفصل الأول: فی فضله

قال الله تعالی: ((وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))(1) وقال: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))(2) وقال تعالی: ((إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))(3). فأعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بکفایة الله لا بسه، فإن المحبوب لا یعذب ولا یبعد ولا یحجب(4).

وقال تعالی: ((أَلَيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ))(5) فطالب الکفایة من غیره هو التارک للتوکل وهو المکذب(6) بهذه الآیة(7).(8)

1- سورة المائدة/ 23.

2- سورة الطلاق/ 3.

3- سورة آل عمران/ 159.

4- أنظر: إرشاد القلوب، الدیلمی: 1/ 120، فی الحکم والمواعظ، الباب الخامس والثلاثون فی التوکل علی الله.

5- سورة الزمر/ 36.

6- فی مجموعة ورام: "مکذب".

7- سورة الزمر/ 36.

8- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 221، بیان فضیلة التوکل.

وقال تعالى: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))(1) أى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ به والتجأ إلى حماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره(2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله إليها(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده(5).(6)

وعن الصادق عليه السلام:إن الغنى والعز يجولان،فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا(7).(8)

وعن الكاظم عليه السلام فى قوله تعالى: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))(9) قال: للتوكل على الله درجات: منها أن تتوكل على الله فى أمورك كلها، فما فعل

1- سورة الأنفال/ 49.

2- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 221، بيان فضيلة التوكل.

3- جامع الأخبار، الشعيرى: 117، الفصل الثالث والسبعون فى التوكل.

4- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 222، بيان فضيلة التوكل.

5- فى المشكاة: "أوثق منه فى يديه".

6- مشكاة الأنوار، الطبرسى: 18، الباب الأول فى الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما، الفصل الرابع فى التوكل على الله والتفويض إليه والتسليم له/ ذيل الحديث.

7- فى التحف: "أوطناه".

8- تحف العقول، الحرانى: 373، روى عن الإمام الصادق أبى عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه فى طوال هذه المعانى، وروى عنه عليه السلام فى قصار هذه المعانى.

9- سورة الطلاق/ 3.

بک کنت عنه راضیاً، تعلم أنه لا یألوک إلا خیراً وفضلاً، وتعلم أن الحکم فی ذلک له، فتوکل علی الله بتفویض ذلک إلیه، وثق به فیها وفی غیرها(1).

ولعل سائر درجات التوکل أن یتوکل علی الله بعض أموره دون بعض، فتعددها بحسب کثر الأمور المتوکل فیها وقلّتها.

وعن الصادق علیه السلام: أوحی الله إلی داود: ما اعتصم بی عبد من عبادی دون أحد من خلقی عرفت ذلک من نیته، ثم تکیده السماوات والأرض ومن فیهن إلا جعلت له المخرج من بینهن، وما اعتصم أحد من عبادی بأحد من خلقی عرفت ذلک من نیته إلا قطعت أسباب السماوات من یدیه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأی واد هلک(2).

وعنه علیه السلام(3): إنه قرأ فی بعض الکتب أن الله تعالی یقول: وعزتی وجلالی ومجدی وارتفاعی علی عرشی لأقطعن أمل کل مؤمل غیری بالیأس، ولأکسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحینه من قربی، ولأبعدنه من وصلی، أیؤمل غیری فی الشدائد، والشدائد بیدی، ویرجو غیری، ویقرع بالفکر باب غیری وبیدی مفاتیح الأبواب وهی مغلقة وبابی مفتوح لمن دعانی، فمن ذا الذی أمّلنی لنوائبی فقطعته دونها، ومن ذا الذی رجانی لعظیمة فقطعت رجاءه منی، جعلت آمال عبادی عندی محفوظة فلم یرضوا بحفظی، وملأت سماواتی ممن لا یمل تسبیحی، وأمرتهم أن لا یغلقوا الأبواب بینی وبین عبادی فلم یثقوا بقولی، ألم یعلم من

1- أنظر: الکافی، الکلینی: 2/65، کتاب الإیمان والکفر، باب التفویض إلی الله والتوکل علیه/ح5.

2- أنظر: مشکاة الأنوار، الطبرسی: 16، الباب الأول فی الإیمان والإسلام وما یتعلق بهما، الفصل الرابع فی التوکل علی الله والتفویض إلیه والتسلیم له.

3- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

طرقته نائبة من نوائبی أنه لا یملک کشفها أحد غیری، أفترانی أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجیب سائلی، أبخیل أنا فیبخلنی عبدی، أو لیس الجود والکرم لی، أو لیس العفو والرحمة بیدی، أو لیس أنا محل الآمال فمن یقطعها دونی، أفلا یخشی المؤملون أن یؤملوا غیری، فلو أن أهل سماواتی وأهل أرضی أملوا جمیعاً ثم أعطیت کل واحد منهم مثل ما أمل الجمیع ما انتقص من ملکی مثل عضو ذرة، وکیف ینقص ملک أنا قیمته، فیا بؤساً للقانطین من رحمتی، ویا بؤساً لمن عصانی ولم یراقبنی(1).

الفصل الثانی: فی حقیقة التوکل

إعلم أن التوکل منزل من منازل الدین ومقام من مقامات الموقنین(2)، بل هو من معانی درجات المقربین(3)، وهو فی نفسه غامض من حیث العلم وشاق وقال علیه السلام(4): لا تنظروا إلی طول رکوع الرجل وسجوده، بل انظر الی خُلقه وعمله(5).

1- أنظر: منیة المرید، الشهید الثانی: 160 ـــ 161، الباب الأول فی آداب المعلم والمتعلم، القسم الأول آدابهما فی أنفسهما، فی التوکل علی الله تعالی والاعتماد علیه.

2- الیقین: العلم و إزاحة الشک، و تحقیق الأمر. والیقین: نقیض الشک. لسان العرب، ابن منظور: 13/ 457، مادة "یقن".

3- قیل فی المقربین، أنهم: علی علیه السلام وأصحابه. مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب: 3/ 231. قال الحسینی: فی تفسیر سورة الواقعة/ 88: ((فَأَمَّا إِن کَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ)) قال: ذاک من کان منزله عند الإمام. تأویل الآیات، الحسینی: 631، تأویل سورة الواقعة.

4- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

5- الکافی، الکلینی: 2/ 105، کتاب الإیمان والکفر، باب الصدق والأمانة/ ح12. وفیه النص: «قال أبو عبد الله علیه السلام: لا تنظروا إلی طول رکوع الرجل وسجوده فإن ذلک شیء اعتاده فلو ترکه استوحش لذلک ولکن انظروا إلی صدق حدیثه وأداء أمانته».

ووجه غموضه من حيث العلم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرک فی التوحيد، والتباعد عنها بالكلية طعن فی السنّة وقدح فی الشرع، والاعتماد علی الأسباب انغماس(1) فی غمرة(2) الجهل.

والتحقيق فيه أن التوكل المأمور به فی الشرع هو اعتماد القلب علی الله فی الأمور كلها وانقطاعه عما سواه، ولا ينافيه تحصيل الأسباب إذا لم يكن يسكن إليها، وكان سكونه إلی الله تعالی دونها مجوزاً أن يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الأسباب التی حصلها، وأن يقطع الله هذه الأسباب عن مسبباتها، سواء كانت لجلب نفع متوقع أو لدفع ضرر منتظر أو لإزالة آفة واقعة، وسواء كانت مقطوعاً بها، كمد اليد إلی الطعام ليصل إلی فيه، أو مظنونة كحمل الزاد للسفر وأخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوی لإزالة الضرر والتحرز عن النوم فی مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلک.

أما الموهومة كالرقية(3) والطيرة(4) والاستقصاء(5) فی دقائق التدبير، فيبطل بها

1- الغمس: إرساب الشیء فی الشیء. وقال علی بن حجر: الإغتماس أن يطيل اللبث فيه. لسان العرب، ابن منظور: 6/156، مادة "غمس".

2- الغمرة منهمک الباطل، ومرتكض الهول. ويقال: هو يضرب فی غمرة اللهو ويتسكع فی غمرة الفتنة، وغمرة الموت: شدة همومه. لسان العرب، ابن منظور: 5/29، مادة "غمر".

3- الرقية: العوذة التی يرقی بها صاحب الآفة كالحمی والصرع وغير ذلک من الآفات. النهاية فی غريب الحديث، ابن الأثير: 2/254، باب الراء مع القاف.

4- الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هی التشاؤم بالشیء. يقال: التطير بالسوائح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلک يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهی عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير فی جلب نفع أو دفع ضر. النهاية فی غريب الحديث، ابن الأثير: 3/152، باب الطاء مع الياء.

5- القصا: البعد والناحية. الصحاح، الجوهری: 6/ 2462، مادة "قصا".

التوكل، لأن أمثال ذلک ليست بأسباب عند العقلاء الألباء(1)، وليست مما أمر الله بها، بل ورد النهی عنها.

وليس معنی التوكل ـــ كما يظنه الحمقاء ـــ أنه ترک الكسب بالبدن وترک التدبير بالقلب، والسقوط علی الأرض كالخرقة الملقاة واللحم علی الوضم(2)، فإن ذلک جهل محض(3)، وهو حرام فی الشرع، فإن الإنسان مكلف بطلب الرزق بالأسباب التی هداه الله إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلک مما أحله الله.

وكما أن الصلاة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها إليه كذلک طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به إليه، بل هو أفضل العبادات(4)، كما ورد فی الشرع: إن(5) العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال(6).

ولكنه سبحانه كلفهم أيضاً بأن لا يثقوا إلا به جل وعز ولا يثقوا بالأسباب كما أنه سبحانه كلفهم بأن لا يتكلوا علی أعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالی(7)

1- اللبيب: العاقل، والجمع ألباء. الصحاح، الجوهری: 1/216، مادة "لبب".

2- الوضم الخشبة أو البارية التی يوضع عليها اللحم. غريب الحديث، ابن سلام: 3/ 354.

3- المحض من كل شیء: الخالص. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 227، مادة "محض".

4- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 197، الباب الخامس فی اليقين والتوكل، الفصل الرابع تحصيل الأسباب لا ينافی التوكل.

5- ليس فی التهذيب: "إن".

6- التهذيب، الشيخ الطوسی: 6/ 324، كتاب المكاسب، باب 93 المكاسب/ ح12.

7- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 194 ـــ 195، الباب الخامس فی اليقين والتوكل، الفصل الثانی التوكل باب الرزق والرحمة.

ولهذا ورد فی الشرع الأمر بالإجمال فی الطلب لا الترک بالکلیة ولا الإقبال علیه بالکلیة(1).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: ألا- إنّ الروح الأمین نفث فی روعی أنه لا- تموت نفس حتی تستکمل رزقها، فاتقوا الله عزّوجل وأجملوا فی الطلب(2).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: ما أجمل فی الطلب من رکب البحر(3).

وقال الصادق علیه السلام: لیکن طلبک المعیشة فوق کسب المضیع ودون طلب الحریص الراضی بدنیاه المطمئن إلیها، ولکن أنزل نفسک من ذلک بمنزلة المنصف(4) المتعفف ترفع نفسک عن منزلة الواهن(5) الضعیف، وتکتسب ما لابد منه(6)، إن الذین أعطوا المال ثم لم یشکروا لا مال لهم(7).

وقال علیه السلام(8): إذا فتحت بابک وبسطت بساطک فقد قضیت ما علیک(9). وإنما لا یبطل التوکل بالأسباب المقطوعة والمظنونة مع أن الله تعالی قادر علی إعطاء

1- أنظر: الکافی، الکلینی: 5/80 __ 83، کتاب المعیشة، باب الإجمال فی الطلب/الأحادیث 1__11.

2- الکافی، الکلینی: 5/ 80، کتاب المعیشة، باب الإجمال فی الطلب/ صدر الحدیث 1.

3- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 460، أبواب الصلاة وحدودها، باب الصلاة فی السفینة/ ح14.

4- فی التهذیب: "النصف" بدل "المنصف".

5- الواهن: الضعیف. سبل الهدی والرشاد، الصالحی الهاشمی: 5/ 173.

6- فی التهذیب: "ما لابد للمؤمن منه".

7- تهذیب الأحکام، الشیخ الطوسی: 6/322، کتاب المکاسب، باب 93 المکاسب/ح3.

8- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

9- الکافی، الکلینی: 5/ 79، کتاب المعیشة، باب الإبلاء فی طلب الرزق/ ح1.

المطلوب بدون ذلک لأن الله سبحانه أبی(1) أن یجری الأشیاء إلا بالأسباب(2) کما قال الصادق علیه السلام؛ وأحب الله لعباده أن یطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التی سببها لذلک وأمرهم بذلک، قال الله تعالی: ((خُذُواْ حِذْرَكُمْ))(3) وقال فی کیفیة صلاة الخوف(4): ((وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ))(5) وقال: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ))(6) وقال لموسی: ((فَأَسْرِ بِعِبادِی لَيْلاً))(7) والتحصن باللیل اختفاء عن أعین الأعداء دفعاً للضرر(8).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم للأعرابی لما أهمل البعیر وقال: توکلت علی الله «إعقل وتوکل»(9) الی غیر ذلک من الأخبار.

وروی أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وقام فی سفح جبل وقال: لا أسأل أحداً شیئاً حتی یأتینی ربی برزقی. فقعد سبعاً فکاد یموت ولم یأته رزقه، فقال: یا رب إن أحییتنی فأتنی برزقی الذی قسمت لی وإلا فاقبضنی إلیک. فأوحی الله إلیه: وعزتی وجلالی لا أرزقک حتی تدخل الأمصار وتقعد بین

1- فی بصائر الدرجات: "أبی الله".

2- بصائر الدرجات، الصفار: 6، باب 3 معرفة العالم الذی من عرفه عرف الله ومن أنکره أنکر الله تعالی والسبب الذی یوفق لمعرفته/ صدر الحدیث 1.

3- سورة النساء/ 71.

4- أنظر: تفسیر القمی، علی بن إبراهیم القمی: 1/ 79، تفسیر سورة البقرة.

5- سورة النساء/ 102.

6- سورة الأنفال/ 60.

7- سورة الدخان/ 23.

8- أنظر: جامع البیان، ابن جریر الطبری: 25/ 156، تفسیر سورة الدخان/ ح24056.

9- عوالی اللئالی، ابن أبی جمهور الأحسائی: 1/ 75، الفصل الرابع/ ح149.

الناس. فدخل المصر وأقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب، فأكل وشرب وأوجس فی نفسه ذلک، فأوحی إليه أردت أن تذهب حکمتی بزهدک فی الدنيا، أما علمت أن أرزق عبدی بأيدی عبادی أحب إلی من أن أرزقه بيد قدرتی(1).

وروی أن موسی عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له: لو تداويت بکذا لبرئت. فقال: لا أتداوی حتی يعافينی الله من غير دواء. فطالت علته فأوحی الله إليه: وعزتی وجلالی لا أبرأتک حتی تتداوی بما ذکروه لک. فقال لهم: داوونی بما ذکرتم، فداووه فبرأ فأوجس فی نفسه ذلک فأوحی الله إليه: أردت أن تبطل حکمتی بتوکلک علی، فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيری؟!(2).

الفصل الثالث: فی سببه ودوائه ودرجاته

إعلم أن من اعتقد اعتقاداً بأنه لا فاعل إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأن له تمام العلم والقدرة علی کفاية العباد، ثم تمام العطف والعناية والتوجه بجملة العباد والآحاد، وأنه ليس وراء منتهی قدرته قدرة ولا وراء منتهی علمه علم ولا وراء منتهی عنايته عناية اتکل لا محالة قلبه علی الله وحده ولم يلتفت إلی غيره بوجهه ولا إلی نفسه.

ومن لم يجد ذلک من نفسه فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين، وإما ضعف القلب.

1- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الکاشانی: 198 ـــ 199، الباب الخامس فی اليقين والتوکل، الفصل الرابع تحصيل الأسباب لا ينافی التوکل.

2- أنظر: نفس المصدر السابق.

ومرضه باستيلاء الجبن عليه، وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه، فإن القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان فی اليقين، كانزعاجه أن يبيت مع ميت فی قبر أو فراش مع عدم نفرته عن سائر الجمادات، فالتوكل لا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون فی القلب شیء واليقين شیء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه، كما قال تعالى لخليله: ((أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِی))(1).

وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب، فإن اليهودی مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصرانی ولا يقين لهما أصلاً، وإنما ((يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ وَما تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدى))(2)، وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون.

واعلم أن الناس تتفاوت درجاتهم فی التوكل بحسب تفاوت مراتبهم فی قوة اليقين وضعفه، وفی قصر الأمل وطوله، وفی مدار الادخار بحسب الأمل وللمنفرد والمعيل: فمنهم من هو من المقربين(3)، ومنهم من هو من أصحاب اليمين(4)، ومنهم من لا توكل له أصلاً، وذلک بحسب عدم الوثوق بالأسباب أصلاً وقلته وكثرته.

ومن كمل إيمانه سقط وثوقه بالأسباب بالكلية، فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب أم لم يكتسب، إلا أنه لا يترک الكسب بل يتبع أمر الله فيه، وليس وثوقه إلا بالله وحده دون كسبه(5).

1- سورة البقرة/ 260.

2- سورة النجم/ 23.

3- إشارة إلى قوله تعالى: ((فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ)) سورة الواقعة/ 88.

4- إشارة إلى قوله تعالى : ((وَأَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ)) سورة الواقعة/ 90.

5- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانی: 196، الباب الخامس فی اليقين والتوكل، الفصل الثالث التوكل يبنی بقوة القلب واليقين.

قال الصادق علیه السلام: أبی الله عزّوجل(1) أن یجعل أرزاق المؤمنین إلا من حیث لا یحتسبون(2).

وإنما خصه بالمؤمنین لأن کمال الإیمان یقتضی أن لا یثق صاحبه بالأسباب وأن یتوکل علی الله عزّوجل وحده، وکمال الإیمان إنما یکون لصاحب العلم المکنون من الأنبیاء والأولیاء ((ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَن یَشاء))(3).

وقال السجاد علیه السلام: رأیت الخیر کله فی قطع الطمع عما فی أیدی الناس، ومن لم یرج الناس فی شیء وردَّ أمره إلی الله تعالی فی جمیع أموره استجاب الله تعالی له فی کل شیء(4).

وقال الباقر علیه السلام : بئس العبد عبد له طمع یقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله(5).

وقال الصادق علیه السلام : شرف المؤمن قیام اللیل، وعزه استغناؤه عن الناس(6).

1- لیس فی التمحیص: "عزّوجل".

2- التمحیص، الإسکافی: 53، باب 6 وجوب الأرزاق و الإجمال فی الطلب/ ح104.

3- سورة المائدة/ 54.

4- أنظر:الکافی،الکلینی:2/148،کتاب الإیمان والکفر، باب الاستغناء عن الناس/ ح3.

5- الکافی، الکلینی: 2/ 320، کتاب الإیمان والکفر، باب الطمع/ ح2.

6- مشکاة الأنوار، الطبرسی: 126، الباب الثالث فی محاسن الأفعال وشرف الخصال وما یشبههما، الفصل السادس فی الغنی والفقر.

الباب العاشر: الصدق وأداء الأمانة

فی الصدق وأداء الأمانة

قال الله تعالی: ((کُونُواْ(1) مَعَ الصّادِقِینَ))(2) وقال تعالی: ((رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَیْهِ))(3).

وقال الصادق علیه السلام: إن الصادق أول ما یصدقه الله تعالی یعلم أنه صادق، فتصدقه نفسه تعلم أنه صادق(4).

وعنه علیه السلام(5): إن العبد لیصدق حتی یکتب عند الله من الصادقین، ویکذب حتی یکتب عند الله من الکاذبین، فإذا صدق قال الله تعالی(6) صدق وبرّ، وإذا کذب قال الله تعالی(7) کذب وفجر(8).

1- فی النص القرآنی: "وکونوا".

2- سورة التوبة/ 119.

3- سورة الأحزاب/ 23.

4- أنظر: ثواب الأعمال، الشیخ الصدوق: 178، ثواب الأعمال، ثواب الصدق.

5- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

6- فی الکافی: "عز وجل" بدل "تعالی".

7- فی الکافی: "عز و جل" بدل "تعالی".

8- الکافی، الکلینی: 2/ 105، کتاب الإیمان والکفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ ح9.

وفی روایة أخری: إن العبد لیصدق حتی یکتبه الله تعالی صدّیقاً(1).

وعنه علیه السلام(2) قال : کونوا دعاة الناس بالخیر بغیر ألسنتکم(3) لیروا منکم الاجتهاد والصدق والورع. (4)

وقال علیه السلام(5) لبعض أصحابه: أنظر ما بلغ علی علیه السلام عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فالزمه، فإن علیاً إنما بلغ عند رسول الله ما بلغ بصدق الحدیث وأداء الأمانة(6).

وقال علیه السلام(7): إن الله تعالی(8) لم یبعث نبیاً إلا بصدق الحدیث وأداء الأمانة إلی البر والفاجر(9).

وعن النبی صلی الله علیه وآله وسلم: أداء الأمانة یجلب الرزق، والخیانة تجلب الفقر(10).

وعن أمیر المؤمنین علیه السلام : أدوا الأمانات(11) ولو الی قاتل ولد الأنبیاء(12).

1- أنظر: المعجم الأوسط، الطبرانی : 8/ 32.

2- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

3- فی مجموعة ورام: «کونوا دعاة للناس إلی الخیر بغیر ألسنتکم».

4- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 12.

5- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

6- أنظر: مشکاة الأنوار، الطبرسی: 46، الباب الأول فی الإیمان والإسلام وما یتعلق بهما/ الفصل الثانی عشر فی التقوی والورع.

7- أی: «الإمام الصادق علیه السلام».

8- فی الکافی: "عز و جل" بدل "تعالی".

9- الکافی، الکلینی: 2/ 104، کتاب الإیمان والکفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ ح1.

10- تحف العقول، الحرانی: 45، ماروی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی طوال هذه المعانی, وروی عنه صلی الله علیه وآله وسلم فی قصار هذه المعانی. وفیه النص: «الأمانة تجلب الرزق والخیانة تجلب الفقر».

11- فی الکافی: "الأمانة" بدل "الأمانات".

12- الکافی، الکلینی: 5/ 133، کتاب المعیشة، باب أداء الأمانة/ ح3.

وعن الصادق علیه السلام: من ائتمنک بأمانة فأدها إلیه، ومن خانک فلا تخنه(1).

واعلم أن الصدق یکون فی الأقوال وفی الأعمال وفی الأحوال، وأدنی مراتب الصدق الصدق فی القول فی کل حال، وکماله بترک المعاریض من غیر ضرورة حذراً عن تفهیم الخلاف، وکسب القلب صورة کاذبة.

وینبغی أن یصدق فی القول مع الحق ومع الخلق، فمن قال «وجهت وجهی لله»(2) وفی قلبه سواه، أو ((إِیّاکَ نَعْبُدُ))(3) وهو یعبد الدنیا وهواه أو ((إِیّاکَ نَسْتَعِینُ))(4) وهو بغیر الله یستعین، فهو کاذب.

کما قال الفرید الوحید رحمه الله.

إی اک م ن ق ول به ت ف ن د

ف أن ت ع ب د ل ه واک ت ع ب د

تل ه ج ف ی «إی اک ن س ت ع ی ن»

وأن ت غ ی ر الله ت س ت ع ی ن(5)

ثم الصدق فی النیة، بأن یخلصها من الشوائب کما تقدم.

ثم فی العزم، وهو الجزم القوی علی الخیر، فإن الإنسان قد یقدم العزم علی العمل، فیقول فی نفسه «إن رزقنی الله مالاً تصدقت بجمیعه أو شطره» و«إذا لقیت عدواً فی سبیل الله قاتلته ولم أبال وإن قتلت». وقد یکون فی عزمه نوع میل وتردد، وضعف یضاد الصدق فی العزیمة.

1- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 3/ 186، باب الدین والقرض/ ح20.

2- الکافی، الکلینی: 3/310، کتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة والحد فی التکبیر/ ح7.

3- سورة الفاتحة / 5.

4- سوری الفاتحة/ 5.

5- یقول النمازی فی مستدرک سفینة البحار قبل ذکر الأبیات، یناسب فی هذا المقام نقل هذه الأشعار من الدرة. وقد أوضحنا سابقا أن الدرة للسید مهدی بحر العلوم الطباطبائی (قدس سره). مستدرک سفینة البحار، النمازی: 7/ 65.

ثم فی الوفـاء بـالعزم، فالنفس قـد تسـخو بالعزم فی الحال، إذا لا مشـقة فی الوعـد، فإذا حقت الحقائق وحصل التمکن وهاجت الشـهوات انحلت العزیمة، وهذا یضاد الصدق فیه، ولذلک قال تعالی: ((رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَیْهِ))(1).

ثم فی الأعمال، بأن یبـذل جهده، بحیث لا یکون ظاهره مخالفاً لباطنه لا بأن یترک العمل بالمرة، بل بأن یسـخر الباطن الی تصدیق الظاهر، وهـذا غیر ریائی، لأن المرائی هو الـذی یقصـد ذلک لأجل الخلق، وربّ واقف علی هیئة الخشوع فی صـلاته لیس یقصد به مشاهدة غیره، ولکن قلبه غافل عن الصـلاة، فمن نظر إلیه رآه قائماً بین یدی الله، وهو بالباطن قائم فی السوق بین یدی شهوة من شهواته. وکذلک قد یمشی علی هیئة السکون والوقار، ولیس باطنه موصوفاً بذلک، فهذا غیر صادق فی عمله وإن لم یکن ملتفتاً إلی الخلق ولا مرائیاً إیاهم، ولا ینجو من هذا إلا باسـتواء السـر والعلانیة، بأن یکون باطنه مثل ظاهره أو خیراً من ظاهره، وهذا کما قال أمیر المؤمنین علیه السلام: إنی والله ما أحثکم علی طاعة إلا وأسبقکم إلیها، ولا أنهاکم عن معصیة إلا وأتناهی قبلکم عنها(2).

ثم فی مقامات الـدین، وهو أعلی درجات الصـدق وأعزها، کالصـدق فی الخوف والرجاء والتعظیم والزهد والحب والتوکل وسائر المکارم، فـإن هـذه الأـمور لهـا مبـادئ ینطلق الاـسم بظهورهـا، ثم لهـا غایـات وحقائق، والصادق المحقق من نال حقیقتها، قال الله تعالی: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ یَرْتابُوا)) الی قوله: ((أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ))(3) وقال عزّوجل: ((وَلکِنَّ الْبِرَّ مَنْ

1- سورة الأحزاب/ 23.

2- نهج البلاغة، الشـریف الرضی: 1/ 250، خطب أمیر المؤمنین علیه السـلام، الخطبة 175 له علیه السـلام فی الموعظة وبیان قرباه من رسول الله.

3- سورة الحجرات/ 15.

آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ))(1) ثم قال: ((وَالصّابِرِينَ فِی الْبَأْساء والضَّرّاء))(2) الی قوله: ((أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا))(3).

وسئل أبو ذر(4)رضی الله عنه عن الإیمان فقرأ هذه الآیة(5)، فقیل له: سألناک عن الإیمان فقال: سألت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن الإیمان فقرأ هذه الآیة(6).(7)

وإن أردت أیضاً أن تعرف معنی الصدق فی الخوف فاعلم أنه ما من عبد یؤمن بالله إلا وهو خائف خوفاً ینطبق علیه هذا الاسم، ولکنه خوف غیر بالغ درجة الصدق والحقیقة، ولذا تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طریق فی سفر کیف یصفر لونه فترتعد فرائصه ویتنغص علیه عیشه ویتعذر علیه أکله ونومه، وینقسم علیه فکره حتی لا ینتفع به أهله وولده، وقد ینزعج عن الوطن فیستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار، کل ذلک خوفاً من درک المحظور، فما بال من یدعی الخوف من الله ومن عذابه وعقابه وناره لا یظهر علیه شیء من ذلک

1- سورة البقرة/ 177.

2- سورة البقرة/ 177.

3- سورة البقرة/ 177.

4- جندب بن جنادة بن سفیان بن عبید، من بنی غفار، من کنانة بن خزیمة، أبو ذر: صحابی، من کبارهم. یقال أسلم بعد أربعة وکان خامسا. یضرب به المثل فی الصدق. هاجر بعد وفاة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی بادیة الشام. فأقام إلی أن توفی أبو بکر وعمر وولی عثمان، فسکن دمشق وجعل دیدنه تحریض الفقراء علی مشارکة الأغنیاء فی أموالهم. فشکاه معاویة إلی عثمان فاستقدمه عثمان إلی المدینة، فقدمها و استأنف نشر رأیه فی تقبیح منع الأغنیاء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشکوی منه فأمره عثمان بالرحلة إلی الربذة فسکنها إلی أن مات (سنة 32 هـ). وکان کریما لا یخزن من المال قلیلا ولا کثیرا. الأعلام، الزرکلی: 2/140، أبو ذر الغفاری.

5- سورة الحجرات/ 15.

6- سورة الحجرات/ 15.

7- إحیاء علوم الدین، الغزالی: 4/ 340، کتاب النیة والإخلاص والصدق، الباب الثالث فی الصدق وفضیلته وحقیقته، بیان حقیقة الصدق ومعناه ومراتبه.

عنـد جريان معصـيته عليه، ولـذا قال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: لـم أر مثل النار نام هاربها، ولـم أر مثل الجنة نام طالبها(1). وهكذا الصدق فى الرجاء كما تقدم فى محله.

وقد يكون العبد صادقاً فى جميع الأمور، فيسمى صديقاً، وقد يكون فى بعض دون بعض فيضاف الى ذلک البعض، بأن يسمى صادق القول أو العمل(2).

وفى مصـباح الشـريعة: قال الصادق عليه السـلام: إذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر فى قصـد معناک وغور(3) دعواک وغيرها بقسطاس(4) من الله عزّوجل كأنک فى القيامة، قال الله: ((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ))(5)، فإذا اعتدل معناک بدعواک ثبت لک الصدق.

وأدنى حـد الصـدق أن لاـ يخاف اللسان القلب ولا القلب اللسان. ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه إن لم ينزع، فماذا يصنع؟!(6).

1- أنظر: أعلام الدين، الديلمى: 190، باب وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر.

2- أنظر: الحقـايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 201 ـــ 203، الباب السادس فى الصـدق والأمانة. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 140 ـــ 147، كتاب النية والصدق والإخلاص، الباب الثالث. جامع السـعادات، النراقى: 2/ 335 ـــ 339، تكميل أقسام الصدق. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 336 ـــ 341، كتاب النية والإخلاص والصدق، الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته.

3- الغور: القعر من كل شىء، والدخول فى الشىء. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: 2/ 105، مادة "الغور".

4- القسـطاس: أعدل الموازين وأقومها، وقيل: هو شاهين. والقسـطاس: هو ميزان العدل، أى: ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها. لسان العرب، ابن منظور: 6/ 176، مادة "قسطس".

5- سورة الأعراف/ 8.

6- أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 34 ـــ 35، الباب الخامس عشر فى الصدق.

الباب الحادى عشر: المحاسبة والمراقبة

اشارة

فی المحاسبة والمراقبة وفیه فصلان

الفصل الأول: فی المحاسبة

قال الله تعالی: ((وکَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ حَسِیبًا))(1) وقال تعالی: ((وَنَضَعُ الْمَوازِینَ الْقِسْطَ لِیَوْمِ الْقِیامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئًا وَإِن کانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنا بِها وَکَفی بِنا حاسِبِینَ))(2) وقال تعالی: ((وَوُضِعَ الْکِتابُ فَتَرَی الْمُجْرِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمّا فِیهِ وَیَقُولُونَ یا وَیْلَتَنا مالِ هذا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَةً وَلا کَبِیرَةً إِلاّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا وَلا یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَدًا))(3) وقال تعالی: ((یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِیعًا فَیُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ))(4) وقال تعالی: ((یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتًا لِیُرَوْا أَعْمالَهُمْ (6) فَمَن یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ (7) وَمَن یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ))(5).

1- سورة الإسراء/ 17. ونصها: ((إقرأ کتابک کَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً)).

2- سورة الأنبیاء/ 47.

3- سورة الکهف/ 49.

4- سورة المجادلة/ 36.

5- سورة الزلزلة/ 6 __ 8.

فعلم أرباب البصائر أن العليم بالسرائر والمطلع على الضمائر سيحاسبهم على الصغير والكبير والجليل والحقير والنقير والقطمير، وعلى مثاقيل الذر من اللحظات والخطرات والغفلات والالتفاتات، ولا ينجيهم من هذه الأخطار العظيمة والأهوال الجسيمة إلا محاسبة أنفسهم فى الدنيا قبل أن يحاسبوا فى القيامة.

قال الصادق عليه السلام: إذ أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله(1)، فإذا علم الله ذلک من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا عليه السلام(2): ((فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَةٍ))((3).(4)

وفى رواية أخرى: ينبغى أن يكون للعاقل أربع ساعات: ساعة يحاسب بها نفسه...(5).

وفى مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله عزّوجل وفضيحة هتک الستر على المخفيات يحق للمرء أن لا ـ يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوى الى عمران، ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار، ومثل ذلک يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة فى كل نفس، ويعاين بالقلب الوقوف بين يدى الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة، كأنه الى

1- فى مجموعة ورام: "الله عزّوجل".

2- ليس فى مجموعة ورام: "عليه السلام".

3- () سورة المعارج/ 4.

4- مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 2/ 145 __ 146.

5- أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابورى:1/4، مجلس فى ماهية العقول وفصولها.

عرصاتها(1) مدعو وفی غمراتها(2) مسؤول، قال الله عزّوجل: ((وَإِن کانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنا بِها وَکَفی بِنا حاسِبِینَ))(3).(4)

واعلم أن معنی المحاسبة أن یطالب نفسه أولاً بالفرائض التی هی بمنزلة رأس ماله، فإن أدتها علی وجهها شکر الله علیه ورغبها ومثلها، وإن فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء، فإن أدتها ناقصة کلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتکبت معصیة اشتغل بعتابها وتعذیبها ومعاقبتها، واستوفی منها ما یتدارک به ما فرط، کما یصنع التاجر بشریکه، فکما أنه یفتش فی حساب الدنیا عن الحبة والقیراط(5) فیحفظ مداخل الزیادة والنقصان حتی لا یغبن بشیء منها، فینبغی أن یتقی غائلة(6) النفس ومکرها، فإنها خداعة ملبسة مکارة، فلیطالبها أولاً بتصحیح الجواب عن جمیع ما یتکلم به طول نهاره، ولیتکفل بنفسه من الحساب ما سیتولی غیره فی صعید القیامة.

وهکذا عن نظره، بل عن خواطره وأفکاره وقیامه وقعوده وأکله وشربه ونومه، حتی عن سکوته لم سکت وعن سکونه لم سکن، فإذا عرف مجموع

1- العرصة: کل بقعة بین الدور واسعة لیس فیها بناء. العرصات: جمع عرصة، وقیل: هی کل موضع واسع لا بناء فیه. لسان العرب، ابن منظور: 7/ 52 __ 53، مادة "عرص".

2- الغمرة: الشدة. وغمرة کل شیء: منهمکه وشدته کغمرة الهم والموت و نحوهما. لسان العرب، ابن منظور: 5/ 29، مادة "غمر".

3- سورة الأنبیاء/ 47.

4- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام: 85، الباب الثامن والثلاثون فی الحساب.

5- القیراط جزء من أجزاء الدینار، وهو نصف عشر فی أکثر البلاد. مجمع البحرین، الطریحی: 3/ 489، مادة "قرط".

6- کل ما اغتال الإنسان فأهلکه فهو غول. یقال: غالته غول، إذا وقع فی مهلکة. الصحاح، الجوهری: 5/ 1786، مادة "غول".

الواجب على النفس وصح عنده قدر ما أدى الحق منه كان ذلک القدر محسوباً له، فيظهر له الباقى عليها، فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقى الذى على شريكه على قلبه وعلى جريدته.

ثم النفس غريم(1) يمكن أن يستوفى منه الديون، أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه، وبعضها بالعقوبة له على ذلک، ولا يمكن شىء من ذلک إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقى من الحق الواجب عليه، فإذا حصل ذلک اشتغل بعده بالمطالب والاستيفاء(2).

قال الكاظم عليه السلام: ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله(3) وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه(4).

وقال الباقر عليه السلام: لا يغرنک الناس(5) من نفسک، فإن الأمر يصل إليک دونهم، ولا تقطع نهارک بكذا وكذا فإن معک من يحفظ عليک عملک فأحسن(6) فإنى لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم(7).

1- الغرم: الدين. رجل غرم: عليه دين. لسان العرب، ابن منظور: 12/ 436، مادة "غرم".

2- أنظر: الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 303 ـــ 305، الباب الثانى المحاسبة والمراقبة. جامع السعادات، النراقى: 3/ 101 ـــ 102، مقامات مرابطة العقل للنفس. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 351 ـــ 353، كتاب المراقبة والمحاسبة.

3- فى إرشاد القلوب: "الله عزّوجل".

4- إرشاد القلوب، الديلمى: 1/ 182، فى الحكم والمواعظ، الباب الحادى والخمسون فى أخبار عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار.

5- فى الكافى: "يا أبا النعمان لا يغرنک الناس".

6- فى الكافى: "وأحسن".

7- الكافى، الكلينى: 2/ 454، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل/ ح3.

وقال الصادق علیه السلام: إن رجلاً أتی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال له: یا رسول الله أوصنی. فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: فهل أنت مستوص إذا أنا أوصیتک؟(1) حتی قال له ذلک ثلاثاً وفی کلها یقول له الرجل: نعم یا رسول الله. فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: فإنی أوصیک إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته،فإن یک رشداً فأمضه،وإن یک غیاً فانته عنه(2).

الفصل الثانی: فی المراقبة

ینبغی للعبد أن یراقب نفسه عند الخوف فی الأعمال، ویلاحظها بالعین الکالئة، فإنها إن ترکت طغت فأفسدت وفسدت، ثم یراقب الله فی کل حرکة وسکون، وذلک بأن یعلم بأن الله مطلع علیه وعلی ضمائره خبیر بسرائره، رقیب علی أعمال عباده، قائم علی کل نفس بما کسبت، وأن سر القلب فی حقه مکشوف کما أن ظاهر البشرة للخلق مکشوف، بل أشد من ذلک، قال الله تعالی: ((أَلَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ یَرَی))(3) وقال تعالی: ((إِنَّ اللّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیبًا))(4).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: الإحسان أن تعبد الله کأنک تراه،فإن لم تکن تراه فإنه یراک(5).

وفی الحدیث القدسی: إنما یسکن جنات عدن الذین إذا هموا بالمعاصی ذکروا عظمتی فراقبونی، والذین انحنت أصلابهم من خشیتی، وعزتی وجلالی إنی لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلی أهل الجوع والعطش من مخافتی صرفت عنهم العذاب(6).

1- فی الکافی: "إن أنا أوصیتک".

2- الکافی، الکلینی: 8/ 150، کتاب الروضة، حدیث من ولد فی الإسلام/ ح5.

3- سورة العلق/ 14.

4- سورة النساء/ 1.

5- أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبی الحدید: 11/ 203، بیان أحوال العارفین.

6- المحجة البیضاء،الفیض الکاشانی:8/ 156،کتاب المراقبة والمحاسبة،المرابطة الثانیة المراقبة.

وحكى أن زليخا(1) لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها، فقال يوسف: ما لک تستحين من مراقبة جماد ولا أستحى من مراقبة الملک الجبار(2).

والمراقبة تحصل من معرفة الله ، والعلم بأنه تعالى مطلع على الضمائر عالم بما فى السرائر، بمرأى منهم وبمسمع، وهم بمرأى منه ومسمع.

والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين:

إحداهما: مراقبة المقربين، وهى مراقبة التعظيم والجلال، وهى أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلک الجلال ومنكسراً تحت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير، وهذا هو الذى صار همه هماً واحداً وكفاه الله سائر الهموم.

والثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليقين، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها، وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون(3) إلا بعد التثبت، ويمتنعون

1- زليخا: هى زليخا، وقيل: زلخا، وقيل: راعيل، وقيل: فكة بنت ملک المغرب هيموس، وقيل: رعاييل، وقيل: بوش، وأمها أخت الملک الريان بن الوليد صاحب مصر. (زوجة قطفير، وقيل: أطفير، وقيل: هو طيفار بن رجيب وزير ملک مصر، وكان يلقب بالعزيز، وهى تعرف بامرأة العزيز. تزوجها (النبى يوسف عليه السلام) وكانت قد تقدم بها السن، فطلبت منه أن يسأل الله أن يرد عليها شبابها وصباها، فطلب يوسف عليه السلام ذلک من الله سبحانه، فرد الله عليها شبابها وجمالها. أنجبت له ولدين : أفرايم ومنشا. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبسترى: 401 __ 402، زليخا.

2- أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبى فراس: 1/ 236، باب محاسبة النفس.

3- الإحجام: ضد الإقدام. أحجم عن الأمر: كف أو نكص هيبة. لسان العرب، ابن منظور: 12/ 116، مادة "حجم".

عن كل ما يفتضحون به فى القيامة، فإنهم يرون الله مطلعاً عليهم، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة.

فإن العبد لا يخلو إما أن يكون فى طاعة أو معصية أو مباح. فمراقبته فى الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، ومراقبته فى المعصية بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير، ومراقبته فى المباح بمراعاة الأدب، بأن يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلاً الى غير ذلک، فكل ذلک داخل فى المراقبة. وبشهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها، وبالصبر على البلاء، فإن لكل واحد منها حدوداً لابد من مراعاتها بدوام المراقبة «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»(1).(2)

1- سورة الطلاق/ 1.

2- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 156 ـــ 162، كتاب المراقبة والمحاسبة، بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 306 ـــ 307، الفصل الثانى مراقبة العبد لنفسه. جامع السعادات، النراقى: 3/ 97 ـــ 100، فصل مقامات مرابطة العقل للنفس. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 346 ـــ 351، كتاب المراقبة والمحاسبة، بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها.

الباب الثانی عشر: التفکر والتدبر

فی التفکر والتدبر

قال الله تعالی: ((وَیَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ))(1) وقال تعالی: ((أَفَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها))(2).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: تفکر ساعة خیر من عبادة سنة(3).

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: التفکر یدعو الی البر والعمل به(4).

وقال علیه السلام(5): نبه بالتفکر قلبک، وجاف(6) عن اللیل جنبک، واتق الله ربک(7).

1- سورة آل عمران/ 191.

2- سورة محمد/ 24.

3- تفسیر العیاشی، العیاشی: 2/ 208، تفسیر سورة الرعد/ ح 26.

4- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 184.

5- أی: "الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام".

6- جفا الشیء یجفو جفاء وتجافی:لم یلزم مکانه،کالسرج یجفو عن الظهر،وکالجنب یجفو عن الفراش. لسان العرب، ابن منظور: 14/ 147، مادة "جفا".

7- الکافی، الکلینی: 2/ 54، کتاب الإیمان والکفر، باب التفکر/ ح 1.

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: تفکروا فی آلاء(1) الله ولا تفکروا فی الله، فإنکم لن تقدروا قدره(2).

وقال الباقر علیه السلام: إیاکم والتفکر فی الله، ولکن إذا أردتم أن تنظروا إلی عظمته(3) فانظروا إلی عظم خلقه(4).

وقال الصادق علیه السلام: من نظر فی الله کیف هو هلک(5).

واعلم أن التفکر الذی أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام أنه یدعو الی البر والعمل به قد یکون فی الحسنات والسیئات بأن یتفکر العبد فی حسناته هل هی تامة أو ناقصة، موافقة للسیئة أو مخالفة لها، خالصة عن الشرک والشک أو مشوبة بهما، فیدعوه هذا التفکیر لا محالة إلی إصلاحها وتدارک ما فیها، وکذا إذا تفکر فی سیئاته وما یترتب علیها من العقوبات والبعد عن الله، فیدعوه ذلک إلی الانتهاء عنها وتدارکها بالتوبة والندم.

وقد یکون بالتفکر فی صفات الله وأفعاله، من لطفه بعباده وإحسانه إلیهم بسوابغ(6) النعماء وبسطة الآلاء، والتکلیف دون الطاقة، والوعد بالثواب الجزیل

1- ((آلاء الله)) سورة الأعراف/ 69، أی:نعمه، واحدها "ألی". وقیل: "الآلاء" هی: النعم الظاهرة. مجمع البحرین، الطریحی: 1/ 97، مادة "ألی".

2- بحار الأنوار، المجلسی: 68/ 322، کتاب الإیمان والکفر، أبواب مکارم الأخلاق، باب80 التفکر والاعتبار والاتعاظ/ ح3. وفیه النص: «تفکروا فی آلاء الله فإنکم لن تقدروا قدره».

3- فی التوحید: "إلی عظمة الله".

4- التوحید،الشیخ الصدوق:458،باب 67 النهی عن الکلام والجدل والمراء فی الله عزّوجل/ ح20.

5- المحاسن،البرقی: 1/ 237، باب 24 جوامع من التوحید/ ح3.

6- نعمة سابغة، وأسبغ الله علیه النعمة: أکملها وأتمها ووسعها. لسان العرب، ابن منظور: 8/ 433، مادة "سبغ".

والثناء الجميل على العمل الحقير القليل، وتسخيره له ما فی السماوات والأرض وما بينهما(1) ونحو ذلک، فيدعوه ذلک الی البر والعمل به، والرغبة فی الطاعات والانتهاء عن المعاصی.

وهذا تفکير المتوسطين، وإليه الإشارة بقول الرضا عليه السلام: ليس العبادة کثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفکر فی أمر الله(2).(3)

وسئل الصادق عليه السلام عما يروی الناس «إن تفکر ساعة خير من قيام ليلة» قيل: کيف يتفکر؟ قال: تمر بالخربة أو بالدار فتقول: أين ساکنوک وأين بانوک ما لک لا تتکلمين؟(4).

وهذا التفکر دون الأولين فی الفضل، وللناس فيه مراتب(5).

1- إشارة إلی قوله تعالی فی سورة لقمان/ الآية 20. ونصها: ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِی السَّماواتِ وَما فِی الْأَرْضِ)).

2- فی مجموعة ورام: "الله عزّوجل".

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 2/ 183 __ 184.

4- أنظر: الکافی، الکلينی: 2/ 54 __ 55، کتاب الإيمان والکفر، باب التفکر/ ح2.

5- أنظر: الحقايق فی محاسن الأخلاق، الفيض الکاشانی: 308 __ 309، الباب الثالث فی التفکر والتدبر.

الباب الثالث عشر: ذكر الموت وقصر الأمل

فی ذکر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالی: ((کُلُّ نَفْسٍ ذآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَیاةُ الدُّنْیا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ))(1).

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: أکثروا ذکر هادم اللذات. قیل: وما هو یا رسول الله؟ قال: الموت، فما ذکره عبد علی الحقیقة فی سعة إلا ضاقت علیه الدنیا، ولا فی شدة إلا اتسعت علیه(2).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الموت کفارة لکل مسلم(3).

وقال صلی الله علیه وآله وسلم: تحفة المؤمن الموت(4).

1- سورة آل عمران/ 185.

2- أنظر: مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام:171 ـــ 172، الباب الواحد والثمانون فی ذکر الموت.

3- مجموعة ورام، ورام بن أبی فراس: 1/ 268، بیان ذکر الموت.

4- الدعوات، الراوندی: 235، الباب الرابع فی أحوال الموت وأهواله، فصل فی ذکر الموت وفرحته وترحته/ ح1.

وقـال صـلى الله عليه وآله وسـلم: الموت الموت، ألا ولابـد من الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحـة والكرّة المباركـة الى جنة عالية، لأهل دار الخلود اللذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم(1).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنزل الموت حق منزلته من عدّ غداً من أجله(2).

وقال عليه السلام(3): ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل(4).

وكان يقول(5): لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض العمل من طلب الدنيا(6).

وقيل للباقر عليه السلام: حدثنى ما أنتفع به. قال(7): أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا زهد فى الدنيا(8).

وقـال الصـادق عليه السـلام: إذا أنت حملت جنـازة فكن كأنـك أنت المحمول، وكأنـك سـألت ربك الرجوع إلى الـدنيا ففعل، فانظر ماذا تستأنف. ثم قال: عجباً لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودى فيهم بالرحيل وهم يلعبون(9).

1- الكافى، الكلينى: 3/ 257 __ 258، كتاب الجنائز، باب النوادر/ صدر الحديث 27.

2- الأمالى، الشيخ الصدوق: 108، المجلس الثالث والعشرون/ ح4.

3- أى: "الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام".

4- كتاب الزهد، الأهوازى: 81، باب 14 ذكر الموت والقبر/ ح10.

5- الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

6- الكافى، الكلينى: 3/ 259، كتاب الجنائز، باب النوادر/ ذيل الحديث 30.

7- فى الكافى: "فقال يا أبا عبيدة ".

8- الكافى، الكلينى: 3/ 255، كتاب الجنائز، باب النوادر/ ح18.

9- أنظر: كتاب الزهد، الأهوازى: 77 __ 78، باب 14 ذكر الموت والقبر/ ح1.

وقال علیه السلام(1): ما خلق الله(2) یقیناً لا شک فیه أشبه بشک لا یقین فیه من الموت(3).

واعلم أن الموت هائل وخطره عظیم، وغفلتنا عنه لقلة فکرنا وذکرنا له، وإذا ذکرناه فلسنا نذکره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنیا، والطریق فیه تفریغ العبد قلبه عن کل شیء إلا عن ذکر الموت الذی بین یدیه کالذی یرید أن یسافر إلی مفازة(4) مخطرة أو یرکب البحر فإنه لا یتفکر إلا فیه، فإذا باشر ذکر الموت قلبه فیوشک أن یؤثر فیه، وعند ذلک یقل فرحه وسروره بالدنیا وینکر قلبه.

وأوقع طریق فیه أن یکثر ذکر أقرانه الذین مضوا قبله، فیتذکر موتهم ومصرعهم تحت التراب، ویتذکر صورهم فی مناصبهم وأحوالهم، وکیف تبددت أجزاؤهم فی قبورهم، وکیف أرملوا نساءهم وأیتموا أولادهم وضیعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم، وأوحشت دیارهم.

ومهما تذکر رجلاً رجلاً وفصل فی قلبه حاله وکیفیة حیاته وتوهم صورته وتذکر نشاطه وتردده وأمله فی العیش والبقاء ونسیانه للموت وانخداعه بمؤاتاة الأسباب ورکونه إلی القوة والشباب ومیله الی الضحک واللهو وغفلته عما بین یدیه من الموت الذریع والهلاک السریع، وأنه کیف کان یتردد والآن قد تهدمت رجلاه

1- أی: "الإمام الصادق علیه السلام".

2- فی الفقیه: "الله عزّوجل".

3- من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق: 1/ 194، باب النوادر/ ح596.

4- المفازة: المهلک. المفازة: المنجاة، وهی مفعلة من الفوز، یقال فاز فلان: إذا نجا. مجمع البحرین، الطریحی: 3/ 437، مادة "فوز".

ومفاصـله، وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه، وكيف كان يضـحک وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه الى عشـر سـنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شـهر، وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لا يحتسـبه، فانكشـفت له صورة ملک الموت، وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلک ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم، والسعيد من اتعظ بغيره.

والـذاكرون للموت على أقسام: فمنهم المنهمک فى اللـذات المنكب على الشـهوات، فهو إن اتفق ذكره للموت تأسف على دنياه واشـتغل بمـذمته وفرّ منه غفلـة عن قوله تعـالى: ((أَيْنَما تَكُونُواْ يُـدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَـيَّدَةٍ))(1) وقوله تعـالى: ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ))(2) ويزيده ذكر الموت من الله بعداً. نعم ربما استفاد تنغص نعيمه وتكدر لذته، فيتجافى عن الدنيا.

ومنهم: التائبون الذين يكثرون ذكر الموت لينبعث من قلوبهم الخوف والخشية فيفوا بتمام التوبة، وربما كرهوا الموت خيفة من أن يختطفهم قبـل تمـام التوبـة وقبل إصـلاح الزاد، وهم معـذورون فى كراهـة الموت غير داخلين فى قوله عليه السـلام(3): «مـن كره لقـاء الله كره الله لقاءه»(4) لأنهم يخافون فوت لقاء الله للقصور والتقصـير، فهم كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشـتغلاً بالاسـتعداد للقائه على وجه يرضاه، فلا يعدّ كارهاً للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له.

1- سورة النساء/ 78.

2- سورة الجمعة/ 8.

3- أى: "الإمام الصادق عليه السـلام وفى ذيل الحديث يروى الإمام الصادق عليه السـلام هذا النص عن النبى محمد صـلى الله عليه وآله وسلم".

4- مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: 172، الباب الواحد والثمانون فى ذكر الموت / ذيل الحديث.

ومنهم: العـارفون الـذين يكثرون ذكر الموت، لأنه موعـد للقاء الحبيب والمحب لا ينسـى موعـد لقاء حبيبه وينبغى أن لا يحبوا الموت إلا لأجل التزود من الأعمال وتحسين الأخلاق والأحوال.

ومنهم: وهو الأعلى ـــ المفوضون، وهم الذين يفوضون أمرهم إلى الله ولا يختارون لأنفسـهم موتاً ولا حياة(1)، وأحب الأشياء لديهم ما يختار لهم مولاهم(2).

1- إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الفرقان الآية/3 : ((وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً)).

2- أنظر: المحجـة البيضـاء، الفيض الكاشانى: 8/ 238 ـــ 244، كتـاب ذكر الموت ومـا بعـده. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 312 ـــ 314، الباب الرابع فى ذكر الموت وقصر الأمل. جامع السعادات، النراقى: 3/ 45 ـــ 46، فصل مراتب الناس فى ذكر الموت. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 391 ـــ 393، كتاب ذكر الموت وما بعده.

الباب الرابع عشر: طول الأمل

فی طول الأمل

قال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: إذا أصـبحت فلا تحدث نفسک بالمساء، وإذا أمسـیت فلا تحدث نفسک بالصـباح، وخذ من دنیاک لآخرتک(1)، ومن حیاتک لموتک، ومن صحتک لسقمک، فإنک لا تدری ما اسمک غداً(2).

وقال صـلی الله علیه وآله وسـلم: إن اشـد ما أخاف علیکم خصـلتان: اتباع الهوی، وطول الأمل. فأما اتباع الهوی فإنه یعدل عن الحق، وأما طول الأمل فإنه یحبب الدنیا(3).

وقال صـلی الله علیه وآله وسـلم: أیها الناس أما تسـتحون من الله؟ قالوا: وما ذاک یا رسول الله؟ قال: تجمعون ما لا تأکلون، وتأملون ما لا تدرکون، وتبنون ما لا تسکنون(4).

1- فی مسکن الفؤاد: "وخذ من حیاتک لموتک "بدل" وخذ من دنیاک لآخرتک".

2- مسکن الفؤاد، الشهید الثانی: 16.

3- المحجة البیضاء، الفیض الکاشانی: 8/ 244 ـــ 245، کتاب ذکر الموت وما بعده، الباب الثانی فی طول الأمل.

4- إحیاء علوم الدین،الغزالی:4/394، کتاب ذکر الموت وما بعده،فضیلة قصر الأمل.

وطول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حب الدنيا. فإنه إذا أنس بها وشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه عن الفكر فی الموت الذی هو سبب مفارقتها، وکل من کره شیئاً رفعه من نفسه والإنسان مشغوف(1) بالأمانی الباطلة، فتمنی نفسه أبداً ما یوافق مراده وهو البقاء فی الدنیا، فلا یزال یتوهمه ویقرره فی نفسه ویقدر توابع البقاء وما یحتاج إلیه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنیا، فیصیر قلبه معکوفاً(2) علیها ویلهو عن ذکر الموت.

وأصل هذه الأمانی کلها حب الدنیا، وأما الأمل فإن الإنسان قد یعوّل(3) علی شبابه فیستبعد قرب الموت مع الشباب، ولیس یتفکر المسکین فی أن مشایخ بلده لو عدوا لکانوا أقل من عشر أهل البلد، وإنما قلوا لأن الموت فی الشباب أکثر، وإلی أن یموت شیخ یموت ألف صبی وشاب.

وقد یستبعد الموت لصحته ویستبعد الموت فجأة ولا یدری أن ذلک غیر بعید، وإن کان بعیداً ففجاء المرض غیر بعید، وکل مرض فإنما یقع فجأة، وإذا مرض لم یکن الموت بعیداً والموت لیس له وقت مخصوص من شاب وشیب وکهولة، ومن صیف وشتاء وخریف ولیل ونهار، لعدم اشتغاله بالاستعداد واستشعاره.

1- الشغاف ککتاب: غلاف القلب وهی جلدة دونه کالحجاب. ویقال: هو حبة القلب، وهی: علقة سوداء فی صمیمه. وشغف قلبه الهوی شغفا من باب نفع والاسم الشغف بفتحتین. وفلان مشغوف بفلانة، أی: ذهب به الحب إلی أقصی المذاهب. مجمع البحرین، الطریحی: 2/521، باب ما أوله الشین، مادة "شغف".

2- عکف بعکف ویعکف عکفا وعکوفا، وهو: إقبالک علی الشیء لا تصرف عنه وجهک. کتاب العین، الفراهیدی: 1/205، مادة "عکف".

3- عولت علیه: استعنت به. کتاب العین، الفراهیدی: 2/ 248، مادة "عول".

وعلاج الجهل الفكر الصافى من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة، وعلاج حب الدنيا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، وإذا حصل اليقين بذلک ارتحل عن قلبه حب الدنيا. وقد تقدم فى الزهد وحب الدنيا ما فيه بلاغ(1).

نسأل الله أن يحسن عملنا ويقصر أملنا، ويخرج حب الدنيا عن قلبنا، ويحبب إلينا لقاءه، ويوفقنا للأعمال الصالحة بحمد الله.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

تم فى يوم الأربعاء سابع وعشرين ربيع الأول سنة 1225 ألف ومائتين وخمس وعشرين من الهجرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم.

1- أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى: 8/ 246 ـــ 248، كتاب ذكر الموت وما بعده، بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الفيض الكاشانى: 315 ـــ 317، الباب الرابع فى ذكر الموت وقصر الأمل، الفصل الرابع. إحياء علوم الدين، الغزالى: 4/ 397 ـــ 398، كتاب ذكر الموت وما بعده، بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه.

المصادر

1. أبجد العلوم، السيد صديق بن حسن خان القنوجی البخاری / الطبعة الأولی ـــــ بیروت 1420هـ ـــــ نشر دار الکتب العلمیة.

2. الآحاد والمثانی، ابن أبی عاصم الضحاک / الطبعة الأولی ـــــ 1411 هـ ـــــ نشر دار الدرایة.

3. الاحتجاج، أبو منصور احمد بن علی الطبرسی / 1403 هـ ـــــ نشر المرتضی ـــــ مشهد.

4. الأحکام فی أصول الأحکام، علی بن محمد الآمدی / الطبعة الثانیة ـــــ 1402 هـ ـــــ مؤسسة النور ـــــ نشر المکتب الإسلامی ـــــ دمشق.

5. إحیاء علوم الدین، محمد بن محمد الغزالی / 1421 هـ ـــــ نشر دار الکتب العملیة ـــــ بیروت.

6. الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان (المفید)، الطبعة الأولی 1413 هـ ـــــ نشر المؤتمر العالمی لألفیة الشیخ المفید ـــــ قم.

7. الأخوان، عبد الله بن عبید بن أبی الدنیا / نشر دار الاعتصام.

8. آداب الصحبة، أبی عبد الرحمن السلمی / الطبعة الأولی ـــــ 1410هـ ـــــ نشر دار الصحابة للتراث.

9. الأدب المفرد، محمد بن إسماعیل البخاری / الطبعة الثالثة ـــــ 1409 هـ ـــــ نشر دار البشائر الإسلامیة ـــــ بیروت.

10. أذکیاء الفقهاء والمحدثین، محمد رضا الحکیمی / الطبعة الأولی ـــــ 1418 هـ ـــــ نشر مؤسسة الأعلمی للمطبوعات ـــــ بیروت.

11. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان (المفید)، الطبعة الأولی ـــــ 1413 هـ ـــــ نشر المؤتمر للشیخ المفید ـــــ قم.

12. إرشاد القلوب، الحسن بن أبی الحسن الدیلمی / الطبعة الأولی ـــ 1412 هـ ـــ دار الشریف الرضی للنشر.

13. الاستبصار، الشیخ أبو جعفر الطوسی / الطبعة الثالثة 1390 هـ ـــ نشر دار الکتب الإسلامیة ـــ طهران.

14. أسرار الصلاة، الشهید الثانی / الطبعة الأولی ـــ 1410 هـ ـــ الدار الإسلامیة للطباعة ونشر والتوزیع ـــ لبنان.

15. أسرار العبادات ، الفیض الکاشانی / الطبعة الأولی ـــ 1426 هـ ـــ نشر ذوی القربی.

16. الأعلام، خیر الدین الزرکلی / الطبعة الخامسة ـــ نشر دار العلم للملایین ـــ بیروت.

17. أعلام الدین فی صفات المؤمنین، الحسن بن أبی الحسن الدیلمی / الطبعة الأولی ـــ 1408 هـ ـــ نشر مؤسسة آل البیت علیهم السلام ـــ قم.

18. أعلام القرآن، عبدالحسین الشبستری / الطبعة الأولی ـــ 1421 هـ ـــ مرکز انتشارات دفتر تبلیغات إسلامی ـــ قم.

19. إعلام الوری بأعلام الهدی، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسی / الطبعة الثالثة ـــ 1309 هـ ـــ نشر دار الکتب الإسلامیة ـــ طهران.

20. أعیان الشیعة، حسن الأمین / الطبعة الخامسة ـــ 1418 هـ ـــ بیروت ـــ دار التعارف للمطبوعات.

21. إقبال الأعمال، علی بن طاووس الحلی / الطبعة الثانیة ـــ 1367 هـ. ش ـــ نشر دار الکتب الإسلامیة ـــ طهران.

22. الأمالی، الصدوق / الطبعة الرابعة المصححة ـــ 1404 هـ ـــ نشر المکتبة الإسلامیة ـــ قم.

23. الأمالی، الطوسی / الطبعة الأولی ـــ 1414 هـ ـــ دار الثقافة للنشر ـــ قم.

24. الأمالی، المفید / الطبعة الثانیة 1413 هـ ـــ نشر المؤتمر العالمی لألفیة الشیخ المفید ـــ قم.

25. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملی / 1404 هـ ـــ نشر مکتبة الأندلس ـــ بغداد.

26. إیمان أبو طالب، السید فخار بن معد الموسوی، الطبعة الأولی ـــ 1410 هـ ـــ دار سید الشهداء للنشر ـــ قم.

27. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقی المجلسی ـــ الطبعة الرابعة ـــ 1404 هـ ـــ نشر مؤسسة الوفاء ـــ بیروت.

28. بدائع الصنائع، أبو بکر بن مسعود الکاشانی / الطبعة الأولی ـــ 1409 هـ ـــ نشر المکتبة الحبیبیة ـــ باکستان.

29. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لشيعة المرتضى، عماد الدين الطبرى / الطبعة الثانية ـــ 1383 هـ ـــ نشر المكتبة الحيدرية ـــ النجف.

30. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / الطبعة الثانية ـــ 1404 هـ ـــ نشر مكتبة أية الله المرعشى النجفى ـــ قم.

31. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدى / نشر مكتبة الحياة ـــ بيروت.

32. تاريخ بغداد، احمد بن على الخطيب البغدادى / الطبعة الأولى 1424 هـ ـــ نشر دار الفكر.

33. تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر / الطبعة الأولى ـــ 1421 هـ ـــ بيروت ـــ نشر دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت.

34. تاريخ المشاهد المشرفة، حسين أبو سعيدة الموسوى / الطبعة الثانية ـــ 1421 هـ ـــ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ـــ بيروت.

35. تأويل الآيات الظاهرة فى فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين على الحسينى الأسترابادى / الطبعة الأولى ـــ 1409 هـ ـــ نشر مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ـــ قم.

36. التبيان فى تفسير القرآن، الشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى / الطبعة الأولى 1409 هـ ـــ نشر مكتب الأعلام الإسلامى.

37. التحصين فى صفات العارفين، احمد بن فهد الحلى / الطبعة الثانية 1406 هـ ـــ نشر مدرسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف ـــ قم.

38. تحف العقول، حسين بن شعبة الحرانى / الطبعة الثانية 1404 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ـــ قم.

39. التحفة السنية، السيد عبدالله الجزائرى / نسخة مخطوطة فى مكتبة الآستانة الرضوية المقدسة ـــ تحت الرقم 2269.

40. تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن الهندى الفتنى.

41. تراجم الرجال، احمد الحسينى / 1414 هـ ـــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى ـــ قم.

42. ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت / الطبعة الأولى ـــ 1412 هـ ـــ نشر مجمع البحوث الإسلامية ـــ مشهد.

43. تصحیح الاعتقاد، الشیخ المفید / الطبعة الأولی ـــ 1413 هـ ـــ قم ـــ نشر المؤتمر العالمی لألفیة الشیخ المفید.

44. التفسیر الأصفی، المولی محمد محسن الفیض الکاشانی / الطبعة الأولی ـــ 1418 هـ ـــ مرکز انتشارات دفتر تبلیغات إسلامی ـــ قم.

45. تفسیر الإمام العسکری، الإمام الحسن العسکری علیه السلام / الطبعة الأولی ـــ 1409 هـ ـــ نشر مدرسة الإمام المهدی عجل الله فرجه الشریف ـــ قم.

46. تفسیر البحر المحیط، محمد بن یوسف (أبی حیان الأندلسی) / الطبعة الأولی ـــ 1422 هـ ـــ نشر دار الکتب العلمیة ـــ بیروت.

47. تفسیر البغوی، أبو محمد الحسین بن مسعود الغراء البغوی / نشر دار المعرفة ـــ بیروت.

48. تفسیر الثعالبی المسمی بالجواهر الحسان فی تفسیر القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی / الطبعة الأولی ـــ 1418 هـ ـــ نشر دار إحیاء التراث العربی ـــ بیروت.

49. تفسیر الصافی، المولی محسن الفیض الکاشانی / الطبعة الثانیة ـــ 1416 هـ ـــ نشر مکتبة الصدر ـــ طهران.

50. تفسیر العیاشی، محمد بن مسعود العیاشی / 1380 هـ ـــ نشر المطبعة العلمیة ـــ طهران.

51. تفسیر غریب القرآن الکریم، فخر الدین الطریحی / انتشارات الزاهدی ـــ قم.

52. تفسیر فرات الکوفی، أبی القاسم فرات بن إبراهیم الکوفی / الطبعة الأولی ـــ 1410 هـ ـــ مؤسسة الطبع والنشر فی وزارة الإرشاد الإسلامی.

53. تفسیر القمی، علی بن إبراهیم القمی / الطبعة الثالثة ـــ 1404 هـ ـــ نشر مؤسسة دار الکتاب ـــــ قم.

54. التفسیر الکبیر أو مفتاح الغیب، فخر الدین محمد بن عمر الرازی / الطبعة الأولی ـــ 1421 هـ ـــ نشر دار الکتب العلمیة ـــ بیروت.

55. تفسیر کنز الدقائق، المیرزا محمد المشهدی القمی / الطبعة الأولی ـــ 1407 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین ـــ قم.

56. تفسیر الملا صدرا، صدر المتألهین محمد بن إبراهیم / الطبعة الثانیة ـــ 1408 هـ ـــ منشورات بیدار ـــ قم.

57. تفسیر نور الثقلین، عبد علی بن جمعة العروسی الحویزی / الطبعة الرابعة ـــ 1412 هـ ـــ نشر مؤسسة إسماعیلیان ـــ قم.

58. تقريب المعارف، تقى بن نجم الدين أبى الصلاح الحلبى / 1404 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ـــ قم.

59. تكملة أمل الآمل، حسن الصدر / 1406 هـ ـــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى ـــ قم.

60. تكملة الرجال، عبد النبى الكاظمى / الطبعة الأولى 1425 هـ ـــ نشر أنوار الهدى ـــ قم.

61. التمحيص، محمد بن همام الإسكافى / الطبعة الأولى ـــ 1404 هـ ـــ نشر مدرسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف ـــ قم.

62. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر الطوسى / الطبعة الرابعة ـــ 1365 ش ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.

63. التوحيد، الشيخ محمد بن على بن الحسين (الصدوق) / الطبعة الثانية ـــ 1398 هـ مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ـــ قم.

64. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن على الصدوق / الطبعة الثانية ـــ 1406 هـ ـــ دار الشريف الرضى للنشر ـــ قم.

65. جامع أحاديث الشيعة، إسماعيل المعزى الملايرى / 1413 هـ مطبعة المهر ـــ قم.

66. جامع الأخبار، تاج الدين محمد بن محمد الشعيرى / الطبعة الثانية ـــ 1405 هـ ـــ دار الرضى للنشر ـــ قم.

67. جامع البيان عن تأويل آى القرآن، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـــ 1415 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

68. جامع الرواة، محمد بن على الأردبيلى / 1403 هـ ـــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى ـــ قم.

69. جامع السعادات، محمد مهدى النراقى / الطبعة السابعة ـــ 1422 هـ ـــ نشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـــ بيروت.

70. الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى / الطبعة الأولى 1401 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

71. جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم / عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى / الطبعة الأولى ـــ 1965 م ـــ دار العلوم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ـــ لبنان.

72. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، محمد بن احمد القرطبى / 1405 هـ ـــ نشر مؤسسة التاريخ العربى ـــ بيروت.

73. الجعفريات، محمد بن محمد الأشعث الكوفى / نشر مكتبة نينوى الحديثة ـــــ طهران.

74. الحبل المتين، بهاء الدين العاملى / 1398 هـ ـــ نشر مكتبة بصيرتى ـــ قم.

75. الحدائق الناظرة فى أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحرانى / الطبعة الثالثة ـــ 1413 هـ ـــ نشر دار الأضواء ـــ بيروت.

76. حق اليقين، عبد الله شبر / الطبعة الأولى ـــ 1418 هـ ـــ نشر مؤسسة الأعلمى ـــ بيروت.

77. الحقايق فى محاسن الأخلاق، الملا محسن الفيض الكاشانى / الطبعة الثانية ـــ 1423 هـ ـــ نشر دار الكتاب الإسلامى ـــ قم.

78. حلية المتقين، محمد باقر المجلسى / الطبعة الأولى 1424 هـ ـــ منشورات ذوى القربى.

79. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى / الطبعة الأولى ـــ 1409 هـ ـــ نشر مؤسسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف.

80. الخصال، محمد بن على بن الحسين الصدوق / الطبعة الثانية ـــ 1403 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى ـــ قم.

81. خلاصة الأقوال، الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى / الطبعة الثانية ـــ 1381 هـ ـــ نشر المطبعة الحيدرية ـــ النجف.

82. دراسات فى الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، حسين المظاهرى / نشر دار التعارف للمطبوعات ـــــ بيروت.

83. الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة، على خان المدنى (ابن معصوم) / الطبعة الثانية ـــ 1397 هـ ـــ نشر مكتبة بصيرتى ـــ قم.

84. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد التميمى المغربى / الطبعة الثانية ـــ 1385 هـ ـــ نشر دار المعارف ـــــ مصر .

85. الدعوات، قطب الدين الراوندى / الطبعة الأولى ـــ 1407 هـ ـــ نشر مدرسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف ـــــ قم.

86. الدمعة الساكبة فى أحوال النبى والعترة الطاهرة، المولى محمد باقر بن عبد الكريم البهبهانى / الطبعة الأولى 1408 هـ ـــ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـــ بيروت.

87. ديوان ابن الرومى، ابن الرومى / الطبعة الثانية ـــ 1998 م ـــ دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ـــ بيروت.

88. ديوان الإمام على عليه السلام، الإمام على بن أبى طالب عليه السلام / الطبعة الثانية ـــ 1411 هـ ـــ دار نداء الإسلام للنشر ـــ قم.

89. ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة / الطبعة الأولى ـــ 1425 هـ ـــ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـــ بيروت.

90. ذخيرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسى / الطبعة الأولى ـــ 1416 هـ ـــ نشر دار السلف ـــ الرياض.

91. ذخيرة المعاد، ملا محمد باقر السبزوارى / نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

92. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرک الطهرانى / الطبعة الثانية ـــ 1403 هـ ـــ نشر دار الأضواء ـــ بيروت.

93. ذكر أخبار أصبهان، احمد بن عبد الله الأصبهانى / 1934 م ـــ نشر مطبعة بريل.

94. الذكرى، الشهيد الأول / طبعة حجرية غير مرقمة / خط كرمانى سنة 1272 ش.

95. رجال ابن داود، الحسن بن على بن داود الحلى / 1383 هـ ـــ مؤسسة النشر فى جامعة طهران ـــ طهران.

96. رجال البرقى، احمد بن محمد بن خالد البرقى / 1383 هـ ـــ مؤسسة النشر فى جامعة طهران ـــ طهران.

97. رجال الطوسى، الشيخ أبو جعفر الطوسى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى.

98. رجال العلامة الحلى، الحسن بن يوسف الحلى / 1411 هـ ـــ نشر دار الذخائر ـــ قم.

99. رجال الكشى، محمد بن عمر الكشى / 1348 هـ. ش ـــ مؤسسة النشر فى جامعة مشهد.

100. رجال النجاشى، احمد بن على النجاشى / 1407 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العملية ـــ قم.

101. رسائل الشهيد الثانى، الشهيد الثانى / نشر مكتبة بصيرتى ـــ قم.

102. الرسائل العشر، الشيخ أبو جعفر الطوسى / 1404 هـ ـــ نشر جامعة المدرسين ـــ قم.

103. رسائل الكركى، الشيخ على بن الحسين الكركى / نشر مكتبة المرعشى ـــ 1409 هـ ـــ قم.

104. الرعاية لحال البداية فى علم الدراية، الشهيد الثانى / الطبعة الأولى ـــ 1423 هـ ـــ نشر بوستان كتاب ـــ قم.

105. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، الآلوسى / دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت.

106. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن حسن الفتال / دار الرضى للنشر ـــ قم.

107. رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووى / الطبعة الثانية ـــ 1411 هـ ـــ نشر دار الفكر.

108. الزهد، الحسين بن سعيد الأهوازى / الطبعة الثانية ـــ 1402 هـ ـــ نشر السيد أبو الفضل الحسينيان.

109. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلانى / الطبعة الرابعة ـــ 1379 هـ ـــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

110. سبل الهدى والرشاد فى سيرة خيرة العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامى / الطبعة الأولى ـــ 1414 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

111. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمى / الطبعة الثالثة ـــ 1422 هـ ـــ دار الأسوة للطباعة والنشر ـــ قم.

112. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد (ابن ماجة) / نشر دار الفكر ـــ بيروت.

113. سنن أبى داود، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى / الطبعة الأولى ـــ 1410 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

114. سنن الترمذى، محمد بن عيسى الترمذى / 1403 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

115. سنن النسائى، احمد بن شعيب النسائى / الطبعة الأولى ـــ 1348 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

116. سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبى / الطبعة الأولى ـــ 1425 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

117. شرح الأسماء الحسنى، ملا هادى السبزوارى / نشر مكتبة بصيرتى.

118. شرح أصول الكافى، المولى محمد صالح المازندرانى.

119. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبى الحديد المعتزلى / مكتبة آية الله المرعشى النجفى ـــ قم.

120. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبى الفضل عياض اليحصبى / 1409 هـ ـــ نشر دار الفكر ـــ بيروت.

121. الشهيد الأول محمد بن مكى، حسن الأمين / الطبعة الأولى ـــ 1418 هـ ـــ الغدير للطباعة والنشر ـــ بيروت.

122. الشيخ الكلينى البغدادى وكتابه الكافى، ثامر هاشم حبيب العميدى / الطبعة الأولى ـــ 1414 هـ ـــ نشر مكتب الأعلام الإسلامى ـــ قم.

123. الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهرى / الطبعة الرابعة 1407 هـ ـــ نشر دار العلم للملايين ـــ بيروت.

124. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، على بن بلبان (ابن حبان) / الطبعة الثانية ـــ 1414 هـ ـــ نشر مؤسسة الرسالة.

125. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابورى / نشر دار الفكر ـــ بيروت.

126. صحيفة الرضا عليه السلام، الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ 1406 هـ ـــ نشر المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام.

127. الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ 1411 هـ ـــ نشر مؤسسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف.

128. الصلاة، الشيخ الأنصارى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ نشر مؤسسة باقرى ـــ قم.

129. الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا / الطبعة الأولى ـــ 1410 هـ ـــ نشر دار الكتاب العربى ـــ بيروت.

130. طب الأئمة عليهم السلام، عبد الله شبر / الإرشاد للطباعة والنشر ـــ بيروت.

131. طب الأئمة عليهم السلام، عبد الله وحسن أبناء بسطام / الطبعة الثانية 1411 هـ ـــ دار الشريف الرضى للنشر ـــ قم.

132. طبقات الشافعية، عبد الرحيم الاسنوى / 1422 هـ ـــ دار الكتب العلمية.

133. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد / نشر دار صادر ـــ بيروت.

134. عدة الداعى ونجاح الساعى، احمد بن فهد الحلى / الطبعة الأولى ـــ 1407 هـ ـــ نشر دار الكتاب الإسلامى.

135. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، على بن يوسف بن المطهر الحلى / الطبعة الأولى ـــ 1408 هـ ـــ نشر مكتبة آية الله المرعشى النجفى ـــ قم.

136. علل الشرائع، الشيخ الصدوق / نشر مكتبة الداورى ـــ قم.

137. عمدة الطالب فى انساب آل أبى طالب، احمد بن على الحسينى ابن عنبة / الطبعة الأولى ـــ 1425 هـ ـــ نشر مكتبة سماحة آية الله المرعشى النجفى الكبرى ـــ قم.

138. عوالم العلوم والمعارف الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، عبد الله البحرانى / الطبعة الأولى ـــ 1409 هـ ـــ مدرسة الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف ـــ قم.

139. عوالى اللئالى، محمد بن على بن أبى جمهور الأحسائى / الطبعة الأولى ـــ 1405 هـ ـــ دار سيد الشهداء للنشر ـــ قم.

140. عيار الشعر، محمد بن احمد بن طباطبا العلوى / الطبعة الأولى ـــ 1426 هـ ـــ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـــ دمشق.

141. العين، الخليل بن احمد الفراهيدى / الطبعة الثانية ـــ 1409 هـ ـــ نشر مؤسسة دار الهجرة ـــ ايران.

142. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن على بن الحسين الصدوق / 1378 هـ ـــ دار العالم للنشر ـــ جهان.

143. عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الليثى الواسطى / الطبعة الأولى ـــ 1376 ش نشر دار الحديث ـــ قم.

144. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمى الآمدى / الطبعة الأولى ـــ 1366 هـ ـــ نشر مكتب الإعلام الإسلامى ـــ قم.

145. غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربى / الطبعة الأولى ـــ 1405 هـ ـــ نشر دار المدنة للطباعة والنشر والتوزيع ـــ جدة.

146. غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى / الطبعة الأولى ـــ 1408 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

147. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروى / الطبعة الأولى ـــ 1396 هـ ـــ نشر دار الكتاب العربى ـــ بيروت.

148. الفائق فى رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبدالحسين الشبسترى / الطبعة الأولى ـــ 1418 / مؤسسة النشر الإسلامى ـــ قم.

149. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه الديلمى / الطبعة الأولى ـــ 1406 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

150. الفصول المختارة، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الأولى ـــ 1413 هـ ـــ نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ـــ قم.

151. الفصول المهمة فى أصول الأئمة / محمد بن الحسن الحر العاملى / الطبعة الأولى ـــ 1418 هـ ـــ نشر مؤسسة معارف إسلامى إمام رضا عليه السلام ـــ قم.

152. فضائل الأشهر الثلاثة، محمد بن على بن الحسين الصدوق / نشر مكتبة الداورى ـــ قم.

153. فقه الإمام الرضا عليه السلام، الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ 1406 هـ ـــ نشر المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام ـــ مشهد.

154. فلاح السائل ونجاح المسائل، السيد على بن طاووس الحلى / نشر مكتب الأعلام الإسلامى فى الحوزة العلمية ـــــ قم.

155. فلسفة الأخلاق فى القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائى / الطبعة الأولى ـــ 1416 هـ ـــ نشر دار الصفوة ـــ بيروت.

156, فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

157, القاموس المحيط، الفيروز آبادى.

158. قرب الاسناد، عبد الله بن جعفر الحميرى / نشر مكتبة نينوى ـــ طهران.

159. قصص الأنبياء عليهم السلام، قطب الدين الراوندى / الطبعة الأولى ـــ 1409 هـ ـــ مؤسسة البحوث الإسلامية فى الآستانة الرضوية ـــ مشهد المقدسة.

160. قصص الأنبياء عليهم السلام، نعمة الله جزائرى / 1404 هـ ـــ نشر مكتبة آية الله المرعشى النجفى ـــــ قم.

161. القواعد والفوائد، محمد بن مكى العاملى (الشهيد الأول) / نشر مكتبة المفيد ـــ قم.

162. الكافى، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى / الطبعة الرابعة ـــ 1365 ش ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.

163. كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتى / الطبعة الأولى ـــ 1418 هـ ـــ نشر محمد على بيضون ـــ بيروت.

164. كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلونى / الطبعة الثانية ـــ 1408 هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

165. كشف الريبة عن أحكام الغيبة، زين الدين بن على الشهيد الثانى / الطبعة الثالثة ـــ 1390 هـ ـــ دار المرتضوى للنشر.

166. كشف الغمة فى معرفة الأئمة عليهم السلام، على بن عيسى الاربلى / 1381 هـ ـــ نشر مكتبة بنى هاشمى ـــ تبريز.

167. كشف اللثام، محمد بن الحسن الفاضل الهندى / الطبعة الأولى ـــ 1416 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين ـــــ قم.

168. الكفاية فى علم الرواية، أبى احمد بن على الخطيب البغدادى / الطبعة الأولى ـــ 1405 هـ ـــ نشر دار الكتاب العربى ـــ بيروت.

169. الكنى والألقاب، عباس القمى / الطبعة الثالثة ـــ 1389 هـ ـــ منشورات مطبعة الحيدرية ـــ النجف.

170. كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، على المتقى بن حسام الدين الهندى / 1409 هـ ـــ نشر مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.

171. كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكى / الطبعة الأولى ـــ 1410 هـ ـــ نشر دار الذخائر ـــ قم.

172. الكنز اللغوى فى اللسن العربى، نقلاً عن نسخ قديمة، نشر د. أوغست هفنر.

173. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور / الطبعة الأولى ـــ 1405 هـ ـــ نشر أدب الحوزة ـــ قم.

174. لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية، الشعرانى / الطبعة الثانية 1393 هـ ـــ نشر مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـــ مصر.

175. متشابه القرآن، ابن شهر اشوب المازندرانى / 1369 هـ / دار بيدار للنشر.

176. المجدى فى أنساب الطالبين، على بن محمد العمرى / الطبعة الثانية ـــ 1422 هـ / مكتبة آية الله المرعشى ـــ قم.

177. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحى / الطبعة الثانية ـــ 1408 هـ ـــ مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

178. مجمع البيان فى تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ نشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـــ بيروت.

179. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمى / 1408 هـ ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

180. مجمع الفائدة والبرهان، المحقق أحمد الأردبيلى / 1403 هـ ـــ جامعة المدرسين ـــ قم.

181. المجموع، محى الدين بن النووى / دار الفكر للطباعة والنشر.

182. المحاسن، احمد بن محمد البرقى / الطبعة الثانية ـــ 1371 هـ. ش ـــ دار الكتب الإسلامية ـــ قم.

183. المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى / الطبعة الثانية ـــ 1403 هـ ـــ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـــ بيروت.

184. مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

185. مسالک الافهام، الشهيد الثانى / الطبعة الأولى ـــ 1413 هـ ـــ مؤسسة المعارف الإسلامية ـــ قم.

186. مستدرک سفينة البحار، على النمازى / الطبعة الأولى ـــ 1412 هـ ـــ مؤسسة البعثة ـــ طهران.

187. مستدرک الوسائل، المحدث النوری / الطبعة الأولی ـــ 1408 هـ ـــ مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث ـــ قم.

188. مستطرفات السرائر، محمد بن إدریس الحلی / الطبعة الثانیة ـــ 1411 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامی ـــ قم.

189. مسکن الفؤاد، الشهید الثانی ـــ نشر مکتبة بصیرتی ـــ قم.

190. مسند ابن راهویه، إسحاق بن إبراهیم المروزی / الطبعة الأولی ـــ 1412 هـ ـــ نشر مکتبة الإیمان ـــ المدینة المنورة.

191. مسند احمد، احمد بن حنبل / دار صادر ـــ بیروت.

192. مسند الشامیین، سلیمان بن احمد الطبرانی / الطبعة الثانیة ـــ 1417 هـ ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بیروت.

193. مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعی / الطبعة الأولی ـــ 1405 هـ ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بیروت.

194. مشاهیر علماء الأمصار، محمد بن حبان بن احمد البستی / 1959 م ـــ دار الکتب العلمیة ـــ بیروت.

195. مشکاة الأنوار، علی بن الحسن الطبرسی / الطبعة الثانیة ـــ 1385 هـ ـــ نشر المکتبة الحیدریة فی النجف الأشرف.

196. مشکاة المصابیح، محمد بن عبد الله الخطیب التبریزی / الطبعة الثالثة ـــ 1985 م ـــ المکتب الإسلامی ـــ بیروت.

197. المصابیح فی إثبات الإمامة، احمد حمید الدین الکرمانی / الطبعة الأولی 1416 هـ ـــ دار المنتظر ـــ بیروت.

198. مصابیح الأنوار، السید عبد الله شبر / الطبعة الثانیة ـــ 1407 هـ ـــ مؤسسة النور للمطبوعات ـــ بیروت.

199. مصادقة الأخوان، الشیخ الصدوق / 1402 هـ ـــ مطبعة الکرمانی ـــ قم.

200. مصباح الشریعة، الإمام الصادق علیه السلام / الطبعة الأولی ـــ 1400 هـ ـــ مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

201. مصباح الکفعمی، إبراهیم بن علی الکفعمی / الطبعة الثانیة ـــ 1405 هـ ـــ دار الرضی ـــ قم.

202. مصباح المتهجد، الشیخ الطوسی / الطبعة الأولی ـــ 1411هـ ـــ مؤسسة فقه الشیعة ـــ بیروت.

203. مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال، آقا بزرک الطهرانى / الطبعة الثانية ـــ 1408 هـ ـــ دار العلوم ـــ بيروت.

204. معارف الرجال، محمد حرز الدين / 1405 هـ ـــ مكتبة آية الله المرعشى ـــ قم.

205. معانى الأخبار، الشيخ الصدوق / 1403 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامى ـــ قم.

206. المعتبر، المحقق الحلى / 1364 ش / نشر مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام.

207. معجم ألفاظ الفقه الجعفرى، د. احمد فتح الله / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ.

208. المعجم الأوسط، سليمان بن احمد الطبرانى / دار الحرمين.

209. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئى / الطبعة الخامسة ـــ 1413 هـ.

210. معجم رجال الفكر والأدب فى النجف، د. محمد هادى الأمينى / الطبعة الثانية ـــ 1413هـ.

211. معجم طبقات المتكلمين، اللجنة العلمية فى مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ 1424 هـ ـــ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـــ قم.

212. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكرى / الطبعة الأولى ـــ 1412 هـ ـــ نشر جامعة المدرسين ـــ قم.

213. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربى ـــ نشر مكتبة المثنى ـــ بيروت.

214. معجم المفسرين، عادل نويهض / الطبعة الثالثة ـــ 1409 هـ ـــ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـــ بيروت.

215. معدن الجوهر، أبو الفتح محمد بن على الكراجكى / الطبعة الثانية 1394 هـ. ش ـــ نشر المكتبة الرضوية ـــ طهران.

216. المغنى، عبد الله بن قدامه / نشر دار الكتاب العربى ـــ بيروت.

217. المغنى عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقى / الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ ـــ نشر مكتبة طبرية ـــ الرياض.

218. مفاتيح العلوم، محمد بن احمد الخوارزمى / نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

219. مفتاح الفلاح، الشيخ البهائى / الطبعة الأولى ـــ 1405 هـ ـــ دار الأضواء ـــ بيروت.

220. المقنعة، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى ـــ 1413 هـ ـــ المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ـــ قم.

221. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسی / الطبعة الرابعة ـــــ 1412 هـ ـــــ دار الشريف الرضی ـــــ قم.

222. الملل والنحل، جعفر السبحانی / الطبعة الأولی ـــ 1425 هـ ـــ مؤسسة التاریخ العربی ـــ بیروت.

223. الملل والنحل، الشهرستانی / الطبعة الأولی ـــ 1981 م ـــ مؤسسة ناصر للثقافة ـــ بیروت.

224. من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق / الطبعة الثالثة 1413 هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامی ـــ قم.

225. مناهل الضرب فی أنساب العرب، جعفر الحسینی / الطبعة الأولی ـــ 1419 هـ ـــ مکتبة آیة الله المرعشی ـــ قم.

226. منتهی الآمال، الشیخ عباس القمی / 1423 هـ ـــ الدار الإسلامیة للطباعة والنشر والتوزیع.

227. منیة المرید، الشهید الثانی / الطبعة الأولی ـــ 1409 هـ ـــ مکتب الإعلام الإسلامی ـــ قم.

228. مهج الدعوات، علی بن موسی بن طاووس / الطبعة الأولی ـــ 1411 هـ ـــ نشر دار الذخائر ـــ قم.

229. المهذب البارع، احمد بن فهد الحلی / 1413 هـ ـــ جامعة المدرسین ـــ قم.

230. مواهب الجلیل، الحطاب الرعینی / الطبعة الأولی ـــ 1416 هـ ـــ دار الکتب العلمیة ـــ بیروت.

231. مواهب الرحمن فی تفسیر القرآن، عبد الأعلی السبزواری / الطبعة الثانیة ـــ 1409 هـ ـــ نشر مؤسسة أهل البیت ـــ بیروت.

232. موسوعة أنساب العشائر العراقیة، ثامر عبد الحسن العامری / الطبعة الأولی ـــ 2004 م / دار الهادی للطباعة والنشر.

233. المیزان فی تفسیر القرآن، محمد حسین الطباطبائی / مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة ـــ قم.

235. نضد القواعد الفقهیة، المقداد السیوری الحلی / نشر مکتبة آیة الله المرعشی.

236. نقد الرجال، مصطفی التفرشی / الطبعة الأولی ـــ 1418 هـ ـــ مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث ـــ قم.

237. النهایة فی غریب الحدیث، ابن الأثیر / الطبعة الرابعة ـــ 1364هـ. ش ـــ نشر مؤسسة إسماعیلیان ـــ قم.

238. نهج البلاغة، الشریف الرضی / دار الهجرة للنشر ـــ قم.

239. الهدایة فی النحو، المنسوب لأبی حیان / الطبعة الرابعة 1382 هـ. ش، تحقیق وتنقیح وتعلیق حسین شیر أفکن / نشر المرکز العالمی للدراسات الإسلامیة ـــ قم.

240. هدایة المحدثین، محمد أمین الکاظمی / 1405 هـ ـــ نشر مکتبة آیة الله المرعشی ـــ قم.

241. هدية الأحباب، الشيخ عباس القمى / الطبعة الأولى ـــــ 1420 هـ ـــــ نشر مؤسسة نشر الفقاهة ـــــ قم.

242. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادى / دار إحياء التراث العربى ـــــ بيروت.

243. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملى / الطبعة الأولى 1409 هـ ـــــ مؤسسة آل البيت ـــــ قم.

244. وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن خلكان / الطبعة الأولى 1417 هـ ـــــ دار إحياء التراث العربى ـــــ بيروت.

245. ينابيع المودة لذوى القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزى / الطبعة الأولى 1416 هـ ـــــ طبع ونشر دار الأسوة.

المحتويات

الركن الثالث: فى المهلكات من الأخلاق الردية التى هى السموم القاتلة المهلكة للدين، وفيه أبواب

الباب الأول: شهوة البطن

الباب الثانى: شهوة الفرج

الباب الثالث: اللسان

الفصل الأول: فى خطر إطلاقه وفضيلة صمته

الفصل الثانى: فى آفات اللسان، وهى أمور

الباب الرابع: الغضب

الباب الخامس: الحقد

الباب السادس: الحسد

الباب السابع: الرياء

الفصل الأول: فى ذمه وحرمته

الفصل الثانى: فى حقيقة الرياء والفرق بينه وبين السمعة وأقسام الرياء

الفصل الثالث: فى درجات الرياء

الفصل الرابع: فى سبب الرياء وعلاجه

الباب الثامن: العجب

الفصل الأول: فى حقيقته وأقسامه والفرق بينه وبين الإدلال

الفصل الثانى: فى ما ورد فى ذمه

الفصل الثالث: فى علاج العجب إجمالا

الفصل الرابع: فى أقسام العجب وتفصيل علاجه

الباب التاسع: التكبر

الفصل الأول: فى ما ورد فى ذمه

الفصل الثانى: فى أقسام التكبر

الفصل الثالث: فى الميزان والمعيار الذى يعرف به الإنسان نفسه هل هو متواضع أو متكبر

الباب العاشر: الدنيا والآخرة

الفصل الأول: فى معرفة الدنيا والآخرة

الفصل الثانى: فى ما ورد فى ذم الدنيا

الفصل الثالث: فى ما ورد عن الأنبياء والأوصياء والحكماء فى أمثلة الدنيا

الباب الحادى عشر: المال

الباب الثانى عشر: الفقر

الباب الثالث عشر: الجاه

الفصل الأول: فى سبب حب الجاه

الفصل الثانى: فى علاج حب الجاه

الفصل الثالث: فى حب المدح والثناء

الباب الرابع عشر: الغرور

الفصل الأول: فى حقيقته وذمه

الفصل الثانى: فى بيان فرق المغترين وجهات غرورهم

فصل: فى غرور أهل العلم

فصل: فى غرور أرباب العبادة والعمل

فصل: فى غرور أرباب الأموال

الركن الرابع: فى المنجيات وفيه أبواب

الباب الأول: التوبة

الفصل الأول: فى حقيقة التوبة

الفصل الثانى: فى وجوبها وفضلها

الفصل الثالث: فى فوريتها

الفصل الرابع: فى عمومها

الفصل الخامس: فى قبول التوبة

الفصل السادس: فى تقسيم الذنوب التى يثاب منها

الفصل السابع: فى بيان ما تعظم به الصغائر

الفصل الثامن: فى تجزئة التوبة

الفصل التاسع: فى أقسام العباد فى التوبة

الفصل العاشر: فى العلاج للإقبال على التوبة

الباب الثانى: الصبر

الفصل الأول: فى فضله

الفصل الثانى: فى حقيقته وأساميه وأقسامه

الفصل الثالث: فى دواء الصبر وعلاجه

الباب الثالث: الرضا بالقضاء

الباب الرابع: الشكر

الفصل الأول: فى فضله

الفصل الثانى: فى حده وحقيقته

الفصل الثالث: فى بيان معنى الشكر فى حقه تعالى

الفصل الرابع: فى طريق تحصيل الشكر

الباب الخامس: الرجاء والخوف

الفصل الأول

الفصل الثانى: فى فضل الرجاء وترجيحه على الخوف

الفصل الثالث: فى دواء الرجاء وسبب حصوله

الفصل الرابع: فى الخوف

الفصل الخامس: فی فضیلة الخوف وسببه والترغیب فیه

الفصل السادس

الفصل السابع

الباب السادس: الزهد

الفصل الأول

الفصل الثانی: فی حقیقته

الفصل الثالث: فی أقسام الزهد ومراتبه

الفصل الرابع

الباب السابع: محبة الله تعالی والأنس به

الفصل الأول: فی حقیقتها

الفصل الثانی: فی الشواهد علی محبة الله تعالی وفضلها

الفصل الثالث: فی معنی محبة الله سبحانه لعبده

الباب الثامن: الیقین

الفصل الأول: فی فضله

الفصل الثانی: فی حقیقة الیقین

الباب التاسع: التوکل

الفصل الأول: فی فضله

الفصل الثانی: فی حقیقة التوکل

الفصل الثالث: فی سببه ودوائه ودرجاته

الباب العاشر: الصدق وأداء الأمانة

الباب الحادى عشر: المحاسبة والمراقبة

الفصل الأول: فى المحاسبة

الفصل الثانى: فى المراقبة

الباب الثانى عشر: التفكر والتدبر

الباب الثالث عشر: ذكر الموت وقصر الأمل

الباب الرابع عشر: طول الأمل

المصادر

المحتويات

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹